

التفسير البسيط

أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن أبي

ت (٤٦٨ هـ)

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي حمزة

ت (٤٦٨ هـ)

الجزء الخامس عشر

من أول سورة الأنبياء إلى آية (٥٦) من سورة المؤمنون

تحقيق

الدكتور عبد الله بن عبد العزيز بن محمد المديني

دققه ونقحه وضبطه

الأستاذ الدكتور

توكي بن سهو بن زلال العتيوي

الأستاذ الدكتور

عبد العزيز بن طاهر بن عبد العزيز السعدي

٢ شركة العبيكان للتعليم، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الواحدى، أبو الحسن علي أحمد
التفسير البسيط. / أبو الحسن علي أحمد
الواحدى. - الرياض، ١٤٢٨هـ - ٢٥ مج.
٥٨٣ ص: ١٦, ٥ × ٢٤ سم

ردمك: ٠٠٢٣-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٤-٢٨-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (ج ١٥)

١. الواحدى، علي بن أحمد، ت ٦٨هـ (المؤلف).
٢. آل سعود، عبدالعزيز بن سطاتم.
- العتيبي، تركي بن سهو، (تدقيق وتقيح وضبط).

ديوي: ٢٢٧,٣ - ٣٠٥٢ / ١٤٣٨

الطبعة الثانية

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

نشر وتوزيع
العبيكان
Obeikan

المملكة العربية السعودية - الرياض -

طريق الملك فهد - مقابل برج المملكة

هاتف: ١١٤٨٠٨٦٥٤ + فاكس: ١١٤٨٠٨٠٩٥ + ٩٦٦ ١١

ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

www.obeikanpublishing.com

جميع الحقوق محفوظة لصاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن سطاتم بن عبدالعزيز آل سعود. ولا
يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما
في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الأمير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير

سورة الأنبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. قوله : ﴿ اقْتَرَبَ ﴾ . افتعل من القُرب^(١) . يقال : قُرب الشيء واقترَب ، كما يقال : كسب واكتسب .

قال المبرِّد : هما^(٢) واحد ، إلا أن افتعل مؤكد^(٣) .

(١) القرب : نقيض البعد ، وهو الدنو . انظر : تهذيب اللغة للأزهري (قرب) ١٢٤ / ٩ ، ولسان العرب لابن منظور (قرب) ١ / ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٦ .

(٢) في (ع) : (وهما) .

(٣) لم أجد من ذكره عنه . قال أبو حيان في البحر المحيط (اقترب) ٢٩٥ / ٦ افتعل بمعنى الفعل المجرد وهو : (قرب) ، كما تقول : ارتقب ورقب . وقيل : هو أبلغ من قرب للزيادة التي في البناء اهـ . وذكر الزبيدي في تاج العروس (قرب) ١٣ / ٤ أن شيخه أبا عبدالله الفاسي نقل عن ابن عرفة : (اقترب) أخص من (قرب) فإنه يدل على المبالغة في القرب .

قال الزبيدي : ولعل وجهه أن افتعل يدل على اعتيال ومشقة في تحصيل الفعل ، فهو أخص مما يدل على القرب بلا قيد ، كما قالوه في نظائره . اهـ . وقال ابن عاشور في التحرير والتنوير ٨ / ١٧ : والاقتراب مبالغة في القرب ، فصيغة الافتعال الموضوع للمطاوعة مستعملة في تحقق الفعل ؛ أي اشتد قرب وقوعه بهم .

ومعنى الاقتراب هاهنا : قصر^(١) المدة التي بينهم وبين الحساب^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿لِلنَّاسِ﴾ ؛ قال الكلبي : يعني أهل مكة^(٣) .

﴿حِسَابُهُمْ﴾ ؛ قال المفسرون : محاسبة الله إياهم على أعمالهم^(٤) .

وقال عطاء عن ابن عباس^(٥) : يريد عذابهم ؛ لأن من نوقش الحساب عُدِّب^(٦) .

(١) في (ع) : (قصد) ، وهو خطأ .

(٢) انظر : التبيان للطوسي ٢٠٢ / ٧ .

(٣) ورد هذا القول في تنوير المقباس ٢٠٠ ، الذي هو من رواية الكلبي . وذكر الزمخشري في الكشف ٥٦١ / ٢ نحو هذا القول عن ابن عباس ، ثم قال : هذا من إطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين . قال ابن عطية في المحرر الوجيز ١٠ / ١٢٢ عام في الناس جميعهم ، وإن كان المشار إليه في ذلك الوقت كفار قريش ، ويدل على ذلك ما بعده من الآيات ، وقوله : ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ ، يريد الكفار .

(٤) هذا نص كلام الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان ٣ / ٢٧ أ . وأصله عند الطبري في جامع البيان ١٧ / ١ : حساب الناس على أعمالهم التي عملوها في دنياهم .

(٥) في (ع) : (عن الكلبي) ، وهو خطأ .

(٦) لم أجده من رواية عطاء ، عن ابن عباس . وهذه الرواية عن ابن عباس باطلة ، وقد تقدم الكلام عنها . وجاء في تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ٢٠٠ : (دنا لأهل مكة ما وعد لهم في الكتاب من العذاب . وهذا التفسير لا يصح عن ابن عباس رضي الله عنهما ؛ لأنه مروي عنه من طريق محمد بن مروان السدي ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، وهذا الإسناد من أضعف الأسانيد عن ابن عباس . انظر : العجائب في بيان الأسباب لابن حجر : ٣ ب . وقد نسب هذا القول - يعني أن المراد بالحساب هنا العذاب - إلى الضحاك . وذكره الماروردي في النكت والعيون ٣ / ٤٣٥ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٦٧ .

فعلى هذا ، الحساب يعني به^(١) : العذاب . وقال الزَّجَّاج : المعنى -والله أعلم- اقترَب للناس^(٢) وقت حسابهم^(٣) .

وعلى^(٤) هذا ، يعني به القيامة ، كما قال في سورة أخرى : ﴿ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﴾ [القمر : ١] .

قال أهل المعاني : واقترب^(٥) حسابهم يحمل على أحد معنيين : إما لأن كل ما هو آت فهو قريب ، وإما أنه قريب بالإضافة إلى ما مضى من الزمان^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿ فِي غَفْلَةٍ ﴾ . قال الكلبي : جهالة^(٧) .

وقال المفسرون : عما الله فاعل بهم ذلك اليوم^(٨) .

(١) (به) : زيادة .

(٢) في (ع) زيادة بعد قوله : (للناس) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج ٣ / ٣٨٣ .

(٤) في (ع) : (فعلى) .

(٥) في (أ) : (واقترَب) .

(٦) ذكر الماوردي : (٣ / ٤٣٥) ، والزخشي في الكشاف ٢ / ٥٦١ ، وابن الجوزي ٥ / ٣٣٩ ، والرازي في مفاتيح الغيب ٢٢ / ١٣٩ هذين المعنيين من غير نسبة لأحد .

وزاد الرازي القول الثاني بيانا بقوله : إنَّ المعاملة إذا كانت مؤجلة إلى سنة ثم انقضى منها شهر ؛ فإنه لا يقال : اقترَب الأجل ، أما إذا كان الماضي أكثر من الباقي ؛ فإنه يقال : اقترَب الأجل ، فعلى هذا الوجه قال العلماء : إن فيه دلالة على قرب القيامة ، ولهذا الوجه قال النبي ﷺ «عثت أنا والساعة كهاتين» [رواه البخاري في صحيحه : (١١ / ٣٤٧) كتاب الرقاق] .

وذكر الرازي قولاً ثالثاً : أن معنى اقتراب حسابهم أنه مقترَب عند الله تعالى . قال : والدليل عليه قوله تعالى : ﴿ وَبَسَّعْجَلُونَا بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَئِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج : ٤٧] .

(٧) لم أجده .

(٨) هذا كلام الطبري في تفسيره ١٧ / ١ مع تصرف يسير .

﴿مُعْرِضُونَ﴾ عن [التأهب] له^{(١)(٢)} .

وقال عطاء عن ابن عباس : أعرضوا عما جاء به^(٣) محمد ﷺ^(٤) .

٢ . قوله تعالى : ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ ؛ أي من وعظ بالقرآن على لسان محمد ﷺ^(٥) .

﴿تُحَدِّثُ﴾ ؛ أي بالإنزال ، تنزل^(٦) السورة بعد السورة ، والآية بعد الآية^(٧) .

وهذا معنى قول المفسرين : أي في زمن بعد زمن^(٨) .

وقال مقاتل : يحدث الله الأمر بعد الأمر^(٩) .

ومعنى الإحداث راجع إلى الإنزال وتلاوة جبريل -عليه السلام- على رسول الله ﷺ^(١٠) .

(١) ساقط من (ع) .

(٢) الطبري ٢ / ١٧ ، والكشف والبيان للثعلبي ٢٧ / ٣ أ .

(٣) في (أ) و(د) : (جاة) ، وفي (ت) : (جاءه) .

(٤) ذكر هذا القول القرطبي ٢٦٧ / ١١ ، ولم ينسبه لأحد .

(٥) انظر : الطبري ٢ / ١٧ ، والكشف والبيان للثعلبي ٢٧ / ٣ ب .

(٦) في (أ) و(ت) : (تنزل) ، بإهمال أوله .

(٧) ذكر هذا القول الطوسي في التبيان ٢٠٢ / ٧ ولم ينسبه لأحد .

(٨) ذكر أبو حيان في البحر ٢٩٦ / ٦ نحو هذا القول ولم ينسبه لأحد .

(٩) ذكره عنه الثعلبي ٢٧ / ٣ ب ، والبغوي ٣٠٩ / ٥ .

(١٠) قال الطبري ٢ / ١٧ : يقول تعالى ذكره : ما يحدث الله من تنزيل شيء من هذا القرآن للناس .

وقال أبو العباس أحمد بن تيمية في مجموع الفتاوى ٥٢٢ / ١٢ : المحدث في الآية ليس هو المخلوق الذي يقوله الجهمي ، ولكنه الذي أنزل جديداً ، فإن الله كان ينزل القرآن شيئاً بعد شيء ، فالمنزل أولاً هو قديم بالنسبة إلى المنزل آخرأ . وكل ما تقدم على غيره فهو قديم في لغة العرب .

وقوله تعالى: ﴿أَسْمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد يسمعون^(١) القرآن مستهزئين^(٢) .

وقال الحسن وقتادة : أي كلما جدد لهم الذكر استمروا على الجهل^(٣) .

٣. قوله تعالى: ﴿لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ﴾ . قال ابن عباس : أي عما يراد بهم^(٤) .

وقال السدي : عما جاء به محمد ﷺ^(٥) .

وانتصابه على وجهين أحدهما : إلا استمعوه لاعبين لاهية قلوبهم ؛ لأن قوله : ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ في موضع الحال^(٦) . والثاني : أن يكون منصوباً بقوله : ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾^(٧) . وهذا قول الفرّاء^(٨) ، والمبرّد ، والزّجاج^(٩) .

وقوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ ؛ تناجوا في ما بينهم ، يعني المشركين الذين وُصفوا باللهو واللعب .

(١) في (ع) : (يسمعون) .

(٢) ذكره عنه ابن الجوزي ٣٣٩ / ٥ . ونحوه في تنوير المقياس ٢٠٠ .

(٣) ذكره بنصه عن الحسن وقتادة الطوسي في التبيان ٢٠٣ / ٧ ، والحاكم الجشمي في التهذيب ١٣٦ / ٦ أ . وذكر هذا القول عن الحسن الماوردي في النكت والعيون ٤٣٦ / ٣ ، والقرطبي في تفسيره ٢٦٨ / ١١ .

(٤) لم أجده .

(٥) لم أجده .

(٦) فيكون قوله : ﴿لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ﴾ حالاً بعد حال من فاعل استمعوه . وهذا قول الكسائي . انظر : إعراب القرآن للنحاس ٦٣ / ٣ ، والبيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات ابن الأنباري ١٥٧ / ٢ ، وإملاء ما من به الرحمن للعكبري ١٣٠ / ٢١ ، والدر المصون للسمين الحلبي ١٣٠ / ٨ .

(٧) فيكون منصوباً على الحال من الضمير في (يلعبون) . انظر ما تقدم من مراجع في : الفقرة السابقة .

(٨) معاني القرآن ١٩٨ / ٢ .

(٩) انظر : معاني القرآن وإعراجه للزّجاج ٣٨٣ / ٣ .

ثم بيّن من هم ، فقال : ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ . قال ابن عباس : يريد الذين أشركوا^(١) .

وفي محل ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وجوه^(٢) : أحدها البدل من الواو في ﴿وَأَسْرُوا﴾ فيكون في موضع رفع^(٣) .

قال المبرّد : وهذا كقولك في الكلام : إن الذين في الدار انطلقوا بنو عبدالله . على البدل مما في انطلقوا^(٤) .

والثاني : أن يكون رفعاً على الذم على معنى : هم الذين ظلموا . [ويجوز أن يكون في موضع نصب على معنى : (أعني)^(٥) الذين ظلموا]^(٦)^(٧) .

-
- (١) مثله في تنوير المقباس ٢٠٠ .
- (٢) في (ع) : (وجوه) ، وهو خطأ .
- (٣) وهذا قول سيبويه كما في الكتاب ٤١ / ٢ . وجود هذا القول الزّجاج في معانيه ٣ / ٣٨٣ ، وحسنه ابن جزي الكلبي في التسهيل ٤٧ / ٣ ، واستظهره الشنقيطي في أضواء البيان ٤ / ٥٥٥ .
- (٤) ذكره البغوي ٥ / ٣١٠ ، والقرطبي ١١ / ٢٦٩ هذا القول بنصه عن المبرّد . ونسب أبو حيان في البحر المحيط ٦ / ٢٩٧ للمبرّد القول بأن (الذين) بدل ، وذكر السمين الحلبي في الدر المصون ٨ / ١٣٢ أن هذا القول معزو للمبرّد .
- (٥) (أعني) : زيادة من معاني القرآن للزّجاج يتضح بها المعنى .
- (٦) ساقط من (أ) و(ت) .
- (٧) من قوله : أن يكون رفعاً . . . إلى هنا . هذا نص كلام الزّجاج في معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٣٨٣ ، ٣٨٤ . وفي رفع (الذين) وجوه أخرى منها :
- الأول : أن يكون في موضع رفع بـ (أسروا) وسيذكره المصنف .
- الثاني : أن يكون (الذين) مبتدأ ، و(أسروا) جملة خبرية قدمت على المبتدأ . وهذا القول حكاه الثعلبي عن الكسائي .
- الثالث : أن يكون الذين مرفوعاً بفعل مقدر تقديره : يقول الذين كفروا . وحسن هذا الوجه النحاس وقال : فالدليل على صحة هذا الجواب أن بعده : ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ فهذا الذي قالوه .
- الرابع : أن يكون خبر مبتدأ محذوف ، وتقديره : هم الذين ظلموا .
- الخامس : أنه مبتدأ ، وخبره محذوف تقديره : الذي يقولون ما هذا إلا بشر مثلكم .

ويجوز أن يكون في موضع خفض تبعاً للناس ، كأنك قلت^(١) : اقترَب للناس الذين ظلموا^(٢) .

وقد قال قومٌ : ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ في موضع رفع بـ (أَسْرُوا) ، واستعمل الفعل مقدماً كما يستعمل مؤخراً . قالوا : وعلامة الجمع ليست بضمير^(٣) . فيجوز : انطلقوا إخوتك ، وانطلقا صاحبك ، تشبيهاً بعلامة التأنيث ، نحو : ذهبت جاريته^(٤) .

فجعلوا الألف والواو في التثنية والجمع كهذه التاء التي تقدم لتؤذن بالتأنيث^(٥) .

قال الأخفش : وهذا على لغة الذين يقولون^(٦) : «أكلوني البراغيث» ، و«ضربوني^(٧) قومك»^(٨) .

= وفي نصبه وجه آخر سوى ما ذكره الواحدي ، وهو نصبه على الظم . انظر : إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ٢/ ٤٧٧ ، والبيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات الأنباري ٢/ ١٥٨ ، والدر المصون للسمين الحلبي ٨/ ٣٢ ، ١٣٣ .

(١) في (ع) : (تقول) .

(٢) فيكون (الذين) في موضع جر نعت للناس . وهذا قول الفرّاء . انظر : معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٩٨ ، وإعراب القرآن لابن الأنباري ٢/ ١٥٨ . وقيل : الذين في موضع جر وهو بدل من الناس . قال أبو حيان : وهو أبعد الأقوال . البحر المحيط لأبي حيان ٦/ ٢٩٧ .

(٣) في (أ) : (لضمير) .

(٤) قاله أبو عبيدة ، والأخفش ، وغيرهما . انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ١٠١ ، ٢/ ٣٥ ، ومعاني القرآن للأخفش ٢/ ٤٧٥ ، ٦٣٢ ، والبحر المحيط لأبي حيان ٦/ ٢٩٧ ، والدر المصون للسمين ٨/ ١٣٣ . وذكر الطوسي في التبيان ٧/ ٢٠٤ هذا القول ونسبه لقوم كما فعل الواحدي .

(٥) انظر : الكتاب لسبويه ٢/ ٤٠ .

(٦) في (ت) : (يقولوني) ، وهو خطأ .

(٧) في (ع) : (وضربني) ، وهو خطأ .

(٨) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٤٧٥ ، ٦٣٢ .

وقال المبرّد: الذي قالوه يجوز، ولكنه بعيد لا يختار في القرآن^(١).

قال صاحب النظم^(٢): لأنه ليس من مذهب العرب أن يظهرُوا العدد في الفعل المتقدم للأسماء؛ لأن الفعل إذا تقدم الاسم فليس فيه ضمير، إنما هو فعل ابتدئ، وصاحبه بالخيار من بعد في تفسيره بمن شاء وبما شاء، فلذلك خلا من الضمير، ووحده في الصورة. وإذا تقدمت الأسماء فالفعل معطوف عليها؛ لأنه^(٣) ليس لصاحب الكلام أن يزول بالفعل عن الأسماء التي أرصدها للفعل، فإذا كان معطوفاً عليها وقد أضمرت الأسماء فيها وبضمنها^(٤)، فلا بد حينئذ من إظهار العدد فقوله: ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ فعل قد تقدمت الأسماء عليه، وهم الذين

(١) ذكره عن المبرّد الطوسي في التبيان ٢٠٤ / ٧. وذكر أبو حيان في البحر ٢٩٧ / ٦ أنه قيل: إنها لغة شاذة. ولم ينص على أحد. وكذا ذكر السمين في الدر المصون ١٣٣ / ٨ أن بعضهم ضَعَفَ هذه اللغة. ثم قال أبو حيان: وقيل: والصحيح أنها لغة حسنة، وهي من لغة أزدشنوءه، وخرج عليه قوله: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرًا﴾ [المائدة: ٧١].

(٢) تنبيه: ذهب د. جودة المهدي في كتابه الواحدي ومنهجه في التفسير ١٤١ إلى أن صاحب النظم الذي ينقل عنه الواحدي هو الحسين بن علي بن نصر بن منصور الطوسي؛ لأن الداودي ذكر له في طبقات المفسرين ١ / ١٤١، ١٤٢ كتاب نظم القرآن. والصواب خلاف ما قال، وأن صاحب النظم هو الحسن بن يحيى الجرجاني، ولو أن د. المهدي رجع إلى كتاب تاريخ جرجان للسهمي لرجح هذا، مع أنه نقل عن ابن قاضي شبهة في كتابه طبقات النحاة قوله: وهو يتناول مصادر تفسير البسيط في ترجمته للواحددي وكتاب نظم القرآن للجرجاني، وليس هو عبد القاهر الجرجاني كما غلط فيه الإمام فخر الدين الرازي إنما تأليف شخص ذكره حمزة السهمي في تاريخ جرجان. ومما يدل على أن مؤلف النظم الذي ينقل عنه الواحدي هو الحسن بن يحيى الجرجاني لا الحسن بن علي الطوسي أن الثعلبي - شيخ الواحدي - ذكر الجرجاني وذكر كتابه النظم، فقال في مقدمة تفسيره الكشف والبيان ١ / ٨ - وهو يذكر مصادره - كتاب النظم: قرأ علينا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب بلفظه قال: قرأت على أبي النضر محمد بن محمد بن يوسف بطوس قال: قرأت على أبي علي الحسن بن يحيى بن نصر الجرجاني. وتقدم أن الجرجاني يروي عنه أبو النضر كما ذكر ذلك السهمي في تاريخ جرجان. ويدل على ذلك أيضاً أن ابن الجوزي قال في زاد المسير ٩ / ١٦٥: وقال الحسين - هكذا في المطبوع وهو تصحيف - بن يحيى الجرجاني، ويقال له صاحب النظم.

(٣) (لأنه): ساقطة من (ع).

(٤) (ويضمنها) مهملة في (ع).

ذكرهم في قوله : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ ، وقد تكرر ذكرهم إلى أن قال ^(١) ﴿ وَأَسْرُوا ﴾ فجاء قول ﴿ وَأَسْرُوا ﴾ معطوفاً عليها ، وصارت الأسماء مضمرة في هذا الفعل . هذا كلامه .

وما ذكرنا من الوجوه في إعراب ﴿ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ قول الفرّاء والزّجاج ^(٢) والكسائي والمبرد .

وقوله تعالى : ﴿ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ . ترجمة سرهم ؛ أي تناجوا بهذا القول في ما بينهم ، يريدون أن محمداً بشر آدمي مثلكم ، لحم ودم ، ليس مثل الملائكة .

﴿ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴾ . قال ابن عباس : يريدون أن الذي جاء به محمد ﷺ سحر ^(٣) .

وقال السدي : يقولون إن متابعة محمد ﷺ متابعة السحر ^(٤) .

والمعنى : أتقبلون السحر وأنتم تعلمون أنه سحر ^(٥) ؟

فأطلع الله نبيه على ما تناجوا به

٤ . وقال له : ﴿ قَالَ رَبِّي ﴾ ؛ أي قل لهم يا محمد ربي ﴿ يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ ؛ أي لا يخفى عليه شيء مما يقال في السماء والأرض .

(١) في (أ) : (قالوا) ، وهو خطأ .

(٢) (والزّجاج) ساقط من (أ) .

(٣) روى الطبري : ٣ / ١٧ هذا القول عن ابن زيد .

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٥ / ٦١٦ ، وعزاه لابن أبي حاتم في تفسيره .

(٥) ذكره الطوسي في البيان ٧ / ٢٠٣ ، والحاكم الجشمي في التهذيب : ٦ / ١٣٦ أ هذا القول ولم ينسبها لأحد .

وقرأ أهل الكوفة^(١) ﴿قَالَ رَبِّي﴾ على إضافة القول إلى الرسول ﷺ . وكذا هو في مصاحفهم^(٢) يعنون : قال محمد : ربي يعلم القول في السماء والأرض .

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما تكلموا به^(٣) ، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما قولوا وبما في قلوبهم .

٥ . قوله تعالى : ﴿بَلْ قَالُوا﴾ . قال المبرد : (بل) لها موضعان في الكلام يجمعهما^(٤) شيء واحد وهو التنقل من خبر إلى خبر ، ومن أمر إلى أمر ، وقد يكون الانتقال رغبة عن الأول ، إمّا غلط القائل فاستثبت^(٥) وترك الأول ، وإما نسي فذكر . وقد يكون لما فرغ من خبر انتقل إلى آخر على أن الأول^(٦) مصحح مفروغ منه ، والذي يأتي من عند الله [لا يكون]^(٧) إلا الانتقال من خبر إلى خبر ، وكلاهما محكم^(٨) .

(١) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم : ﴿قَالَ رَبِّي﴾ بألف على الخبر ، وقرأ الباقون بغير ألف (قل) على الأمر . السبعة لابن مجاهد ٤٢٨ ، والمبسوط لابن مهران : ٢٥٣ ، والتبصرة لمكي بن أبي طالب ٢٦٣ ، والتيسير لأبي عمرو الداني ١٥٤ ، والنشر لابن الجزري ٣٢٣/٢ .

(٢) من قوله : وقرأ أهل ... إلى هنا ، هذا كلام أبي علي في الحجة ٥/٢٥٤ مع اختلاف في بعض العبارات . والقائل : وكذا هو في مصاحفهم ، هو ابن مجاهد كما نقله عنه أبو علي ، وهو في السبعة ٤٢٨ . وانظر أيضاً : علل القراءات للأزهري ٢/٤٠٣ ، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٢/٦٠ ، وحجة القراءات لأبي زرعة بن زنجلة ٤٦٥ ، ٤٦٦ .

(٣) في (أ) : (أنه) ، وهو خطأ .

(٤) في (أ) : (مجمعها) .

(٥) في (أ) و(ت) : (فاستب) ، مهمله الآخر .

(٦) في (د) و(ع) : (إلى آخر عن الأول) .

(٧) ساقط من (ع) .

(٨) في المقتضب ٣/٣٠٥ نحو هذا القول باختصار . انظر : حروف المعاني والصفات للزجاج ٢٩ ، والأزهية في علم الحروف للهروي ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ووصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي ٢٣٠ ، ومغني اللبيب لابن هشام ١/١٣٠ ، ١٣١ .

قال صاحب النظم : فقوله عز وجل : ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلِمٌ﴾ خبر^(١) من الله - عز وجل - معطوف على قوله : ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ ؛ أي أنهم قد قالوهما^(٢) جميعاً ، إلا أنهم خلطوا من جهة الحيرة التي دخلتهم في أمر الرسول ﷺ فلم يدروا ما قصته ، فقالوا : ﴿بَلْ أَفْتَرْتُهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ ، فأعلم الله - عز وجل - أنهم قالوا هذه الأقوال على حيرة منهم في أمره .

وقوله تعالى : ﴿أَضْغَتْ أَحْلِمٌ﴾ ؛ أي الذي أتى به النبي ﷺ^(٣) أضغاث أحلام .

قال قتادة : تخاليط^(٤) رؤيا رآها في المنام^(٥) .

وذكرنا الكلام في أضغاث الأحلام^(٦) في سورة يوسف .

وقوله تعالى : ﴿بَلْ أَفْتَرْتُهُ﴾ ؛ أي اختلقه وافتعله من نفسه ، ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ .

(١) في (أ) و(ت) : (وخير) .

(٢) في (أ) و(ت) : (قالواهما) ، وهو خطأ .

(٣) في (د) و(ع) : (الرسول) .

(٤) في (أ) : (مخاليط) .

(٥) ذكره بهذا النص عن قتادة الطوسي في التبيان ٢٠٣/٧ ، والحاكم الجشمي في التهذيب ١٣٦/٦ ب ،

وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره : (ج ١ ق ٢) ، والطبري في تفسيره ١١٨/١٦ طبعة شاكر عن قتادة في

قوله : ﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلِمٌ﴾ [يوسف ٤٤] قال : أخلاط أحلام . وذكر السيوطي في الدر المنثور

٦١٧/٥ عن ابن المنذر وابن أبي حاتم أخرجا عن قتادة في قوله : ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلِمٌ﴾ قال :

أي فعل الأحلام ، إنها هي رؤيا رآها .

(٦) في (د) : (أضغاث أحلام) .

قال أبو إسحاق^(١) : أي أخذوا ينقضون [أقوالهم]^(٢) بعضها ببعض ، فمرة يقولون : هذه أحلام ، ومرة يقولون^(٣) : هذا شعر ، ومرة^(٤) : هذا^(٥) مفترى^(٦) .

وعلى هذا معنى (بل) : الإخبار عنهم بنقضهم قولهم في القرآن ، وانتقالهم عما قالوه أولاً إلى آخر .

والمعنى : أنهم قالوا في القرآن قول متحير قد بهره ما سمع ، فمرة يقول : سحر ، ومرة يقول : شعر ، ومرة يقول : افتراء ، لا يجوز على أمر واحد^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿ فَلْيَأْنِتُنَا بِآيَةِ كَمَا أَرْسَلْنَا الْأَوَّلُونَ ﴾ . قال ابن عباس : مثل الناقة التي أتى بها صالح ، والعصا التي أتى بها موسى^(٨) .

قال أبو إسحاق : فاقترحوا الآيات التي لا يقع معها إمهال إذا كُذِّب بها^(٩) .

وفي الآية حذف يدل عليه الكلام ، على تقدير : كما أرسل الأولون بالآيات .

(١) هو أبو إسحاق الزجاج .

(٢) كشط في (ت) .

(٣) يقولون : ساقط من (أ) .

(٤) في (د) : (ومرة ومرة) . تكرر .

(٥) في (أ) : (هذه) ، وهو خطأ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣ / ٣٨٤ .

(٧) ذكر الطوسي في التبيان ٧ / ٢٠٣ ، ٢٠٤ هذا المعنى من غير نسبة لأحد .

(٨) ذكره الألوسي في روح المعاني ١٧ / ١١ . وروى الطبري ١٧ / ٤ عن قتادة نحوه .

(٩) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣ / ٣٨٤ .

٦. فقال الله - تعالى - مجيباً لهم : ﴿ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ ﴾ ^(١) قبل ^(١) مشركي مكة ﴿ مِنْ قَرْيَةٍ ﴾ يعني أهلها الله ﴿ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ وصفٌ للنكرة التي هي قرية ^(٢) .

والمعنى : ما آمنت ^(٣) قرية مهلكة بالآيات المرسله ﴿ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ يعني : أنَّ الأمم التي أهلكتها بتكذيبها بالآيات لم يؤمنوا بالآيات لما أتتهم ، فكيف يؤمن هؤلاء ؟

ووجه الاحتجاج عليهم من هذه الآية هو أن مجيء الآيات لو كان سبباً يؤدي [إلى الإيمان من غير إرادة الله لهم ذلك لكان سبباً] ^(٤) إلى إيمان أولئك لا محالة ، فلما بطل أن يكون سبباً لإيمانهم ، بطل أن يكون سبباً لإيمان هؤلاء .

(١) في (د) و(ع) : (من) .

(٢) انظر : المحرر الوجيز لابن عطية ١٠ / ١٢٦ ، وإملاء ما منَّ به الرحمن للعكبري ٢ / ١٣٠ .

(٣) في (أ) و(ت) : (ما أتت) .

(٤) ساقط من (أ) و(ت) .

وهذا احتجاج على القدرية^(١) ظاهر^(٢)، وبيان أن مجيء الآيات لا ينفع مع القضاء السابق بالكفر، كما لم ينفع الأمم السالفة.

ويزيد لهذا تأكيداً ما روى عطاء، عن ابن عباس في قوله: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ يريد: كان في^(٣) علمي^(٤) هلاكها^(٥).

فعل هذا معنى قوله: ﴿مَنْ قَرِيَةً أَهْلَكْنَاهَا﴾ أردنا إهلاكها بتكذيبها والتقدير الأول في ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ هو معنى قول الكلبي.

٧. قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾، هذا جواب لقولهم: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣]^(٦).

(١) القدرية: هم الذين نفوا القدر، وقد حدثت بدعتهم في أواخر زمن الصحابة، وقيل: إن أول من ابتدعه رجل من أهل البصرة يقال له: سيسويه من أبناء المجوس، وتلقاه عنه معبد الجهني الذي قال: لا قدر، والأمر أنف، ولما ابتدع هؤلاء التكذيب بالقدر رده عليهم من بقي من الصحابة - رضي الله عنهم - كابن عمر وابن عباس وغيرهما. وقد تبني المعتزلة القول بنفي القدر؛ ولذا سموا أيضاً بالقدرية، وجعلوه من أصول مذهبهم، وأدخلوه تحت ما يسمى عندهم بـ(العدل)، ومن قولهم في هذا: أن العبد هو خالق أفعاله خيرها وشرها من دون سبق قدر، وليس لله في أفعالهم صنع ولا تقدير، وأن الكفر والفسوق والعصيان أفعال قبيحة، والله منزّه عن فعل القبيح وأن يضاف إليه شر وظلم وفعل هو كفر ومعصية، فلا تكون فعلاً له ولا قدرها. انظر في تفصيل ذلك والرد عليهم: الفرق بين الفرق للبغدادي ١١٤، ١١٥، والتبصير في الدين لأبي المظفر الإسفراييني ٣٧، ٣٨، والملل والنحل للشهرستاني ١/ ٤٣-٤٥، ومجموع الفتاوى للشيخ الإسلام ابن تيمية ٧/ ٣٨٤، ٣٨٥، ٢٥٨-٢٦١، وشرح العقيدة الطحاوية ٢٧٦ فما بعدها، تاريخ الجهمية والمعتزلة لجمال الدين القاسمي ٧١-٧٣.

(٢) ظاهر: ساقطة من (د) و(ع).

(٣) (في): ساقطة من (أ).

(٤) (أ): (علي)، وهو خطأ.

(٥) ذكره القرطبي ١١/ ٢٧١ عن ابن عباس.

(٦) هذا قول الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٢٢٨.

يقول الله : لم نرسل قبل محمد إلا رجالاً من بني آدم ، لا ملائكة .

﴿فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ . قال الحسن ، وقتادة ، والكلبي :
يعني أهل التوراة والإنجيل^(١) .

وقال السدي : يعني اليهود والنصارى^(٢) .

يقول^(٣) : سلوهم هل جاءهم إلا رجال^(٤) يوحى إليهم .

﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أن الرسل بشر .

وأنكر قوم هذا التفسير ، وقالوا : لا يجوز مراجعة اليهود والنصارى في شيء ،
وقالوا : المراد بأهل الذكر من آمن منهم بمحمد ﷺ .

وهو قول ابن عباس في رواية عطاء قال : يريد أهل التوراة الذين آمنوا
بالنبي ﷺ^(٥) .

(١) ذكره عن الحسن وقتادة الطوسي في التبيان ٢٠٥ / ٧ ، والحاكم الجشمي في التهذيب ١٣٧ / ٦ ب ،
والماوردي في النكت والعيون ٤٣٨ / ٣ . ورواه الطبري ٥ / ١٧ ، عن قتادة . ورواه عبد الرزاق في
تفسيره ٢٢ / ٢ عن الكلبي قال : يعني أهل التوراة .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٣٢ / ٥ ، وعزاه لابن أبي حاتم . ذكره عند قوله تعالى : ﴿فَسْتَلُوا أَهْلَ
الذِّكْرِ﴾ [النحل : ٤٣] .

(٣) في (ت) : (بقوله) .

(٤) في (أ) : (رجالاً) .

(٥) روى الطبري ١٠٩ / ١٤ من طريق الضحاك عن ابن عباس قال : يعني أهل الكتب الماضية ، وروي
أيضاً ١٠٩ / ١٤ من طريق مجاهد قال : إن محمداً رسول الله في التوراة والإنجيل .

وقال ابن زيد : يعني ^(١) : فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن . قال :
وأراد بالذكر هاهنا القرآن ^(٢) .

وقال أبو إسحاق : هذا السؤال إنما يكون لمن ^(٣) كان مؤمناً من أهل الكتاب ؛
لأن القبول من أهل الصدق والثقة ^(٤) .

هذا قول هؤلاء . والوجه القول الأول ^(٥) ؛ لأن الله - تعالى - أمر المشركين
بهذا السؤال لا المسلمين ، وهم إلى تصديق من لم يؤمن بالنبي ﷺ من أهل الكتاب
أقرب منهم إلى تصديق من آمن . واليهود والنصارى لا ينكرون أن الرسل كانوا
بشراً ، وإن أنكروا نبوة محمد ﷺ . وهذا السؤال مختص بالكفار ^(٦) في هذه المسألة
فقط .

فأما المسلمون ، فلا يجوز لهم مراجعة أهل الكتاب في شيء من الدين ^(٧) .

(١) (يعني) : ساقطة من (د) و(ع) .

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ٢٨ / ٣ أ . ورواه الطبري ١٧ / ٥ مختصراً . وقد رد ابن عطية - رحمه الله - هذا القول ، فقال في المحرر الوجيز ١٠ / ١٢٧ . الذكر هو كل ما يأتي من تذكير الله عباده ، فأهل القرآن أهل ذكر ، وأما المحال على سؤالهم في هذه الآية ؛ فلا يصح أن يكونوا أهل القرآن في ذلك الوقت ؛ لأنهم كانوا خصومهم . كما استبعده الرازي ، فقال في التفسير الكبير ٢٢ / ١٤٤ وهو بعيد ؛ لأنهم كانوا - يعني المشركين - طاعنين في القرآن وفي الرسول ﷺ .

(٣) في (أ) : (من) ، وهو خطأ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣ / ٣٨٥ ، وفيه أن القول يكون . . . وفيه أيضاً : أهل الكتب .

(٥) وبه قال الطبري ، والبلغوي ، وابن عطية ، والرازي ، وابن كثير وغيرهم ، واستظهره أبو حيان . قال ابن عطية : وإنما أحيلوا على سؤال أخبار أهل الكتاب من حيث كانوا موافقين لهم على ترك الإيذان بمحمد ﷺ فتجيء شهادتهم بأن الرسل قديماً من البشر لا مطعن فيها ، لازمة لكفار قريش . انظر : الطبري ١٧ / ٥ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٣١١ ، والمحرر الوجيز ١٠ / ١٢٧ ، والتفسير الكبير ٢٢ / ١٤٤ ، والبحر المحيط ٦ / ٢٩٨ ، وتفسير ابن كثير ٣ / ١٧٤ .

(٦) في (أ) و(ت) : (الكفارة) ، هو خطأ .

(٧) انظر : التفسير الكبير للرازي ٢٢ / ١٤٤ .

وهذه الآية بعينها قد مضت في سورة النحل^(١).

٨. قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾ ؛ يعني الرسل ﴿جَسَدًا﴾. قال أبو إسحاق :

جسد هو واحد ينبي^(٢) عن جماعة ؛ أي وما جعلناهم ذوي أجساد^(٣).

وعند الفراء أنه بمنزلة المصدر ؛ لأنه يقال شيء مجسد ، فهو^(٤) مشتق من فعل فلذلك لم يجمع^(٥).

وقوله تعالى: ﴿لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾. [قال ابن عباس: يريد: إلا يأكلون^(٦) الطعام]^{(٧)(٨)}.

ونحو هذا قال الزجاج. قال^(٩): وذلك أنهم قالوا: ﴿مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ [الفرقان ٧] فأعلموا أن الرسل أجمعين يأكلون الطعام^(١٠).

(١) في سورة النحل ٤٣.

(٢) في (ت): (يثني)، وهو خطأ.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٨٥.

(٤) في (د) و(ع): (وهو).

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ١٩٩، والطبري ١٧/ ٥.

(٦) في (د) و(ع): (يأكلوا).

(٧) ساقط من (أ).

(٨) أخرج ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٥/ ٦١٧، عن ابن عباس أنه قال: لم نجعلهم جسداً ليس يأكلون الطعام، إنما جعلناهم جسداً يأكلون الطعام.

(٩) (قال): ساقطة من (ع).

(١٠) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٨٥.

وروى أبو عمر^(١) عن أبي العباس^(٢) أنها قالا : العرب^(٣) إذا جاءت بجحدين^(٤) في كلام ؛ كان الكلام إثباتاً وإخباراً . قالا : ومعنى الآية : إنما جعلناهم جسداً لياكلوا^(٥) الطعام . قالا : ومثله من الكلام ما سمعت منك ولا أقبل منك [وإنما سمعت منك لأقبل^(٦)].^(٧)

وقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ ؛ يعني : أنهم يموتون كسائر البشر .

٩ . قوله تعالى : ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾ ؛ أي أنجزنا وعدهم الذي وعدناهم بإنجائهم وإهلاك مخالفينهم ، وهو قوله : ﴿فَأَنجَيْنَاهُمْ﴾ ؛ أي من العذاب الذي [وعدناهم أن]^(٨) ينزل^(٩) بمن كذبهم .

﴿وَمَنْ نَّشَاءُ﴾ . قال ابن عباس : يعني الذين صدقوهم^(١٠) . ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾^(١١) . قال : يريد المشركين^(١٢) .

وفي هذا تخويف لكفار^(١٣) مكة ، ثم مَنْ عليه بالقرآن

(١) في (ت) : (أبو عمرو) ، وهو خطأ .

(٢) في (د) و(ع) : (أبو العباس) ، هما (ثعلب والمبرد) .

(٣) في (د) و(ع) : (زيادة (إن) قبل قوله : (العرب) .

(٤) في (د) و(ع) : (يبحدون) ، وهو خطأ .

(٥) في (أ) : (ليأكلون) ، وهو خطأ .

(٦) ساقط من (د) و(ع) .

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣٤١ / ٥ عن المبرد وثعلب إلى قوله : (الطعام) .

(٨) ساقط من (أ) .

(٩) في (أ) : (نزل) .

(١٠) ذكره ابن الجوزي ٣٤١ / ٥ ، ولم ينسبه لأحد .

(١١) في (أ) و(ت) : (المشركين) ، وهو خطأ .

(١٢) ذكر الطوسي في التبيان ٢٠٦ / ٧ ، والحاكم الجشمي في التهذيب : ١٣٧ / ٦ ب هذا القول عن قتادة .

(١٣) في (د) و(ع) : (للكفار) .

١٠. فقال : ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ . قال ابن عباس : أنزلنا إليكم يا معشر قريش ﴿كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ قال : يريد فيه شرفكم ، كقوله : ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف : ٤٤] ^(١) .

يريد إنه لشرف .

وهذا اختيار الفراء ^(٢) ، وابن قتيبة . وذلك أنه كتاب عربي بلغة قريش .

وقال الحسن : ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ ؛ أي ^(٣) : ما تحتاجون إليه من أمر دينكم ^(٤) .

وقال السدي : ما تعنون به ^(٥) من أمر ^(٦) دنياكم وآخرتكم وما بينكم ^(٧) .

وقال مجاهد : ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ ؛ حديثكم ^(٨) .

(١) أخرج البيهقي في شعب الإيمان ٢ / ٢٣٢ ، ٢٣٣ عن ابن عباس قال : فيه شرفكم . وذكر السيوطي في الدر المنثور ٥ / ٦١٧ ، عزاه لعبد بن حميد وابن بردويه وابن حاتم والبيهقي في شعب الإيمان . وقال ابن الجوزي في زاد المسير ٥ / ٣٤١ : قاله أبو صالح ، عن ابن عباس وذكره ابن كثير في تفسيره ٣ / ١٧٤ منسوباً إلى ابن عباس .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٠٠ .

(٣) (أي) : ساقطة من (أ) .

(٤) ذكره بهذا اللفظ عن الحسن الطوسي في التبيان ٧ / ٢٠٦ ، والحاكم الجشمي في التهذيب ٦ / ١٣٧ ب ، والبغوي في تفسيره ٥ / ٣١١ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٥ / ٣٤١ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥ / ٦١٧ عن الحسن بلفظ : فيه دينكم ، أمسك عليكم دينكم كتابكم . وعزاه لابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٥) في (ت) : (يغنون) ، وفي (أ) : (تعنون) .

(٦) أمر : ساقطة من (د) و(ع) .

(٧) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٥ / ٦١٧ بلفظ : فيه ذكر ما تعنون به ، وأمر آخرتكم ودنياكم ، وعزاه لابن أبي حاتم في تفسيره .

(٨) تفسير مجاهد ١ / ٤٩٧ ، ورواه الطبري ١٧ / ٦ ، ٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥ / ٦١٧ وعزاه لابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

قال أبو إسحاق : يعني ^(١) ما تلقونه من رحمة أو عذاب ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ . قال ابن عباس : يريد أفلا تعقلون ما فضلتكم ^(٣) به على غيركم ؛ أنزلتكم حرمي ، وبعثت فيكم نبيي ^(٤) .

ثم خوفهم بهلاك من كان في مثل حالهم من التكذيب .

١١ . فقال : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا ﴾ . قال مجاهد والسدي : أهلكنا ^(٥) . وقال الكلبي : عذبنا . وأصل القصم في اللغة : كسر الشيء ودقه ، يقال : قصمته فانقصم ^(٦) . قال الشاعر :

كَأَنْ لَمْ يَلَاقِ الْمَرْءَ عَيْشًا بِنِعْمَةٍ إِذَا نَزَلْتُ بِالْمَرْءِ قَاصِمُهُ الظَّهْرُ ^(٧)

يعني : داهية شديدة تكسر ^(٨) الصلب .

(١) (يعني) : ساقطة من (أ) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٨٥ . قال القرطبي ١١/ ٢٧٣ ، بعد أن ذكر أقوالاً في معنى الآية نحو ما ذكر الواحدي هنا : وهذه الأقوال بمعنى ، والأول (يعني أن المراد بالذكر هنا الشرف) يعمها ، إذ هي شرف كلها ، والكتاب شرف لنبينا ﷺ ، لأنه معجزته ، وهو شرف لنا إن عملنا بما فيه ، دليله قوله عليه السلام : (والقرآن حجة لك أو عليك) .

(٣) في (د) و(ع) : (فضلتكم) .

(٤) ذكره ابن الجوزي ٥/ ٣٤١ باختصار ، ولم ينسبه لأحد .

(٥) تفسير مجاهد ١/ ٤٠٧ ، ٤٠٨ . ورواه الطبري ١٧/ ٧ عن مجاهد ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦١٨ وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم . ولم أجد من ذكره عن السدي .

(٦) انظر : العين (قصم) ٥/ ٧ ، ومقاييس اللغة لابن فارس (قصم) ٥/ ٩٢ .

(٧) عجز هذا البيت في العين (قسم) ٥/ ٧٠ من غير نسبة . وهو بشطريه في أساس البلاغة للزخشي ٢/ ٢٥٩ من غير نسبة أيضاً .

(٨) في (أ) : (ينكسر) ، وهو خطأ .

وقال أبو إسحاق : معنى ^(١) قصمنا : أهلكنا وأذهبنا ، يقال : قصم الله عمر الكافر ^(٢) ؛ أي ^(٣) أذهبه ^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿مِنْ قَرِيَةٍ﴾ . قال ابن عباس : يريد مدائن كانت باليمن ، حضُوراء ^(٥) ، وبيت شِيبام ^(٦) ، مدائن كثيرة ^(٧) .

وقال الكلبي : هي حصون بني أزد ^(٨) .

﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ ؛ أي كافرة ، يعني أهلها ، ﴿وَأَنشَأْنَا﴾ ؛ وأحدثنا وأوجدنا ﴿بَعْدَهَا﴾ بعد إهلاك أهلها ^(٩) ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾ .

(١) معنى : ساقطة من (د) و(ع) .

(٢) في (أ) : (الكافرين) .

(٣) (أي) ساقطة من (أ) .

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٨٦ .

(٥) في (أ) و(د) و(ع) : (حضوراء) ، بالمهمله ، والمثبت من (ت) . وحضوراء : بالفتح ثم الضم وسكون الواو ، ويقال : حضور على وزن فعول : بلدة باليمن سميت بحضور بن عدي بن مالك ، وهو سبأ الأصغر . انظر : معجم البلدان لياقوت ٣/ ٩٢٩٦ ، ومعجم ما استعجم للبكري ١/ ٤٥٥ .

(٦) في (ع) و(د) : (شيبام) ، وشيبام : بكسر أوله ، اسم مشترك بين عدد من المواضع باليمن . انظر في تفصيل ذلك في : الإكليل للهمداني ٤٨ ، ومعجم البلدان ٥/ ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ومعجم المدن والقبائل للمقحفي ٢٢٣-٢٢٥ .

(٧) ذكر الزمخشري في الكشف ٢/ ٥٦٤ ، والرازي في التفسير الكبير ٢٢/ ١٤٥ وابن جزي الكلبي في التسهيل ٣/ ٤٩ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٦/ ٣٠٠ واللفظ لابن جزي وابن حيان عن ابن عباس قال : قرية باليمن يقال لها حضور ، وعند أبي حيان : حضوراء . قال الزمخشري : وظاهر الآية على الكثرة ، ولعل ابن عباس ذكر حضوراً ؛ لأنها إحدى القرى التي أرادها الله بهذه الآية . وقال ابن جزي : وظاهر اللفظ أنه على العموم ؛ لأن (كم) للتكثير ، فلا يريد قرية معينة . وقال أبو حيان : وما روي عن ابن عباس ، فيحمل على سبيل التمثيل لا على التعيين في القرية ؛ لأن كم تقتضي التكثير .

(٨) في النسخ جميعها : (أريد) ، والتصويب من تفسير عبدالرزاق ، وصفة جزيرة العرب للهمداني ١٥٦ ، والدر المنثور وغيرها .

(٩) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٣/ ٢٢ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦١٨ وعزه لعبدالرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر .

١٢. قوله : ﴿ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا ﴾ ؛ أي رأوا عذابنا بحاسة البصر . ويجوز أن يكون المعنى لما ذاقوا عذابنا^(١) .

قال المفسرون : هؤلاء كانوا عرباً كذبوا بنبيهم وقتلوه ؛ فسلط الله عليهم بُخْتَنَصْر^(٢) حتى قتلهم وسباهم ونكأ فيهم^{(٣)(٤)} .

ومعنى البأس هاهنا : القتل بالسيوف .

وقوله تعالى : ﴿ إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾ ؛ يفرون ، وينهزمون ، ويهربون من العذاب . هذا قول المفسرين^(٥) .

وأصل معنى الركض في اللغة : ضرب الرجل مَرَكِي^(٦) الدابة برجليه .

يقال : ركض الفرس ، إذا كده^(٧) بساقيه ، فلما كثر هذا على ألسنتهم استعملوه في الدواب ، فقالوا : هي تركض ، كأن الركض منها ، وأصل الركض : الضرب^(٨) .

(١) انظر : البغوي ٣١٢/٥ ، وابن الجوزي ٣٤٢/٥ ، والقرطبي ٢٧٤/١١ .

(٢) بضم الباء والتاء وفتح النون والصاد المشددة قيل هو ابن الملك نابو بولصر ملك بابل ، فتولى بعد أبيه . وقال الأصمعي : إنما هو بوختنصر .

(٣) في (أ) و(ت) : (ونكأ فيهم) ، مهملة .

(٤) الكشف والبيان للثعلبي ٢٨/٣ أ . انظر ما تقدم من التعليق على قول ابن عباس .

(٥) كمجاهد والسدي والربيع وغيرهم . انظر : الطبري ٨/١٧ ، والدر المنثور للسيوطي ٦١٨/٥ .

(٦) في النسخ جميعها : (من كلي) ، والصواب : (مر كلي) كما في التهذيب للأزهري ٣٧/١٠ ، وغيره . قال الجوهري في الصحاح (ركل) ١٧١٢/٤ ، (ومسراكل الدابة : حيث يركلها الفارس برجله إذا حركه للركض ، وهما مراكلان) .

(٧) في (د) و(ع) : (أكده) .

(٨) الضرب : ساقط من (أ) و(ت) .

يقال : ركضت المرأة ذيلها عند المشي ، إذا ضربته برجلها ، وركض^(١) البعير كما يقال : رَمَحَ ذو الحافر ، ومنه قوله : ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ [ص: ٤٢] ؛ أي اضرب الأرض بها ، وقد ركض الرجل إذا فَرَّ وعدا^(٢) .

والأصمعي يقول : ركضت الدابة^(٣) ، ولا يقال : ركض هو^(٤) .

وقال شِمْر^(٥) : وقد وجدنا في كلامهم : رَكَضَتِ الدابة في سيرها ، وركض الطائر في طيرانه^(٦) . ومنه قوله :

لو كان يُدْرِكُهُ رَكَضُ اليعاقب^(٧)

وقال سيبويه^(٨) : ركضت^(٩) الدابة وركضته^(١٠) .

(١) في (أ) : (فررض) .

(٢) هذا الكلام في معنى الركض منقول عن تهذيب اللغة للأزهري (ركض) ٣٧/١٠-٣٩ مع تصرف وحذف . انظر : الصحاح للجوهري (ركض) ٣/١٠٧٩ ، ١٠٨٠ .

(٣) (الدابة) : ساقطة من (أ) و(ت) .

(٤) قول الأصمعي في تهذيب اللغة (ركض) ٣٩/١٠ .

(٥) ضبط هذا الاسم محقق تهذيب اللغة للأزهري هكذا : شِمْر ، بكسر الشين وسكون الميم . وضبط في بعض مصادر ترجمته المطبوعة هكذا : شَمِر ، بفتح الشين وكسر الميم . وضبط في بعضها : شَمْر .

(٦) قول شمر في تهذيب اللغة (ركض) ٣٩/١٠ .

(٧) هذا عجز بيت لسلامة بن جندل السعدي يصف فيه الشباب الذاهب ، وصدره :

وَلِيَّ حَثِيئًا وَهَذَا الشَّيْبُ يَطْلُبُهُ

وهو في ديوانه ٩١ ، والمفضليات ١١٩ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ١٦٦ ، ومقاييس اللغة (حث) ٢/٢٩ ، وتهذيب اللغة للأزهري (عقب) ١/٢٧٨ ، والمحكم لابن سيده (ركض) ٦/٤٣٤ ، ولسان العرب (عقب) ٢/٦٢٢ . واليعاقب في البيت قيل : يعني اليعاقب من الخيل ، سميت بذلك تشبيهاً بيعاقب الحجل لسرعتها ، وقيل : يعني ذكور الحجل . انظر : تهذيب اللغة ١/٢٧٨ ، ولسان العرب ١/٦٢٢ .

(٨) (سيبويه) : ساقط من (أ) .

(٩) هكذا في (ع) . وفي باقي النسخ : (ركض) ، والمثبت هو الموافق لما في الكتاب .

(١٠) الكتاب ٤/٥٨ ، وفيه : (وركضتها) .

وقوله تعالى : ﴿إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ [يجوز أن يكون المعنى : يركضون دوابهم]^(١) ، [ويجوز أن يكون المعنى : يركضون]^(٢) هم بأنفسهم ، على معنى يفرون كما ذكره المفسرون . وجملة المعنى^(٣) : يهربون سراعاً^(٤) .

١٣ . قوله تعالى : ﴿لَا تَرْكُضُوا﴾ . قال المفسرون : لما أخذتهم السيوف وانهمزوا ، وكانوا قد خرجوا من مساكنهم لقتال بختنصر ، فلما انهمزوا ، مروا على دورهم منهزمين ، وديارهم^(٥) بها أهلوههم وذرايرهم فلم يلووا^(٦) عليهم فنادتهم الملائكة استهزاء بهم ﴿لَا تَرْكُضُوا﴾^(٧) .

[والتقدير في النظم فليل لهم : لا تركضوا]^(٨) .

-
- (١) ساقط من (ت) .
 (٢) ساقط من (د) و(ع) .
 (٣) في (د) و(ع) : (الأمر) .
 (٤) انظر : التبيان للطوسي ٢٠٨ / ٧ .
 (٥) ديارهم) : ساقطة من (أ) و(ت) .
 (٦) في (أ) و(ت) : (فلوتلوا) .
 (٧) ذكر الثعلبي في الكشف والبيان ٢٨ / ٣ أنحواً من ذلك . انظر : الدر المنثور ٦١٨ / ٥ ، ٦١٩ . والأظهر أن الآيات وصف قصة كل قرية ، وأنه لم يرد تعيين حضواء ولا غيرها ، فالمعنى على هذا : أن أهل تلك القرى الظالمة لما تيقنوا أن العذاب نازل بهم لا محالة ركضوا فارين ، فقبل لهم على وجه الهزء والتهكم : لا تركضوا هاريين من العذاب ، وارجعوا إلى ما كنتم فيه من النعمة والسرور والمعيشة والمساكن الطيبة . فاحذروا أيها المخاطبون ، أن تستمروا على تكذيب أشرف الرسل ، فيحل بكم كما حل بأولئك . انظر : المحرر الوجيز ١٣٠ / ١٠ ، ١٣١ ، وتفسير ابن كثير ١٧٤ / ٣ ، وتفسير ابن سعدي ٢٧٠ / ٣ .
 (٨) ساقط من (د) و(ع) .

قال صاحب النظم : ومن عادة العرب إذا ظفر الواحد منهم بواتر له ^(١) أن يقول له ^(٢) مثل هذا القول ، كما قال الشاعر :

هَلَّا سَأَلْتُ جُمُوعَ كُنْدَةٍ يَوْمَ وَلَّوْا أَيْنَ أَيْنَا ^(٣) ^(٤) .
فجاء هذا على تلك العادة التي هي بينهم .

وقوله تعالى : ﴿وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفَّتُمْ فِيهِ﴾ . قال الكلبي : خولتم ^(٥) ونعمتم ^(٦) فيه ^(٧) .

وقال ابن عباس : يريد ما كنتم تتنعمون فيه ^(٨) .

وقال السدي : ﴿إِلَى مَا أُتْرِفَّتُمْ فِيهِ﴾ أن تجبرتم ^(٩) .

وقال ابن قتيبة : أي إلى نعمكم التي أترفتم ^(١٠) .

ومضى الكلام في هذا عند قوله : ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء : ١٦] .

(١) بواتر له ؛ أي من أصابه بوتر ، والوتر : الجناية التي يجنيها الرجل على غيره من قتل أو نهب أو سبي .

لسان العرب (وتر) ٢٧٤ / ٥ .

(٢) (له) : ساقطة من (أ) و(ت) .

(٣) في (ت) و(أ) : (أبنا) ، والصواب ما في (ع) و(ر) .

(٤) البيت لعبيد بن الأبرص ضمن أبيات يقولها لامرئ القيس ، وكان امرؤ القيس قد توعد بني أسد إذ قتلوا أباه . وكندة قوم امرئ القيس . والبيت في ديوان عبيد ١٤٢ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ١٦١ ، ومشكل القرآن له أيضاً ١٨٦ ، ومعاني القرآن للفرأء ١ / ١٧٧ .

(٥) خولتم ؛ أي أعطيتهم وملكتم . الصحاح للجوهري (خول) ٤ / ١٦٩٠ ، والقاموس المحيط ٣ / ٣٧٢ .

(٦) في (ت) : (تعميم) .

(٧) انظر : البغوي ٣١٢ / ٥ ، وابن الجوزي ٣٤٢ / ٥ .

(٨) انظر : تنوير المقباس ٢٠٠ .

(٩) لم أجده .

(١٠) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٨٤ . وفيه : أي إلى نعمكم التي أترفتمكم .

وقوله تعالى : ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ . قال قتادة : أي شيئاً من دنياكم ، استهزاء بهم^(١) .

والمعنى على هذا أن الملائكة قالت لهم : ارجعوا إلى نعمكم ومساكنكم لعلكم تسألون [شيئاً]^(٢) من دنياكم ، فإنكم أهل ثروة ونعمة ، استهزاء بهم ، كما ذكره قتادة . وهذا في الحقيقة توبيخ لهم ؛ إذ جهلوا قدر نعمة الله عليهم بتكذيب نبيه والإقدام على قتله ، فوبختهم الملائكة بهذا القول ، وذكرهم ما كانوا فيه من النعم ؛ ليكون ذلك أشد لتحسرهم .

وقول قتادة في هذه الآية هو^(٣) الصحيح ، وذكرت أقوال ، وهي بعيدة في المعنى ، قال السدي : ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ يوم القيامة^(٤) .

وقال الكلبي : ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ عن قتل هذا النبي^(٥) .

وقال الحسن : ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ؛ أي تعذبون^(٦) .

وكل هذه الأقوال بعيدة عن معنى هذه الآية .

(١) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٢٢ ، والطبري ٨/ ١٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦١٨ وعزاه لعبدالرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) كشط في (ت) .

(٣) في (أ) : (وهو) .

(٤) لم أجده .

(٥) ذكره عنه ابن الجوزي ٥/ ٣٤٢ .

(٦) لم أجده .

قال أبو [إسحاق]^(١) . ويجوز لعلكم تسألون فتجيبون عما تشاهدون إذا رأيتم ما نزل بمساكنكم وما أترفتهم فيه^(٢) .

١٤ . قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَنْوَلِّنَا ﴾ . قال المفسرون : لما رأوا أن الصوت^(٣) لا يسكت عنهم ، وهو قول [الملائكة لهم] ﴿ لَا تَرْكُضُوا ﴾^(٤) الآية ، ولم يروا شخصاً ينادي بذلك الصوت ، ورأوا أنهم يُقتلون ، عرفوا أن الله - تعالى - هو سَلَطٌ عليهم عدوهم بقتلهم النبي الذي بعث فيهم ، قالوا عند ذلك : (يا ويلنا)^(٥) .

قال قتادة : ما كان هجيراهم^(٦) إلا الويل^(٧) .

﴿ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ ؛ قال ابن عباس : لأنفسنا حيث كذبنا رسل ربنا . والمعنى : أنهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب ، وقالوا هذا على سبيل التندم حين لم ينفعهم الندم .

١٥ . قال الله تعالى : ﴿ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ ﴾ ؛ أي ما زالت الكلمة^(٨) التي هي قولهم : يا ويلنا دعاءهم يدعون بها على أنفسهم ؛ أي لم يزالوا يرددونها .

(١) ما بين المعقوفين كشط في (ت) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٨٦ .

(٣) في (ت) : (الصواب) ، وهو خطأ .

(٤) ما بين المعقوفين كشط في (ت) .

(٥) انظر : الثعلبي ٣/ ٢٨ أ ، والبخاري ٥/ ٣١٢ ، والقرطبي ١١/ ٢٧٤ . وما ذكر هنا الله أعلم بصحته .

(٦) هجيراهم : يعني دأبهم وعاداتهم وشأنهم . الصحاح (هجر) ٢/ ٨٥٢ ، والقاموس المحيط ٢/ ١٥٨ .

(٧) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٢٢ ، والطبري ١٧/ ٩ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦١٨ وعزه لعبدالرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٨) في (أ) و(ت) : (العلّة) ، هو خطأ .

قال ابن عباس : ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ﴾ ؛ يريد : قولهم ^(١) .

وهذا الآية كقوله تعالى : ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَتُهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأُسْنَا﴾ [الأعراف: ٥] الآية .

وقوله تعالى : ﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِيدِينَ﴾ بالسيف كما يحصد الزرع بالمنجل ^{(٢)(٣)} .

ومضى الكلام في الحصيد عند قوله : ﴿مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هود: ١٠٠] .

وقوله تعالى : ﴿خَمِيدِينَ﴾ ؛ أي ميتين ، كخمود ^(٤) النار إذا طفت .

١٦ . قوله : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ ؛ يريد لم نخلقهما عبثاً وباطلاً ^(٥) ، خلقناهم لأمر ، وهو ما ذكره ابن عباس فقال ^(٦) :
لأجازي أوليائي ، وأعذب أعدائي ^(٧) .

(١) مثله في تنوير المقباس ٢٠٠ .

(٢) المنجل كمنبر : هو حديدة يُحصد بها الزرع . الصحاح (نجل) ١٨٢٦/٥ ، والقاموس المحيط ٥٤/٤ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٩/١٧ . وهذا القول بناء على أن القرية هنا حضوراء ، والأولى عدم تخصيص

الحصد بالسيف بل يحصدون بالعذاب . قال ابن كثير ١٧٤/٣ حتى حصدناهم حصيداً . قال

ابن عطية في المحرر ١٠/١٣٠ (حصيداً) ؛ أي بالعذاب تركوا كالخصيد ، و(الخصيد) يشبه بحصيد

الزرع بالمنجل ؛ أي ردّهم الهلاك كذلك .

(٤) في (أ) : (لخمود) .

(٥) وهذا تفسير قتادة . انظر : الطبري ٩/١٧ ، والدر المنثور للسيوطي ٦١٩/٥ .

(٦) في (أ) و(ت) : (يقال) .

(٧) ذكر أبو حيان في البحر المحيط ٦/٣٠٢ هذا القول بمعناه ونسبه للكرماني . قال : إنها خلقناهما

لنجازي المحسن والمسيء .

وقال غيره : خلقناهم حجة ودلالة على قدرتنا ووحدانيتنا ؛ ليعتبروا خلقها ويتفكروا فيها^(١) ، فيعلموا أنَّ العبادة لا تصلح إلا لخالقها^(٢) .

١٧ . قوله تعالى : ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : يريد النساء^(٣) .

وهو قول الحسن ، وقتادة ، قالوا : اللهو بلغة أهل اليمن : المرأة^(٤) .

وقال^(٥) في رواية الكلبي ، عن أبي صالح عنه : اللهو الولد بلغة حضر موت^(٦) . وهو قول السدي^(٧) .

(١) في (ت) : (يتفكروها فيها) ، وهو خطأ .

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣٤٣/٥ ولم ينسبه لأحد . وقال الطبري ٩/١٧ : (وما خلقنا . . .) إلا حجة عليكم أيها الناس ، ولتعتبروا بذلك كله ، فتعلموا أن الذي دبره وخلقه لا يشبهه شيء ، وأنه لا تكون الألوهية إلا له ، ولا تصلح العبادة لشيء غيره . فيظهر أن مراد الواحدي بقوله (غيره) : هو الطبري .

(٣) ذكره البغوي في معالم التنزيل ٣١٣/٥ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٣٤٣/٥ هذه الرواية عن عطاء عن ابن عباس بلفظ : المرأة .

(٤) قول الحسن رواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور ٦٢٠/٥ . ورواه الطبري ١٧/١٠ عن الحسن من غير قوله : بلغة أهل اليمن . وذكر السيوطي في الدر المنثور ٦٢٠/٥ عن الحسن أنه قال : النساء . وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر . وأما قول قتادة ، فقد رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢٢/٢ ، والطبري ١٧/١٠ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦٢٠/٥ وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) (قال) : ساقطة من (أ) و(ت) .

(٦) روى الفراء في كتابه معاني القرآن ٢/٢٠٠ هذه الرواية قال : حدثنا حبان ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، فذكرها . وذكرها البغوي في معالم التنزيل ٣١٣/٥ وابن الجوزي ٣٤٣/٥ .

(٧) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦٢٠/٥ عن السدي ، وعزاه لابن أبي حاتم .

وذكره البغوي ٣١٣/٥ ، وابن الجوزي ٣٤٣/٥ .

قال الزَّجَّاج وغيره : تأويله في اللغة أن المرأة هو الدنيا ، وكذلك الولد^(١) .

والمعنى على ذي اللهو ؛ أي الذي يُلهى به . ومعنى اللهو : طلب التزويج^(٢) عن النفس .

يقول : لو أردنا أن نتخذ ولداً ذا هو أو امرأة ذات هو ﴿لَاَتَّخِذْتُهُ مِن لَّدُنَّا﴾ .

قال المفسرون : من الحور العين^(٣) .

وهذا إنكار على من أضاف صاحبة الولد إلى الله تعالى ، واحتجاج عليهم بأنه لو كان جائزاً في صفته لم يتخذه بحيث يظهر لهم ويستر ذلك ؛ لأن من قدر على ستر النقص لم يظهره ، وهذا معنى قوله : ﴿لَاَتَّخِذْتُهُ مِن لَّدُنَّا﴾ ؛ أي من عندنا بحيث لا تطلعون عليه^(٤) .

قال ابن قتيبة في هذه الآية : التفسيران في اللهو متقارنان ؛ لأن امرأة الرجل هو^(٥) ، [وولده هو^(٦)] ، لذلك^(٧) يقال : امرأة الرجل وولده ريجانته ، وأصل

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج ٣/ ٣٨٦ .

(٢) في النسخ جميعها : (التزويج) ، وفي لسان العرب ١٥/ ٢٥٩ : وطلب اللهو الخلو ؛ أي طلب الخلو التزويج . وقد يكون صواب العبارة : طلب الترويح عن النفس .

(٣) ذكر السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٢٠ هذا القول من رواية ابن أبي حاتم عن إبراهيم النخعي . وذكره البغوي ٥/ ٣١٣ ، وأبو حيان ٦/ ٣٠٢ ، ولم ينسبه لأحد .

(٤) ذكر هذا المعنى الطوسي في التبيان ٧/ ٢٠٩ ، والجشمي في التهذيب ٦/ ١٣٩ ب ، والبغوي ٥/ ٣١٣ ، وأبو حيان في البحر ٦/ ٣٠٢ ، ولم ينسبه لأحد .

(٥) في (د) و(ع) : (ان المرأة للرجل هوه) .

(٦) ساقط من (ت) .

(٧) في (أ) و(ت) : (ولذلك) .

اللهو : الجماع ، كني عنه باللهو^(١) ، كما كني عنه بالسر ، ثم قيل للمرأة : هو ؛ لأنها تجامع . قال امرؤ القيس :

ألا زعمت بسباسة اليوم أنني كبرتُ وألا يحسن اللهو أمثالي^(٢)
أي النكاح .

وتأويل الآية : أن النصاري لما قالت في المسيح وأمه ما قالت ، قال الله عز وجل : ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا﴾ صاحبة كما تقولون ، لا نتخذنا ذلك (من [لدنا]^(٣)) عندنا^(٤) ، ولم نتخذه من عندكم [لأنكم تعلمون]^(٥) أن^(٦) ولد الرجل وزوجه يكونان عنده لا عند غيره^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ﴾ . قال المفسرون ابن عباس^(٨) ، وقتادة ، والسدي وغيرهم : ما كنا فاعلين^(٩) .

(١) باللهو) : ساقطة من (د) و(ع) .

(٢) البيت أنشده لامرئ القيس ابن قتيبة في مشكل القرآن ١٦٣ . وهو في ديوانه ٢٨ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٧٦ وفيه : وألا يحسن السر أمثالي ، ومعاني القرآن للفرأء ١/ ٥٣ وفيه : وألا يشهد السر ، وخزانة الأدب ١/ ٦٤ . قال البغدادى في الخزانة ١/ ٦٤ بسباسة : امرأة من بني أسد . وكبر : شاخ . واللهو مصدر لهوت بالشيء إذا لعبت به . قال في الصحاح : وقد يكنى باللهو عن الجماع .

(٣) (لدنا) : موضعها بياض في (ت) .

(٤) (عندنا) : ساقطة من (د) و(ع) .

(٥) ساقط من (د) و(ع) .

(٦) (أن) : ساقطة من (أ) .

(٧) مشكل القرآن لابن قتيبة ١٦٣ ، ١٦٤ مع تصرف يسير .

(٨) في (د) و(ع) : (وابن عباس) .

(٩) ذكره ابن الجوزي ٥/ ٣٤٤ عن ابن عباس . وقول قتادة رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٢٢ ، والطبري ١٧/ ١٠ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦١٨ عنه ، بلفظ : إن ذلك لا يكون ولا ينبغي . وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم . وقول السدي ذكره عنه ابن كثير في تفسيره ٣/ ١٧٥ .

قال الفرّاء^(١)، والزّجاج^(٢) والمبرد: يجوز أن تكون (إن)^(٣) للنفي هاهنا، كقوله: ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٣] ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [الملك: ٢٠] ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَيْنَاهُ﴾ [الفرقان: ٤] ويكون المعنى تحقيقاً لكذبهم في وصف الله - تعالى - بالولد والصاحبة؛ أي^(٤) ما فعلنا ذلك [ولم نتخذ صاحبة ولا ولداً]. قالوا: ويجوز أن يكون للشرط؛ أي إن كنا ممن يفعل ذلك^(٥)، ولسنا ممن يفعله. فيكون ذلك توبيخاً لهم بعد توبيخ.

قال أبو إسحاق: القول الأول قول المفسرين، والقول الثاني قول النحويين، وهم أجمعون يقولون القول الأول، ويستجيدونه؛ لأن (إن) تكون في معنى النفي، إلا أن أكثر ما تأتي مع اللام، تقول: إن كنت [لصالحاً، معناه: ما كنت]^(٦) إلا صالحاً^(٧).

وقال الفرّاء: أشبه الوجهين بمذهب العربية أن تكون (إن) بمعنى^(٨) الجزاء^(٩).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للفرّاء ٢/ ٢٠٠.

(٢) انظر: معاني القرآن للزّجاج ٣/ ٣٨٧.

(٣) (إن): ساقطة من (ت).

(٤) في (أ) و(ت): (إن)، وهو خطأ.

(٥) ساقط من (ت).

(٦) ساقط من (د) و(ع).

(٧) معاني القرآن وإعرابه للزّجاج ٣/ ٣٨٧.

(٨) في (أ): (المعنى).

(٩) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢٠٠ مع اختلاف يسير.

١٨ . قوله : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ ﴾ . معنى ^(١) (بل) ^(٢) هاهنا : إبطال لكلامهم [ووصفهم الله] ^(٣) بما لا يجوز . يقول : دع ذلك فإنه باطل كذب . ﴿ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ ﴾ . قذف بالشيء ^(٤) ، إذا رمى به ^(٥) ؛ أي نسلط الحق على باطلهم ، ونلقيه عليه حتى يذهب .

قال أبو إسحاق : يعني بالحق القرآن ^(٦) ، على باطلهم ^(٧) ^(٨) وهو كذبهم ﴿ فَيَدْمَغُهُ ﴾ . قال الكلبي : فيهلكه ^(٩) .

قال ابن قتيبة : يكسره . وأصل هذا إصابة الدماغ بالضرب وهو مقتل ^(١٠) ^(١١) .

وحقيقة ما قاله أبو إسحاق : ﴿ فَيَدْمَغُهُ ﴾ فيذهب ^(١٢) ذهاب الصغار والإذلال ^(١٣) .

﴿ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ ؛ أي زائل ذاهب ^(١٤) .

-
- (١) (معنى) : ساقطة من (ع) .
 (٢) بل : ساقطة من (أ) و(ت) .
 (٣) بياض في (ت) .
 (٤) في (أ) : (الشيء) .
 (٥) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (قذف) ٧٤ / ٩ ، والصاحح للجوهري (قذف) ١٤١٤ / ٤ ، والمفردات للراغب الأصفهاني ٣٩٧ .
 (٦) قال ابن عطية ١٠ / ١٣٥ : الحق عام في القرآن والرسالة والشرع .
 (٧) ساقط من (د) و(ع) .
 (٨) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣ / ٣٨٧ .
 (٩) ذكره الثعلبي ٣ / ٢٨ ب ، والبغوي ٣ / ٣١٣ ، ولم ينسبها لأحد .
 (١٠) في (أ) و(ت) : (مقيل) ، وهو خطأ .
 (١١) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٨٥ .
 (١٢) (فيذهب) : ساقطة من (ز) .
 (١٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣ / ٣٨٧ .
 (١٤) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (زهق) ٥ / ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ولسان العرب (زهق) ١٠ / ١٤٧ .

قال ابن عباس : كما يذهب السهم من الرمية .
وقال قتادة : هالك^(١) .

وذكرنا هذا عند قوله : ﴿ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾ [الإسراء : ٨١] . والمعنى : إنها^(٢) نبطل
كذبهم بما تبين من الحق حتى يضمحل^(٣) ويذهب .

ثم أوعدهم على كذبهم فقال : ﴿ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴾ . قال ابن عباس :
يريد وادياً في جهنم^(٤) ، يقول لكم يا معشر الكفار : الويل من كذبكم^(٥) ووصفكم
الله^(٦) بما لا يجوز .

قال مجاهد : ﴿ مِمَّا نَصِفُونَ ﴾ : [مما تكذبون ، كقوله : ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾
[الأنعام : ١٣٩]^(٧) .

(١) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٢٣ ، والطبري ١٧/ ١١ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٢٠
وعزاه لعبدالرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) في (د) و(ع) : (إنّا) .

(٣) يضمحل ؛ أي ينحل . القاموس المحيط ٤/ ٥ .

(٤) ذكره عنه القرطبي في تفسيره ١١/ ٢٧٧ . وفي طبعتي الدر المنثور ١/ ٨٢ دار المعرفة ، ١/ ٢٠٢ دار
الفكر : (أخرج هناد في (الزهد) وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : ويل
سيل من صديد في أصل جهنم - وفي لفظ - ويل واد في جهنم وهو تصحيف في الطبعين ،
والصواب عن أبي عياض . انظر : الزهد لهناد ١/ ٨٣ ، وتفسير الطبري ٢/ ٢٦٧ طبعة شاكر ،
وابن أبي حاتم ١/ ٢٤٣ . وجاءت رواية (ويل واد في جهنم) مرفوعة إلى النبي ﷺ ، فقد روي الإمام
أحمد في مسنده ٣/ ٧٥ وغيره عن أبي سعيد - رضي الله عنه - مرفوعاً : ويل واد في جهنم
الحديث . قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره ١/ ١١٧ : وهذا الحديث بهذا الإسناد مرفوعاً منكراً .
والأظهر في هذا أن الويل : الهلاك والدمار ، وهي كلمة مشهورة في اللغة . قاله ابن كثير في تفسيره
١١٧/ ١ .

(٥) العبارة في (د) و(ع) : (الويل لكم الويل ممن كذبكم) .

(٦) لفظ الجلالة لم يرد في (د) و(ع) .

(٧) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٢٨ ب ، ورواه الطبري ١٧/ ١١ من طريق ابن جريج عن مجاهد
قال . ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾ قال : قولهم الكذب في ذلك .

وحقيقة تأويله ما ذكره أبو إسحاق : أي^(١) مما تكذبون في وصفكم الله بأن له ولداً^(٢) .

وقال الحسن في هذه الآية : هي والله^(٣) لكل واصف كذب^(٤) إلى يوم القيامة^(٥) .

يعني من وصف كذباً على الله في صفاته وأحكامه^(٦) ، فهو من أهل هذه الآية^(٧) .

ثم بين أن جميع المخلوقين عبيده .

١٩ . فقال : ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ؛ أي^(٨) عبيداً ومِلَكاً^(٩) ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ ﴾ يعني الملائكة .

(١) ساقط من (أ) و(ت) .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٨٧ .

(٣) في (د) و(ع) : (الله) ، وهو خطأ .

(٤) في المطبوع من ابن أبي شيبه ١٧ / ٥٠٧ : (كذب) .

(٥) رواه أبي شيبه في مصنفه ١٣ / ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥ / ٦٢٠ ونسبه لابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث .

(٦) في (د) و(ع) : (وأحكامه) .

(٧) قال الطبري ١١ / ١٧ ﴿ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴾ يقول : ولكم الويل من وصفكم ربكم بغير صفته ، وقيلكم : إنه اتخذ زوجة وولداً ، وفريتكم عليه . ثم قال ، بعد أن ذكر قول مجاهد المتقدم وقول من قال : ﴿ نَصِفُونَ ﴾ : تشركون ؛ وذلك وإن اختلفت به الألفاظ فمعانيه متفقة ؛ لأن من وصف الله بأن له صاحبة فقد كذب في وصفه إياه بذلك وأشرك به ووصفه بغير صفته ، غير أن أولى العبارات أن يعبر بها عن معاني القرآن أقربها إلى فهم سامعيه اهـ .

(٨) (أي) ليست في (د) و(ع) .

(٩) الكشف والبيان للثعلبي ٣ / ٢٨ ب .

[قال أبو إسحاق : أي هؤلاء الذين ذكرت أنهم أولاد الله عباد الله^(١) ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ ؛ [لا يأنفون عن عبادته]^(٢) ولا يتعظمون عنها^(٣) ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف : ٢٠٦] الآية . وقد مر .

﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ . يقال : حَسَرَ^(٤) واستَحَسَرَ ، إذا تعب وأعيا . والحسير : المنقطع إعياء وكلاً^(٥) . هذا معناه وتفسيره . وهذا قول قتادة ، ومقاتل : لا يُعَيَّون^(٦) .

وقال السدي : لا ينقطعون من العبادة^(٧) .

وقال مجاهد^(٨) : لا يحسرون^(٩) .

وقال ابن قتيبة : لا يعجزون^(١٠) .

(١) ساقط من (أ) و(ت) .

(٢) ساقط من (أ) و(ت) .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٨٧ .

(٤) كضرب وفرح . القاموس المحيط ٨ / ٢ .

(٥) من قوله : يقال . . . وإعياء . هذا كلام الزجاج في معانيه ٣ / ٣٨٥ . ومن قوله : الحسير . . . إلى آخره . هذا كلام ابن قتيبة في غريب القرآن ٢٨٥ . انظر : تهذيب اللغة (حسر) ٤ / ٢٨٧ ، وتاج العروس للزبيدي (حسر) ١١ / ١٣ .

(٦) قول قتادة رواه عبد الرزاق في تفسيره ٢ / ٢٣ ، والطبري ١٧ / ١٢ . وقول مقاتل في تفسيره ٢ / ١٢ ب .

(٧) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٥ / ٦٢١ .

(٨) في (د) و(ع) : (مقاتل) ، وهو خطأ . والصواب مجاهد .

(٩) رواه الطبري ١٧ / ١٢ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥ / ٦٢٠ ونسبه لعبد بن حميد وابن المنذر

وابن أبي حاتم . وهو في تفسير مجاهد ١ / ٤٠٨ ، ٤٠٩ .

(١٠) في غريب القرآن لابن قتيبة ٢٨٥ (لا يعنون) .

وهذه الأقوال صحيحة متقاربة ، ورويت أقوال بعيدة :

قال الكلبي ، عن ابن عباس : لا يستنكفون^(١) .

وقال عطاء عنه : لا يخالفون^(٢) ربوبيتي .

وقال الوالبي عنه : لا يرجعون^(٣) .

وقال ابن زيد : لا يملون^(٤) .

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٤٤١/٣ ونسبه للكلبي . ونسبه القرطبي لابن عباس ٢٧٨/١١ .

(٢) في (ت) و(ز) : (يخافون) ، وهو خطأ .

(٣) رواه الطبري ١٢/١٧ من طريق الوالبي ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦٢/٥ ونسبه لابن أبي حاتم . وذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٢٨/٣ ب ، وقد تكلم العلماء على رواية الوالبي عن ابن عباس ، فقال أبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ ٧٥ عن هذا الطريق : وهو صحيح عن ابن عباس ، والذي يطعن في إسناده يقول ابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس ، وإنما أخذ التفسير عن مجاهد وعكرمة . قال أبو جعفر : هذا القول لا يجب طعناً ؛ لأنه أخذه عن رجلين ثقتين ، وهو في نفسه ثقة صدوق . ثم روى النحاس بسنده عن أحمد بن حنبل - رحمه الله - قال : بمصر كتاب التأويل عن معاوية بن صالح ، لو جاء رجل إلى مصر فكتبه ثم انصرف ما كانت رحلته عندي ذهبت باطلاً . وقال الذهبي في ميزان الاعتدال ١٣٤/٣ في ترجمة علي بن أبي طلحة : روى معاوية بن صالح ، عنه ، عن ابن عباس تفسيراً كبيراً ممتعاً .

وقال ابن حجر في العجائب في بيان الأسباب (ق ٣ ب) : وعلي صدوق ، ولم يلق ابن عباس ، لكنه إنما حمل عن ثقات أصحابه ؛ فلذا كان البخاري وأبو حاتم وغيرهما يعتمدون على هذه النسخة . وقال أيضاً في تهذيب التهذيب ٣٤٠/٧ في ترجمة علي : ونقل البخاري من تفسيره رواية معاوية بن صالح ، عنه ، عن ابن عباس شيئاً في التراجم وغيرها ولكنه لم يسمه يقول : قال ابن عباس ، أو يذكر عن ابن عباس . وقال السيوطي في الإتقان ٥٣٢/٢ ، وقد ورد عن ابن عباس في التفسير ما لا يحصى كثرة ، وفيه روايات وطرق مختلفة ، فمن جدها طريق علي بن أبي طلحة الهاشمي عنه .

(٤) رواه الطبري ١٢/١٧ ، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٢٨/٧ ب .

وهذه الأقوال بعيدة من تفسير الاستحسار وأقربها قول ابن زيد .

٢٠ . قوله تعالى : ﴿ يُسَيِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ ؛ ينزهون الله دائماً بقولهم : سبحان الله ، ﴿ لَا يَقْتُرُونَ ﴾ ؛ لا يضعفون ولا يملون^(١) .

قال الكلبي : التسبيح منهم بمنزلة التسم من الإنسان .

وقال كعب : سهل عليهم التسبيح كسهولة فتح الطرف ، والتنفس على الإنسان^(٢) .

وقال الزَّجَّاج : مجرى التسبيح منهم كمجرى النفس منا لا يشغلنا عن النفس شيء ، فكذلك^(٣) تسبيحهم دائماً^(٤) .

وهذا معنى^(٥) قول المفسرين : إن الملائكة قد ألهموا التسبيح كما يلهمون النفس^(٦) .

٢١ . ثم عاد إلى توبيخ المشركين ، فقال : ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا إِلَهَةً ﴾ . قال المبرِّد : (أم) هاهنا تقريع وتوبيخ كالألف إلا أنَّ فيها زيادة انتقال عن خبر^(٧)

(١) في (أ) : (يملكون) ، وهو خطأ .

(٢) رواه الطبري ١٧ / ١٢ ، وأبو الشيخ في العظمة ٢ / ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، والبيهقي في شعب الإيمان ١ / ٤٨ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥ / ٦٢١ وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة ، والبيهقي في شعب الإيمان .

(٣) في (أ) : (فلذلك) .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣ / ٣٨٧ ، ٣٨٨ .

(٥) (معنى) : ساقطة من (د) و(ع) .

(٦) انظر : الكشف والبيان للثعلبي ٣ / ٢٨ ب .

(٧) في (ت) : (خبر ال خبر) ، وهو خطأ .

إلى خبر معناه : بل اتخذوا . وهذا معنى (أم) المنقطعة حيث وقعت^(١) .
وعنى بالآلهة الأصنام .

وقوله تعالى : ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ ؛ لأن أصنامهم كانت من الأرض من أي جنس كانت ، من حجارة ، أو خشب ، أو ذهب ، أو فضة .

﴿هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ ؛ أي يُحْيُونَ . يقال : أنشر الله الميت فانتشر ؛ أي أحياه فحيي^(٢) .

وهذا توبيخ لهم على عبادتهم جماداً من الأرض لا يقدر على شيء .
وقال المفضل : لفظ الآية استفهام ومعناه جحد^(٣) .

وعلى هذا ، معنى الآية : لم يتخذوا آلهة تقدر على الإحياء ، وإن شئت جعلت هذا الاستفهام الذي معناه الإنكار والجحد واقعاً على الإنشار في المعنى ، وإن كان في الظاهر على الاتحاد على تقدير : أينشر آلهتهم التي اتخذوها ؛ أي ليست لها هذه الصفة ، كما تقول : أزيداً نضرب ؟ توقع الاستفهام على زيد ، والمراد الاستفهام عن الضرب .

٢٢ . ثم ذكر الدلالة على توحيده ، وأنه لا يجوز أن يكون معه إله سواه ، فقال : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا﴾ ؛ أي في السماء والأرض ، وجرى ذكرهما قبل .
﴿إِلَهَةٌ﴾ ؛ معبودين يستحقون العبادة . ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ . قال الزجاج :

(١) ذكره القرطبي ٢٧٨/١١ عن المبرد باختصار . انظر : شرح التسهيل لابن عقيل ٢/٤٥٥ ، ٤٥٦ ،
ورصف المباني للمالقي ١٧٩ ، ١٨٠ ، ومغني اللبيب لابن هشام ١/٥٥ ، ٥٦ ، والجنى الداني
للمرادي ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (نشر) ٣٣٨/١١ ، وتاج العروس (نشر) ٢١٥/١٤ .

(٣) ذكره القرطبي ٢٧٨/١١ .

(إلا) صفة في معنى غير ، ولذلك ارتفع ما بعدها على لفظ الذي قبلها ، وأنشد^(١) :

وكل أخ مفارقه أخوه لعمر أبك إلا الفرقدان

قال : المعنى : وكل أخ غير الفرقدين مفارقه أخوه^(٢) .

وعلى هذا ، التقدير : آلهة غير الله ، فغير الله صفة الآلهة على معنى : آلهة هم غير الله كما يزعم المشركون^(٣) .

(١) البيت أنشده الزَّجَّاج في معاني القرآن ٣/ ٣٨٧٨ من غير نسبة . وهو منسوب لعمر بن معدى كرب في الكتاب ٢/ ٣٣٤ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ١٣١ ، والبيان والتبيين للجاحظ ١/ ٢٢٨ ، والطبري ٨/ ٥٢٧ . وهو في ديوان عمرو ١٨٧ ، ونسبه الأمدى في المؤلف والمختلف ٨٥ لخضرمي بن عامر الأسدي ضمن أبيات قالها . وهو من غير نسبة في معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٩٦ ، وتهذيب اللغة للأزهري ١٥/ ٤٢٤ . قال الشنتمري في تحصيل عين الذهب ١/ ٣٧١ وهذا على مذهب الجاهلية ، وكأنه قاله قبل الإسلام ، ويحتمل أنه يريد في مدة الدنيا . اهـ .

والفرقدان : نجان قريبان من القطب يهتدى بهما . انظر : الصحاح للجوهري (فرقد) ٢/ ٥١٩ ، والقاموس المحيط ١/ ٣٢٣ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٨٨ . وهذا قول سيبويه والكسائي وغيرهما . انظر : الكتاب ٢/ ٣٣١ ، ٣٣٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٦٧ .

(٣) وذُهب الفراء إلى أن (إلا) هنا بمعنى سوى ، وتقديره : لو كان فيها آلهة سوى الله . انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٠٠ ، وإعراب القرآن لابن الأنباري ٢/ ١٥٩ .

وقال الأخفش^(١) في هذه الآية : (إلا) وما بعدها بمنزلة غير ، تقول : لو كان فيهما أحد إلا أنت لم أبل^(٢) [أي غيرك ، وكذلك لو أنه إلا أنت لم أبل إلا غيرك ، ولو كان إلا أيك لم أبل]^(٣) كأنك قلت كغيرك .

قال أبو علي في الإيضاح : تقول : جاءني القوم إلا زيداً ، فتنصب الاسم بعد إلا على الاستثناء ، ويجوز أن ترفعه إذا جعلت إلا وما بعدها صفة فتقول : جاءني القوم إلا زيد ، وعلى هذا قوله : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهُةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٤) .

فظهر أن قوله : ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ ليس باستثناء إنما هو صفة للآلهة كما ذكرنا .

وقوله تعالى : ﴿لَفَسَدَتَا﴾ ؛ أي لخربتا وبطلتا وهلكتا ، وهلك من فيهما لوجود التمانع بين الآلهة^(٥) ، فلا يجري أمر العالم على النظام ، ويؤدي ذلك إلى

(١) في معاني القرآن للأخفش ٢٩٥/١ : ... وقد يكون ﴿إِلَّا قَوْمٌ يُؤْتَسَّرُونَ﴾ [يونس : ٩٩] رفعاً ، تجعل (إلا) وما بعده في موضع صفة بمنزلة : غير ... ، ومثلها ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهُةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ ، فقوله : (إلا الله) صفة .

(٢) قال سيبويه في الكتاب ٤/ ٤٠٥ وسألته - يعني الخليل - عن قولهم : لم أبل ، فقال : هي من باليت ، ولكنهم لما أسكنوا اللام حذفوا الألف ؛ لأنه لا يلتقي ساكنان .

(٣) ساقط من (أ) و(ت) .

(٤) الإيضاح العضدي لأبي علي الفارسي ٢٢٩/١ .

(٥) يشير الواحدي بهذا إلى الدليل المشهور عند المتكلمين الذي يسمونه دليل التمانع ، وهو أنه لو كان للعالم صانعان فعند اختلافهما مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم وآخر تسكينه ، أو يريد أحدهما إحياءه والآخر إماتته ، فإما أن يحصل مرادهما ، أو مراد أحدهما ، أو لا يحصل مراد واحد منهما . والأول ممتنع ؛ لأنه يستلزم الجمع بين الضدين ، والثالث ممتنع ، ويستلزم أيضاً عجز كل واحد منهما والعاجز لا يكون إلهاً ، وإذا حصل مراد أحدهما من دون الآخر كان هذا هو الإله القادر ، والآخر عاجزاً لا يصلح للإلهية . انظر : الإنصاف للباقلاني ٣٤ ، والشامل في أصول الدين للجويني ٣٥٢ ، وغاية المراد للآمدي ١٥١ ، ١٥٢ ، ومنهاج السنة النبوية لأبي العباس أحمد بن تيمية ٣/ ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، وشرح الطحاوية ٧٨ ، ٧٩ .

لما كان كلام الواحدي هنا قد يفهم منه المقصود بهذه الآية دليل التمانع ؛ فإنه ينبغي الإشارة هنا إلى ما نبه عليه شيخ الإسلام ابن تيمية وابن جزي الكلبي وابن أبي العز الحنفي وغير واحد من أهل العلم =

هلاك العالم ؛ لأن كل أمر صدر عن اثنين فأكثر لا يجري على النظام ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ إِلَهٌ كَمَا يَقُولُونَ ﴾ [الإسراء: ٤٢] الآية .

= وهو أن طوائف من المتكلمين والمفسرين يظنون أن دليل التنازع الذي تقدم ذكره هو الدليل المذكور في القرآن في قوله : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ ، وليس الأمر كذلك ، فإن هؤلاء - كما يقول ابن أبي العز- في شرحه للطحاوية ٨٦ ، ٨٧ غفلوا عن مضمون الآية ، فإنه - سبحانه - أخبر أنه لو كان فيهما إله غيره ، ولم يقلل أرباباً ، وأيضاً فإن هذا إنما هو بعد وجودهما ، وأنه لو كان فيهما وهما موجودتان إله سواه لفسدتا ، وأيضاً فإنه قال : ﴿ لَفَسَدَتَا ﴾ ولم يقل : لم يوجد . ودلت الآية على أنه لا يجوز أن يكون فيهما إله متعددة ، بل لا يكون الإله إلا واحداً ، وعلى أنه لا يجوز أن يكون هذا الإله الواحد إلا الله سبحانه وتعالى ، وأن فساد السموات والأرض يلزم من كون الآلهة فيهما متعددة ، ومن كون الإله الواحد غير الله ، وأنه لا صلاح لها إلا بأن يكون الإله فيهما هو الله وحده لا غيره ، فلو كان للعالم إلهان معبودان لفسد نظامه ، فإن قيامه إنما هو بالعدل ، وبه قامت السموات والأرض ، وأظلم الظلم على الإطلاق الشرك ، وأعدل العدل التوحيد . اهـ . ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم ٤٦١ هذه الآية ليس المقصود بها ما يقوله من يقوله من أهل الكلام من ذكر دليل التنازع على وحدانية الرب تعالى ، فإن التنازع يمنع وجود المفعول لا يمنع وجوده بعد فساده . ويقول في كتابه منهاج السنة النبوية ٣ / ٣٣٤ ، ٣٣٥ بعد ذكره لدليل التنازع وبيان أنه دليل عقلي صحيح ، ثم تنبيه على غلط من ظن أن هذا الدليل هو المقصود من قوله : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ ﴾ يقول : المقصود هنا أن من هذه الآية بيان امتناع الألوهية من جهة الفساد الناشئ من عبادة ما سوى الله تعالى ؛ لأنه لا صلاح للخلق إلا بالمعبود المراد لذاته من جهة غاية أفعالهم ونهاية حركاتهم ، وما سوى الله لا يصلح ، فلو كان فيهما معبود غيره لفسدتا من هذه الجهة ، فإنه - سبحانه - هو المعبود المحبوب لذاته ، كما أنه هو الرب الخالق بمشيئته . وهذا معنى قول النبي ﷺ : أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكُلُّ نعيم لا محالة زائل

ولهذا قال الله في فاتحة الكتاب ﴿ إِنَّكَ تَعْبُدُ وَإِنَّكَ تَسْتَعِثُّ ﴾ ، وقدم اسم الله على اسم الرب في أولها حيث قال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ فالمعبود هو المقصود المطلوب المحبوب لذاته ، وهو الغاية والمعين ، وهو البارئ المبدع الخالق ، ومنه ابتداء كل شيء ، والغايات تحصل بالبدايات ، والبدايات بطلب الغايات ، فالإلهية هي الغاية . . . وهو الذي يستحق لذاته أن يعبد ويحب ويحمد ويمجد ، وهو - سبحانه - يحمد نفسه ويثني على نفسه ويمجد نفسه ، ولا أحد أحق بذلك منه حامداً محموداً . اهـ .

والمعنى : على نفي أن يكون في الأرض أو في السماء آلهة ، فهم^(١) غير الله ، وإذا بطل ذلك ثبت أنه لا إله غيره .

ثم نزه نفسه عما يصفه به الكافرون من الشريك والولد بقوله : ﴿ فَسَبِّحْنَا اللَّهَ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ .

٢٣ . قوله : ﴿ لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ . قال الكلبي : لا يسأل الله عن فعله والناس يسألون عن أعمالهم^(٢) .

وقال الضحاك : لا يسأل عما يقضي في خلقه ، والخلق مسؤولون^(٣) عن أعمالهم^(٤) .

وقال أبو إسحاق : لا يسأل في القيامة عن حكمه في عباده ، ويسأل عباده عن أعمالهم إيجاباً للحجة عليهم^(٥) .

قال المفسرون^(٦) : إن الله - تعالى - لا يسأل عما يحكم في عباده من إعزاز وإذلال ، وهدى وضلال ، وإسعاد وإشقاء ؛ لأنه الرب مالك الأعيان ، والخلق يسألون سؤال توبيخ يقال لهم يوم القيامة : لم فعلتم^(٧) كذا وكذا ؛ لأنهم العبيد ، وواجب عليهم امتثال أمر مولاهم ، والله - تعالى - ليس فوقه أحد يقول له شيء فعله : لم فعلته ؟ .

(١) فهم : ساقطة من (ت) .

(٢) انظر : تنوير المقياس ٢٠١ .

(٣) في (ت) : (مسؤل) .

(٤) رواه الطبري ١٧ / ١٤ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥ / ٦٢٢ وعزاه لابن أبي حاتم فقط .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٨٨ .

(٦) معناه عند الطبري ١٧ / ١٤ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣٢ / ٨ ب .

(٧) في (ت) : (لم تعلم) .

وهذا معنى ما روي عن أبي الأسود الديلي قال : غدوت على عمران بن حصين يوماً من الأيام فقال : أبا الأسود رأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه شيء قضي عليهم في قدر قد سبق أو في ما يستقبلون ؟ قال : قلت : بل شيء قضي عليهم ، ومضى عليهم . قال : فهل يكون ذلك ظلماً ؟ قال : ففزع من ذلك فزعاً شديداً فقلت ^(١) : إنه ليس شيء إلا خلق الله وملك يده لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فقال : سدك الله ، ما سألتك إلا لأجرب عقلك ^(٢) .

وهذا الآية بتفسير المفسرين والصحابة دليل ظاهر على القدرية في مسألة القدر .

٢٤ . ولما أبطل الله - تعالى - أن يكون إله سواه من حيث العقل بقوله : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةَ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ أبطل جواز اتخاذ آلهة سواه من حيث الأمر بقوله : ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلَهِةَ﴾ وهذا استفهام إنكار وتبكيته كما ذكرنا في قوله : ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلَهِةَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ ، وأعيد هاهنا لأنه أعيد عليهم احتجاج من وجه آخر وهو ^(٣) قوله : ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَنَكُمْ﴾ ؛ أي بيتتكم ^(٤) على ما تقولون من جواز اتخاذ إله سواه . ﴿هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ﴾ ^(٥) يعني القرآن ، يقول : فيه خبر ^(٦) من معي على ديني ممن يتبعني إلى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية . ﴿وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي﴾ . من المفسرين من يجعل هذا أيضاً من صفة القرآن يقول :

(١) في (ت) : (وقلت) .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ٤٣٨ ، ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٤١ ، والطبري ٣٠/ ٢١١ ، والألكايني في شرح أصول السنة ٣/ ٥٤٢ .

(٣) (وهو) : ساقط من (د) و(ع) .

(٤) في (ت) : (بيتكم) .

(٥) موضع هذا بياض في (ت) .

(٦) في (ت) : (خير) .

معناه : وخبر من قبلي من الأمم السالفة وما فعل الله بهم في الدنيا وما هو فاعل بهم في الآخرة . وهذا مذهب السدي والكلبي ^(١) .

وعلى هذا ، المعنى أنه لما طالبهم بالبرهان على ما هم عليه من الشرك أمره أن يذكر لهم برهانه على ما هو عليه من التوحيد وهو القرآن الذي فيه ما تحتاج إليه هذه الأمة من الأحكام مع أخبار الأمم السالفة .

وقال ابن عباس - في رواية عطاء - في قوله : ﴿ وَذَكِّرْ مَنْ قَبْلِي ﴾ : يريد التوراة والإنجيل وما أنزل الله من الكتب ^(٢) .

وهذا القول هو اختيار الزجاج وعبدالله بن مسلم ^(٣) وصاحب النظم .

والمعنى على هذا القول : ﴿ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ هذا القرآن وهذه الكتب التي أنزلت قبلي ، فانظروا هل في واحد من الكتب أن الله أقر باتخاذ إله [سواه ؟ فبطل بهذا البيان جواز اتخاذ معبود] ^(٤) سواه من ^(٥) حيث الأمر بذلك .

قال أبو إسحاق : قيل لهم : هاتوا برهانكم بأن رسولاً من الرسل ^(٦) أنبأ أمته بأن لهم إلهاً غير الله ، فهل في ذكر من معي وذكر من قبلي إلا توحيد الله ^(٧) ؟

(١) ذكره الرازي ١٥٨/٢٢ عن السدي ، ونسبه أيضاً لسعيد بن جبير وقتادة ومقاتل . ولم أجد من ذكره عن الكلبي وقد روى الطبري ١٥/١٧ هذا المعنى عن قتادة .

(٢) ذكره البغوي ٣١٤/٥ من رواية عطاء ، عن ابن عباس .

(٣) هو ابن قتيبة ، وقوله في كتابه غريب القرآن ٢٨٥ .

(٤) ساقط من (أ) و(ت) .

(٥) موضع (سواه من) بياض في (ت) .

(٦) في (أ) و(ت) : (الرسول) ، وهو خطأ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/٣٨٩ .

وقال صاحب النظم : لما قال عز وجل : ﴿ هَاتُوا بُرْهَنَكُمْ ﴾ ؛ أي حجتكم على ما تفعلون قال لنبيه ﷺ قل لهم : ﴿ هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعَى ﴾ ؛ أي القرآن الذي أنزل علي ﴿ وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي ﴾ ؛ أي ما عند اليهود والنصارى ، هل فيه شيء ^(١) أني أذنت لأحد ، أو أمرته بأن يتخذ إلهاً دوني ؟ وهل في ذلك ^(٢) كله إلا أني أنا الله وحدي لا شريك لي ؟

فلما توجهت الحجة عليهم ذمهم على جهلهم بمواضع الحق وتركهم للتأمل والتفكير فقال : ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ .

٢٥ . ويدل ^(٣) على صحة هذا المعنى قوله - تعالى - بعد هذا : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾

٢٦ . قوله : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾ . قال ابن عباس : يريد من الملائكة ^(٤) .

﴿ سُبْحَنَهُ ﴾ ؛ نزه نفسه عما يقولون . ﴿ بَلْ عِبَادٌ ﴾ ؛ بل هم عباد ، يعني الملائكة . ﴿ مُكْرَمُونَ ﴾ . قال ابن عباس : يريد أكرمتهم واصطفيتهم ^(٥) .

٢٧ . ﴿ لَا يَسْقُونَهُ ، بِالْقَوْلِ ﴾ ؛ لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ربهم .

وقال ابن مسلم : أي لا يقولون حتى يقول ويأمر وينهى ، ثم يقولون عنه ^(٦) .

(١) (شيء) : ليست في (د) و(ع) .

(٢) في (أ) و(ت) : (ذكر) .

(٣) في (ع) : (يدل) .

(٤) مثله في تنوير المقباس ٢٠١ .

(٥) انظر : المرجع السابق ٢٠١ .

(٦) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٨٥ .

وقال غيره : لا يخرجون بقولهم عن حد ما أمرهم به فقولهم طاعة لربهم .

٢٨ . قوله : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ . قال عطاء ، عن ابن عباس : يريد الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يريد الدنيا^(١) .

وعنه أيضاً : أي ما قدموا وأخروا من أعمالهم ؛ أي ما عملوا وما هم عاملون^(٢) .

وقال السدي على عكس قول عطاء^(٣) . ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ . قال ابن عباس : لمن قال لا إله إلا الله^(٤) .

وقال مجاهد : لمن رضي عنه^(٥) .

وقال السدي : للمؤمنين . ﴿وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ﴾ ؛ أي خشيتهم منه فأضيف المصدر إلى المفعول . ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون لا يأمنون مكره . وذكرنا الكلام في هذا أبلغ عند قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ﴾^(٦) .

(١) ذكره عنه القرطبي ٢٨١/١١ .

(٢) رواه الطبري ١٦/١٧ من طريق العوفي عن ابن عباس . وذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٢٨/٣ ب .

(٣) لم أجده .

(٤) رواه الطبري ١٦/١٧ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦٢٤/٥ وعزاه للطبري وابن أبي حاتم وابن المنذر والبيهقي في البعث .

(٥) رواه الطبري ١٧/١٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦٢٤/٦ وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٦) المؤمنون ٥٧ . ولم تتقدم ، وستأتي بعد .

٢٩. قوله: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ ؛ أي الملائكة: ﴿إِنِّي إِلَهُ مِنْ دُونِهِ﴾ من دون الله ﴿فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ . قال قتادة^(١) ، والضحاك^(٢) ، والسدي ، والكلبي : يعني إبليس لعنه الله ؛ لأنه أمر بطاعته ودعا إلى عبادة نفسه^(٣) . ﴿كَذَلِكَ﴾ كما جزيناهاهم جهنم ﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ . قال ابن عباس : يريد المشركين .

٣٠. قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ؛ أي أولم يعلموا ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا﴾ قال أبو عبيدة ، والزجاج : السموات لفظ الجمع يراد به الواحد ، لذلك قال: ﴿كَانَتَا﴾ لأنه أراد السماء والأرض^(٤) .

وهذا معنى قول الأخفش : جعلها صنفين كقول العرب : لقاحان سوداوان^(٥) وفي كتاب الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمِصُّكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١]^(٦) .

قوله تعالى: ﴿رَتَقًا﴾ الرتق معناه في اللغة : السد . يقال : رتقت الشيء فارتتق ، ومنه الرتقاء وهي المنضمة الفرج^(٧) .

(١) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٢٣ ، والطبري ١٧/ ١٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٢٥ وعزاه لعبدالرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٦٢٥ وعزاه لابن أبي حاتم .

(٣) قال ابن عطية ١٠/ ١٤٠ : وهذا ضعيف ؛ لأن إبليس لم يرد قط أنه ادعى ربوبية . اهـ . والأظهر أن يقال : إن السياق في الملائكة ، والمعنى على سبيل الفرض أنهم يقولون ذلك ، وهم لا يقولونه . انظر : روح المعاني للألوسي ١٧/ ٣٣ .

(٤) قول أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٢/ ٣٦ . وقول الزجاج في كتابه معاني القرآن ٢/ ٣٩٠ .

(٥) في معاني القرآن للأخفش (سودان) ٢/ ٦٣٤ .

(٦) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٣٣ ، ٦٣٤ . انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٦٩ ، والدر المصون ١٤٧/ ٨ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (رتق) : ٩/ ٥٣ ، ٥٤ ، الصحاح للجوهري ٤/ ١٤٨٠ ، ولسان العرب ١٠/ ١١٤ .

وقوله تعالى: ﴿فَفَنَقْنَهُمَا﴾ . الفتق : الفصل بين الشيئين اللذين كانا ملتئمين أحدهما متصل بالآخر ، فإذا فرق بينهما فقد فتقا . ويقال : فتق الخياط يفتقها ، ومنه يقال : أفتق قرن الشمس ، إذا أصاب فتقاً من السحاب فبدا منه^(١) .

قال أبو إسحاق : وقيل : ﴿رَتَقًا﴾ ؛ لأن الرتق مصدر ، المعنى : كانتا ذواتي رتق^(٢) .

واختلف المفسرون في تفسير هذه الآية على ثلاثة أوجه :

أحدها : ما رواه عطاء ، عن ابن عباس قال : يريد أن السماء لم تكن تنزل مطراً ، والأرض لا تنبت نباتاً ، ففتق الله - عز وجل - السماء بالمطر والأرض بالنبات^(٣) .

(١) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (فتق) ٩/ ٦٢ ، والصحاح للجوهري ٤/ ١٥٣٩ ، ١٥٤٠ ، ولسان العرب ١٠/ ٢٩٦ ، ٢٩٧ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٩٠ .

(٣) روى الحاكم في مستدركه ٢/ ٣٨٢ والبيهقي في الأسماء والصفات ٤٣ من طريق طلحة ، عن عطاء ، عن ابن عباس بنحوه . قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وتعقبه الذهبي بقوله : طلحة واه . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٢٥ وعزاه للفرابي وعبد بن حميد والحاكم والبيهقي في الأسماء والصفات . وأخرج أبو نعيم في الحلية ١/ ٣٢٠ من طريق عبد الله بن دينار عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رجلاً أتاه فسأله عن قوله : ﴿الَسَمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتْ رَتَقًا﴾ قال : اذهب إلى ذلك الشيخ فاسأله ثم تعال فأخبرني ما قال ، فذهب إلى ابن عباس فسأله قال : نعم ، كانت السماء رتقاء لا تمطر . . . فذكره بنحو ما هنا . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٢٥ وعزاه لابن أبي حاتم وابن المنذر وأبو نعيم في الحلية . وفي الدر المنثور ٥/ ٦٢٥ أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله : ﴿كَانَتْ رَتَقًا﴾ قال لا يخرج منها شيء ﴿فَفَنَقْنَهُمَا﴾ قال : فتقت السماء بالمطر ، وفتقت الأرض بالنبات . فهذه روايات ثلاث عن ابن عباس رضي الله عنهما ، يعضد بعضها بعضاً .

وهذا قول مجاهد في رواية أبان بن تغلب^(١)، وعطية العوفي، وابن زيد^(٢)، واختيار الفراء^(٣) وابن قتبية^(٤).

الوجه الثاني: أن المعنى كانتا شيئاً واحداً ملتزقتين، ففصل الله بينهما بالهواء. وهذا قول الحسن، وقتادة^(٥)، والضحاك^(٦)، ورواية عكرمة عن ابن عباس^(٧).

قال كعب: خلق الله السموات والأرض بعضها على بعض ثم خلق ريحاً توسطتها ففتحتها بها^(٨).

- (١) هو أبان بن تغلب، أبو سعد وقيل: أبو أمية الربيعي، الكوفي، الشيعي، المقيري. قال ابن عدي: وهو من أهل الصدق في الروايات، وإن كان مذهبه مذهب الشيعة. وقال الذهبي: وهو صدوق في نفسه، عالم كبير، وبدعته خفيفة، لا يتعرض للكبار. وقال ابن حجر: ثقة تكلم فيه للتشيع. توفي سنة ١٤٠ هـ، وقيل ١٤١ هـ. الكامل لابن عدي ١/٣٨٠، وتهذيب الكمال للمزي ٦/٢ - ٨، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٣٠٨، ٣٠٩، وتقريب التهذيب لابن حجر ٢/٣٠، وغاية النهاية لابن الجزري ١/٤. ولم أجد هذه الرواية عن مجاهد من طريق أبان، لكن وجدتها من طريق خفيف، عن مجاهد رواه سفيان الثوري في تفسيره ٢٠٠، عن خفيف.
- (٢) رواها الطبري في تفسيره ١٧/١٧. وذكرها الثعلبي في الكشف والبيان ٣/٢٩ أ.
- (٣) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/٢٠١.
- (٤) انظر: غريب القرآن لابن قتبية ٢٨٦.
- (٥) رواه الطبري ١٧/١٨ عن الحسن وقتادة، وذكره عنهما السيوطي في الدر المنثور ٥/٦٢٦ وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.
- (٦) ذكره عن الضحاك الثعلبي في الكشف والبيان ٣/٢٩ أ. وروى سفيان الثوري في تفسيره ٢٠٠ عن الضحاك قال: كن سبعا ملتزقات ففتق بعضهم عن بعض. ورواه الطبري ١٧/١٨ من طريق الضحاك، عن ابن عباس.
- (٧) روى سفيان في تفسيره ٢٠٠ عن أبيه، عن عكرمة، سئل ابن عباس رضي الله عنهما: أيها كان قبل الليل أو النهار؟ فقرا: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ الآية، ثم قال: وهل كان بينهما إلا ظلمة. وكذا رواه أبو الشيخ في العظمة ٤/١٣٦٨. ورواه عبد الرزاق في تفسيره ٢/٢٣ والطبري ١٧/١٩ من طريق عكرمة مختصراً.
- (٨) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/٢٩ أ. وهو من الإسرائيليات.

الوجه الثالث : أن المعنى كانت السموات مرتتقة فجعلت سبع سموات ، وكذلك الأرضون .

وهذا قول أبي صالح^(١) ، ومجاهد في رواية ابن أبي نجيح^(٢) ، والسدي^(٣) ، واختيار أبي إسحاق ، قال : المعنى أن السموات كانت سماء واحدة^(٤) مرتتقة ، ففتقها الله ، فجعلها سبعاً وجعل الأرض سبع أرضين^(٥) .

وأكثر الناس على القول الأول ، وهو أنها كانتا منسدتين لا فرج فيهما ، فصدهما الله بما يخرج منهما .

قال أبو إسحاق : ويدل على هذا التفسير قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾^(٦) .

(١) رواه عنه الطبري ١٧/ ١٩ ، وأبو الشيخ في العظمة ٣/ ١٠٢٥ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٢٦ ونسبه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة .

(٢) رواه الطبري ١٨/ ١٨ ، وأبو الشيخ في العظمة ٣/ ١٠٢٦ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٢٦ ، وعزاه لابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة .

(٣) رواه الطبري ١٧/ ١٩ . وذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٢٩ أ .

(٤) في (أ) و(ت) : (واحد) .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٩٠ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٩٠ . وقال الطبري ١٧/ ١٩ عن هذا القول أنه أولى الأقوال بالصواب لدلالة قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ على ذلك ، وأنه لم يعقب ذلك بوصف الماء بهذه الصفة إلا والذي تقدمه من ذكر أسبابه . وقال ابن عطية في المحرر ١٠/ ١٤١ وهذا قول حسن ، يجمع العبرة وتعدد النعمة والحجة بمحسوس يَبِّن ، ويناسب قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ ، فيظهر معنى الآية ويتوجه الاعتبار .

أي وأحيينا بالماء الذي نزل من السماء ﴿كُلُّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ يعني أنه سبب حياة كل شيء ، ويدخل فيه الشجر والنبات على التبع ، ويكون التقدير : وجعلنا من الماء حياة كل شيء حي . وهذا قول قد حكي ^(١) ، وتحتمله دلالة الآية .

والمفسرون على قول آخر . قال قتادة : كل شيء حي خلق من الماء ^(٢) .

وقال أبو العالية في هذه الآية : يعني النطفة ^(٣) .

قال المفسرون ^(٤) إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ فَهُوَ مَخْلُوقٌ مِنَ الْمَاءِ كَقَوْلِهِ : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ﴾ [النور: ٤٥] .

وعلى هذا ، لا يتعلق قوله : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ بما قبله ، وهو احتجاج آخر على المشركين .

وقوله تعالى : ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ؛ أي أفلا يصدقون بعد هذا البيان .

٣١ . قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ . ذكرنا تفسير هذه القطعة عند قوله : ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ في سورة [النحل: ١٥] .

(١) انظر : الطبري ١٧ / ١٩ ، ٢٠ .

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره ٢ / ٢٣ ، والطبري ١٧ / ٢٠ .

(٣) رواه البيهقي في الأسماء والصفات ٤٥ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥ / ٦٢٦ وعزه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن المنذر والبيهقي في الأسماء والصفات .

(٤) انظر : الطبري ١٧ / ٢٠ ، والثعلبي ٣ / ٢٩ أ .

وتقدير قوله: ﴿أَنْ تَمِيدَ﴾ كتقدير قوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦] وقوله: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ [البقرة: ٢٨٢] وذكرنا الخلاف بين النحويين في هذه المسألة^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ ؛ أي في الرواسي .

﴿فَجَاجَا﴾ قال أبو عبيدة : يعني المسالك^(٢) .

وقال أبو إسحاق : كل مخترق بين جبلين فهو فجج^(٣) .

وقال الليث : الفجج : الطريق الواسع بين الجبلين^(٤) .

وقال أبو الهيثم : الفجج : طريق في الجبل واسع ، يقال : فَجَّجَ وَأَفْجَّجَ وَفَجَّجَ^(٥) .

والفجج في كلام العرب : تفريجك بين الشيئين ، يقال : فججت رجلي أفججها^(٦) فججاً ، إذا وسعت بينهما .

(١) انظر : البسيط عند قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا﴾ . وقد اختلف النحويون في تقدير ﴿أَنْ تَمِيدَ﴾ ونحوها من الآيات فعند الكوفيين (إن) بمعنى لئلا ، أو ألا ، على تقدير : لئلا تميد ، لئلا تضلوا . وقال البصريون : المحذوف هاهنا مضاف ، على تقدير مخافة أن تميد أو كراهة أن تميد ، وكراهة أن تضلوا . ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إلى مقامه ، قالوا : و (لا) حرف جاء لمعنى النفي فلا يجوز حذفه ، وحذف المضاف أسوغ وأشيع من حذف (لا) .

انظر : معاني القرآن للقرآء ١/ ٢٩٧ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٥١١ ، ٢/ ٣٩٣ ، والإملاء للعكبري ١/ ٢٥٠ ، ٢/ ١٣٢ ، والبحر المحيط ٣/ ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ومغني اللبيب لابن هشام ١/ ٤٦ ، والجنى الداني في حروف المعاني للمراي ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٢) مجاز القرآن ٢/ ٣٧ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٩٠ .

(٤) قول الليث في العين (فجج) ٦/ ٢٤ مع اختلاف في آخره [في قبل جبل ونحوه] .

(٥) قول أبي الهيثم في تهذيب اللغة للأزهري (فَجَّجَ) ١٠/ ٥٩٧-٥٠٨ .

(٦) في النسخ جميعها : (أفججها) ، والتصويب من تهذيب اللغة .

ومنه قيل للطريق بين جبلين : فج ؛ لأنه كأنه فرج بين الجبلين . ويقال : أفجع فلان افتجاجاً ، إذا سلك الفجاج ^(١) .

وذكر بعض أهل التفسير أن الكناية عن قوله : ﴿فِيهَا فِجَاجًا﴾ عائدة إلى الأرض ^(٢) .

والأولى أن تعود إلى الجبال ؛ لما ذكرنا أن الفج في اللغة : الطريق بين الجبلين ، وابن عباس أيضاً قال في تفسير هذه الآية : وجعلنا من الجبال طرقاً ؛ حتى يهتدوا إلى مقاصدهم في الأسفار للتجارات وغيرها ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿سُبُلًا﴾ تفسير للفجاج ، وبيان له . وفائدته أن الفج في موضوع اللغة يجوز أنه لا ^(٤) يكون طريقاً نافذاً مسلوكةً ، فلما ذكر الفجاج بين أنه جعلها سبلاً نافذة مسلوكة .

(١) تهذيب اللغة للأزهري (فَج) ٥٠٨/١٠ منسوباً إلى الأصمعي .

(٢) نسبه الرازي في تفسيره ١٦٥/٢٢ إلى الكلبي ، وهو اختيار الطبري فقد قال في تفسيره ٢١/١٧ وإنما اخترنا القول الآخر ، وجعلنا الهاء والألف من ذكر الأرض ؛ لأنها إذا كانت من ذكرها دخل في ذلك السهل والجبل ، وذلك أن ذلك كله من الأرض ، وقد جعل الله خلقه من ذلك كله فججاجاً سبلاً ، ولا دلالة تدل على أنه عنى بذلك فجاج بعض الأرض التي جعلها لهم سبلاً من دون بعض ، فالعموم بها أولى . وقال ابن عطية في المحرر ١٤٤/١٠ عن هذا القول إنه أحسن . واستظهره أبو حيان في البحر ٣٠٩/٦ . ويدل لهذا القول قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝ لَّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح : ١٩-٢٠] .

(٣) ذكره عن ابن عباس ابن الجوزي ٣٤٩/٥ . وذكره القرطبي ٢٨٥/١١ مختصراً . وذكر الرازي ١٦٤/٢٢ أوله ثم قال : وهو قول مقاتل ، والضحاك ، ورواية عطاء عن ابن عباس . وقد روى الطبري ٢١/١٧ من طريق ابن جريج قال : قال ابن عباس وجعلنا فيها فججاجاً سبلاً قال : بين الجبال . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦٢٧/٥ وعزاه للطبري وابن المنذر . وهي رواية ضعيفة ؛ لأن ابن جريج لم يلق ابن عباس . قال الإمام أحمد : إذا قال ابن جريج : قال فلان وقال فلان وأخبرت ، جاء بمناكير ، وإذا قال : أخبرني وسمعت . فحسبك . تهذيب التهذيب ٤٠٤/٦ .

(٤) (لا) : ساقطة من (أ) .

٣٢. قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا﴾ . السقف معناه في اللغة : غطاء

البيت^(١) ، والسماء للأرض كالسقف للبيت ، فجعلت السماء سقفاً وسميت به ، قال الله تعالى : ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ [الطور: ٥] يعني السماء .

وقوله تعالى: ﴿مَحْفُوظًا﴾ . قال ابن عباس : من الشياطين بالنجوم^(٢) . وهو قول الكلبي ، واختيار الفراء^(٣) ودليل هذا التأويل قوله : ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ [الحجر: ١٧] .

وذكر أبو إسحاق وجهاً آخر قال : حفظه الله من الوقوع على الأرض إلا بإذنه^(٤) .

ودليل هذا قوله : ﴿وَمِمْسِكَ السَّمَاءِ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ [الحج: ٦٥] .

وزاد غيره : محفوظاً من الهدم ، ومن أن يلحقها ما يلحق غيرها من السقوف على طول الدهر^(٥) .

(١) انظر : تهذيب اللغة للأزهري ٤١٣ / ٨ وفيه هذا الكلام منسوباً إلى الليث ، والصاحح للجوهري ٤ / ١٣٧٥ ، وفي العين ٨١ / ٥ : سقف : عهاد البيت ، ولسان العرب لابن منظور (سقف) ٩ / ١٥٥ .

(٢) ذكره ابن الجوزي ٥ / ٣٤٩ من رواية أبي صالح عن ابن عباس .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٠١ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٩٠ .

(٥) جاء عن قتادة نحو هذا القول ، فقد ذكر أبو حيان ٦ / ٣٩ عنه أنه قال : حفظ من البلى والتغير على طول الدهر . وقيل إن الحفظ هنا شامل لما تقدم ، لدلالة الآيات المتقدّمات . قال ابن عطية ١٠ / ١٤٤ : والحفظ هاهنا عام من الشياطين . وقوى الرازي ٢٢ / ١٦٥ القول بأن المراد الحفظ من الوقوع والسقوط اللذين يجري مثلها لسائر السقوف ؛ لأن حمل الآيات عليه مما يزيد هذه النعمة عظماً ؛ لأنه - سبحانه - كالتكفل بحفظه وسقوطه على المكلفين . ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الروم: ٢٥] ، وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١] ، وقوله : ﴿وَلَا يَتُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥] . ومما يقوي هذا القول ويعضده أن الآيات سبقت للدلالة على التوحيد فكان تجريد العناية لبيان نعمة الله على عباده بحفظ هذه السماء من السقوط أولى من بيان حفظها من الشياطين .

وقال مجاهد: ﴿سَقَفًا مَّحْقُوطًا﴾ مرفوعاً^(١).

وهذا معنى وليس بتفسير. وذلك أنه مرفوع رفعا لا يطمع أحد أن يناله بنقض أو يبلغه بحيلة، فرفعه سبب حفظه من أن يبلغه أحد.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ﴾؛ قال ابن عباس: يريد المشركين^(٢).

﴿عَنْ أَيْنِهَا مُعْرِضُونَ﴾^(٣). قال الكلبي وغيره من المفسرين: شمسها وقمرها ونجومها^(٤).

﴿مُعْرِضُونَ﴾؛ لا يتدبرونها، ولا يتفكرون فيها، فيعلموا^(٥) أن خالقها لا شريك له.

٣٣. قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ﴾ إلى قوله: ﴿كُلُّ﴾ يعني الطوائع كلها.

﴿فِي فَلَاكِ﴾ قال الليث: الفلك في الحديث^(٦) دوران^(٧) السماء. وهو اسم الدوران خاصة، وأما المنجمون؛ فيقولون: سبعة أطواق^(٨) من دون السماء قد

(١) رواه الطبري ٢٢/١٧، وأبو الشيخ في العظمة ١٠٣٨/٣. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦٢٧/٥ وعزاه لابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن جريج وابن أبي حاتم وابن المنذر وأبي الشيخ.

(٢) انظر: تنوير المقباس ٢٠١.

(٣) في (د) و(ع): (آياتنا)، وهو خطأ في الآية.

(٤) انظر: الطبري ٢٢/١٧، وتنوير المقباس ٢٠١، والقرطبي ٢٨٥/١١.

(٥) في (ع): (فيعلمون)، وهو خطأ.

(٦) في تهذيب اللغة ٢٥٤/١٠: جاء في الحديث أنه دوران السماء. والمراد بالحديث ما رواه أبو عبيد في غريب الحديث ٩٦/٤ أن رجلاً أتى رجلاً وهو جالس عند عبدالله بن مسعود فقال: إني تركت فرسك يدور كأنه في فلك، قال عبدالله للرجل: اذهب فافعل به كذا وكذا.

(٧) في (أ): (دور).

(٨) جمع طوق، وهو كل ما استدار بشيء.

تهذيب اللغة للأزهري (طوق) ٢٤٢/٩، والقاموس المحيط ٢٥٩/٣.

رُكِّبَتْ فِيهَا النُّجُومُ السَّبْعَةُ ، فِي كُلِّ طَوْقٍ مِنْهُ ^(١) نَجْمٌ ، وَبَعْضُهَا أَرْفَعُ مِنْ بَعْضٍ ،
يَدُورُ فِيهَا بِإِذْنِ اللَّهِ ^(٢) .

وروى أبو عبيد ، عن الأصمعي : الفلك : قطع من الأرض تستدير وترتفع
عما حولها ^(٣) ، والواحدة فلكة . قال الراعي :

إِذَا خَفَنَ هَوْلَ بَطُونِ ^(٤) الْبِلَادِ تَضَمَّنَهَا فَلَكٌ مُزْهَرٌ ^(٥)
يَقُولُ : إِذَا خَافَتِ الْأَدْغَالَ ^(٦) وَبَطُونَ الْأَرْضِ ظَهَرَتْ الْفَلَكَ ^(٧) .

والفلك في كلام العرب : كل شيء مستدير ، وجمعه أفلاك ، ومنه فَلَكَةٌ
المغزل ، وتفلك ثدي الجارية ^(٨) .

-
- (١) (منه) : ساقطة من (د) و(ع) ، وفي (أ) : (ومنه) ، وفي تهذيب اللغة للأزهري ٢٥٤ / ١٠ : (منها) .
(٢) قول الليث في تهذيب اللغة للأزهري (فلك) ٥٤ / ١٠ . وهو في العين (فلك) ٣٧٤ / ٥ مع اختلاف
يسير ، وليس فيه : (في الحديث) . وما ذكره الليث عن المنجمين لا دليل عليه من كتاب أو سنة
صحيحة أو مشاهدة .
(٣) في (أ) : (حوله) .
(٤) هكذا في (أ) و(ت) والمطبوع من ديوان الراعي بطبعته ؛ طبعة راينهرت فايرت ١٠٧ ، وطبعة نوري
القيسي وهلال ناجي ٢٠٨ . وفي (د) و(ع) : (إذا خفن هولا بطول) ، وفي المطبوع من تهذيب اللغة
للأزهري (بصون) ٢٥٤ / ١٠ .
(٥) البيت في ديوانه ٢٠٨ ، وتهذيب اللغة للأزهري (فلك) ٢٥٤ / ١٠ ، واللسان (فلك) ٤٧٨ / ١٠ .
(٦) في النسخ جميعها : (الإدخال) ، والتصويب من تهذيب اللغة واللسان .
(٧) رواية أبي عبيد عن الأصمعي في تهذيب اللغة ٢٥٤ / ١٠ .
(٨) انظر : الصحاح (فلك) ١٦٠٤ / ٤ ، ولسان العرب ٤٧٨ / ١٠ .

هذا^(١) معنى الفلك في قول أهل اللغة .

وأما المفسرون ، فقال السدي في قوله : ﴿كُلُّ فِي فَلَكٍ﴾ : كل في مجرى واستداره^(٢) .

وقال الكلبي : الفلك استدارة السماء ، وكل شيء استدار فهو فلك^(٣) .

وعلى هذا المراد بالفلك : السماء ، والسماء مستديرة ، والنجوم تدور فيها وهذا معنى قول مجاهد : كهيئة حديدة الرحي^{(٤)(٥)} .

يريد : أن النجوم تسير وتجري حول القطب^(٦) كدوران^(٧) الرحي على حديدته^(٨) .

(١) في (ت) : (وهذا) .

(٢) ذكر الماوردي ٣/ ٤٤٥ عن السدي قال : الفلك : السماء .

(٣) ذكر الأزهري في تهذيب اللغة ١٠/ ٢٥٤ ، والبيهقي ٥/ ٣١٧ عن الكلبي الشطر الأول منه . وروى عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٢٤ عن الكلبي الشطر الثاني منه . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٦٢٧ وعزاه لعبدالرزاق وابن المنذر .

(٤) الرَّحَى : هي الحجر التي يطحن بها . لسان العرب (الرحا) ١٤/ ٣١٢ .

(٥) رواه الطبري ١٧/ ٢٢ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٢٨ وعزاه لابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٦) القُطْبُ : كوكب بين الجدي والفرقدين . قيل : وهو كوكب صغير أبيض ، لا يبرح مكانه أبداً ، والجدي والفرقدان تدور عليه . الصحاح للجوهري (قطب) ١/ ٢٠٤ ، ولسان العرب (قطب) ١/ ٦٨٢ .

(٧) في (ع) : (كودان) .

(٨) في (د) و(ع) : (حديدية) .

وعلى^(١) هذا معنى قول أكثر المفسرين ، قالوا : الفلك مدار النجوم الذي يضمها^(٢) .

وقال الحسن : الفلك طاحونة [كهيفة فلكة المغزل]^(٣) .

يريد أن الذي يجري فيه النجوم مستدير كاستدارة الطاحونة^(٤) .

وقال ابن زيد : الفلك الذي بين السماء والأرض [من]^(٥) مجاري النجوم والشمس والقمر^(٦) .

وهذا كقول المنجمين ، جعلوا الفلك في السماء .

وقال أبو عبيدة : الفلك : القطب الذي تدور به النجوم^(٧) .

وهذا القول بعيد ؛ لأن الله - تعالى - قال : ﴿ كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ ، فيجب أن يكون الفلك اسماً لما يتضمن النجوم وتجري فيه ، ويكون مدوراً .

(١) في (أ) و(ت) : (وهذا معنى) .

(٢) هذا قول الثعلبي ٢٩ / ٣ أبنصه .

(٣) ذكره البخاري تعليقاً في صحيحه ، كتاب التفسير ، سورة الأنبياء ٤٣٥ / ٨ ، ووصله ابن حجر في تغليق التعليق ٢٥٧ / ٤ فقال : قال ابن عينة في تفسيره عن عمرو ، عن الحسن في قوله : ﴿ كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ قال : مثل فلكة المغزل تدور .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٥) زيادة من الطبري ٢٣ / ١٧ ، والدر المنثور .

(٦) رواه الطبري ٢٣ / ١٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦٢٧ / ٥ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم .

(٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٨ / ٢ .

وقوله تعالى: ﴿يَسْبَحُونَ﴾؛ أي يجرون بسرعة كالسباح في الماء، وقد قال في موضع آخر في صفة النجوم: ﴿وَالسَّيْحَاتِ سَبَّحًا﴾ [النازعات: ٣]، والسبح لا يختص بالجري في الماء فقد يقال للفرس الذي يمد يديه في الجري^(١): سابع^(٢)، ومنه قول الأعشى:

وَسَابِحٌ ذِي مَيْعَةٍ^(٣) ضَامِرٍ^(٤)

وتوهم بعضهم أن السبح يختص بالسير في الماء، فجعل الفلك موجاً من الماء تسير فيه النجوم لما رأى قوله: ﴿يَسْبَحُونَ﴾^(٥).

وحكى الفرّاء هذا القول في تفسير الفلك^(٦).

ولما وصف النجوم بفعل ما يعقل^(٧) جُمع^(٨) فعلها جَمَعَ فعل ما يعقل، قال أبو إسحاق: قيل: ﴿يَسْبَحُونَ﴾ كما يقال لما يعقل؛ لأنّ هذه الأشياء وصفت

(١) في (أ) و(ت) (البحر)، وما أثبتناه من (د) و(ع) هو الصحيح والموافق لما في تهذيب اللغة.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (سبح) ٣٣٨/٤، بتصرف.

(٣) في (أ) و(ت): (منعة)، والمثبت من (د) و(ع). وهو الموافق لما في تهذيب اللغة، وديوان الأعشى.

(٤) هذا عجز البيت، وصدّره:

كَمْ فِيهِمْ مَنْ شَطِئَتْ خَيْفِقِ

وهو في ديوانه ١٤٧، وفيه: ضابر، وتهذيب اللغة للأزهري (سبح) ٣٣٨/٤، واللسان (سبح)

٢/٤٧١. وهو أحد أبيات قصيدة يفضل فيها عامر بن الطفيل على علقمة بن علاثة في المنافرة التي

جرت بينهما. والمعنى: كم فيهم من جواد سابع نشيط سابق. انظر: لسان العرب (ميع) ٨/٣٤٥،

والقاموس المحيط ٢/٧٦، وديوان الأعشى مع التعليق عليه ١٤٧.

(٥) هذا قول الكلبي، فقد ذكر الرازي ١٦٧/٢٢ أنه قال: الفلك ماء تجري فيه الكواكب، واحتج بأن السباحة لا

تكون إلا في الماء. ثم ردّ عليه بقوله: لا يسلم فإنه يقال في الفرس يمد يديه في الجري: سابع.

(٦) انظر: معاني القرآن ٢/٢٠١.

(٧) في (ع): (ما تعقل).

(٨) (جمع): (ساقطة من (ع)).

بالفعل^(١) كما يوصف ما يعقل ، كما قالت العرب -في رواية النحويين جميعهم-
أكلوني البراغيث ، لما وصفت بالأكل قيل : أكلوني^(٢) . وأنشد للجعدي :

تَمَزَّزْتُهَا وَالْدَّيْكَ يَدْعُو صَبَاحَهُ إِذَا مَا بَنُو نَعَشٍ دَنُّوا فَتَصَوَّبُوا^(٣)

وهذا قول أبي عبيدة^(٤) ، والفراء^(٥) ، والمبرد ، وجميع أهل اللغة^(٦) . وذكرنا
هذا عند قوله : ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف : ٤] .

٣٤ . قوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ آلَ خُلْدٍ﴾ ؛ الخلد : اسم من الخلود ،
وهو البقاء الدائم^(٧) .

يقول : ما خلدنا قبلك أحداً من بني آدم . يعني أن سبيله سبيل من مضى قبله
من الرسل ، ومن بني آدم في الموت .

(١) في (ع) : (بالعقل) .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٩١ مع اختلاف سير .

(٣) البيت أنشده الزجاج في معاني القرآن ٣/ ٣٩١ من غير نسبة ، وروايته فيه :

شربت بها والديك يدعو صباحه

وهو في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٣٨ ، ولسان العرب (نعش) ٦/ ٣٥٥ بمثل رواية الواحدي منسوباً
للجعدي . وفي ديوانه ٤ ، والكتاب لسيبويه ٢/ ٤٧ بمثل رواية الزجاج . وفي معاني القرآن للأخفش
٢/ ٦٤٤ : بكرتها والديك . . . من غير نسبة . قال السيرافي في شرح أبيات سيبويه ١/ ٤٧٦ تمززتها :
شربتها قليلاً قليلاً . وقوله : يدعو صباحه ؛ أي يدعو في وقت إصباحه . وقوله : دنوا : مالت بنات
نعش إلى جانب السماء . اهـ . قال ابن منظور ٦/ ٣٥٥ : وبنات نعش : سبعة كواكب .

(٤) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٣٨ .

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٠١ .

(٦) كالحليل وسبويه وغيرهما . انظر : الكتاب ٢/ ٤٧ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٦٩ ، ٧٠ ، وإعراب
القرآن لابن الأنباري ٢/ ١٦ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (خلد) ٧/ ٢٧٧ ، والصحاح للجوهري ٢/ ٤٦٩ ، ولسان العرب
٣/ ١٦٤ .

﴿أَفَايُنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ ؛ موضع الاستفهام قوله : ﴿فَهُمْ﴾ ، ولكنه قدم إلى أول الكلام ، وذكرنا هذا عند قوله : ﴿أَمِ اتَّخَذُوا إِلَهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾^(١) .

والمعنى : إن مت أفهم الخالدون ؟ استفهام إنكاري ؛ أي لا يخلدون ، يعني مشركي مكة حين قالوا : نتربص بمحمد ريب المنون . فقليل لهم : إن مات محمد فأنتم أيضاً تموتون^(٢) .
وهو^(٣) .

٣٥ . قوله تعالى^(٤) : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ .

والإضافة في ﴿ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ في تقدير الانفصال ؛ لأنه لما يستقبل ، ولكن عاقبت الإضافة التنوين . والمعنى على التنوين كقوله : ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾ [المائدة : ١] ، ﴿هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة : ٩٥] .

وقد أحكمنا هذا الفصل في سورة النساء عند قوله : ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء : ٩٧] .

(١) الأنبياء ٢١ . ولم يتقدم البحث عند هذه الآية .

(٢) ذكر ذلك الثعلبي في الكشف والبيان ٢٩/٣ ب ، والبغوي ٣١٨/٥ . وقيل إن سبب هذه الآية أن بعض المسلمين قال : إن محمداً لن يموت ، وإنما هو مخلد ، فأنكر ذلك رسول الله ﷺ ونزلت . وهذا قول مقاتل . وقيل : إن سبب الآية أن كفار مكة طعنوا على النبي ﷺ بأنه بشر ، وأنه يأكل الطعام ويموت ، فكيف يصح إرساله . فنزلت الآية . وهذه الأقوال لا تعتمد على رواية صحيحة ، فالله أعلم . انظر : المحرر الوجيز لابن عطية ١٠/١٤٥ ، وتفسير الرازي ٢٢/١٦٩ ، والبحر المحيط لأبي حيان ٦/٣١٠ .

(٣) (وهو) : ساقط من (أ) .

(٤) (تعالى) : زيادة من (أ) .

وقوله تعالى : ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ . قال الوالبي عن ابن عباس ؛ أي نبتليكم بالشدة والرخاء ، والصحة والسقم ، والغنى والفقر ، والحلال والحرام ، وكلها بلاء^(١) .

وقال ابن زيد : نبلوكم بما تحبون وما تكرهون ، لننظر كيف شكركم وصبركم في ما تحبون وفي ما تكرهون^(٢) .

وقال الكلبي : ﴿بِالشَّرِّ﴾ ؛ بالفقر والبلايا ، ﴿وَالْخَيْرِ﴾ ؛ بالمال والولد . ﴿فِتْنَةً﴾ قال ابن عباس : يريد اختباراً مني ، ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ؛ تردون للجزاء بالأعمال حسننها وسيئها .

٣٦ . قوله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَوْاكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ . قال ابن عباس : يعني المستهزين .

[وهم الذين ذكرناهم في قوله : ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾]^(٣) . ﴿إِن يَنْخَذُونَكَ إِلَّا هُزُؤًا﴾ ؛ أي ما يتخذونك إلا مهزواً به ، كقوله : ﴿أَنْتَ خُذْنَا هُزُؤًا﴾ [البقرة : ٦٧] وقد مر .

(١) رواه الطبري ٢٥ / ١٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦٢٩ / ٥ وعزه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم واللائكائي في السنة .

(٢) رواه الطبري ٢٥ / ١٧ بنحوه .

(٣) الحجر ٩٥ . قال الواحدي في البسيط : ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ بك ، وهم خمسة نفر من المشركين : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، وعدي بن قيس ، والأسود بن المطلب ، والأسود بن عبد يغوث . سلط الله عليهم جبريل حتى قتل كل واحد منهم ؛ أي بأفة ، وكفى نبيه شرمهم . هذا قول عامة المفسرين . اهـ . والأولى أنها عامة في كل مستهزئ .

(٤) ساقط من (د) و(ع) .

وقال السدي : نزلت في أبي جهل ، مرَّ به النبي ﷺ فضحك ، وقال : هذا^(١) نبي بني عبدمناف^(٢)(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ ﴾ . [فيه إضمار القول^(٤) ، وهو جواب إذا^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾ كلام معترض بين إذا وجوابه . قال ابن عباس في قوله : ﴿ يَذْكُرُ إِلَهُتَكُمْ ﴾^(٦) : يعيب أصنامكم . ونحوه قال الكلبي^(٧) .

(١) (هذا) : ساقطة من (أ) و(ت) .

(٢) بنو عبدمناف بطن من بطون قريش ، من العدنانية . وهم بنو عبدمناف - ومناف اسم صنم وأصل اسم عبدمناف المغيرة - بن قصي بن كلاب بن مرة . ومن أفخاذ بني عبدمناف : بنو هاشم وبنو المطلب وبنو عبدشمس وبنو نوفل . وكان بنو هاشم وبنو عبدشمس متقاسمين رئاسة بني عبدمناف . انظر : نسب قريش للمصعب الزبيري ١٤ ، ١٥ ، والبداية والنهاية ٢ / ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي ٣١١ ، ومعجم قبائل العرب لكحالة ٢ / ٧٣٥ .

(٣) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٥ / ٦٣٠ . وهي رواية ضعيفة ، لأنها مرسلة ، فلا يعتمد كونها سبباً لنزول هذه الآية . وقال الألوسي ١٧ / ٤٨ : وأنا أرى أن القلب لا يثلج لكون هذا سبباً للنزول . اهـ . قال ابن عطية ١٠ / ١٤٨ : وظاهر الآية أن كفار مكة وعظماهم يعمهم هذا المعنى من أنهم ينكرون أخذ رسول الله ﷺ في أمر آهتهم ، وذكره لهم بفساد .

(٤) في (د) و(ع) : (من القول) ، والمعنى : أن فيه إضمار (يقولون) ، فيكون المعنى : وإذا رآك الذين كفروا - إن يتخذونك إلا هزواً - يقولون : أهذا

(٥) وفي جواب إذا وجه آخر وهو (إن) النافية وما في حيزها في قوله : ﴿ إِن يَتَّخِذُونَكَ ﴾ واستظهره أبو حيان . انظر : البحر المحيط ٦ / ٣١٢ ، والدر المصون ٨ / ١٥٥ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٧) ذكر ابن الجوزي ٥ / ٣٥٠ هذا القول من غير نسبة . انظر : تنوير المقباس ٢٠٢ .

قال الفراء : وأنت قائل للرجل : لئن ذكرتني لتندمن . وأنت تريد : بسوء ، فيجوز ذلك . وأنشد قول عنتره :

لا تذكرني فرسي وما أطعمته فيكون جلدك مثل جلد الأجر^(١)

أي لا تعيبي^(٢) مهري فجعل الذكر عيباً^(٣) .

وقال أبو إسحاق : يقال : فلان يذكر الناس ؛ أي يغتابهم ، ويذكرهم بالعيوب . [ويقال : فلان يذكر الله ؛ أي يصفه بالعظمة ، ويشني عليه]^(٤) . وإنما يحذف مع الذكر ما عقل معناه^(٥) .

وقال أهل المعاني : الذكر لا يكون بمعنى العيب^(٦) في كلام العرب ، وحيث يراد به العيب حذف منه السوء^(٧) . كما^(٨) قال الزجاج : فلان يذكر الناس ؛ أي يذكر مساوئهم وعيوبهم .

(١) البيت في ديوانه ٢٧٢ : لا تذكرني مهري

وفي معاني القرآن للفراء ٢/٢٠٣ : لا تذكرني مهري . . . جلد الأشهب .

وفي معاني القرآن للزجاج ٣/٣٩٢ من غير نسبة ، وفيه : (لونك) في موضع (جلدك) .

وعند الطبري ١٧/٢٥ لا تذكرني مهري . . . الأجر .

وهو من قصيدة يقولها لامرأة له تذكر خيله وتلومه في فرس كان يؤثرها . انظر : شرح ديوان عنتره للشنتمري ٢٧٢ .

(٢) في (أ) و(ت) : (تعيبين) ، وعند الفراء في معانيه ٢/٢٠٣ لا تعيين بأثرة مهري .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/٢٠٣ .

(٤) ساقط من (ع) .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٩٢ .

(٦) في (أ) و(ت) : (اللعب) ، وهو خطأ .

(٧) في (د) و(ع) : (بشر) .

(٨) (كما) : ساقطة من (أ) و(ت) .

وقوله تعالى : ﴿وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ﴾ ؛ وذلك أنهم قالوا ما نعرف الرحمن ^(١) .

قال صاحب النظم : (هم) الثانية ^(٢) اختصاص ؛ أي أنهم كافرون دون غيرهم ، كما تقول في الكلام إذا قيل لك : [إِنَّ زَيْدًا قَالَ لَكَ] ^(٣) : إنك ظالم ، فقلت : بل زيدٌ هو ظالم . فهو اختصاص له من بين غيره لهذا الوصف ^(٤) .

وقيل ^(٥) : إنه تأكيدٌ للكافرين ، فقد ^(٦) وصفهم الله بغاية الجهل حيث هزئوا ممن جحد إلهية ^(٧) من ^(٨) لا نعمة له ^(٩) ، وهم يحجدون إلهية مَنْ كُلُّ نعمة فهي منه ^(١٠) ^(١١) .

٣٧ . قوله تعالى : ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَجٍ﴾ .

(١) قال ابن عطية في المحرر ١٠ / ١٤٨ : وظاهر الكلام أن الرحمن قصد به العبارة عن الله تعالى ، كما لوقال : وهم يذكرون الله ، وهذا التأويل أغرق في ضلالهم وخطئهم . وقال ابن جزي ٣ / ٥٥ : وهم كافرون ، والجملة في موضع الحال ؛ أي كيف ينكرون ذمك لأهلهم وهم يكفرون بالرحمن ، فهم أحق باللامنة ، وقيل : فذكر سبب النزول ثم قال : والأولى أغرق في ضلالهم . وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي ٣ / ٢٧٩ : وفي ذكر اسمه الرحمن هنا بيان لقباحة حالهم ، وأنهم كيف قابلو الرحمن مسدي النعم كلها ، ودافع النقم الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه ، ولا يدفع السوء إلا هو بالكفر والشرك . اهـ .

(٢) في (ت) : (البائنة) ، وهو خطأ .

(٣) ساقط من (أ) و(ع) .

(٤) ذكر الرازي ٢٣ / ١٧٠ هذا المعنى باختصار .

(٥) انظر : تفسير الرازي ٢٣ / ١٧٠ ، والبحر ٦ / ٣١٢ ، والدر المصون ٨ / ١٥٥ .

(٦) في (د) و(ع) : (وقد) .

(٧) في (د) و(ع) : (الإلهية) .

(٨) في (ع) : (من) .

(٩) في (أ) و(ت) زيادة : (وهم يحجدون إلهية من لا نعمة له) ، وهي خطأ .

(١٠) في (أ) : (فهو منه ومنه) ، وفي (ت) : (فهو منه منه) .

(١١) انظر : القرطبي ١١ / ٢٨٨ .

اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية ، فذهب كثيرٌ منهم إلى أن المراد بالإنسان هاهنا : آدم . وقالوا : لما نفخ فيه الروح لم تبلغ رجليه حتى استعجل ، وأهوى إلى عنقود من عنب الجنة ليأكل منه ، وأراد الوثوب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان ، وأورث أولاده العجلة . وهذا قول عكرمة^(١) ؛ وسعيد بن جبير^(٢) ، والسدي^(٣) ، والكلبي^(٤) .

وقال آخرون : معناه : خلق الإنسان من تعجيل في خلق الله إياه ، وذلك أن الله - تعالى - خلق آدم في آخر النهار من يوم الجمعة قبل غروب الشمس ، فأسرع في خلقه قبل مغيبها .

وهذا مذهب مجاهد ، قال : خلق الله آدم بعد كل شيء آخر النهار ، فلما أحيا الروح رأسه^(٥) ولم تبلغ أسفله قال : يا رب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس^(٦) . وهذا القول اختيار قطرب قال في قوله : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ؛ أي من سرعة الأمر في خلقه^(٧) .

وقال قتادة : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ قال : خلق عجولاً^(٨) .

-
- (١) ذكره عنه السيوطي في الدر المنثور ٥ / ٦٣٠ وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر .
 (٢) رواه الطبري ١٧ / ٢٦ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥ / ٦٣٠ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم .
 (٣) رواه الطبري ١٧ / ٢٦ .
 (٤) نسبه للكلبي الماوردي في النكت والعيون ١ / ٤٤٧ .
 (٥) في (د) و(ع) : زيادة (ووصلت إلى) ، وما في (أ) و(ت) . هو الموافق لما في تفسير الثعلبي .
 (٦) تفسير الثعلبي ٣ / ٢٩ ب . وقد رواه الطبري ١٧ / ٢٦ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور وعزاه لابن شيبه وعبد بن حميد وابن جريج وابن أبي حاتم وابن المنذر وأبي الشيخ في العظمة .
 (٧) لم أجد هذا القول عن قطرب . وقد ذكر الشريف الرضي في الأمالي ١ / ٤١٦ عن قطرب أنه أجاب بأن في الكلام قلباً ، وأن المعنى : خلق العجل من الإنسان .
 (٨) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢ / ٢٤ .

وهذا القول اختيار جميع أهل اللغة^(١) والمعاني . والإنسان هاهنا اسم الجنس .

قال الفرّاء : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ؛ كأنك قلت : بنيتّه وخلقته من العجل^(٢) وعلى العجلة^(٣) .

وقال الزّجاج : خوطبت العرب بما تعقل ، والعرب تقول للذي يكثر الشيء : خلقت منه ، كما تقول : أنت من لعب [وخلقت من لعب]^(٤) ، تريد المبالغة بوصفه باللعب ، ويدل على هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَنُ مَجْجُولًا ﴾ [الإسراء: ١١]^(٥) .

وقال المبرّد : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ؛ أي من شأنه العجلة^(٦) .

وهذه ثلاثة أقوال عليها أهل التفسير والمعاني .

وقال أبو عبيدة : تأويل الآية على القلب ؛ أي خلق العجل من الإنسان^(٧) .

ولا وجه لحملة على القلب مع ماله على^(٨) الاستواء من المعنى المفهوم^(٩) .

(١) (اللغة) : ساقطة من (أ) و(ت) .

(٢) عند الفرّاء : (العجلة) .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٠٣ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ت) .

(٥) معاني القرآن للزّجاج ٣ / ٣٩٢ . مع تقديم وتأخير .

(٦) لم أجد من ذكره عنه .

(٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ٣٨ ، ولفظه : (مجازة مجاز : خلق العجل من الإنسان) .

(٨) في (د) و(ع) : (من) .

(٩) وقد ردّ ذلك أيضاً الإمام الطبري ، فقال في تفسيره ١٧ / ٢٧ : وفي إجماع أهل التأويل على خلاف هذا القول الكفاية المغنية عن الاستشهاد على فساد بغيره . اهـ .

وقال نفطويه : قال بعض الناس : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ؛ أي من طين ، وأنشد^(١) :

والنبعُ ينبُتُ بين الصخرِ^(٢) ضاحية
والنخلُ ينبُتُ بين الماءِ والعجلِ

قال : وليس عندي في هذا حكاية عمن يرجع إليه . [هذا كلامه]^(٣)^(٤) .

والعجل بمعنى الطين قد حكى من^(٥) كلام العرب . رواه أبو عمر ، عن أبي العباس^(٦) ، عن ابن الأعرابي^(٧) . [وهو صحيح ولكنه لا يصح تفسير]^(٨) هذه الآية به ، ولا يليق بالمعنى المراد من الآية .

- (١) عجز هذا البيت في تهذيب اللغة للأزهري (عجل) ١/ ٤٦٩ من إنشاد نفطويه من غير نسبة لأحد . والبيت في غريب القرآن وتفسيره لليزيدي ٢٥٥ ، من غير نسبة ، وروايته فيه :
النبعُ في الصخرة الصماءِ منبتُهُ والنخلُ منبتُهُ في السهلِ والعجلِ
وأما المرتضى ١/ ٤٦٩ وروايته :
والنبعُ ينبُتُ بين الصخرِ ضاحيةً والنخلُ ينبُتُ بين الماءِ والعجلِ
ثم قال المرتضى ١/ ٤٧٠ وقد رواه ثعلب ، عن ابن الأعرابي ، وخالف في شيء من ألفاظه ، فرواه :
النبعُ في الصخرة الصماءِ منبتُهُ والنخلُ منبتُهُ في السهلِ والعجلِ
واللسان (عجل) ١١/ ٤٢٨ بمثل رواية ثعلب ، عن ابن الأعرابي ، وعجزه في الكشف ٢/ ٥٧٣ ، ثم قال : والله أعلم بصحته . والنبع : شجر تتخذ منه الفسي ، وهو من أشجار الجبال ، الواحدة منه نبعه . لسان العرب (نبع) ٨/ ٣٤٥ .
- (٢) في النسخ جميعها : (النخل) ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتنا .
- (٣) بياض في (ت) .
- (٤) قول نفطويه في تهذيب اللغة للأزهري (عجل) ١/ ٣٦٩ ، وفيه تسميته بآبن عرفة .
- (٥) في (د) و(ع) : (في) .
- (٦) في (أ) و(ت) : (ابن عباس) ، وهو خطأ .
- (٧) ذكر هذه الرواية من هذا الطريق الأزهري في تهذيب اللغة (عجل) ١/ ٣٦٩ .
- (٨) ما بين المعقوفين بياض في (ت) .

وتأويل الآية : خلق الإنسان عجولاً ، ولذلك^(١) يستعجل ربه بالعذاب .
ومن قال معنى الآية : إن آدم خلق على عجلة يقول : إنَّ ذلك أورثه وأولاده
العجلة ، فاستعجلوا^(٢) في كل شيء حتى العذاب .
والآية نازلة في أهل مكة حين استعجلوا العذاب . قال ابن عباس في رواية
عطاء : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ يريد : النَّصْر بن الحارث ، وهو الذي قال :
﴿ اَللّٰهُمَّ اِنْ كَانَتْ هٰذَا هُوَ الْحَقُّ ﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية^(٣) .
وقوله تعالى : ﴿ سَأُورِيكُمْ ءَايَاتِيْ فَلَا تَسْتَعْجِلُوْا ﴾ . قال^(٤) : يريد القتل ببدر^(٥) .

(١) في (أ) و(ت) : (وكذلك) ، وهو خطأ .

(٢) في (أ) و(ت) : (واستعجلوا) .

(٣) ذكره ابن الجوزي ٥ / ٣٥١ ، والرازي ٢٢ / ١٧١ من رواية عطاء عن ابن عباس . وذكره الزمخشري ٢ / ٥٧٣ منسوبة إلى ابن عباس . وهذه الرواية عن ابن عباس باطلة كما تقدم ، ولذا استظهر الزمخشري والرازي وأبو حيان وغيرهم أن المراد بالإنسان هنا : الجنس . قال الرازي ٢٢ / ١٧١ : وهذا القول يعني بأن المراد بالإنسان الجنس أولى ؛ لأن الغرض ذم القوم ، وذلك لا يحصل إلا إذا حملنا الإنسان على النوع . وقال أبو حيان ٦ / ٣١٣ والذي ينبغي أن تحمل الآية عليه هو القول الأول ؛ لأنه المناسب لآخرها .

(٤) يعني ابن عباس .

(٥) ذكره ابن الجوزي ٥ / ٣٥٢ ونسبه إلى مقاتل . وذكر الرازي ٢٢ / ١٧٢ ثلاثة أقوال في الآية :
أحدها : أنها هي الهلاك المبجل في الدنيا والعذاب في الآخرة ، ولذلك قال : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوْا ﴾ ؛
أي أنها ستأتي لا محالة في وقتها .
ثانيها : أنها أدلة التوحيد وصدق الرسول .

ثالثها : أنها آثار القرون الماضية بالشام واليمن . ثم قال الرازي : والأول أقرب إلى النظم . وذكر أبو حيان في البحر ٦ / ٣١٣ الأقوال التي ذكرها الرازي ثم قال : والأول أليق ؛ أي سيأتي ما يسوؤكم إذا متم على كفركم ، كأنه يريد يوم بدر وغيره في الدنيا والآخرة . اهـ . والأظهر أن المراد بالآيات ما توعدهم الله من العذاب في الدنيا كما قال تعالى : ﴿ قُلْ اَرَأَيْتُمْ اِنْ اَنْتُمْ عَذَابُهُ بَيِّنًا اَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس: ٥٠] . ويدخل فيه ضمناً يوم بدر وغيره . والعذاب في الآخرة كما قال تعالى : ﴿ يَسْتَعْجِلُوْنَكَ بِالْعَذَابِ وَاِنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيْطَةٌ بِالْكَافِرِيْنَ ﴾ [العنكبوت: ٥٤] وكما قال تعالى في هذه الآيات بعد ذلك : ﴿ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا حِيْنَ لَا يَكْفُرُوْنَ عَنْ وُجُوْهِهِمْ اَلنَّارَ ﴾ . وقوله : ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ﴾ [القمر: ٤٦] .

﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُون﴾ ؛ أي أنه نازل بكم . قال ابن عباس : وهو تهديد ووعد .
 ٣٨ . ﴿وَيَقُولُونَ﴾ ؛ يعني المشركين : ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ الذي تعدنا أنا
 نعذب .

قال ابن عباس : يريدون^(١) وعد القيامة^(٢) ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنا ناعذب .
 ٣٩ . فقال الله تعالى : ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ﴾ . العلم هاهنا بمعنى^(٣)
 المعرفة ، فلا يقتضي^(٤) مفعولاً^(٥) ثانياً ، ﴿حِينَ﴾ نصب بوقوع العلم
 عليه ؛ أي لو عرفوا ذلك الوقت وذلك الحين^(٦) . ﴿لَا يَكْفُرُونَ عَنْ

(١) في (د) و(ع) : (يريد) ، وما أثبتنا من (أ) و(ت) . وهو الصواب .

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٢٩/٣ ب ، وابن الجوزي ٣٥٢/٥ ، والقرطبي ٢٨٩/١١ من غير
 نسبة . والأظهر أنهم يريدون كل ما وعدهم به رسول الله ﷺ والمؤمنون في الدنيا والآخرة .

(٣) (بمعنى) : ساقطة من (ع) .

(٤) في (ع) : (ينقضي) ، وفي (د) : (بنقضي مهملة) .

(٥) في (د) و(ع) : (معروفا) ، وهو خطأ .

(٦) في (يعلم) في هذه الآية ومفعوله ثلاثة أوجه :

أحدها : ما ذكره الواحدي هنا ، أن (يعلم) عرفانية فهي تتعدي إلى مفعول واحد ، ومفعول (يعلم)
 هو (حين) ، فالحين منصوب على أنه مفعول به ، وليس منصوباً على الظرفية ، ويكون التقدير مثل ما
 قدره الواحدي ؛ أي لو يعرفون حين وقوع العذاب بهم ، ونحو ذلك .

ثانيهما : ما ذكره الزمخشري وغيره أن فعل (يعلم) منزل منزلة اللازم ، فهو متروك بلا تعدية ، والغرض
 منه إثبات الفعل لفاعله ، مع قطع النظر عن اعتبار تعلق الفعل بمن وقع عليه ، والمعنى : لو كان معهم
 علم ، ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين . فلم يعتبر هنا وقوع العلم على معلومات من اتصف
 بذلك العلم . وعلى هذا فـ (حين) منصوب بمضمر ؛ أي حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون
 أنهم كانوا على باطل .

وثالثهما : ما ذكره أبو حيان : أن مفعول (يعلم) محذوف للدلالة ما قبله ؛ أي لو يعلم الذين كفروا
 محيي الموعود الذي سألو عنه واستعجلوه ، وحين منصوب بالمفعول الذي هو محيي .

واستظهر أبو حيان هذا الأخير ، واستظهر الشنقيطي الأول .

انظر : الكشف للزمخشري ٥٧٣/٢ ، والبحر المحیط لأبي حيان ٣١٣/٩ ، والدر المصون للسمين
 الحلبي ١٥٨/٨ ، وأضواء البيان للشنقيطي ٥٧٦ ، ٥٧٥/٤ .

وَجُوهِهِمُ النَّارَ ﴿١﴾ . [قال ابن عباس : يريد ساعة يدخلون النار] (١) .
 ﴿وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ﴾ ؛ لِإِحَاطَتِهَا بِهِمْ ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ ﴿يَمْنَعُونَ مِمَّا
 نَزَلَ بِهِمْ .

وجواب (لو) محذوف ، على تقدير : لو علموا ذلك ما استعجلوا ولا قالوا :
 متى هذا الوعد .

[وقال الزَّجَّاج : وجواب (لو) محذوف ، المعنى : لعلموا صدق الوعد ، لأنهم
 قالوا ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾] (٢) (٣) .

وجعل الله الساعة موعدهم فقال :

٤٠ . قوله : ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً﴾ . قال ابن عباس : فجأة (٤) . يعني
 القيامة (٥) .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (د) و(ع) .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ت) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٢ ، ٣٩٣ . قال ابن عطية ١٠/ ١٥٣ : حذف جواب (لو) إيجازاً
 لدلالة الكلام عليه ، وأبهم قدر العذاب ؛ لأنه أبلغ وأهيب من النص عليه . وقال ابن عاشور في كتابه
 التحرير والتنوير ١٧/ ٧٠ : وحذف جواب (لو) كثير في القرآن ، ونكتته تهويل جنسه فيذهب السامع
 نفسه كل مذهب .

(٤) مثله في تنوير المقياس ٢٠٢ . وذكره الطبري ١٧/ ٢٩ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٢٩ ب ، والمحزر
 الوجيز لابن عطية ١٠/ ١٥٣ .

(٥) ذكره القرطبي ١١/ ٢٩٠ ، ثم قال : وقيل : العقوبة ، وقيل : النار فلا يتمكنون من حيلة . اهـ .
 وقال الزخشي ٢/ ٥٧٣ : إلى النار أو إلى الوعد ؛ لأنه في معنى النار ، وهي التي وعدوها ، . . . أو إلى
 الحين ؛ لأنه في معنى الساعة . قال أبو حيان في البحر ٦/ ٣١٤ : والظاهر أن الضمير عائد إلى الناس .

﴿فَتَبَهَّتْهُمْ﴾ . قال عطاء ، عن ابن عباس : تصيبهم البهتة^(١) .

قال الزجاج : فتحيرهم^(٢) .

يقال : بهت يبهته ، إذا واجهه بشيء يحير^(٣) . وذكرنا الكلام فيه عند قوله : ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨] . ويقال : بهت : أخذه بغتة [بهتاً]^(٤) .

فعلى هذا ، معنى ﴿فَتَبَهَّتْهُمْ﴾ تأخذهم بغتة^(٥) ؛ أي تفجؤهم . ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ صرفها عنهم ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ ؛ يمهلون التوبة أو معذرة .

٤١ . ثم عزى نبيه عليه السلام ، فقال : ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ ؛ أي كما استهزأ قومك بك ﴿فَحَاقَ﴾ ؛ نزل وأحاط ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ﴾ من الرسل ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ؛ أي العذاب الذي استهزؤوا به وكذبوا به .

(١) ذكر الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٠٠ عن ابن عباس في قوله : ﴿فَتَبَهَّتْهُمْ﴾ قال : تفجؤهم .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٩٣ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (بهت) ٦/ ٤٢١ ، والصاحح للجوهري ١/ ٢٤٤ ، ولسان العرب لابن منظور ٢/ ١٢ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (بهت) ٦/ ٤٢١ ، والصاحح للجوهري ١/ ٢٤٤ ، ولسان العرب لابن منظور ٢/ ١٢ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .

٤٢. قوله تعالى : ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُمْ﴾ . يقال : كَلَأَ^(١) الله كَلَاءَةً ؛ أي حفظك وحرسك^(٢) . قال ابن هرمة :

إِنَّ سُلَيْمَى وَاللَّهُ يُكَلِّئُهَا^(٣)

وقال أبو زيد : اِكْتَلَأْتُ مِنَ الرَّجُلِ اِكْتِلَاءً ، إِذَا مَا احْتَرَسْتَ مِنْهُ . ويقال : اِكْتَلَأْتُ عَيْنِي ، إِذَا حَذَرْتُ أَمْرًا فَأَسْهَرْتُ^(٤) فَلَمْ تَنْمِ^(٥) .

وقال المبرد : اِكْتَلَأْتُ بِهَذِهِ الدَّارِ ، إِذَا تَحَصَّنْتُ بِهَا وَجَعَلْتُهَا تَحْفَظُكَ .

قال ابن عباس : يريد من يمنعكم^(٦) ﴿يَالَيْلٍ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ .

وقال الكلبي : ﴿مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ ؛ من عذاب الرحمن^(٧) .

(١) في (ت) : (كلال) .

(٢) تهذيب اللغة (كلأ) ١٠ / ٣٦٠ منسوباً إلى الليث . وهو في كتاب العين (كلأ) ٥ / ٤٠٧ .

(٣) هذا صدر البيت ، وعجزه :

ضَنْتُ بِشَيْءٍ مَا كَانَ يَزُورُهَا

وهو في ديوانه ٥٥ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ٣٩ ، والطبري ١٧ / ٣٠ ، وتهذيب اللغة للأزهري (كلأ) ١٠ / ٣٦٠ .

(٤) في تهذيب اللغة ١٠ / ٣٦٢ : (فسهت له) .

(٥) تهذيب اللغة للأزهري (كلأ) ١٠ / ٣٦١ ، ٣٦٢ نقلاً عن أبي زيد .

(٦) ذكره البغوي ٥ / ٣٢٠ منسوباً إلى ابن عباس . وقد روى الطبري ١٧ / ٢٩ عن ابن عباس قال : يحرسكم .

(٧) ذكر هذا القول الرازي ٢٢ / ١٧٤ ، والقرطبي ١١ / ٢٩ ، والسمين الحلبي في الدر المنصون ٨ / ١٦٠ من غير نسبة لأحد .

قال أبو إسحاق معناه : من يحفظكم من بأس الرحمن^(١) . كما قال : ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾ [هود: ٦٣] ؛ أي عذاب الله ، كما قال في موضع آخر : ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ﴾ [غافر: ٢٩] . ونحو هذا قال الفراء^(٢) .

والمعنى : من يحفظكم مما يريد الرحمن إحلاله بكم من عقوبات الدنيا والآخرة . وهو استفهام إنكار ؛ أي لا أحد يفعل ذلك^(٣) .

وقال مجاهد في هذه الآية : من يدفع عنكم بالليل والنهار إلا الرحمن^(٤) . وليس هذا بالوجه^(٥) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٢٩٣/٣ .

(٢) انظر : معاني القرآن ٢٠٤/٢ .

(٣) وعلى هذا ، يكون المعنى : لا كالي لكم يحفظكم من عذاب الله ألبتة إلا الله تعالى ؛ أي فكيف تعبدون غيره ؟ . وقال أبو حيان في البحر ٣١٤/٦ هو استفهام وتوبيخ . فعلى هذا يكون توجه إليهم بالتقريع والتوبيخ ، كيف يصرفون حقوق الذي يحفظهم بالليل والنهار إلى ما لا ينفع ولا يضر ؟

(٤) رواه سفيان الثوري في تفسيره ٢٠١ عن مجاهد من دون قوله : إلا الرحمن .

وفي الدر المنثور ٦٣٢/٥ : وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد . . . قال : يحفظكم .

(٥) وحكى الشنقيطي في أضواء البيان ٤٧٨/٤ القولين ، واستظهر قول من قال : ﴿مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ ؛ أي من عذابه وبأسه قال : ونظيره من القرآن ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ [هود: ٦٣] .

وقال أبو العباس ابن تيمية في الفتاوى ٤٤١/٢٧ ، ٣٧٢/٣٥ ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ بدلاً من الرحمن . هذا أصح القولين كقوله تعالى : ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ لَكِئِكَ فِي الْأَرْضِ خَائِفُونَ﴾ [الزخرف: ٦٠] ؛ أي لجعلنا بدلاً منكم ، كما قاله عامة المفسرين ، ومنه قول الشاعر :

مَبْرَدَةٌ بَاتَتْ عَلَى الطَّهْيَانِ

فَلَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءٍ زَمْزَمَ شَرِبَةً

أي بدلاً من ماء زمزم . اهـ . واقتصر ابن كثير في تفسيره ١٧٩/٣ على هذا القول ولم يحك غيره ، واستشهد له بقول الراجز :

وَلَمْ تَذُقْ مِنَ الْبَقُولِ الْفَسْتَقَا

جَارِيَةً لَمْ تَلْبَسِ الْمَرْقَقَا

أي لم تذق بدل البقول الفستق . اهـ .

وقوله تعالى : ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد القرآن^(١) .

وقال غيره : عن مواعظ ربهم^(٢) . ﴿مُعْرِضُونَ﴾ ؛ أي لا يعتبرون .

٤٣ . قوله تعالى : ﴿أَمَرَهُمُ الْإِلَهَ تَمْنَعُهُمْ﴾ ؛ أي تحيرهم وتحفظهم ، وقوله تعالى : ﴿مَنْ دُونَنَا﴾ مؤخر معناه التقديم ؛ أي آلهة من دوننا تمنعهم ، وتم الكلام . ثم وصف آلهتهم بالضعف فقال : ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ﴾ ؛ أي فكيف تنصرهم ؟ .

قاله ابن عباس^(٣) .

والتقدير : آلهتهم لا يستطيعون نصر أنفسهم^(٤) ، فقلوه : ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ خبر ابتداء محذوف دل عليه ما قبله من ذكر الآلهة ، وإذا لم تقدر على منع نفسها عما يراد بها فكيف تقدر على منع عابديها ؟ كما ذكره ابن عباس .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا هُمْ مِنَّا﴾ ؛ يعني الكفار^(٥) .

(١) ذكره القرطبي ٢٩١ / ١١ من غير نسبة .

(٢) قاله الطبري ٣٠ / ١٧ .

وقد جمع البغوي ٣٢٠ / ٥ القولين ، فقال : عن القرآن ومواعظ الله .

(٣) ذكره أبو حيان في البحر ٣١٤ / ٦ عن ابن عباس . وكذلك السمين الحلبي في الدر المصون ١٦١ / ٨ . انظر : البغوي ٣٢٠ / ٥ ، وابن الجوزي ٣٥٣ / ٥ ، والرازي ١٧٤ / ٢٢ ، والقرطبي ٢٢١ / ١١ فقد ذكروا هذا القول من غير نسبة ، وذكروا التقديم والتأخير . ولم يذكره القرطبي .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ت) .

(٥) وقيل الضمير للأصنام . وهو مروي عن قتادة . واستظهر أبو حيان هذا القول ، وقال عنه الألوسي : إنه الأولى بالمقام . انظر : زاد المسير لابن الجوزي ٣٥٣ / ٥ ، والبحر المحيط لأبي حيان ٣١٤ / ٦ ، وروح المعاني للألوسي ٥٢ / ١٧ .

﴿يُصْحَبُونَ﴾ . قال الكلبي : يقول : لا يجارون من عذابنا^(١) .

وقال مجاهد : لا ينصرون^(٢) .

قال الفرّاء : ﴿وَلَا هُمْ مَتَّايُصْحَبُونَ﴾ ؛ أي يجارون ، يعني الكفار^(٣) .

وقال ابن قتيبة : أي لا يجيرهم منّا أحدٌ ؛ لأن المجير صاحب الجار^{(٤)(٥)} .

وعلى هذا ، معنى الصحبة : الإجارة ، وذلك أن من صحب إنساناً أجاره مما يخاف ، تقول العرب : إن لك من فلان صاحباً ؛ أي يجيرك^(٦) ويمنعك^(٧) .

[فلما كانت]^(٨) الصحبة تقتضي الإجارة سميت الإجارة به . والعرب تقول : صحبك الله ؛ أي حفظك الله وأجارك ، ويقولون للمسافر : في صحبة الله وكلاءته^(٩) .

(١) مثله في تنوير المقباس ٢٠٢ .

(٢) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٢٤ ، والطبري ١٧/ ٣٠ . وذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٠ أ .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢٠٢ .

(٤) في غريب القرآن : (صاحب لجاره) .

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٨٦ .

(٦) في (أ) و(ت) : (مجيرك) ، وما أثبتناه من (د) و(ع) هو الأنسب لما بعده .

(٧) هذا كلام الفرّاء في معانيه ٢/ ٢٠٥ مع تصرف يسير .

(٨) مطموس في (ت) .

(٩) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (صحب) ٤/ ٢٦٢ ، ولسان العرب ١/ ٥٢٠ ، وتاج العروس للزبيدي

وهذا وجه صحيح ، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً في رواية العوفي ^(١) ، قال : ولا الكفار منا يجارون ^(٢) . وهو ^(٣) معنى قول مجاهد : لا يُنصرون .

وقال المازني : أصحبت الرجل ؛ أي منعته ، وأنشد للهذلي ^(٤) :

يرعى بروض الحزن من أبه قُرَيَّانة ^(٥) في غاية ^(٦) تُصَحَّبُ ^(٧) ^(٨)

(١) رواية العوفي عن ابن عباس يرويها المفسرون كالطبري وابن أبي حاتم وغيرهم من طريق محمد بن سعد العوفي ، عن أبيه ، عن عمه الحسين بن عطية بن سعد العوفي ، عن أبيه ، عن جده عطية العوفي ، عن ابن عباس . وقد بين ضعف هذا الطريق السيوطي في الالتقان ٢ / ٥٣٥ . وقال العلامة أحمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري ١ / ٢٦٣ : وهذا إسناد مسلسل بالضعفاء من أسرة واحدة ، إن صح هذا التعبير ، وهو معروف عند العلماء بتفسير العوفي .

(٢) رواه من طريق العوفي عن ابن عباس الطبري ١٧ / ٣١ ، وابن أبي حاتم في تغليق التعليق ٤ / ٢٥٨ ، وذكر سنده من طريق العوفي . وقد رواه الطبري ١٧ / ٣١ من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، بمثله . وروى الطبري ١٧ / ٣٠ ، ٣١ وابن أبي حاتم في الدر المنثور ٥ / ٦٣٢ من طريق ابن جريج قال : قال ابن عباس : ﴿يُصَحَّبُونَ﴾ ينصرون .

(٣) (وهو) : ساقط من (د) و(ع) .

(٤) في (أ) و(ت) : (الهذلي) . ولم يتميز لي من المراد به ، فالهذليون الشعراء كثير .

(٥) (قريانة) : ساقطة من (أ) و(ت) . ومهملة في (ع) ، وفي (د) : (قربانة) .

(٦) في (أ) و(ت) : (غاية) . ومهملة في (د) و(ع) .

(٧) في (أ) و(ع) : (بصح) . مهملة . وبياض في (ت) . والمثبت من (د) .

(٨) إنشاد المازني لبيت الهذلي في تهذيب اللغة للأزهري (صح) ٤ / ٢٦٣ .

وهو منسوب للهذلي في لسان العرب (صح) ١ / ٥٢٠ ووقع في المطبوع : قربانه في عابه .

وتاج العروس للزبيدي (صح) ٣ / ١٨٨ .

والبيت أيضاً في مقاييس اللغة لابن فارس (أب) ١ / ٦ منسوباً لأبي داود من إنشاد شبيل بن عزة . وهو في ديوان أبي داود الإيادي ٢٩٦ . وهو في كتاب الذيل والتكملة للصنعاني (صح) ١٠ / ١٨٠ من غير نسبة . قال محقق كتاب الذيل والتكملة في الحاشية : وفي حاشية نسخة (ح) : (أنشد الأزهري البيت للهذلي ، وليس في أشعار هذيل . وقال الدينوري في كتابه النبات وذكر الأب : وقد أنشد شبيل بن عزة بيتاً مفتعلاً نسب إلى أبي داود في وصف حمار وحشي ، وأنشد البيت . وهو مفتعل كما قال وليس لأبي داود . اهـ . قال المازني كما في تهذيب اللغة ٢ / ٢٦٣ أبه : كلؤه . قُرَيَّانه : مجاري الماء إلى الرياض ، الواحد : قري ، قال : تصحب : تُمنع وتحفظ . اهـ .

قال : تصحب : تمنع وتحفظ . قال : وهو من قول الله تعالى : ﴿وَلَا هُمْ مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ ؛ أي يمنعون^(١) .

وعلى هذا ، قوله : ﴿يُصْحَبُونَ﴾ ، من الإصحاب لا من الصحبة .

وقال قتادة : لا يصحبون من الله بخير^(٢) .

وعلى هذا ، ليس الصحبة بمعنى الحفظ ، والمعنى : لا يصحبهم الله خيراً ؛ أي لا يجعل رحمته أو كلاءته صاحباً لهم ، والباء في قوله^(٣) بخير للتورية .

٤٤ . ثم ذكر الله - تعالى - أن هؤلاء اغتروا بطول الإمهال ؛ إذ لم يُعَجَّلُوا بالعقوبة ، فقال : ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ﴾ ؛ يعني أهل مكة متعمهم الله بما أنعم عليهم ﴿حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ فاغترؤا بذلك ، فقال الله تعالى : ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا أَنَا فِي الْأَرْضِ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ .

قال ابن عباس : يعني القرية تخرب حتى يكون [العمران]^(٤) في ناحية منها . قاله في رواية عكرمة^(٥) .

(١) قول المازني في تهذيب اللغة للأزهري ٤/ ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ولسان العرب ١/ ٥٢٠ ، وتاج العروس للزبيدي ٣/ ١٨٨ .

(٢) رواه الطبري ١٧/ ٣٠ ، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٥/ ٦٣٢ .

(٣) يعني في قول قتادة .

(٤) زيادة من الطبري يستقيم بها المعنى .

(٥) رواه الطبري (شاكر) ١٦/ ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، من طريق عكرمة ، عن ابن عباس .

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٦٦٧ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

والمعنى : ألا يرون أننا نخرب القرى بأن ننقص من أطرافها نخرب ما حولها ، أفلا^(١) يخافون أن نفعل ذلك بقريتهم ؟ نخربها بموتهم وهلاكهم^(٢) .

وهذا معنى قول مجاهد وعكرمة ، قالوا : ننقصها من أطرافها بالموت وقبض الناس^(٣) .

يخوفهم بالهلاك بعد طول الإمهال .

وقال الكلبي : نفتح من أطرافها لمحمد^(٤) . وهو قول السدي^(٥) .

وقد أحكمنا هذا القول في آخر سورة الرعد^(٦) .

ثم وبخهم فقال : ﴿ أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ ؛ أي أفتغلبون محمداً^(٧) ؟

(١) في (ت) : (فلا) .

(٢) قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره ١٨٠ / ٣ عند هذه الآية : اختلف المفسرون في معناه ، وأحسن ما فسر به قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأحقاف : ٢٧] والمعنى : أفلا يعتبرون بنصر الله لأوليائه على أعدائه ، وأهلاكه الأمم المكذبة والقرى الظالمة ، وإنجائه لعباده المؤمنين . قال الشنقيطي في أضواء البيان ٥٨٢ / ٤ : ما ذكره ابن كثير - رحمه الله - صواب ، واستقراء القرآن العظيم يدل عليه . وعليه ؛ فالمعنى : أفلا يرى كفار مكة ومن سار سيرهم في تكذيبك يا نبي الله ، والكفر بها جئت به أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها ؛ أي بإهلاك الذين كذبوا الرسل كما أهلكنا قوم صالح وقوم لوط وهم يمزؤون بديارهم ، وكما أهلكنا قوم هود ، وجعلنا سبباً أحاديث ، ومزقتهم كل ممزق ، كل ذلك بسبب تكذيب الرسل والكفر بما جاؤوا به . . . فاحذروا من تكذيب نبينا محمد ﷺ ؛ لئلا ننزل بكم مثل ما أنزلنا بهم .

(٣) قول مجاهد رواه سفيان الثوري في تفسيره ٢٠١ ، وعبد الرزاق في تفسيره ٣٣٩ / ١ ، والطبري ٤٩٦ / ١٦ تحقيق شاكر ، وقول عكرمة رواه عبد الرزاق في تفسيره ٣٣٩ / ١ ، والطبري ٤٩٦ / ١٦ تحقيق شاكر .

(٤) ذكره عنه الرازي في تفسيره ١٧٥ / ٢٢ .

(٥) ذكره عنه السيوطي في الدر المنثور ٦٦٦ / ١ وعزاه لابن أبي حاتم .

(٦) سورة الرعد ٤١ .

(٧) الطبري ٣٢ / ١٧ مع تصرف يسير .

وقيل : أفهم الغالبون أم نحن ؟^(١) بعد أن فتحنا على محمد ما حول مكة .

وهذا معنى قول ابن عباس : يريد بل لي الظفر ، والغلبة^(٢) لأنبيائي ، وحزبي هم الغالبون .

٤٥ . قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ ﴾ الآية . ذكرنا^(٣) أن الإنذار يتعدى إلى مفعولين بغير حرف جر كقوله : ﴿ قُلْ أُنذِرُكُمْ صِغَةً ﴾ [فصلت : ١٣] وقوله : ﴿ أُنذِرْتُكُمْ عَذَابًا ﴾ [النبا : ٤٠] ، وفي تعديته بالباء هاهنا ، قال أبو علي : يجوز أن يكون لما دل على التخويف أجرى مجراه ، تقول : أنذرتك بكذا ، كما تقول : خوفته بكذا^(٤) .

وكذا جاء في التفسير : أخوفكم بالقرآن^(٥) . والمعنى : أنذرتكم بالوحي الذي يوحيه الله إلي لا^(٦) من قبل نفسي . وذلك أن الله أمر بإنذارهم ، كقوله : ﴿ وَأُنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ [الأنعام : ٥١] ﴿ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ﴾ [يس : ٧٠] ، ونحو هذا من أمره بالإنذار . هذا مذهب المفسرين ومعنى قولهم .

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٣ / ٣٠ أ .

(٢) هنا يبدأ الحزم في نسخة (ت) .

(٣) ذكر ذلك عند قوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ [البقرة : ٦] .

(٤) الحجة لأبي علي الفارسي ١ / ٢٥٣ .

(٥) قال الطبري ١٧ / ٣٢ : أخوفكم به بأسى . وذكره البغوي ٥ / ٣٢١ وابن الجوزي ٥ / ٣٥٤ والقرطبي

١١ / ٢٩٢ من غير نسبة لأحد من المفسرين .

(٦) (لا) : ساقطة من (أ) .

وقال أبو علي : ويجوز أن يكون الوحي : الموحى ، فسمى بالمصدر مثل الخلق والصيد ، والموحي ^(١) هو العذاب ، فيكون كقوله : ﴿ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ [النبا : ٤٠] ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ ﴾ تمثيل للكفار ، يعني : كما أن الصُّم لا يسمعون النداء إذا أنذروا شيئاً كذلك هؤلاء في تركهم الانتفاع بما سمعوا ، فالصم : الذين لا يسمعون .

قال أبو إسحاق : الصم هاهنا : المعرضون عما يتلى عليهم من ذكر الله ، فهم بمنزلة من لا يسمع ^(٣) .

وقال أبو علي : هذا على وجه الذم لهم والتفريع بتركهم سمع ما يجب عليهم استماعه والانتهاه إليه ، وقد تقول لمن تُقرِّعه بتركه ما تدعوه إليه : ناديتك فلم تسمع . وقرأ ابن عامر : (وَلَا تُسْمِعُ الصُّم) ^(٤) حمله على ما قبله ، والفعل مسندٌ إلى المخاطب فكذلك قوله : (وَلَا تسمع) مسندٌ إليه ، والمعنى : أنهم معاندون ، فإذا أسمعتهم لم يعملوا ^(٥) بما سمعوه ، ولم ينقادوا له كما لا يسمع الصم ^{(٦)(٧)} .

(١) في الحجة ٢٥٤ / ١ : (والوحي) .

(٢) الحجة لأبي علي الفارسي ٢٥٤ / ١ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٩٣ .

(٤) بالثناء مضمومة وكسر الميم ، (الصم) نصباً . وقرأ الباقون : (ولا يسمع) بفتح الياء والميم ، (الصم) رفعاً .

السبعة ٤٢٩ ، والتبصرة ٢٦٣ ، والتيسير ١٥٥ .

(٥) في (أ) : (يعلموا) ، وهو خطأ .

(٦) في الحجة : (الأصم) .

(٧) الحجة لأبي علي الفارسي ٢٥٥ / ٥ مع تقديم وتأخير .

قال أبو علي : ولو كان كما قال [ابن عامر]^(١) لكان : إذا تنذرهم ، فأما ﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ فحسن أن يتبع ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ﴾ كقراءة العامة^(٢) .

٤٦ . قوله تعالى : ﴿وَلَيْنَ مَسْتَهْمُ نَفْحَةٍ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ . يقال : نفحت الرائحة تنفح نفحاً ونفوحاً ، وله نفحة طيبة ونفحة خبيثة ، ونفحت الدابة إذا رحمت برجلها ، ونفحه بالسيف إذا تناوله شزراً^(٣) ، ونفحه بالمال نفحاً ، وله نفحات من المعروف ؛ أي دفعات^(٤) . هذا معنى النفح في اللغة ، ثم يقال : نفحة الريح ، ونفحة الدم : أول^(٥) فورة منه^(٦) .

قال أبو إسحاق : أي مسهم^(٧) أدنى شيء من العذاب^(٨) .

(١) ساقط من (أ) .

(٢) الحجة ٥ / ٢٥٥ . وليس فيه : كقراءة العامة . انظر : حجة القراءات لابن زنجلة ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، والكشف لمكي ١١٠ / ٢ ، ١١١ .

(٣) في (ع) : (شزراً) .

ومعنى تناوله شزراً ؛ أي تناوله بالسيف من بعيد ومال بطعنه يميناً أو شمالاً فذهب به عن الوجه وأصاب طرفاً منه . انظر : الصحاح (شرز) ٢ / ٦٩٧ ، (نفح) ١ / ٤١٢ ، ولسان العرب (شرز) ٤ / ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

(٤) تهذيب اللغة للأزهري (نفح) ٥ / ١١١ ، ١١٢ منسوباً إلى الليث ، إلا أن فيه (نفح الطيب) بدل (نفحت الرائحة) كما هنا . وهو في العين (نفح) ٣ / ٢٤٩ مع اختلاف يسير جداً .

(٥) في (د) : (أوفورة) ، وفي (ع) : أي فورة ، والصواب ما أثبتنا ، وهو الموافق لما في تهذيب اللغة .

(٦) تهذيب اللغة للأزهري (نفح) ٥ / ١١٣ منسوباً إلى خالد بن جنية من رواية شمر عنه . انظر : الصحاح (نفح) ١ / ٤١٢ ، ٤١٣ ، ولسان العرب ٢ / ٦٢٢ ، ٦٢٣ .

(٧) في (د) و(ع) : (مستمهم) .

(٨) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٩٣ .

وقال المبرّد: النفحة: الدفعة^(١) من الشيء التي دون معظمه. يقال: نفحه نفحة بالسيف للضربة الخفيفة.

وهذا موافق لقول ابن عباس في تفسيره ﴿نَفْحَةٌ﴾ قال: طرف^(٢).

وقال ابن كيسان: قليل^(٣).

وقال ابن جريج: نصيب^(٤). من قولهم: نفحه من ماله إذا أعطاه.

وقال غيره: أي الدفعة اليسيرة^(٥).

ومعنى الآية: لئن أصابهم طرف من العذاب؛ لأيقنوا^(٦) بالهلاك، ودعوا على أنفسهم بالويل، مع الإقرار بأنهم ظلموا أنفسهم بالشرك وتكذيب محمد ﷺ.

٤٧. قوله تعالى: ﴿وَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ القسط معناه في اللغة: العدل^(٧). وذكرنا الكلام فيه عند قوله: ﴿أَلَّا نَقْصُطُوا﴾ [النساء: ٣].

-
- (١) في (د) و(ع): (الوقعة).
 (٢) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٠، والبغوي ٥/ ٣٢١، وابن الجوزي ٥/ ٣٥٤، والقرطبي ١١/ ٢٩٣، وأبو حيان في البحر ٦/ ٣١٦.
 (٣) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٣٠، والقرطبي ١١/ ٢٩٣.
 (٤) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٠، والبغوي ٥/ ٣٢١، والقرطبي ١١/ ٢٩٣، وأبو حيان في البحر ٦/ ٣١٦.
 (٥) ذكره القرطبي ١١/ ٢٩٣ من غير نسبة لأحد. والأقوال المذكورة في تفسيره (نفحة) لا يعارض بعضها بعضاً فهي اختلاف تنوع لا تضاد.
 (٦) في (د) و(ع): (لا يعر)، مهملة.
 (٧) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (قسط) ٨/ ٣٨٨، والصحاح للجوهري ٣/ ١١٥٢، ولسان العرب لابن منظور ٧/ ٣٧٧.

قال الفراء: ﴿الْقِسْطُ﴾ من صفة الموازين وإن كان موحداً ، وهو كقوله^(١) للقوم : أنتم رضا وعدل^(٢) .

وقال^(٣) أبو إسحاق : وقِسْطٌ مثل عدل مصدر يوصف به ، تقول : ميزان قسط ، وميزانان قسط ، وموازين قسط ، والمعنى : ذوات قسط^(٤) .

واختلفوا في ﴿الْمَوَازِينَ الْقِسْطُ﴾ ، فقال الحسن : هو ميزان له كفتان ولسان^(٥) .

وروي أحاديث كثيرة في الميزان الذي يوزن به الأعمال^(٦) ، وذكرنا الكلام في الموازين عند قوله : ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [الأعراف: ٨] .

وقال مجاهد : هذا مثَلٌ ، وإنما أراد بالميزان العدل^(٧) .

(١) عند الفراء ٢/ ٢٠٥ : (كقولك) .

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٠٥ .

(٣) في (أ) : (قال) .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٩٤ مع تصرف يسير .

(٥) ذكره عنه السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٤١٨ وعزه لابن المنذر والألكائي .

(٦) ومن هذه الأحاديث ما رواه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد ، باب ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ١٣/ ٥٣٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «كلمتان جبيتان إلى الرحمن ، خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم» . وما رواه الحاكم في مستدركه ٤/ ٥٨٦ من حديث سلمان رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : «يوضع الميزان يوم القيامة ، فلو وزن فيه السموات والأرض لو سعت . . . الحديث . وقد صححه الحاكم ، ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/ ٦٥٦ .

(٧) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٠ أ بهذا اللفظ . ورواه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٨ ، والطبري ٣٣/ ١٧ .

ونحو هذا روى عن قتادة والضحاك^(١).

قال أبو إسحاق: وهذا سائغ في باب اللغة، إلا أن الأولى أن يتبع ما جاء بالأسانيد الصحاح^(٢).

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾. قال الفراء: في يوم القيامة^(٣).

﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾؛ لا ينقص من إحسان محسن^(٤)، ولا يزداد في إساءة مسيء.

(١) ذكره عن قتادة والضحاك الرازي ١٧٦/٢٢، والقرطبي ٢٩٣/١٤، وأبو حيان في البحر ٣١٦/٦. وذكره عن الضحاك أيضاً الزجاج في معاني القرآن ٣١٩/٢.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣٩١/٢ عند قوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ الآية (٨) من سورة الأعراف. قال القشيري (كما في تفسير القرطبي ١٦٥/٧) معلقاً على قول الزجاج: وقد أحسن في ما قال؛ إذ لو حمل الميزان على هذا فليحمل الصراط على الدين الحق، واللجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمودة، وقد أجمعت الأمة في الصدر الأول على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل. وإذا أجمعوا على منع التأويل وجب الأخذ بالظاهر، وصارت هذه الظواهر نصوصاً. اهـ.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/٢٥٠. وحكى أبو حيان هذا القول عن الكوفيين، قال: ووافقهم عليه ابن قتيبة من المتقدمين، وابن مالك من أصحابنا المتأخرين. اهـ. وعلى هذا، فاللام بمعنى (في)، فيكون المعنى: ونضع الموازين القسط في يوم القيامة. وفي اللام وجهان آخران: أحدهما: قال الزمخشري: مثلها: جئتكم خمس ليال خلون من الشهر. فعلى هذا القول تكون اللام للتوقيت بمعنى (عند)، فيكون معنى الآية: ونضع الموازين القسط عند يوم القيامة.

ثانيهما: أنها على بابها من التعليل، ولكن على حذف مضاف؛ أي لأهل يوم القيامة أو لحساب يوم القيامة. وبه قال الطبري وابن عطية وغير واحد. انظر: الطبري ٣٣/١٧، والمحرم لابن عطية ١٥٨/١٠، والكشاف للزمخشري ٥٧٤/٢، والبحر المحيط لأبي حيان ٣١٦/٦، والدر المصون للسمين الحلبي ١٦٤/٨، ١٦٥، والتحرير والتنوير لابن عاشور ٨٤/١٧، وأضواء البيان للشنقيطي ٥٨٥/٤، ٥٨٦.

(٤) في (ع): (مسيء)، وهو خطأ.

﴿وَإِنْ كَانَ مُثْقَالُ حَبَّةٍ﴾ . قال الزَّجَّاج : وإن كان العمل مثقال حبة^(١) .

وقال أبو علي : وإن كان الظلامه مثقال حبة . قال : وهذا حسن لتقدم قوله :
﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ ، وإذا^(٢) ذكر ﴿تُظْلَمُ﴾ فكأنه ذكر الظلامه ، كقولهم :
من كذب كان شراً له^(٣) .

وقرأ نافع : (وإن كان مثقال حبة) رفعا^(٤) على إسناد الفعل إلى المثقال^(٥) .

ومثقال الشيء ميزانه من مثله^(٦) ، والمعنى : وإن كان قدر ما يزن ﴿حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ .

﴿أَلَيْسَ بِهَا﴾ . قال أبو إسحاق : أي جئنا بها^(٧) . يعني أحضرناها للمجازاة بها .

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٤ .

(٢) في الحجة : (فإذا) .

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي ٥/ ٢٥٦ .

(٤) وقرأ الباقون : (مثقال) نصباً .

السبعة ٤٢٩ ، والتبصرة ٢٦٣ ، والتيسير ١٥٥ .

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي ٥/ ٢٥٦ . فمن رفع (مثقال) جعل (كان) تامة لا تحتاج إلى خبر ، وتكون بمعنى : حصل ووجد ووقع . ويكون (مثقال) فاعلاً لـ (كان) ، والمعنى : وإن حصل للعبد مثقال علل القراءات للأزهري ٢/ ٤٠٧ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ٦١ ، ٦٢ ، والكشف لمكي ٢/ ١١١ .

(٦) تهذيب اللغة للأزهري (ثقل) ٩/ ٨٠ .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٤ .

﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبَ﴾ . قال ابن عباس : أي عالين حافظين^{(١)(٢)} .
 والكلام في الباء التي في ﴿بِنَا﴾^(٣) ذكرناه مستقصى^(٥) .
 قال الزَّجَّاج : موضع الباء رفع^(٦) . المعنى^(٧) : وكفينا حاسيين .
 و﴿حَسِيبَ﴾^(٨) منصوب على وجهين : على التمييز ، وعلى الحال^(٩) .
 وقال السدي في قوله : ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبَ﴾ قال : محصين^(١٠) .
 والحسْبُ في اللغة معناه : العد^(١١) . ومن قال : حافظين عالين ؛ فلأن من
 حسب شيئاً حفظه وعلمه .

-
- (١) (حافظين) : ساقطة من (د) و(ع) .
 (٢) ذكره البغوي ٣٢٢/٥ . ومثله في تنوير المقباس ٢٠٢ .
 (٣) (في) : ساقطة من (أ) .
 (٤) في (د) و(ع) : (البناء) .
 (٥) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء : ٦] .
 (٦) قال ابن جني في سر صناعة الإعراب ١/ ١٤١ : وقوله تعالى : ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبَ﴾ إنما هو : كفى الله ، وكفينا . . . فالباء وما عملت فيه في موضع مرفوع (رفع) بفعله ، كقولك : ما قام من أحد ، فالجار والمجرور في موضع مرفوع بفعله .
 (٧) (المعنى) : ساقط من (د) و(ع) .
 (٨) (حاسيين) : في هامش (أ) .
 (٩) انظر : إملأ ما منَّ به الرحمن للعكبري ١/ ١٦٨ .
 (١٠) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٥/ ٦٣٤ .
 (١١) تهذيب اللغة للأزهري (حسب) ٤/ ٣٢٩ .

٤٨. قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ . قال مجاهد وقتادة :
يعني التوراة التي تفرق بين الحلال والحرام^(١) . ﴿وَضِيَاءَ وَذِكْرًا﴾ من
صفة التوراة . قال الفراء : والواو مقحمة كهي في قوله : ﴿إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءَ
الَّذِي بَيْنَ الْكَوَاكِبِ ۖ وَحِطُّا﴾ [الصافات: ٦-٧] والتقدير : الفرقان ضياء
وذكراً^(٢) . ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ .

والواو عند البصريين لا يجوز أن تزداد ، ولكن هذا كله^(٣) من نعوت التوراة :
الفرقان^(٤) والضياء والذكر ، فعطف بعضها على بعض^(٥) .

قال الزجاج : ﴿وَضِيَاءَ﴾ هاهنا مثل قوله : ﴿فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٦]^(٦) .

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣/ ٤٥٠ عن مجاهد وقتادة لكن وقع عنده فرق فيها بين الحق والباطل . وذكره ابن الجوزي ٥/ ٣٥٤ عن مجاهد وقتادة بمثل رواية الواحدي هنا . وقد روى سفيان في تفسيره ٢٠١ عن مجاهد قال : فرق بين الحق والضلالة . وروى الطبري ١٧/ ٣٤ عن مجاهد قال : الكتاب . وفي تفسير مجاهد ١/ ٤١١ : الفرقان هذا الكتاب . وروى الطبري ١٧/ ٣٤ عن قتادة قال : التوراة حلالها وحرامها ، وما فرق الله بين الحق والباطل .

(٢) ليس هذا نص كلام الفراء في معانيه ٢/ ٢٠٥ ، فإنه قال فيه : (٣/ ٣٠ ب) : (والواو على هذا التأويل مقحمة زائدة كقوله : ﴿إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءَ الَّذِي بَيْنَ الْكَوَاكِبِ ۖ وَحِطُّا﴾ .

(٣) في (د) و(ع) : (كلمة) ، وهو خطأ .

(٤) في (أن) : (والفرقان) ، وهو خطأ .

(٥) هذا مقتبس من كلام الزجاج ، فإنه قال في معانيه ٣/ ٣٩٤ : وعند البصريين أن الواو لا تزداد ولا تأتي إلا بمعنى العطف . انظر في هذه المسألة في : سر صناعة الإعراب ٢/ ٦٤٥ ، والإنصاف في مسائل الخلاف للأباري ٢/ ٤٥٦-٤٦٢ ، ومغني اللبيب لابن هشام ٢/ ٤٧٣ ، ٤٧٤ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٩٥ .

وقال ابن زيد : معنى الفرقان هاهنا : البرهان الذين فرَّق به بين حقه^(١) وباطل فرعون وتلا قوله : ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال : ٤١] ^(٢) .

وهذا مثل قول السدي في ﴿الْفُرْقَانِ﴾ قال : هو النصر الذي أوتي موسى ^(٣) .

(١) عند الماوردي وابن الجوزي بين حق موسى .

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣ / ٤٥٠ ، وابن الجوزي ٣ / ٣٥٥ . لكن ليس عندهما الاستشهاد بالآية . وقد رواه الطبري ١٧ / ٣٤ بنحوه ثم قال : وهذا القول الذي قاله ابن زيد في ذلك أشبه بظاهر التنزيل ؛ وذلك لدخول الواو في الضياء ، ولو كان الفرقان هو التوراة - كما قال من قال ذلك - لكان التنزيل : ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضياء . ثم ذكر الطبري القول الأول الذي حكاه الواحدي عن مجاهد وقتادة ، ثم قال : إن ذلك ، وإن كان الكلام يحتمله ، فإن الأغلب من معانيه ما قلنا ، والواجب أن يوجه معاني كلام الله إلى الأغلب الأشهر من وجوها المعروفة عند العرب ما لم يكن بخلاف ذلك ما يجب التسليم له من حجة خبر أو عقل . ونصر ابن القيم في بدائع الفوائد ٢ / ١٥ هذا القول ، وأيد آخرون قول إن الفرقان هنا التوراة .

قال ابن كثير ٣ / ١٨١ : وجامع القول في هذا أن الكتب السماوية مشتملة على التفرقة بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، والغى والرشاد ، والحلال والحرام ، وعلى ما يحصل نوراً في القلوب وهداية ، وخوفاً وإنابة وخشية . . .

وقال الألوسي ١٧ / ٥٧ : والمراد بالفرقان : التوراة ، وكذا الضياء والذكر ، والعطف كما في قوله : إلى الملك القرم وابن الهمام وليئذ الكتيبة في المزدحم إلى أن قال : والمعنى وبالله لقد آتيناها كتاباً جامعاً بين كونه فارقاً بين الحق والباطل ، وضياء يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية ، وذكراً يتعظ به الناس ويتذكرون . ثم ذكر الألوسي الأقوال الأخرى في معنى الفرقان ، ثم قال عن القول الأول (يعني قول مجاهد وقتادة) : وهو اللائق بتناسق النظم الكريم فإنه لتحقيق أمر القرآن المشارك لسائر الكتب الإلهية لا سيما التوراة في ما ذكر من الصفات .

(٣) ذكره الثعلبي ٣ / ٣٠ ب عن ابن زيد ، وذكره الماوردي ٣ / ٤٥٠ وابن الجوزي ٥ / ٣٥٥ عن الكلبي ، وذكره الرازي ٢٢ / ١٧٨ عن ابن عباس ، ولم أجد من ذكره عن السدي .

وعلى هذا قوله ﴿وَضِيَاءٌ﴾ يعني التوراة أكبر^(١)، استضاءوا^(٢) بها حتى اهتدوا في دينهم، وكأنه قيل: أتيناها البرهان والنصر والضياء، يعني: الكتاب الذي فيه ضياء، ﴿وَذِكْرٌ لِّلْمُنِيفِينَ﴾ كي يذكروه ويعملوا بما فيه ويتعظوا بمواعظه.

وكثير^(٣) مما يقع من الكلام في هذه الآية قد سبق في قوله: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ [البقرة: ٥٣] الآية.

٤٩. وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾؛ أي في الدنيا ولم يروه. والمعنى: يخشون ربهم غائبين عن الآخرة وأحكامها^(٤). ﴿وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ﴾؛ أي من^(٥) أهوالها وعذابها ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون.

٥٠. قوله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ﴾. قال أبو إسحاق: المعنى هذا القرآن ذكر لمن تذكر به، وعظة لمن اتعظ^(٦). ﴿مُبَارَكٌ﴾ تقدم تفسيره في قوله: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢]. ﴿فَأَنتُمْ﴾ [يا أهل مكة]^(٧) ﴿لَهُ مُنْكَرُونَ﴾؛ إياه جاحدون مكذبون.

٥١. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُسْدَهُ﴾. قال مجاهد: هداه^(٨).

(١) هكذا في النسخ جميعها، ولعل الصواب: التي.

(٢) في (أ): (استضاءوا)، وهو خطأ.

(٣) في (د): (وكبير)، وهو خطأ.

(٤) وقيل المعنى: يخافونه ولم يروه. قاله الجمهور. وقيل المعنى: يخافونه في غيبتهم وخلواتهم وحيث لا يراهم أحد. قاله الزجاج، ورجحه ابن عطية، وقال عنه الرازي: وهذا هو الأقرب. انظر: المحرر الوجيز ٥٩/١٠، وابن الجوزي ٣٥٦/٥، والرازي ١٧٩/٢٢.

(٥) (من): ساقطة من (أ).

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٩٥ إلى قوله: ذكر.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٨) رواه سفيان الثوري في تفسيره ٢٠١، ٢٠٢، والطبري ١٦/١٧. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/٦٣٥ بلفظ هديناه. وعزه لابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

ونحوه قال الزَّجَّاجُ^(١)، والفَرَّاءُ^(٢)، واعتبرا^(٣) بقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ [السجدة: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾؛ أي من قبل موسى وهارون^(٤).

وقال^(٥) مجاهد: أي هديناه صغيراً^(٦).

وهذا قول المفسرين^(٧)، واختيار الفَرَّاءِ^(٨) والزَّجَّاجِ^(٩)، قالوا: آتيناه هداة حَدَثًا.

وعلى هذا التقدير: من قبل بلوغة^(١٠).

(١) انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/٣٩٥.

(٢) انظر: معاني القرآن للفَرَّاء ٢/٢٠٦.

(٣) في (أ): (واعتبروا).

(٤) وهذا مروى عن ابن عباس، والضحاك. انظر: زاد المسير لابن الجوزي ٥/٣٥٧، والرازي ٢٢/١٨٠. قال السمين الحلبي في الدر المصون ٨/١٦٧: وهذا أحسن ما قدر به المضاف إليه.

(٥) في (ع): (قال).

(٦) رواه سفيان الثوري في تفسيره ٢٠١، ٢٠٢ بلفظ: هداة صغيراً، ورواه الطبري ١٧/٣٦، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/٦٣٥ وعزاه لابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) انظر: الكشف والبيان للثعلبي ٣/٣٠ ب.

(٨) انظر: معاني القرآن للفَرَّاء ٢/٢٠٦.

(٩) انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/٣٩٥.

(١٠) ذكره ابن الجوزي ٥/٣٥٦ من رواية أبي صالح عن ابن عباس، وحكاه الرازي ٢٢/١٨٠ عن مقاتل.

قال أبو حيان في البحر ٦/٣٢٠ وأبعد من ذهب إلى أن التقدير: من قبل بلوغة، أو من قبل نبوته...
أو من قبل محمد ﷺ؛ لأنها محذوفات لا يدل على حذفها دليل؛ بخلاف: من قبل موسى وهارون، لتقدم ذكرهما وقربه.

يعني : حين كان في السَّرَب^(١) ، ألهمناه الرشد والهدى حتى عرف الحق من الباطل . ﴿وَكُنَّا بِهِ عِلْمِينَ﴾ ؛ أي نعلم^(٢) أنه موضع لإيتاء^(٣) الرشد ، وأنه يصلح للنبوّة^(٤) .

٥٢ . قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾ . [قال أبو إسحاق : (إذ) في موضع نصب . المعنى : آتيناه رشده في ذلك الوقت^(٥)^(٦) الذي قال

(١) السرب (بفتحتين) : حفير تحت الأرض ، وقيل : بيت تحت الأرض . لسان العرب لابن منظور (سرب) ٤٦٦/١ . وما ذكره الواحدي هنا هو كلام الفراء في معانيه ٢٠٦/٢ . وهذا القول معتمد على روايات خلاصتها : أن إبراهيم حين ولد خيف عليه من ملك زمانه وكان ذلك الملك قد أخبره منجموه أن ولداً يقال له إبراهيم يولد في شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا يفارق دين الملك ويكسر الأصنام ، فكان الملك يقتل كل غلام يولد في ذلك الشهر من تلك السنة ، فجعل في سرب ، فبقى في ذلك السرب خمسة عشر شهراً ، ثم قال لأمه أخرجيني ، فلما خرج من ذلك السرب أراه الله ملكوت السموات والأرض ، كما قصه الله في سورة الأنعام . انظر : الطبري ١١/٤٧٤ ، ٤٨٠-٤٨٣ . وهذه الرواية لا صحة لها ، وليس لها ما يعضدها من كتاب أو سنة صحيحة ، بل متلقاة عن بني إسرائيل . قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره ٣/١٨١ : وما يذكر من الأخبار عنه من إدخال أبيه له في السرب وهو رضيع ، وأنه خرج به بعد أيام ، فنظر إلى الكوكب والمخلوقات فتبصر فيها ، وما قصه كثير من المفسرين وغيرهم ، فعامتها أحاديث بنسي إسرائيل ، فما وافق منها الحق بما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقة الصحيحة ، وما خالف شيئاً من ذلك ردناه ، وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة لا نصده ولا نكذبه بل نجعله وقفاً ، وما كان من هذا الضرب منها فقد رخص كثير من السلف في روايته ، وكثير من ذلك مما لا فائدة ولا حاصل له مما ينتفع به في الدين ، ولو كانت فائدته تعود على المكلفين لبيتته هذه الشريعة الكاملة .

(٢) (نعلم) : ساقطة من (د) و(ع) .

(٣) في (أ) : (لاتنا) ، وهو خطأ .

(٤) قال ابن عطية في المحرر ١٠/١٦١ وهذا نحو قوله تعالى : ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام : ١٢٤] .

(٥) الوقت : ساقطة من (د) .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٩٥ إلى هنا . وأما قوله : (الذي . . .) فليس من كلام الزجاج ، بل هو تمة الواحدي . وجوز أبو البقاء العكبري في الإملاء ٢/١٣٤ وتبعه السمين الحلبي في الدر المصون ٨/١٦٧ أن يكون (إذ) منصوباً بـ(رشده) أو (عالمين) أو ينتصب بإضمار أعني أو بإضمار أذكر ؛ أي أذكر وقت . انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/٧٣ ، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٢/٤٨٠ .

لأبيه وقومه^(١) وهم يعبدون الصنم : ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾ يعني :
الأصنام^(٢) .

والتمثال : اسم للشيء المصنوع مُشَبَّهًا بخلق من خلق الله . وجمعه : التماثيل .
وأصله من مَثَّلْتُ الشيء بالشيء ، إذا شَبَّهْتَهُ به^(٣) . واسم ذلك المَثَلُ تمثال^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿الَّتِي أَنْتَهُنَّ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ ؛ أي على عبادتها مقيمون ، فأجابوه بأنهم
وجدوا آباءهم يعبدونها ، فاقتدوا بهم وقلدوهم في عبادتها ، فأجابهم إبراهيم
بأنهم في تقليد الآباء ، وآباءهم^(٥) كانوا في ضلال مبين بعبادة الأصنام . وهذا
الذي ذكرنا معنى

٥٣-٥٥ . قوله : ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾ إلى قوله : ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنْ
اللَّعِينِ﴾ ، يعنون : أجاد أنت في ما تقول محق^(٦) ، أم أنت لاعب مازح ؟

(١) ساقط من (ع) .

(٢) الكشف والبيان للعلبي ٣/ ٣٠ ب ، وعلى هذا ، فاللام في قوله : ﴿لَهَا عَاكِفُونَ﴾ بمعنى (على) ؛
أي عاكفون عليها ، كقوله تعالى : ﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ﴾ [طه : ٩١] . وقيل : اللام لليلة ؛ أي
عاكفون لأجلها . وقيل : اللام أفادت الاختصاص . وقيل : ضَمَّنْ (عاكفون) معنى عابدين ، فلذلك
أتى باللام . واستظهر أبو حيان أن تكون اللام للتعليل . وقال السمين الحلبي : والأولى أن تكون
اللام للتعليل ، وصلة (عاكفون) محذوفة ؛ أي عاكفون لأجلها لا لشيء آخر . الكشف للزمخشري
٢/ ٥٧٥ ، وإملاء ما من به الرحمن للعكبري ٢/ ١٣٤ ، والبحر المحيط لأبي حيان ٦/ ٣٢٠ ، والدر
المصون للسمين الحلبي ٨/ ١٦٨ .

(٣) عند الأزهري ٩٨/ ١٥ : (إذا قدرته به) .

(٤) تهذيب اللغة للأزهري (مثل) ٩٨/ ١٥ .

انظر : الصحاح (مثل) ٥/ ١٨١٦ ، ولسان العرب ١١/ ٦١٣ ، ٦١٤ .

(٥) في (أ) : (آباؤهم) ، وفي (د) و(ع) : (آباءهم) . والعبارة في الوسيط ٣/ ٢٤١ فأجابهم إبراهيم بأنهم
في ما فعلوه وآباءهم كانوا في ضلال مبين . وعند ابن الجوزي ٥/ ٣٥٧ : فأجابهم بأنهم في ما فعلوا
وآباءهم في ضلال مبين .

(٦) في (د) و(ع) : (بحق) .

وهذا جهل منهم إذ تخيلوا المحق لا عباً هازلاً ، فأجابهم إبراهيم بما يزيل تخيلهم ويدلهم على أن المستحق للعبادة هو الله لا الصنم .

٥٦ . وهو قوله تعالى : ﴿ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ؛ أي على أنه ربكم ورب السموات والأرض .

٥٧ . قوله تعالى : ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ ﴾ . معنى الكيد : ضر الشيء بتدبير عليه^(١) ، ﴿ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ ﴾ تنطلقوا ذاهبين .

قال المفسرون : كان لهم في كل سنة مجمع وعيد ، فقالوا لإبراهيم : لو خرجت معنا إلى عيدنا^(٢) أعجبك ديننا^(٣) .

فقال إبراهيم سراً من قومه^(٤) : ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ ﴾ الآية .

هذا قول مجاهد وقتادة قالوا : لم يسمع هذا القول من إبراهيم إلا رجل واحد ، وهو الذي أفشاه عليه^(٥) .

(١) في تهذيب اللغة للأزهري (كيد) ٣٢٧/١٠ : الكيد : التدبير بحق أو باطل . انظر : الصحاح (كيد)

٥٣٣/٢ ، ولسان العرب ٣/٣٨٣ ، ٣٨٤ .

(٢) في (ع) : (دينا) ، وهو خطأ .

(٣) الثعلبي في الكشف والبيان ٣/٣٠ ب بنصه عن السدي . والله أعلم بصحة ذلك .

(٤) في (ع) : (قوطه) .

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/٣٠ ب عن مجاهد وقتادة بنصه . ورواه الطبري ١٧/٣٧ بنحوه

عن مجاهد ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/٦٣٦ وعزاه لابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن جرير

وابن المنذر . وأورده الطبري ١٧/٣٧ بمعناه عن قتادة . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/٦٣٧

وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

وقال الآخرون : لما خرج الناس إلى عيدهم وبقي ضَعْفَى الناس ، قال إبراهيم : ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ﴾ الآية فسمعوها منه ^(١) .

٥٨ . قوله تعالى : ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾ . الْجَذُّ : القطع والكسر للشيء الصلب . والجُذَاذُ : قطع ما كُسِر . الواحدة ^(٢) : جُذَاذَةٌ ^(٣) . وهو مثل الحُطَام والرُّفَات والدُّقَاق ^(٤) .

قال أبو إسحاق : وأبنية كل ^(٥) ما كسر وقطع على فُعال ^(٦) .

وقرأ الكسائي (جِذَاذًا) ^(٧) بكسر الجيم ^(٨) . قال الفراء والزَّجَّاج : وهو جمع جَذِيذ ، مثل : ثَقِيل وثِقَال ، وَخَفِيف وَخِفَاف ^(٩) .

والجذِيز بمعنى : المجذوذ ، وهو المكسور . ويقال للحنطة المطحونة طحنًا غليظًا : جَذِيذ .

(١) هذا كلام السدي ، ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٣٠٣ ب . ورواه الطبري ٣٨ / ١٧ . ورواه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٥ / ٣٦ / أ ، عن ابن مسعود نحو هذا القول ، والله أعلم بصحة ذلك .
(٢) في (أ) : (الواحد) ، وهو كذلك في الوسيط ٣ / ٢٤٢ . وما أثبتناه في (د) و(ع) هو الموافق لما في تهذيب اللغة للأزهري ١٠ / ٤٧٠ .

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (جذذ) ١٠ / ٤٦٩ ، ٤٧٠ منسوباً إلى الليث . ومن قوله (والجذاذ : قطع . . . جذاذة) في العين (جذ) ٦ / ١١ . انظر : الصحاح (جذاذ) ٢ / ٥٦١ ، ولسان العرب ٣ / ٤٧٩ .
(٤) الرفات : هو ما يلي فتفت ، تاج العروس للزبيدي (رفت) ٤ / ٥٢٦ . والدقاق : هو فُتَات كل شيء . القاموس المحيط ٣ / ٢٣٢ .

(٥) في (أ) : (كلما) .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣ / ٣٩٦ .

(٧) في (أ) : (جذاذ) ، وهو خطأ .

(٨) وقرأ الباقر بضمها . السبعة ٤٤ ، والتبصرة ٢٦٤ ، والتيسير ١٥٥ .

(٩) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٠٦ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٣ / ٣٩٦ . انظر : علل القراءات للأزهري ٢ / ٤٠٨ ، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٢ / ٦٣ ، ٦٤ .

قال المفسرون : لما انطلقوا إلى عيدهم رجع إبراهيم إلى بيت الأصنام ، وجعل يكسرهن بفأس في يده ، حتى إذا لم يبق إلا الصنم الأكبر علق الفأس في عنقه ، ثم خرج فذلك قوله : ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾^(١) .

قال أبو إسحاق : أي كَسَّرَ الأصنام إلا أكبرها^(٢) . وهذا قول المفسرين^(٣) .

قال : وجائز أن يكون أكبرها عندهم في تعظيمهم إياه ، لا في الخلقة^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ ؛ أي لكي يرجعوا إلى إبراهيم ودينه وإلى ما يدعوههم إليه بوجوب الحجة عليهم في عبادة ما لا يدفع عن نفسه ، ويتنبهوا^(٥) على^(٦) جهلهم وعظيم خطأهم . ويجوز أن يكون المعنى : ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ ؛ أي ينصرفون من عيدهم ، فيرون الأصنام على تلك الصفة فيتبين لهم ضلالتهم^(٧) .

٥٩-٦٠ . قوله تعالى : ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا﴾ . قال المفسرون : لما رجعوا من عيدهم ، ونظروا إلى آلهتهم وهم جذاذ ، قالوا هذا القول مستفهمين

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٣٠ ب ، ٣١ أ نقلاً عن السدي . وذكره الطبري ١٧/ ٣٨ عن السدي .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٩٦ .

(٣) انظر : الطبري ١٧/ ٣٨ ، ٣٩ ، والدر المنثور ٥/ ٦٣٦ ، ٦٣٧ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٩٦ . قال الرازي ٢٢/ ١٨٣ بعد ذكر الأمرين ويحتمل في الأمرين ، يعني في التعظيم والخلقة .

(٥) في (د) و(ع) : (ويتنبهوا) .

(٦) في الوسيط ٣/ ٢٤٢ : (إلى) .

(٧) وقيل الضمير للصنم الكبير ، أي يرجعون إليه فيسألونه فلا يجيبهم ، فيظهر لهم أنه لا يقدر على شيء . انظر : التسهيل لابن جزي ٣/ ٥٩ . واستظهر ابن عطية في المحرر ١٠/ ١٦٢ أن الضمير لإبراهيم لدخول لعل في الكلام مما يضعف رجوع الضمير للصنم .

عمن صنع ذلك ، ومنكرين عليه بقولهم : ﴿إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ؛ أي فعل ما لم يكن له أن يفعل^(١) .

ويجوز أن يكون (مَنْ) ابتداء وخبره قوله : ﴿إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ، والمعنى : قالوا : فاعل^(٢) هذا ظالم ، فلا يكون في الكلام استفهام^(٣) .

والأول الوجه^(٤) ؛ لأن قول من قال : ﴿سَمِعْنَا فَيَذْكُرُهُمْ﴾ جواب الاستفهام .

ولما قالوا هذا ، قال قائل منهم : أنا سمعت إبراهيم يقول : ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ﴾ . وهذا على قول من قال : سمع قول إبراهيم واحد منهم فأفشاه . وعلى القول الآخر : وقال الذين سمعوا ، وهم الضَّعَفَى : ﴿سَمِعْنَا فَيَذْكُرُهُمْ﴾ . والظاهر هذا القول ؛ لإضافة القول إلى جماعة . ومعنى ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾ ؛ أي بالعيب^(٥) . وقد مر .

﴿يُقَالُ لَهُ إِزْهِيمٌ﴾ . قال أبو إسحاق : يرتفع ﴿إِزْهِيمٌ﴾ على وجهين :

-
- (١) الطبري ٣٩ / ١٧ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣ / ٣١ أ . انظر : الدر المنثور ٥ / ٦٣٦ ، ٦٣٧ .
 (٢) (فاعل) : ساقط من (ع) .
 (٣) وتكون (من) موصولة بمعنى الذي .
 (٤) واستظهره السمين الحلبي في الدر المصون ٨ / ١٧٤ فتكون ﴿مَنْ﴾ استفهامية وجملة ﴿إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ استئنافية لا محل لها من الإعراب . انظر : الإملاء للعكبري ٢ / ١٣٤ .
 (٥) في (أ) : (بالغيب) ، وهو خطأ .

أحدهما : على معنى : يقال له هو إبراهيم^(١) ، وعلى النداء على معنى : يقال له : يا إبراهيم^(٢) .

٦١ . ولما بلغ هذه القصة نمرود^(٣) وأشراف قومه : ﴿ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ ﴾ ؛ أي بالذي يقال له إبراهيم ﴿ عَلَىٰ آعَيْنِ النَّاسِ ﴾ ؛ أي ظاهراً بمرأى من الناس

(١) و﴿إِبْرَاهِيمُ﴾ على هذا الوجه خبر مبتدأ مضمّر . انظر : الإملاء ١٣٤ / ٢ ، والدر المصون ١٧٦ / ٨ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٩٦ . وفي رفع ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾ وجه ثالث ذكره الزمخشري وابن عطية . قال الزمخشري ٢ / ٥٧٦ ، ٥٧٧ بعد ذكر الوجهين اللذين ذكرهما الواحد في هنا : والصحيح أنه فاعل ﴿يُقَالُ﴾ ؛ لأن المراد الاسم لا المسمى . وبين ابن عطية في المحرر ١٠ / ١٦٤ ذلك بقوله - بعد أن ذكر الوجهين : والوجه عندي أنه مفعول ما لم يسم فاعله ، على أن تجعل ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾ غير دال على الشخص ، بل تجعل النطق دالاً على بناء هذه اللفظة ، وهذا كما تقول : (زيد وزن فعل) أو (زيد ثلاثة أحرف) فلم تدل بوجه على الشخص بل دللت بنطقها على نفس اللفظة . فعلى قول الزمخشري وابن عطية يكون التقدير : يقال له هذا القول وهذا اللفظ ، أو يطلق عليه هذا اللفظ ، و﴿إِبْرَاهِيمُ﴾ نائب فاعل لـ ﴿يُقَالُ﴾ .

وقد ذكر أبو حيان في البحر ٦ / ٣٢٤ قول ابن عطية والزمخشري ، وتعقبه بأن هذا مختلف في إجازته بين النحويين ، فمنهم من يميز نصب القول للمفرد مما لا يكون مقتطعاً من جملة ولا مفرداً معناه معنى الجملة ، ولا مصدرأً ولا صفة له بل لمجرد اللفظ نحو : قلت زيداً ، إلى أن قال : ومن النحويين من منع ذلك ، وهو الصحيح ؛ إذ لا يحفظ من لسانهم : قال فلان زيداً وإنما وقع القول في كلام العرب لحكاية الجمل . اهـ . وتعقب الألويسي ١٧ / ٦٤ كلام أبي حيان بقوله : وعندي أن الآية ظاهرة في ما اختاره الزمخشري وابن عطية ، ويكفي الظهور مرجحاً في مثل هذه المطالب .

وقد ذكر ابن عاشور في التحرير والتنوير ١٧ / ٩٩ ، ١٠٠ مسلماً يحصل به التخلص من قول المانعين ، وهو أن (يقال) مضمّن معنى : يُدعى أو يسمى ، فكأن تقدير الآية : سمعنا فتى يذكرهم يُدعى أو يُسمى إبراهيم . قال ابن عاشور : ورفع ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾ على أنه نائب فاعل ﴿يُقَالُ﴾ ؛ لأن فعل القول إذا بُني للمجهول كثيراً ما يُضمّن معنى الدعوة أو التسمية ، فلذلك حصلت الفائدة من تعديته إلى المفرد البحث ، وإن كان شأن فعل القول أن لا يتعدى إلا إلى الجملة أو إلى مفرد أو يسمى إبراهيم ، أي ليس هو من الناس المعروفين . وفي رفع ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾ وجه آخر ذكره أبو البقاء العكبري في الإملاء ٢ / ١٣٤ ، والسمين في الدر المصون ٨ / ١٧٦ : وهو أن ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾ مبتدأ مخدوف الخبر ؛ أي يقال له : إبراهيم فاعل ذلك .

(٣) في (ع) : (نمرود) .

حتى يروه ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ عليه بما قاله فيكون ذلك حجة عليه بما فعل .

وهذا قول الحسن وقتادة والسدي ، قالوا : كرهوا أن يأخذوه بغير بينة^(١) .

وقال ابن إسحاق : لعلمهم يشهدون عقابه وما يصنع به^(٢) ؛ أي يحضرون . وذكر الفراء والزجاج القولين جميعاً^(٣) .

٦٢-٦٣ . فلما أتوا به : ﴿قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِأَهْلِنَا يَتَابِرْهُمْ﴾ الآية . أسند فعله إلى كبير الأصنام الذي لم يكسره ، واختلفوا في وجه هذا ، فالذي عليه المفسرون : أن إبراهيم - عليه السلام - أراد إقامة الحجة عليهم ، فقال : فعل هذا كبيرهم ، غضب من أن تعبدوا^(٤) معه هذه الصغار فكسره ، ورووا عن النبي ﷺ أنه قال : «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات ، كلها»^(٥) في الله . قوله : ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات ٨٩] . وقوله : ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ ، وقوله لسارة : هي أختي^(٦) .

(١) رواه عن قتادة : الطبري ١٧ / ٤٠ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٦١٧ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم . ورواه عن السدي الطبري ١٧ / ٤٠ . وذكره عن الحسن وقتادة والسدي كل من الماوردي في النكت والعيون ٣ / ٤٥١ ، والبيهقي ٥ / ٣٢٤ ، والرازي ٢٢ / ١٨٤ وزاد نسبته لعطاء وابن عباس . قال الألوسي ١٧ / ٦٤ عن هذا القول : والترجي - يعني قوله : ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ - أوفق له .

(٢) رواه الطبري ١٧ / ٤٠ عن ابن إسحاق .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٠٦ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣ / ٣٩٦ . وقد ذكر الرازي ٢٢ / ١٨٤ عن مقاتل والكلبي أنه المراد مجموع الوجهين ، فيشهدون عليه بفعله ويشهدون عقابه .

(٤) في (أ) : (أن يُبد) .

(٥) (كلها) : ساقطة من (د) و(ع) .

(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢ / ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، والبخاري في صحيحه : في كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ ٦ / ٣٨٨ (فتح) ، ومسلم في صحيحه : في كتاب الفضائل ، باب من فضائل إبراهيم الخليل ٤ / ١٨٤٠ . وأبو داود في سننه في كتاب الطلاق ، باب في الرجل =

قالوا : وجائز أن يكون الله أذن له في ذلك ليُوبخ^(١) قومه ويعرفهم خطأهم ، كما أذن ليوسف حين أمر مناديه فقال لإخوته : ﴿إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ﴾ [يوسف : ٧٠]^(٢) ، ولم يكونوا سرقوا شيئاً . هذا مذهب المفسرين في هذه الآية^(٣) .

وأما أهل المعاني ، فإنهم تأولوها على غير هذا الوجه . روي عن^(٤) الكسائي^(٥) أنه كان يقف عند قوله : ﴿بَلْ فَعَلَهُ﴾ ويقول معناه : فعله من فعله ، ثم يبتدىء ﴿كَبُرَهُمْ هَذَا﴾^(٦) .

وقال ابن قتيبة : جعل إبراهيم النطق شرطاً للفعل فقال : فعله كبيرهم هذا إن كانوا ينطقون^(٧) .

يقول لامرأته : يا أختي ٢٩٦/٦ ، والترمذي في جامعه في كتاب التفسير ، سورة الأنبياء ٩/٥ ، ٦ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، مع اختلاف بينهم في بعض الألفاظ . وسبب قول إبراهيم لسارة هي أختي ما رواه الأئمة المتقدم ذكرهم إلا الترمذي ، واللفظ للإمام أحمد ، وهو بقية الحديث . قال : ودخل إبراهيم قرية فيها ملك من الملوك أو جبار من الجبابرة ، فقيس : دخل إبراهيم الليلة بامرأة . قال : فأرسل إليه الملك أو الجبار من هذه معك ؟ أختي . وعند مسلم : إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك ، فإن سألك فأخبريه أنك أختي ، فإنك أختي في الإسلام ، فإني لا أعلم في الأرض مسلماً غيبي وغيرك .

- (١) في (أ) : (لتوبيخ) .
- (٢) ووقع في نسخة (د) : (إنكم سارقون) . وأثبتنا الآية .
- (٣) هذا كلام الطبري في تفسيره ١٧/٤١ ، والثعلبي في الكشف والبيان ٣/٣١ أ . مع اختلاف في بعض الألفاظ . وصحح البغوي ٥/٣٢٥ هذا القول للحديث : (لم يكذب . . .) .
- (٤) (عن) : ساقطة من (أ) .
- (٥) في (د) و(ع) : (قال) ، وهو خطأ .
- (٦) ذكر هذا عن الكسائي الثعلبي ٣/٣١ أ ، والبغوي ٥/٣٢٥ ، وابن الجوزي ٥/٣٦٠ ، وأبو حيان ٦/٣٢٥ ، والقرطبي ١١/٣٠٠ . قال ابن حجر في الفتح ٦/٣٩٢ عن قول الكسائي هذا : ولا يخفى تكلفه .
- (٧) الكشف والبيان للثعلبي ٣/٣١ أ بنصه عن ابن قتيبة وهو في مشكل القرآن ٢٦٨ مع تقديم وتأخير ، وقال الألوسي في روح المعاني ١٧/٦٥ عن قول ابن قتيبة : وهو خلاف الظاهر .

وقوله تعالى: ﴿فَسْأَلُوهُمْ﴾ اعتراض بين الكلامين كما تقول: عليه الدراهم فاسأله إن أقر. والمعنى: إن قدروا على النطق قدروا على الفعل، فأراهم عجزهم عن النطق والفعل. وفي ضمنه: أنا فعلت ذلك^(١). وهذا معنى قول الزجاج^(٢).

وقال غيره: هذا الكلام خرج مخرج الخبر، وليس بمعنى الخبر، إنما هو إلزام يدل على ذلك الحال كأنه قال: بل ما تنكرون أن يكون فعله كبيرهم هذا^(٣). والإلزام قد يكون بلفظ الخبر، والمعنى فيه: من اعتقد عبادتها لزمه أن يثبت لها فعلاً. أي فعله كبيرهم في ما يلزمكم^(٤).

والفراء اختار مذهب المفسرين، وقال: قد أيد الله أنبياءه بأكثر من هذا^(٥). والذين أحالوا أن يكون هذا كذباً تأولوه على ما ذكرنا من الوجوه، وقالوا في قوله لسارة: هي أختي، كانت أخته في الدين، وفي قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾؛ أي معتم بضاللتكم حتى كأني سقيم، وأما ما روي عن النبي ﷺ: أن إبراهيم لم يكذب إلا ثلاث كذبات أراد إلا ثلاث كلمات هن في صورة الكذب في الظاهر، فأطلق عليها اسم الكذب لما أشبهت الكذب في الظاهر، ولم يرد به حقيقة الكذب^(٦).

(١) الكشف والبيان للعلبي ٣/ ٣١ أنبصه.

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٩٧.

(٣) (هذا): ليست في (ع).

(٤) ذكر هذا القول الحاكم في التهذيب ٦/ ١٥١ ب، والطوسي في التبيان ٧/ ٢٢٩، ٢٣٠، والماوردي في النكت والعيون ٣/ ٤٥٢. من غير نسبة لأحد. وذكره بمعناه الزمخشري ٢/ ٥٧٧ قال: ويجوز أن يكون حكاية لما يقود إلى تجويز مذهبهم كأن مثال لهم: ما تنكرون أن يفعله كبيرهم، فإن من حق من يُعبد ويُدعى إلهاً أن يعبد على هذا وأشد منه. وذكره القرطبي ١١/ ٣٠٠ من غير نسبة. وابن جزي ٣/ ٦٠ من غير نسبة. قال: كأنه يقول: إن كان إلهاً فهو قادر على أن يفعل، أو إنه لم يقدر فليس بإله، ولم يقصد الإخبار المحض؛ لأنه كذب.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٠٧.

(٦) نصر هذا القول جماعة من العلماء منهم ابن العربي والقرطبي وابن تيمية وابن القيم. فقد ذكر ابن العربي في أحكام القرآن ٣/ ١٢٦٤، ١٢٦٥ خلاف الناس في ظاهر المقصود به، فذكر أولاً أن =

وأما ما احتجوا به من قوله : ﴿إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ﴾ تأويله : إنكم لسارقون يوسف ، وكانوا قد سرقوه من أبيه حين أخفوه عنه في البئر^(١) .

منهم من قال : هذا تعريض ، وفي المعارض مندوحة عن الكذب ، ثم ذكر أقوالاً أخرى ، ثم قال : والأول أصح ؛ لأنه عدده على نفسه ، فدل على أنه خرج مخرج التعريض ، وذلك أنهم كانوا يعبدونهم ويتخذونهم آلهة من دون الله ، وهم كما قال إبراهيم لأبيه : ﴿لَمْ تَعْبُدُوا مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ . فقال إبراهيم : بل فعله كبيرهم هذا ، ليقولوا : إنهم لا ينطقون ولا يفعلون ولا ينفعون ولا يضررون ؛ فيقول لهم : فلم تعبدونهم ؟ فتقوم الحجة عليهم منهم . ولهذا يجوز عند الأئمة فرض الباطل مع الخصم حتى يرجع إلى الحق من ذات نفسه

قال القرطبي في تفسيره ٣٠٠ / ١١ بعد ذكره للخلاف : كان قوله من المعارض ، وفي المعارض مندوحة عن الكذب ، أي سلوهم إن ينطقوا فإنهم يصدقون ، وإن لم يكونوا ينطقون فليس هو الفاعل . وفي ضمن هذا الكلام اعتراف بأنه هو الفاعل . وهذا هو الصحيح ؛ لأنه عدده على نفسه ، فدل أنه خرج مخرج التعريض .

وقال ابن تيمية في الفتاوى ٢٢٣ / ٢٨ : ولكن تباح عند الحاجة الشرعية المعارض ، وقد تسمى كذب ، لأن الكلام يعني به المتكلم معنى ، وذلك المعنى يريد أن يفهمه المخاطب ، فإذا لم يكن على ما يعنيه فهو الكذب المحض ، وإن كان على ما يعنيه ولكن ليس على ما يفهمه المخاطب فهذه المعارض . وهي كذب باعتبار الأفهام ، وإن لم تكن كذباً باعتبار الغاية السائغة ومنه قول النبي ﷺ : (لم يكذب . . . وهذه الثلاثة معارضة) . وقال : ولهذا نفى عنه النبي ﷺ الكذب باعتبار القصد والغاية كما ثبت عنه أنه قال : الحرب خدعة . وأنه كان إذا أراد غزوة ورى غيرها . ومن هذا الباب قول الصديق : هذا هاد يهديني . وفي غزوة بدر قال النبي ﷺ : «نحن من ماء» . وقال ابن القيم في تعليقه على سنن أبي داود ٢٩٦ / ٢٩٧ : وسمى قول إبراهيم هذا كذباً ؛ لأنه تورية . وقد أشكل على الناس تسميتها كذبة ، لكون المتكلم إنما أراد اللفظ المعنى الذي قصده ، فكيف يكون كذباً ؟ والتحقيق في ذلك : أنها كذبٌ بالنسبة إلى إيهام المخاطب ، لا بالنسبة إلى غاية المتكلم ، فإن الكلام له نسبتان : نسبة إلى المتكلم ، ونسبة إلى المخاطب ، فلما أراد الموري أنه يفهم المخاطب خلاف ما قصده بلفظه أطلق الكذب عليه بهذا الاعتبار ، وإن كان المتكلم صادقاً باعتبار قصده ومراده .

(١) انظر : القرطبي ٢٣١ / ٩ .

وكل هذا تكلف واحتيال مع ورود الخبر بأن إبراهيم كذب ثلاث كذبات ،
ويؤيد هذا حديث الشفاعة المروى في الصحيح^(١) : أن الناس إذا جاؤوا إلى
إبراهيم ليشفع لهم يعتذر بهذه الكذبات .

٦٤ . قوله تعالى : ﴿ فَرَجِعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ ؛ أي تفكروا بقلوبهم ، ورجعوا
إلى عقولهم فقال بعضهم لبعض : ﴿ إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ؛ أي هذا
الرجل في مسألتكم إياه وهذه آهتكم حاضرة فاسألوها^(٢) .

وقيل : أنتم الظالمون بعبادتكم الصغار مع هذا الكبير^(٣) .

وقال عطاء عن ابن عباس : يريد : حيث يُعبد^(٤) من لا يتكلم^(٥) .

فعلى هذا ، معناه أنتم الظالمون أنفسكم بعبادتكم من لا يقدر على الكلام ،
وكأن هذا إقرار منهم على أنفسهم بالكفر ، واقترب من قبول^(٦) حجة إبراهيم .

٦٥ . ثم أدركتهم الشقاوة ، فعادوا إلى كفرهم وهو قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ نَكْسُوا
عَلَى رُءُوسِهِمْ ﴾ . قال الفرّاء : نكسوا نكساً ، ونكس المريض نكساً^(٧) .

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء ٦ / ٣٩٥ .

(٢) تفسير الطبري ١٧ / ٤١ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣ / ٣١١ أ .

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ٣ / ٣١١ أ . وقد ذكره ابن الجوزي ٥ / ٣٦٤ عن وهب بن منبه .

(٤) هكذا في (أ) . وفي (د) : (حب يعبد) . وفي (ع) : (حدث يعبد) ، وفي الوسيط ٣ / ٣٤٣ : (حيث
عبدتم) . ولعل صواب العبارة : حيث تعبدونهم .

(٥) ذكره ابن الجوزي ٥ / ٣٦٤ وأبو حيان في البحر ٦ / ٣٢٥ منسوباً إلى ابن عباس وذكره الرازي
٢٢ / ١٨٦ بمعناه من غير نسبة وقال عنه : وهو الأقرب . وذكره القرطبي ١١ / ٣٠١ بمعناه ، واقتصر
عليه فقال : أي عبادة من لا ينطق بلفظة ولا يملك لنفسه لحظة . وكيف ينفع عابديه ويدفع عنهم
البأس من لا يرد عن رأسه الفأس .

(٦) (قبول) : ساقطة من (د) و(ع) .

(٧) لم أجده في كتاب معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٠ في هذا الموضع ، ولا في مظانه من تفسيره .

وقال الليث : النكس : قلبك شيئاً على رأسه تنكسه ، ونكس في مرضه نُكساً^(١) .

وقال شمر : النكس في أشياء ، ومعناه يرجع إلى قلب الشيء ورده^(٢) وجعل أعلاه أسفله ومقدمه مؤخره^(٣) .

قال المبرّد : ومنه نكس المريض إذا خرج عن مرضه ثم عاد إلى مثله .

وقال ابن شُمَيْل نكست فلاناً في ذلك الأمر ؛ أي رددته فيه بعدما خرج^(٤) . وهذا هو المعنى بالآية .

قال الكلبي : يقول : رجعوا على أمرهم الأول الشرك بالله بعد المعرفة والصدق من قول إبراهيم^(٥) . وهذا معنى قول السدي : نكسوا^(٦) في الكفر^(٧) .

ومعنى قول ابن عباس : نكسوا في الفتنة^(٨) .

والمعنى : ردوا إلى الكفر بعد أن أقروا على أنفسهم بالظلم كما ينكس الذي يرد إلى أمره الأول بعدما خرج منه . وهذا معنى ما جاء في التفسير : أدركت القوم

(١) تهذيب اللغة للأزهري (نكس) ٧٠ / ١٠ منسوباً إلى الليث .

ونُكس : ضبطها الزبيدي في تاج العروس ٥٧٧ / ١٦ الضم والفتح (النكس والنكس) وهو في العين (نكس) ٣١٤ / ٥ مع اختلاف يسير .

(٢) في (د) و(ع) : (رده) ، وغير واضح في (أ) .

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (نكس) ٧١ / ١٠ .

(٤) قول ابن شميل في تهذيب اللغة للأزهري (نكس) ٧١ / ١٠ .

(٥) ذكر الماوردي في النكت والعيون ٤٥٢ / ٣ معناه من غير نسبة لأحد .

(٦) (نكسوا) : ساقطة من (د) و(ع) .

(٧) روى الطبري ٤٢ / ١٧ عن السدي قال : في الفتنة .

(٨) رواه الطبري ٤٢ / ١٧ عن السدي كما تقدم . ولم أجد من ذكره عن ابن عباس .

حيرة^(١). أي إنهم حاروا في الأمر فلم يهتدوا، وعادوا إلى التهادي في كفرهم .
وقال الفرّاء : رجعوا عن قولهم عندما عرفوا من حُجة إبراهيم^(٢) .

يعني : أنهم عرفوا حجة إبراهيم فأقروا على أنفسهم بالظلم ، ثم رجعوا عن ذلك ، وعادوا لكفرهم^{(٣)(٤)} . هذا الذي ذكرنا معنى أحد القولين في ﴿ثُمَّ نَكُسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ ، وهو موافق لقول ابن عباس في تفسير ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ .

القول الثاني في ﴿ثُمَّ نَكُسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ : أنهم طأطؤا رؤوسهم خجلة من إبراهيم حيث ظهرت^(٥) حجته . وحكى^(٦) الكلبي أيضاً هذا القول^(٧) . واختاره بعض أهل المعاني فقال : نكسوا رؤوسهم خجلة . ويقال لمن أطرق : نكس بصره ونكس رأسه . ومنه قول الفرزدق :

وَإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأْيَتَهُمْ
خُضَعَ الرِّقَابُ نَوَاسِ الْأَبْصَارِ^(٨)

(١) رواه الطبري ٤٢/١٧ عن قتادة . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦٣٧/٥ عن قتادة ، وتحذف (حيرة) إلى (غيره) ، وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢٠٧/٢ .

(٣) في (د) و(ع) : (إلى كفرهم) .

(٤) تعقب الطبري ٤٢/١٧ هذا القول بعد ذكره عن بعض أهل العربية -يعني الفرّاء- فقال : وأما قول من قال من أهل العربية ما ذكرنا عنه ، فقول بعيد عن المفهوم ، لأنهم لو كان رجعوا عما عرفوا من حجة إبراهيم ما احتجوا عليه بما هو حجة له ، بل كانوا يقولون له : لا نسألكم ، ولكن نسألك فأخبرنا من فعل ذلك ، وقد سمعنا أنك فعلت ذلك . ولكن صدقوا القول فقالوا : ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ وليس هذا رجوعاً عما كانوا عرفوا ، بل هو إقرار به .

(٥) في (ع) : (أظهرت) ، وهو خطأ .

(٦) في (أ) : (حكى) .

(٧) ذكره الزخشي في الكشف ٥٧٧/٢ ، والرازي ١٨٦/٢٢ ، والقرطبي ٣٠١/١١ ، وأبو حيان ٣٢٥/٦ من غير نسبة لأحد .

(٨) البيت في ديوانه ٣٠٤/١ ، الكتاب ٦٣٣/٣ ، والكامل للمبرّد ٥٧/٢ ، ٥٨ ، وتهذيب اللغة للأزهري (نكس) ٧٢/١٠ ، والخزانة للبغداد ٢٠٤/١ ، ٢١١ .

وهو من قصيدة يمدح بها آل المهلب . ويزيد المذكور في البيت هو ابن المهلب ابن أبي صفرة ، أحد =

يعني : مطرقين مطأطئي الرؤوس . وكذلك من خجل واستحيا أو خزي وافتضح .

والقول هو الأول . ولو فعلوا هم ذلك خجلاً لقليل : ثم نكسوا رؤوسهم ، فلما قيل : نكسوا على رؤوسهم ، على الفعل الذي لم يسم فاعله ، ظهر أن المعنى : رُدوا على ما كانوا عليه من أول الأمر .

وفيه إثبات للقضاء والقدر ، وهو أن الله فعل ذلك بهم للشقاوة التي أدركتهم .

وقوله تعالى : ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ فيه إضمار القول ؛ أي فقالوا لإبراهيم : ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾^(١) .

قال ابن عباس : لقد علمت أن هذه الأصنام لا تتكلم^(٢) .

قال الزَّجَّاج : اعترفوا بعجز ما يعبدونه عن النطق^(٣) .

شجعان العرب وكرمائمهم ، كان والياً على خراسان ، ثم صار أمير العراقيين بعد موت الحجاج ، كان جواداً ممدحاً كثير الغزو والفتوح . توفي مقتولاً في صفر سنة ١٠٢ هـ .

العبر للذهبي ٩٣ / ١ ، وخزانة الأدب للبغداد ٢١٧ / ١ .

وقوله (خضع) : قال البغداد ٢١١ / ١ (خضع) بضمين : جمع خضوع ، مبالغة خاضع من الخضوع وهو التظامن والتواضع ، . . . ويحتمل أن يكون (خُضِعَ) بضممة فسكون جمع أخضع ، وهو الذي في خلقه تظامن ، وهذا أبلغ من الأول ؛ أي ترى أعناقهم إذا رأوه كأنها خلقت متظامنة من شدة تذللهم اهـ .

(١) ذكر أبو حيان ٣٢٥ / ٦ ، والسمين الحلبي ١٧٩ / ٨ أن قوله : ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ جواب قسم محذوف ، والقسم وجوابه معمولان لقول مُضْمَر ، وذلك القول المُضْمَر حال من مرفوع ﴿نُكْسُوا﴾ ، والتقدير ؛ أي نكسوا قائلين : والله لقد علمت .

(٢) تقدم نحو هذا عن ابن عباس في قوله : ﴿فَتَلَوُْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣ / ٣٩٧ .

وقال الفرّاء : العلم بمنزلة اليمين ، ولذلك لقي بما يلقي به اليمين ، كقوله ^(١) :
والله ما أنت بأخينا . قال : ولو أدخلوا ^(٢) (أن) قبل (ما) ف قيل : لقد علمت أن ما
فيك خير ، [كان صواباً] ^(٣) ^(٤) .

وذكرنا أن العلم يقع بمنزلة اليمين في قوله : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾
[البقرة: ١٠٢] الآية .

٦٦ . فلما اتجهت الحجة عليهم بإقرارهم إبراهيم فقال : ﴿أَفَتَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً﴾ . قال السدي : يقول لا يرزقكم ولا
يعطيكم شيئاً ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ . قال : يقول : إذا لم تعبدوها لم يضركم .
وهذا معنى قول الكلبي : لا ينفعكم إن عبدتموه ، ولا يضركم إن
تركتموه ^(٥) .

وفي هذا حث على عبادة من يملك النفع بالثواب إذا عبد ، والضر بالعقاب
إذا لم يعبد ، وهو الله تعالى .

(١) عند الفرّاء : كقول القائل .

(٢) عند الفرّاء : ولو أدخلت العرب .

(٣) ساقط من (د) و(ع) .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢٠٧ مع تصرف .

(٥) مثله في تنوير المقباس ٢٠٣ .

٦٧. ثم حَقَّرْهُمْ وَحَقَّرْ مَعْبُودَهُمْ^(١)، فقال: ﴿أَفِي لَكُمْ﴾؛ أي^(٢) نَتَنَّا لَكُمْ^(٣) ﴿وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾. وذكرنا الكلام في (أف) في سورة سبحان^(٤).

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. قال ابن عباس: يريد العقل بعينه^(٥). يعني: أليس لكم عقل فتعلموا أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة؟ فلما لزمته الحجة، وعجزوا^(٦) عن الجواب، غضبوا.

٦٨. فقالوا: ﴿حَرِّقُوهُ﴾. قال الكلبي: قال ملكهم نمرود: حرقوه بالنار^(٧) ﴿وَأَنْضُرُوا إِلَهَتَكُمْ﴾.

وقال مجاهد: تلوت هذه الآية على عبد الله بن عمر، فقال^(٨): هل تدري يا مجاهد^(٩)، من أشار بتحريق إبراهيم بالنار؟ قال: قلت: لا. قال: رجل من

(١) في (د) و(ع): (معبودهم).

(٢) (أي): زيادة من (د) و(ع).

(٣) هذا تفسير الزَّجَّاج في معانيه ٣/٣٩٨.

قال الطبري ١٧/٤٢ ﴿أَفِي لَكُمْ﴾؛ أي قبحاً لكم وللآلهة التي تعبدون من دون الله. وقال الزنجشري (أف) ٥٧٧/٢ صوت إذ صوت له عُلم أن صحابه متضجر. أضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل، فتأفف بهم.

(٤) انظر: البسيط: [الإسراء: ٢٣].

(٥) ذكر هذا المعنى أبو حيان في البحر ٦/٣٢٦ ولم ينسبه لأحد، حيث قال: ثم نبههم على ما به يدرك حقائق الأشياء، وهو العقل فقال ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

(٦) (وعجزوا، غضبوا): ساقطتان من (د) و(ع).

(٧) حكى هذا القول من غير نسبة لأحد البغوي ٥/٣٢٦، والزنجشري ٢/٥٧٨ والرازي ٢٢/١٨٧، وقال عنه: إنه المشهور، والقرطبي ١١/٣٠٣.

(٨) في (د) و(ع): (قال).

(٩) في (أ): (محمد)، وهو خطأ.

[أعراب فارس]^(١) قال : قلت : يا أبا عبد الرحمن ، وهل للفرس من أعراب ؟ قال نعم ، الكرد ، هم أعراب^(٢) فارس ، فرجل منهم هو الذي أشار بتحريق إبراهيم بالنار^(٣)(٤) .

وقوله تعالى : ﴿وَأَنْصُرُوا آلَ الْهَتَكُمُ﴾ ؛ أي بتحريق إبراهيم ؛ لأنه يعيبها ويطعن عليها ، فإذا حرقتموه كان ذلك^(٥) نصراً منكم إياها . ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ . قال ابن إسحاق^(٦) : إن كنتم ناصريها ؛ أي لا تنصروها منه إلا بالتحريق بالنار^(٧) .

قال ابن عباس : ففعلوا ذلك ، وألقوه في الجحيم ، ثم نجاه الله منها ، ووقاه حرها ، وهو :

-
- (١) في النسخ جميعها : (من الأعراب) . والتصحيح والزيادة من الطبري ؛ ليستقيم بذلك المعنى .
 (٢) في (د) و(ع) : (أكراد) ، وهو خطأ .
 (٣) (بالنار) : ساقطة من (ع) .
 (٤) رواه الطبري ٤٣ / ١٧ قال : حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثني محمد بن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد ، قال : تلوت . . . فذكره .
 وإسناد هذا الأثر ضعيف جداً ، لعل منها :
 أولاً : ابن حميد هو محمد بن حميد الرازي ، ضعيف ، التقريب ١٥٦ / ٢ .
 ثانياً : سلمة : هو ابن الفضل صدوق ، كثير الخطأ ، التقريب ٣١٨ / ٢ .
 ثالثاً : محمد بن إسحاق مدلس .
 رابعاً : ليث ابن أبي سليم : ضعيف .
 (٥) (ذلك) : في حاشية (ع) . . . وعليها علامة التصحيح .
 (٦) في (د) و(ع) : (أبو إسحاق) ، وهو تصحيف . والصواب : ما في (أ) ؛ لأن هذا كلام ابن إسحاق كما سيأتي تخريجه ، وليس هذا النص موجوداً في معاني القرآن للزجاج .
 (٧) رواه الطبري ٤٣ / ١٧ عن ابن إسحاق .

٦٩. قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَنْتَارُ كُوفِي بَرْدًا﴾ . قال السدي : وكان جبريل هو الذي ناداها^(١)(٢) . فقال : ﴿يَنْتَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ ؛ أي ذات برد وسلامة .

قال ابن عباس : لو لم يتبع بردها (سلاماً) لمات إبراهيم من بردها^(٣) .

قال المفسرون : لما انتهى إبراهيم إلى النار أخذت الملائكة بضبعيه^(٤) فأقعدهوه على الأرض ، فإذا عين ماء عذب ، وورد أحمر ونرجس ، وأنزل الله زربية^(٥) من الجنة فبسطت في الجحيم ، وما أحرقت النار من إبراهيم ، إلا وثاقه ، وبعث الله إليه جبريل مع قميص من حرير الجنة ، وقال له : يا إبراهيم إن ربك يقول : أما علمت أن النار لا تضر أحبابي^(٦) .

(١) في (د) و(ع) : (ناداه) ، وهو خطأ .

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٢٢ أ . ورواه الطبري ١٧/ ٤٤ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٣٩ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم . قال أبو حيان في البحر ٦/ ٣٢٨ : والظاهر أن القائل ﴿قُلْنَا يَنْتَارُ﴾ هو الله تعالى . وقال الرازي ٢٢/ ١٨٨ ، وهو قول الأكثرين : إن القائل هو الله تعالى ، وهو الأليق الأقرب بالظاهر .

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٣١١ أ . ورواه الطبري ١٧/ ٤٤ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٤٠ وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم . وهذه الرواية عن ابن عباس منقطعة ؛ لأنها من رواية السدي عن ابن عباس ، والسدي لم يلق ابن عباس . وسيأتي نحوه عن علي رضي الله عنه . وهي رواية ضعيفة كما سيأتي تقريره .

(٤) بضبعيه ؛ أي بعضديه واحدها : ضبع . انظر : الصحاح (ضبع) ٣/ ١٥٤٧ .

(٥) زَرَبِيَّةٌ : بفتح الزاي وقيل : تكسر وتضم أيضاً ، وسكون الراء : واحدة زرابي ، والزربية : البساط ، وقيل : كل ما بسط واتكئ عليه ، وقيل : الطنفسة . انظر : لسان العرب (زرب) ١/ ٤٤٧ ، وتاج العروس للزبيدي (زرب) ٣/ ١٢ .

(٦) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٣١١ أ بتصرف ، وهو مجموع من كلام السدي وكعب الأحبار ومحمد بن إسحاق بن يسار . انظر : الطبري ١٧/ ٤٤ ، ٤٥ .

قال ابن عطية في المحرر ١٠/ ١٦٩ : وقد أكثر الناس في قصص حرق إبراهيم ، عليه السلام ، وذكروا مدة بقاءه في النار وصورة بقاءه فيها مما رأيت اختصاره هنا لقلة صحته ، والصحيح من ذلك أنه ألقى في النار فجعلها الله - تعالى - عليه برداً وسلاماً ، فخرج منها سالماً ، فكانت أعظم آية .

وقال علي - رضي الله عنه - في قوله : ﴿كُونِي بَرْدًا﴾ قال : بردت حتى كادت تقتل^(١) ، فقال : (كوني سلاماً) لا تؤذيه^(٢) .

٧٠ . قوله تعالى : ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ ؛ يعني التحريق بالنار ، ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ﴾ ؛ أي الأخسرين أعمالاً .

قال ابن عباس : وهو^(٣) أن الله سلط البعوض على نمروذ وخيله حتى أخذت^(٤) لحومهم وشربت دماءهم ، فرأى عظام أصحابه وخيله تلوح ، ووقعت واحدة في دماغه حتى أهلكته^(٥) .

والمعنى : أنهم كادوه بسوء فانقلب عليهم ذلك .

-
- (١) عند الطبري : تقتله .
 (٢) رواه سفيان الثوري في تفسيره ٢٠٢ ، والطبري في تفسيره ١٧ / ٤٤ من طريق الأعمش ، عن شيخ ، عن علي بن أبي طالب . وفي سنده مجهول . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٦٤١ وعزاه للفرجاني وابن أبي شيبة وابن جرير .
 (٣) في (د) و(ع) : (هو) .
 (٤) عند القرطبي ١١ / ٣٠٥ ، والأظهر أنه نقله عن الواحدي : أكلت .
 (٥) ذكره القرطبي ١١ / ٣٠٥ منسوباً إلى ابن عباس . وذكره البغوي ٥ / ٣٢٩ ، وابن عطية ١٠ / ١٧٠ ، وابن الجوزي ٥ / ٣٦٨ من غير نسبة لأحد . والأظهر في معنى (الأخسرين أعمالاً) ما قاله ابن عطية والزمخشري وابن عاشور : قال ابن عطية ١٠ / ١٧٠ : وكانوا في خسارة من كفرهم وغلبته لهم . وقال الزمخشري ٢ / ٥٧٨ : فأرادوا أن يكيدوه ويمكروا به ، فما كانوا إلا مغلوبين مقهورين . غالبوه بالجدال فغلبه الله ولقنه بالمكنة ، وفزعوا إلى القوة والجبروت فنصره وقواه . وقال ابن عاشور ١٧ / ١٠٧ : أي فخابوا خيبة عظيمة ، وذلك أن خيبتهم جمع لهم بها سلامة إبراهيم من أثر عقابهم ، وأن صار ما أعدوه للعقاب آية وتأييداً لإبراهيم عليه السلام .
 ذكر الألوسي ١٧ / ٧٠ نحو قول الزمخشري ، ثم ذكر قول ابن عباس من غير نسبة ، ثم قال : والمعول عليه التفسير الأول .

٧١. قوله تعالى : ﴿ وَنَجِّنَاهُ ﴾ ؛ أي من نمرود وكيده . ﴿ وَلَوْطًا ﴾ وهو ابن أخ إبراهيم ، وكان قد آمن به ، وهاجر من أرض العراق إلى أرض الشام ، فذلك قوله تعالى : ﴿ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ ؛ أي بالخصب وكثرة الأشجار والثمار والأنهار ، ومنها بعث أكثر الأنبياء ^(١) .

وقال أبي بن كعب : سماها مباركة ؛ لأنه ما من ماء عذب إلا وينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس ^(٢) .

ومعنى البركة : ثبوت الخير النامي ^(٣) .

وروى العوفي عن ابن عباس ﴿ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ قال : هي مكة ونزول إسماعيل بها ^(٤) . والمفسرون كلهم على أنها الشام ^(٥) .

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٣٢ ب .

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٣٢ ب . وبنحوه رواه الطبري ١٧/ ٤٦ من طريق الحسين بن واقد ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية عن أبي رضي الله عنه ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٤٢ وعزاه لابن أبي حاتم فقط . وفي سند الطبري الحسين بن واقد وهو ضعيف وله أوهام . انظر : تقريب التهذيب ١/ ١٨٠ ، ٢٤٣ . والخبر مُتْلَقٌ عن أهل الكتاب ، والله أعلم . وقال ابن عطية في المحرر ١٠/ ١٧٢ ، لما ذكر هذا الأثر وهذا ضعيف .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (برك) للأزهري ١٠/ ٢٣٠ ، ٢٣١ ، والصحاح للجوهري ٤/ ١٥٧٥ ، والمفردات للراغب الأصبهاني ٤٤ .

(٤) ذكره الثعلبي ٣/ ٣٣ من رواية العوفي عن ابن عباس . ورواه الطبري ١٧/ ٤٧ من طريق العوفي عن ابن عباس .

(٥) اختاره الطبري ١٧/ ٤٧ ، وصوبه الثعلبي ٣/ ٣٣ أ .

وقوله تعالى: ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ (إلى) من صلة (نجيناه)^(١) يعني^(٢): نجيناه ولو طأ فخرجا إلى الأرض^(٣).

٧٢. قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾ يعني حين سأل ولداً فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ فاستجاب الله دعاءه، ووهب له إسحاق ولداً.

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾؛ النافلة: اسم على فاعلة، ليس له فعل، وهو كالنفل. ومعناه: الزيادة [على الأصل]^(٤)^(٥). ذكرنا^(٦) ذلك عند قوله: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ [الأنفال: ١] وقوله: ﴿نَافِلَةً لَكَ﴾ [الإسراء: ٧٩].

والنافلة ولد الولد؛ لأن الأصل كان الولد [فصار ولد الولد]^(٧) زيادة على الأصل^(٨).

قال ابن عباس: نَفْلُهُ يعقوب. يريد: زيادة، زاده يعقوب من إسحاق^(٩).

(١) (نجيناه): ساقط من (أ).

(٢) في (د) و(ع): (أي).

(٣) يريد المؤلف أن قوله: ﴿وَيَجْعَلُكَ﴾ مُضْمَنٌ لمعنى أخرجه بالنجاة، فلما ضُمن معنى أخرج تعدى ﴿وَيَجْعَلُكَ﴾ بحرف الجر (إلى). ذكر هذا الوجه أبو حيان ٦/٣٢٩، والسمين ٨/١٨٠.

وذكر أبو حيان احتمالاً آخر وهو أن حرف الجر (إلى) يتعلق بمحذوف في موضع الحال من الضمير في ﴿وَيَجْعَلُكَ﴾؛ أي ونجيناه مُتَهَيِّأً إلى الأرض. ولا تضمين في ﴿وَيَجْعَلُكَ﴾ على هذا القول. انظر: الدر المصون ٨/١٨٠، ١٨١.

(٤) ساقط من (د) و(ع).

(٥) تهذيب اللغة للأزهري (نفل) ١٥/٣٥٥ بنحوه. انظر: الصحاح للجوهري (نفل) ٥/١٨٣٣، ولسان العرب لابن منظور ١١/٦٧١، ٦٧٢، وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ٥/١٠٩.

(٦) في (د) و(ع): (وذكرنا).

(٧) ساقط من (أ).

(٨) تهذيب اللغة للأزهري (نفل) ١٥/٣٥٦ بنصه.

(٩) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/١٣٣ عن ابن عباس. وقد رواه الطبري ١٧/٤٩ بمعناه عن ابن عباس من طريق العوفي.

وهذا قول أبي بن كعب ، وقتادة ، وابن زيد^(١) ، قالوا : سأل واحداً فأعطاه الله يعقوب زيادة على ما سأل .

فعلى هذا ، النافلة يعقوب خاصة ، ومعناها الزيادة على الأصل .

وقال آخرون : معنى النافلة هاهنا العطية ، وكل عطية تبرع بها معطيها فهي نافلة .

وهذا مذهب مجاهد وعطاء في هذه الآية ، قالوا : معنى النافلة العطية ، وإسحاق ويعقوب كانا جميعاً من عطاء الله تعالى^(٢) .

وعلى هذا ، النافلة لا يختص بيعقوب . والأكثر على القول الأول . وهو اختيار الفراء والزجاج .

[قال الفراء : النافلة : يعقوب خاصة ؛ لأنه ولد الولد^(٣) . ونحو هذا قال الزجاج]^{(٤)(٥)} .

(١) ذكره عنهم الثعلبي ٣/ ٣٣٣ . ورواه الطبري ٤٨/ ١٧ عن قتادة وابن زيد .

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٣٣٣ بنصه ، عن مجاهد وعطاء . وقد رواه عن مجاهد مختصراً الطبري في تفسيره ٤٨/ ١٧ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٤٣ وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم . وعن عطاء رواه سفيان الثوري في تفسيره ٢٠٢ ، والطبري ٤٨/ ١٧ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٠٧ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (د) و(ع) .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٩٨ .

وقال الأزهري في هذه الآية : وهبنا لإبراهيم إسحاق ، وكان كالفرض له ، ثم قال : ﴿وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ فالنافلة يعقوب خاصة ؛ لأنه ولد الولد ؛ أي وهبناه له^(١) زيادة على الفرض له^(٢) .

وعلى هذا القول الحسن والضحاك^(٣) والكلبي ؛ لأنهم قالوا في قوله : ﴿نَافِلَةً﴾ : فضلاً .

قال الكلبي : وهو ولد الولد^(٤) .

ويصح الوقف^(٥) على إسحاق في هذا القول ، ثم يتدئ ﴿وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ على معنى : وزدناه^(٦) يعقوب نافلة .

(١) في النسخ جميعها : (وهبنا له) ، والتصحيح من تهذيب اللغة للأزهري .

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (نفل) ٣٥٦ / ١٥ . وبقية كلامه : وذلك أن إسحاق وهب له بدعائه ، وزيد يعقوب تفضلاً .

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان : ٣ / ٣٣٣ عن الحسن والضحاك .

(٤) روى عبد الرزاق في تفسيره ٢ / ٢٤ عن الكلبي قال : دعا بإسحاق فاستجيب له وزيد يعقوب . قال ابن جزي الكلبي ٣ / ٦٢ واختار بعضهم الوقف على (إسحاق) لبيان المعنى ، وهذا ضعيف ؛ لأنه معطوف على كل قول .

(٥) في (ع) : (الولد) ، وهو خطأ .

(٦) في (أ) : (وزيادته) ، والصواب ما أثبتناه من (د) و(ع) .

واختار أبو جعفر النحاس^(١) القول الثاني وقال : الظاهر^(٢) في العربية أن يكون الثاني معطوفاً على الأول ، داخلاً في ما دخل فيه من غير إضمار فعل^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿وَكُلًّا﴾ يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب^(٤) ﴿جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ ؛ أنبياء عاملين بطاعة الله .

٧٣ . قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً﴾ سبق الكلام في الأئمة عند قوله : ﴿فَقَنَّبُوا أَيْمَةً الْكُفْرِ﴾ [التوبة : ١٢] والمعنى : جعلناهم رؤساء يقتدى

(١) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس ، المصري ، النحوي ، اللغوي ، المفسر ، الأديب . سمع الحديث ، وأخذ عن أصحاب المبرّد كالزجاج وغيره . وصنف تصانيف نافعة منها معاني القرآن ، وإعراب القرآن ، والناسخ والمنسوخ . والقطع والائتناف وغيرها . توفي في ذي الحجة سنة ٣٣٨ هـ . طبقات النحويين واللغويين ٢٣٩ ، ومعجم الأدباء ٤ / ٢٢٤ - ٢٣٠ ، وإنباه الرواة ١ / ١٣٦ - ١٣٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٥ / ٤٠١ ، ٤٠٢ ، والبداية والنهاية ١١ / ٢٢٢ ، وبغية الوعاة ١٥٧ ، وطبقات المفسرين للداودي ١ / ٦٨ - ٧٠ .

(٢) في القطع والائتناف : البين .

(٣) القطع والائتناف للنحاس ٤٧٦ . واختار هذا القول ابن عطية ؛ لأنه أبين . انظر : المحرر ١٠ / ١٧٣ . وقال عنه الرازي ٢٢ / ١٩١ : إنه أقرب ؛ لأنه - تعالى - جمع بينهما ، ثم ذكر قوله : ﴿نَافِلَةً﴾ فإذا صلح أن يكون وصفاً لهما فهو أولى . وقال الطبري ١٧ / ٤٨ : النافلة : الفضل من الشيء يصير إلى الرجل من أي شيء كان كذلك ، وكلا ولديه إسحاق ويعقوب كان فضلاً من الله تفضل به على إبراهيم ، وهبة منه له . وجائز أن يكون عنى به أنه آتاها إياه جميعاً نافلة منه له ، وأن يكون بمعنى أنه آتاها نافلة يعقوب ، ولا برهان يدل على أي ذلك المراد من الكلام ، فلا شيء أولى ، أن يقال في ذلك ، مما قال الله : ووهب الله لإبراهيم إسحاق ويعقوب نافلة .

(٤) تفسير الطبري ١٧ / ٤٩ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣ / ٣٣٣ . وجزم أبو حيان في البحر ٦ / ٣٢٩ أنه ﴿وَكُلًّا﴾ يشمل كل من ذكر : إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب .

قال الشنقيطي في أضواء البيان ٤ / ٥٩٢ : وهو الظاهر .

وما قاله أبو حيان واستظهره الشنقيطي ليس بظاهر ، بل ما ذكره الواحدي - وهو قول الطبري والثعلبي وجماعة المفسرين - هو الأظهر ، لأنه كما قال ابن عاشور ١٧ / ١٠٩ الحديث الأخير فيهم ، وأما لوط ؛ فإنه ذكر على طريق المعية ، وسيخص بالذكر بعد هذه الآية . اهـ .

بهم في الخير ، ﴿يَهْدُونَكَ بِأَمْرِنَا﴾ ؛ يهدون الناس إلى ديننا بأمرنا إياهم بذلك^(١)^(٢) . قال ابن عباس : يدعون إلى عبادة الله^(٣) .

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ . قال ابن عباس : شرائع النبوة^(٤) .

﴿وِإِقَامَ الصَّلَاةِ﴾ . قال الزَّجَّاج : إنما جاز حذف الهاء من إقامة ؛ لأن الإضافة عوض منه ، ولا يجوز - عند^(٥) الأفراد -^(٦) بغير هاء^(٧) .

﴿وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ . قال ابن عباس : مطيعين^(٨) .

٧٤ . قوله تعالى : ﴿وَلَوْطًا ءَاثِنَتْهُ﴾ . انتصب (لوطاً)^(٩) بفعل مُضْمَر تقديره : وآتيناه لوطاً آثيناه .

(١) (بذلك) ساقطة من (د) و(ع) .

(٢) تفسير الطبري ٤٩ / ١٧ .

(٣) نحوه في تنوير المقباس ٢٠٣ .

(٤) ذكره عنه ابن الجوزي ٣٦٩ / ٥ ، وذكره البغوي ٣٣١ / ٥ من غير نسبة .

(٥) (عند) : ليست في (د) و(ع) . وكأنها في (أ) : (عنده) .

(٦) يعني عدم الإضافة .

(٧) عبارة الزَّجَّاج في معاني القرآن ٣ / ٣٩٨ هي : (إقام) مفرد قليل في اللغة ، تقول : أقمت إقامة . فأما (إقام الصلاة) فجائز ؛ لأن الإضافة عوض من الهاء . اهـ . فأنت ترى أن الزَّجَّاج لم يقل : ولا يجوز عند الأفراد لغبرها ، بل قال عن هذا إنه قليل في اللغة . وسيأتي الكلام على هذه المسألة عند قوله تعالى : ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾ [النور : ٣٧] ؛ لأن الواحدي بسط الكلام هناك .

(٨) ذكره القرطبي ٣٠٥ / ١١ من غير نسبة لأحد .

(٩) (لوطاً) : ساقطة من (د) و(ع) .

والنصب هاهنا أحسن من الرفع ؛ لأن قبل (آتيناً) فعل^(١) وهو قوله : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ﴾ وليس كقوله : ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾^(٢) ويجوز أن يكون منصوباً على (واذكر لوطاً) .

وهذا كله قول الفرّاء والزّجاج^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿حُكْمًا﴾ . قال ابن عباس : يريد النبوة^(٤) .

﴿وَجَنَيْنَهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْغَبْثِ﴾ . يعني أهلها ، والقرية سدوم^(٥) ، والمراد بالخبائث إتيان الذكور [في قول ابن عباس والمفسرين^(٦) . وجمعها لإضافتها إلى فاعليها ، وإن كان إتيان الذكور]^(٧) خصلة واحدة من الخبائث .

وقيل : إنه أراد ذلك وسائر ما كانوا يأتونه من المنكرات^(٨) .

ثم ذمهم بقول : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ﴾ .

(١) هكذا في النسخ جميعها : (فعل) ، وفي معاني القرآن للزّجاج ٣/ ٣٩٨ : (فعلاً) .

(٢) النور ١ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ومعاني القرآن للزّجاج ٣/ ٣٩٨ ، ٣٩٩ . انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٧٥ ، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٤٨٠ ، والإملاء للعكبري ٢/ ١٣٥ .

(٤) ذكره الماوردي ٣/ ٤٥٥ منسوباً إلى . . . ، وذكره ابن الجوزي منسوباً إلى ابن عباس ، وذكره الزمخشري ٢/ ٥٧٩ من غير نسبة .

وقيل المراد بـ ﴿حُكْمًا﴾ : حكمة . وقيل : فصل القضاء بين الخصم . قال الشنقيطي ٤/ ٥٩٤ بعد ذكره للأقوال المتقدمة : أصل الحكم : المنع .

فمعنى الآيات : أن الله آتاه من النبوة والعلم ما يمنع أقواله وأفعاله من أن يعتريها الخلل .

(٥) سدوم : بالذال المهملة ، وقيل بالذال المعجمة ، قرية بالشام ، وهي أكبر مدائن قوم لوط . انظر : معجم البلدان ٥/ ٥٣ ، ومراصد الاطلاع ٢/ ٧٠٠ .

(٦) ذكره الماوردي ٣/ ٤٥٥ ، والقرطبي ١١/ ٣٠٩ من غير نسبة .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٨) انظر : الطبري ١٧/ ٤٩ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٢٣٣ .

٧٥. قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾. قال ابن عباس: يريد الجنة^(١).

وقال غيره: أدخلناه في رحمتنا بإنجائنا إياه من القوم السوء وهلاكهم^(٢).

﴿إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ؛ يعني من الأنبياء.

٧٦. قوله تعالى: ﴿وَنُوحًا﴾. منصوب على معنى واذكر نوحاً^(٣) وكذلك من ذكر بعده من النبيين في هذه السورة^(٤). ﴿إِذْ نَادَى﴾ ؛ دعا ربه ، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل إبراهيم ولوط ؛ لأنه كان قبلهما^(٥) ، دعا على قومه بالهلاك فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ﴾ الآية [نوح: ٢٦].

(١) نحوه في تنوير المقياس ٢٠٣. وذكره الزمخشري ٥٧٩/٢ ، والقرطبي ٣٠٦/١١ من غير نسبة ، وذكر

الرازي ١٩٢/٢٢ عن ابن عباس والضحاك أنها قالوا: الثواب. وهو بمعنى ما هنا.

(٢) هذا قول الطبري في تفسيره ٤٩/١٧. قال الشنقيطي ٥٩٥/٤: ﴿فِي رَحْمَتِنَا﴾ شامل لنجاته من

عذابهم الذي أصابهم ، وشامل لإدخاله إياه في رحمته التي هي الجنة ، كما في الحديث الصحيح

«تحتاج الجنة والنار» الحديث ، وفيه: «فقال للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي»

اه. والحديث الذي أشار إلى الشنقيطي رواه البخاري في كتاب التفسير (تفسير سورة ق) ٥٩٥/٨

فتح ، المفسر ومسلم كتاب (الجنة وصفة نعيمها وأهلها) ٢١٨٦/٤.

(٣) (نوحاً) ساقطة من (أ).

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٩٩ مع اختلاف يسير. وفي نصب (نوحاً) وجه آخر: وهو أنه معطوف على

(لوطاً) فهو مشترك معه في عامله الذي هو (آتيناً) المفسر بـ(آتيناه) الظاهر ، وكذلك (داود وسليمان) ،

والتقدير: ونوحاً آتيناه حكماً ، وداود وسليمان آتيناهما حكماً. الإملاء للعكبري ١٣٥/٢ ، والدر

المصون ٨٤/٨ ، ١٨٥.

(٥) قال ابن عاشور في التحرير والتنوير ١٧/١١٣: وفائدة ذكر هذه القبلية التنبيه على أن نصر الله أنبياءه

سنته المرادة له ، تعريضاً بالتهديد للمشركين المعاندين ليتذكروا أنه لم تشذ عن نصر الله رسله شاذة ولا

فاذة.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَجَئْنَاهُ وَآهْلَهُ﴾ ؛ يعني من كان معه في سفينته ، ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ . قال ابن عباس : يريد الغرق وتكذيب قومه له ^(١) .

٧٧ . قوله تعالى : ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾ ؛ أن منعناه منهم أن يصلوا إليه بسوء .
و(من) في قوله : ﴿مِنَ الْقَوْمِ﴾ ^(٢) من صلة معنى النصر ^(٣) .

قال المبرّد : وكأن تقديره : ونصرناه من مكروه القوم ^(٤) .

وقال أبو عبيدة (من) بمعنى على ^(٥) . والأول الوجه .

(١) ذكره البغوي ٣٣١/٥ ، وابن الجوزي ٣٧٠/٥ ، والرازي ١٩٣/٢٢ منسوباً إلى ابن عباس . وقال الرازي عن هذا القول ، بعد ذكره لثلاثة أقوال في الكرب أولهما : أنه الغرق ، وثانيهما : أنه تكذيب قومه له ، وثالثهما : أنه مجموع الأمرين ، وعزاه لابن عباس وهو الأقرب ؛ لأنه - عليه السلام - كان قد دعاهم إلى الله - تعالى - مدة طويلة ، وكان ينال منهم كل مكروه ، وكان الغم يتزايد بسبب ذلك ، وعند إعلام الله - تعالى - إياه أنه يغرقهم وأمره باتخاذ الفلك كان أيضاً على غم وخوف من حيث إنه لم يعلم من الذي يتخلص من الغرق ومن الذي يغرق ، فأزال الله عنه الكرب العظيم بأن خلصه من ذلك كله وخلص من آمن معه جميعهم .

وعلى الوجه الثاني اقتصر ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره ١٨٥/٣ .

(٢) (من القوم) ساقطة من (د) و(ع) .

(٣) وعلى هذا الوجه ، (نصرناه) ضمن معنى منعناه ، وقدره بعضهم بـ(عصمناه أو أنجيناها) ، ولما ضمن هذا المعنى عدي تعديته ، فعدى بـ(من) . انظر : البحر المحيط لأبي حيان ٦/٣٣٠ ، والدر المصون للسمين الحلبي ٨/١٨٤ ، وأضواء البيان للشنقيطي ٤/٥٣٠ . قال ابن عاشور ١٧/١١٣ وهو أبلغ من تعديته بـ(على) ؛ لأنه يدل على نصر قوي تحصل به المنعة والحماية فلا يناله العدو بشيء ، وأما نصره عليه ؛ فلا يدل إلا على المدافعة والمعونة . اهـ .

(٤) ذكره الرازي ٢٢/١٩٤ عن المبرّد .

(٥) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/٣٣ ، ولم أقف عليه في مجاز القرآن .

وقوله تعالى: ﴿فَأَعْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [قال الكلبي]^(١): يعني الصغير والكبير^(٢)، فلم يبق منهم أحد^(٣).

٧٨. قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾. أكثر المفسرين على أن الحرث كان كرمًا قد نبتت عناقيده^(٤).

وهو قول ابن مسعود^(٥)، ومسروق^(٦)، ومعمّر^(٧)، وشريح^(٨)، وابن عباس في رواية عطاء^(٩).

وقال قتادة: كان زرعاً^(١٠).

وقوله تعالى: ﴿إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾؛ أي رعت ليلاً. في قول جميع المفسرين^(١١).

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ع).

(٢) (والكبير): ساقط من (د) و(ع).

(٣) ذكره القرطبي ٣٠٦/١١ من غير نسبة لأحد. انظر: تفسير ابن كثير ١٨٥/٣.

(٤) في (د) و(ع): (عناً قيده).

(٥) رواه الطبري ٥١/١٧، والحاكم ٨٨٥/٢، والبيهقي في السنن الكبرى ١١٨/١٠، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥٤٦/٥، وعزاه لابن جرير وابن مردويه والحاكم والبيهقي في سننه.

(٦) رواه سفيان الثوري في تفسيره ٢٠٥، وعبد الرزاق في تفسيره ٢٦/٢، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥٤٦/٥، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) رواه عبد الرزاق في تفسيره ٢٦/٢.

(٨) رواه الطبري في تفسيره ٥١/١٧، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/٣٣٣.

(٩) ذكره عن ابن عباس البغوي ٣٣١/٥ من غير نص على أنه من رواية عطاء.

(١٠) رواه عبد الرزاق في تفسيره ٢٦/٢، والطبري ٥٠/١٧. وذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/٣٣٣.

قال الطبري ٥١/١٧: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾. والحرث: إنها هو حرث الأرض. وجائز أن يكون ذلك كان زرعاً، وجائز أن يكون غرساً، وغير ضائر الجهل بأي ذلك كان.

(١١) انظر: الطبري ٥١/١٧-٥٣، والدر المنثور للسيوطي ٦٤٦/٥، ٦٤٧.

قال ابن السكيت : النَّفْسُ : أن تنتشر^(١) الغنم بالليل ترعى بلا راع . وقد أنفَسَها صاحبها ، إذا أرسلها بالليل ترعى بلا راع . وهي غنم نُفَّاش^(٢) وَنَفَّاش وَنَفَّش^(٣) ، وأنشد :

فما لها الليلة من إنفَاش^(٤)

- (١) في (أ) : (إذ ينتشر) ، وفي (ع) : (أو ينشر) ، والتصويب من تهذيب اللغة وإصلاح المنطق .
 (٢) (كُرْمَان) . كذا ضبطها الزبيدي في تاج العروس (نفس) ٤٢٢ / ١٧ .
 (٣) بالتحريك كذا ضبطها الجوهري في الصحاح (نفس) ١٠ / ٣ ، والفيروزآبادي في القاموس المحيط (نفس) ٢ / ٢٩٠ . وذكر الزبيدي في تاج العروس (نفس) ٤٢٢ / ١٧ وجهاً آخر وهو : نُفَّش ، كُشَّكَر .
 (٤) هذا الشطر من الرجز في تهذيب اللغة للأزهري ٣٧٧ / ١١ من إنشاد ابن السكيت في رواية الحراني عنه ، وقبله :

أجرس لها يا ابنَ أبي كباش

والشطر المستشهد به ليس في إصلاح المنطق لابن السكيت : ٤١ ، وإنما فيه الشطر الأول :
 أجرس

لكن ذكر الشطرين أبو البقاء العكبري في كتابه المشوف المعلم في ترتيب الإصلاص على حروف المعجم ٧٨٣ / ٢ ، ونسب الرجز لرجل من بني فقعس ، قال : ويقال : هو لمسعود عبد بني الحارث بن حجر الفزاري .

والشطر في التكملة للصاغاني ٣ / ٣٣١ منسوباً لمسعود عبد بني الحارث . وفي تاج العروس (نجش) ١٧ / ٤٠٦ منسوباً لأبي محمد الفقعي ، أو مسعود . ومن غير نسبة في الصحاح (نفس) ٣ / ١٠٢٢ ، واللسان (جرس) ٦ / ٣٦ ، (نفس) ٦ / ٣٥١ ، (نفس) ٦ / ٣٥٨ . وكلام ابن السكيت في تهذيب اللغة للأزهري (نفس) : ١١ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ مع اختلاف في العبارة ، وليس في التهذيب : ونفَاش ونَفَّش . وهو أيضاً في إصلاح المنطق لابن السكيت ٤١ .

وقال الليث : إِبْلُ نَافِشَةٍ وَنَوَافِشُ ، وهي التي تردد بالليل في المرعى ^(١) بلا راعٍ ^(٢) .

وكانت هذه القصة على ما ذكره المفسرون : أن رجلين ^(٣) دخلا على داود ، أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم ، فقال صاحب الحرث : إن هذا ^(٤) انفلتت ^(٥) غنمه ليلاً فوقعت في حرثي ولم ^(٦) تبق منه شيئاً ، فقال ^(٧) : لك رقاب الغنم ، فقال سليمان وهو عنده : أو غير ذلك ؟ ينطلق أصحاب الكرم ^(٨) بالغنم فيصييوا من ألبانها ومنافعها ، ويقوم أصحاب الغنم على الكرم حتى إذا كان كليلة نفشت فيه دفع هؤلاء إلى هؤلاء غنمهم ، ودفع هؤلاء إلى هؤلاء كرمهم ، فقال داود : القضاء ما قضيت ، وحكم بذلك ، فهو قوله : ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ ^(٩) .

(١) في (د) و(ع) : (المراعي) .

(٢) العين (نفش) ٢٦٨/٦ : وإبل نوافش : ترددت بالليل في المراعي بلا راع . وفي مقاييس اللغة لابن فارس (نفش) ٤٦١/٥ : نفشت الإبل : ترددت وانتشرت بلا راع ، وفعلها نفش ، وإبل نفاش ونوافش .

(٣) ذكر ابن عاشور ١١٩/١٧ أن ما ورد في الروايات عن ذكر رجلين ؛ فإنها يحمل على أن الذين حضرا للخصومة هما راعي الغنم وعامل الحرث ، وإلا فإن الغنم كانت لجماعة من الناس كما يؤخذ ذلك من قوله تعالى : ﴿ غَنِمُ الْقَوْمِ ﴾ ، وكذلك كان الحرث شركة بين أناس كما يؤخذ ذلك مما أخرجه ابن جرير من كلام مرة ومجاهد وقتادة ، وما ذكره ابن كثير من رواية ابن أبي حاتم عن مسروق . اهـ . بتصرف .

(٤) (هذا) ساقطة من (ع) .

(٥) في (أ) : (انفلتت) ، وفي (د) : (انقلبت) ، وفي (ع) : (انقلب) مهملة . والتصويب من الكشف والبيان للثعلبي ٣/٣٣ ، فالنص منقول عنه . وانفلتت من الانفلات وهو التخلص من الشيء فجأة من غير تمكث . لسان العرب لابن منظور (فلت) ٦٦/٢ .

(٦) في (د) و(ع) : (فلم) .

(٧) يعني داود عليه السلام .

(٨) الكرم : العنب . الصحاح للجوهري (كرم) ٢٠٢٠/٥ .

(٩) الكشف والبيان للثعلبي ٣/٣٣-أب ، وتفسير الطبري ١٧/٥١-٥٤ .

قال ابن عباس : يريد لم يغب عني من أمرهم شيئاً .

قال الفرّاء : جمع اثنين فقال : ﴿لِحُكْمِهِمْ﴾ وهو يريد داود وسليمان ؛ لأن الاثنين جمع ^(١) ، وهو مثل قوله : ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ ^(٢) [النساء : ١١] يريد : أخوين ^(٣) .

وقال غيره : إنما جمع لذكر القوم الذين تحاكموا إليه ، والحكم لا ينفك عن تعلقه بالمحكوم له وعليه ، ولذلك جمع ^(٤) .

وقال ^(٥) الكلبي : قَوِّم داود الغنم والكرم ، فكانت ^(٦) القيمتان سواء ، فدفع الغنم إلى صاحب الكرم .

وأماً في حكم سليمان ، فذكر أن القيمتين كانتا ^(٧) مستويتين : قيمة ^(٨) ما نالوا من الغنم ، وقيمة ما أفسدت الغنم من الكرم ^(٩) .

٧٩ . قوله تعالى : ﴿فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنَ﴾ ؛ أي القضية ^(١٠) والحكومة ، فكشّى عنها ؛ لأنه قد ^(١١) سبق ما يدل عليها من ذكر الحكم .

(١) عند الفرّاء : إذ جمع اثنين .

(٢) في النسخ جميعها : (وإن) ، وهو خطأ .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢/٢٠٨ مع تصرف في العبارة . وفيه : أخوين فما زاد .

(٤) ذكر نحوه الطبري ١٧/٥١ . وبه علل الجمع ابن عطية ١٠/١٨٤ ، والزنجشري ٢/٥٧٦ وغيرهما .

(٥) في (د) و(ع) : (قال) .

(٦) في (د) و(ع) : (وكانت) .

(٧) (كانتا) ساقطة من (د) و(ع) .

(٨) (قيمة) ساقطة من (أ) .

(٩) من قوله : فذكر أن القيمتين . . . إلى هنا . هذا كلام الفرّاء بنصه في معانيه ٢/٢٠٨ .

(١٠) في (د) و(ع) : (القصة) .

(١١) (قد) ليست في (د) و(ع) .

[وهذا الحكم^(١) الذي حكما^(٢) به ، بعضه موافق لشرعنا ، وبعضه مخالف . أما الموافق ؛ فهو الحكم بالضمان على أصحاب الماشية إذا أفسدت بالليل حرثاً ، وكذا هو في شرعنا وهو ما رواه الزهري ، عن حرام بن سعد بن محيصة^(٣) : أن ناقة للبراء^(٤) بن عازب دخلت حائطاً لبعض الأنصار فأفسدته ، فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ ف قضى على البراء بن عازب بما أفسدته الناقة ، وقال : « على أصحاب الماشية حفظها بالليل ، وعلى أصحاب الحوائط^(٥) حفظ حيطانهم وزروعهم بالنهار »^(٦) .

(١) ساقط من (أ) .

(٢) في (أ) : (حكمتنا) ، وهو خطأ .

(٣) هو حرام بن سعد بن محيصة بن مسعود بن كعب الأنصاري ، أبو سعد ويقال أبو سعيد . روى عن جده محيصة ، والبراء ، وقيل لم يسمع من البراء . وروى عنه الزهري على اختلاف عليه فيه . توفي بالمدينة سنة ١١٣ هـ . قال الذهبي وابن حجر : ثقة . طبقات ابن سعد ٥ / ٢٥٨ ، والثقات لابن حبان ٤ / ١٨٤ ، والكاشف للذهبي ١ / ٢١١ ، وتهذيب التهذيب ٢ / ٢٢٣ ، وتقريب التهذيب ١ / ١٥٧ .

(٤) في (أ) : (البراء) .

(٥) في (د) و(ع) : (الحائط) .

(٦) هذا الحديث بهذا اللفظ ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣ / ٣٣ من رواية الزهري ، عن حرام بن محيصة . وهذا الحديث رواه جماعة من أصحاب الزهري ، عنه ، عن حرام بن محيصة ، مرسلًا . ومن طريق الإمام مالك رواه الإمام أحمد في مسنده ٥ / ٤٣٥ ، والبيهقي في سننه ٨ / ٣٤١ ، والبخاري في تفسيره ٥ / ٣٣٢ . ورواه ابن ماجه في سننه ، أبواب الأحكام - الحكم في ما أفسدت المواشي بالليل ٢ / ٤٢ عن طريق الليث ، عن الزهري ، عن حرام ، بنحوه مرسلًا . ورواه الطبري ١٧ / ٥٣ من طريق ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن حرام ، بنحوه مرسلًا . ورواه الإمام أحمد في مسنده ٥ / ٤٣٦ ، والبيهقي في سننه ٨ / ٣٤٢ من طريق سفيان ابن عيينة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب وحرام بن محيصة ، بنحوه مرسلًا . قال ابن عبد البر في التمهيد ١١ / ٨١ ، ٨٢ هكذا رواه الموطأ جميعهم - في ما علمت - مرسلًا ، وكذلك رواه أصحاب ابن شهاب مرسلًا إلا أن ابن عيينة رواه عن الزهري عن سعيد بن المسيب وحرام بن محيصة

ثم قال : هذا الحديث - وإن كان مرسلًا - فهو حديث مشهور ، أرسله الأئمة ، وحدث به الثقات ، واستعمله فقهاء الحجاز ، وتلقوه بالقبول ، وجرى في المدينة به العمل ، وقد زعم الشافعي أنه تتبع مراسيل سعيد بن المسيب فألفاها صحاحاً وأكثر الفقهاء يحتجون بها . اهـ . لكن قد رواه بعض أصحاب الزهري ، عنه . موصولاً ، فرواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٤ / ٢٢١ وابن ماجه في سننه ، أبواب الأحكام ، الحكم في ما أفسدت المواشي بالليل ٢ / ٤٢ ، والبيهقي في سننه ٨ / ٣٤١ من طريق =

وروي عن الشعبي : أن شاة دخلت على حائك^(١) فأفسدت عليه غزله ،
فاختصموا إلى شريح ، فقال شريح : إن كان نهراً فلا ضمان على صاحبها ، وإن
كان ليلاً ضَمِن . ثم قرأ هذه الآية^(٢) .

سفيان ، عن عبدالله بن عيسى ، عن الزهري ، عن حرام بن محيصة ، عن البراء قال : أن ناقة لآل البراء
أفسدت ، فذكره بنحوه .

ورواه الإمام أحمد في مسنده ٢٩٥ / ٤ ، والبيهقي في سننه ٣٤١ / ٨ من طريق محمد بن مصعب ، وأبو
داود في سننه في كتاب البيوع ، باب المواشي تفسد زرع قوم ٤٨٣ / ٩ ، والبيهقي في سننه ٣٤١ / ٨ من
طريق الفريابي ، والبيهقي في سننه ٣٤١ / ٨ من طريق أيوب بن سويد ، كلهم - يعني ابن مصعب
والفريابي وابن سويد - عن الأوزاعي ، عن الزهري ، عن حرام بنحوه . وقد خالف هؤلاء الثلاثة أبو
المغيرة ، من أصحاب الأوزاعي ، فرواه عن الأوزاعي ، عن الزهري ، عن حرام ، مرسلًا . لم يذكر
البراء .

لكن المقدم رواية الثلاثة ، لأنهم جماعة وأبو المغيرة فرد . قاله الألباني .

ورواه عبدالرزاق في مصنفه ٨٢ / ١٠ عن معمر ، عن الزهري ، عن ابن محيصة ، عن أبيه ، أن ناقة
للبراء . فذكر نحوه . وقد رواه من طريق عبدالرزاق - بزيادة أبيه - الإمام أحمد في مسنده ٤٣٦ / ٥ ،
وأبو داود في سننه في كتاب البيوع ، باب المواشي تفسد زرع قوم ٤٨٣ / ٩ ، والبيهقي في سننه
٣٤٢ / ٨ ، والواحدي في تفسيره الوسيط ٢٤٦ / ٣ . قال البيهقي في السنن ٣٤١ / ٨ ، بعد ذكره
لهذه الرواية : وقد خالفه - يعني عبدالرزاق - وهيب وأبو مسعود الزجاج عن معمر ، فلم يقلوا :
عن أبيه . وقد ذهب الألباني إلى تصحيح رواية الأوزاعي وابن عيسى الموصولة ، وقال في سلسلة
الأحاديث الصحيحة : (مج ١ / ق ٣ / ٨١) - بعد ذكره لرواية عبدالرزاق وكلام أهل العلم فيها : لكن
قد وصله الأوزاعي بذكر البراء فيه في أرجح الروايتين عنه . وقد تابعه عبدالله بن عيسى عن الزهري
عن حرام بن محيصة ، عن البراء وعبدالله بن عيسى هو ابن عبدالرحمن ابن أبي ليلى ، وهو ثقة محتج
به في الصحيحين ، فهي متابعة قوية للأوزاعي على وصله ، فصح بذلك الحديث ، ولا يضره إرسال
من أرسله ؛ لأن زيادة الثقة مقبولة ، فكيف إذا كانا ثقتين ؟ وقد قال الحاكم عقب رواية الأوزاعي :
صحيح الإسناد ، على خلاف فيه بين معمر والأوزاعي . ووافقه الذهبي . اهـ .

(١) الحائك : هو الذي ينسج الثياب . انظر : الصحاح للجوهري (حوك) ١٥٨٢ / ٤ .

(٢) رواه عبدالرزاق في المصنف ٨٢ / ١٠ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٤٣٦ / ٩ ، والطبري في تفسيره
٥٢ / ١٧ ، وابن حزم في المحلى ٥ / ١١ .

وأما الذي يخالف شرعنا : هو ^(١) أن الحكم في شرعنا ضمان ما أفسدت الماشية بالقيمة أو المثل ، لا تسليم الماشية ولا تسليم منافعتها ^(٢) .

ويتعلق من يقول : إن كل مجتهد مصيب ^(٣) بهذه الآية ، ويقول : إن الله - تعالى - أثنى على كل واحد منهما بقوله : ﴿ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ .

ومن قال : المصيب واحد ^(٤) يقول في هذه الآية : إن الله - تعالى - خص سليمان بتفهم القضية ^(٥) ؛ فدل أن الثاني على غير الصواب ، ولو كان على الصواب لم يكن لتخصيص سليمان فائدة ؛ لأن الأول أيضاً قد فهم صواباً على قول من يقول كل مجتهد مصيب ، وقوله : ^(٦) ﴿ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ ثناء عليهما بالحكم والعلم في غير هذه القضية . وداود كان ^(٧) قد أوتي حكماً وعِلماً ، وإن لم يصب في هذه المسألة ، والذي يدل على هذا أنه قال : ﴿ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ فذكر ^(٨) بلفظ التنكير ، ولو أراد الثناء عليهما في هذه المسألة بالحكم والعلم لقال : وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا .

-
- (١) في (أ) : (وهو) .
 (٢) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٢٢٣ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/ ٣١٤ .
 (٣) وهو قول جمهور المتكلمين من الأشاعرة ، كالأشعري وأبي بكر الباقلاني وأبي إسحاق الإسفراييني وابن فورك وغيرهم ، ومن المعتزلة ، كأبي الهذيل وأبي علي وأبي هاشم وأتباعهم . انظر : الفصول في أحكام الأصول للجصاص ٤/ ٣٠٧ ، والعدة في أصول الفقه لأبي يعلى ٥/ ١٥٥٣ ، والمحصول للرازي ج ٢/ ٣- ٤٧- ٤٨ ، ونهاية السؤل للأسنوي ٤/ ٥٦٠ .
 (٤) وهو قول الفقهاء كافة ، وينسب إلى بعض الأئمة الأربعة . انظر : الفصول للجصاص ٤/ ٣٢٨ ، والتمهيد في أصول الفقه للكلوذاني الحنبلي ٤/ ٣١٦ ، ٣١٧ ، والمحصول للرازي ج ٢/ ٣- ٤٩ ، ونهاية السؤل للأسنوي ٤/ ٥٦٠ .
 (٥) في (د) و(ع) : (القصة) .
 (٦) في (أ) : (بقوله) .
 (٧) (كان) ليست في (د) و(ع) .
 (٨) (فذكر) ساقطة من (د) و(ع) .

وقوله تعالى : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ . قال وهب : كان داود يمر بالجبال مسبحاً وهي تجاوبه بالتسبيح ، وكذلك الطير^(١) .

وهذا كقوله : ﴿يَجِبَالُ أَوِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾ [سأ : ١٠] . وقال سليمان بن حيان : كان داود إذا وجد فترة أمر الجبال فسبحت والطير^(٢) حتى يشتاق^(٣) .

وهذا أشبه بالآية ؛ لأن الله - تعالى - قال : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ﴾ . وتسخيرها أن تطيعه إذا أمرها بالتسبيح^(٤) .

وتقدير الآية : وسخرنا^(٥) الجبال يُسبحن مع داود .

وقوله تعالى : ﴿وَالطَّيْرُ﴾ . قال أبو إسحاق : نصبه من وجهين : أحدهما على معنى : وسخرنا الطير ، والآخر على معنى : يسبحن مع الطير^(٦) .

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٣٣ ب عن وهب بنصه . وقد روى أبو الشيخ في العظمة ٥/ ١٧٠٣ عن وهب قال : أمر الله الجبال والطير أن تسبح مع داود إذا سبح .

(٢) (والطير) : في (د) و(ع) . وليست في (أ) .

(٣) رواه أبو الشيخ في العظمة ٥/ ١٧٠٦ من طريق الفريابي ، عنه . لكن المطبوع من العظمة : سليم بن حيان ، وهو تصحيف . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٥٠ عن سليمان بن حيان ، ونسبه للفريابي .

(٤) الأشبه - والله أعلم - بالآية الأول ، وهي أنها كانت تجاوبه الجبال الصم والطير البهم إذا سبح وأثنى على الله ، وذلك لأمرين : الأول : دلالة قوله - تعالى - في سورة أخرى : ﴿يَجِبَالُ أَوِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾ والتأويل : الترجيع .

الثاني : القرينة التي في الآية وهي ﴿مَعَ﴾ حيث قال : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ﴾ ولو كن كما قال الواحدي لكان : وسخرنا لداود الجبال ، مثل ما قال في حق سليمان بعد ذلك ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ﴾ . انظر : ما قاله ابن عاشور ١٧/ ١٢٠ .

(٥) في (أ) : (وسخرت) .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٠٠ . ويكون نصبه على الوجه الأول على أنه معطوف على (الجبال) ونصبه على الوجه الآخر على أنه مفعول معه . انظر : إعراب القرآن للأنباري ٢/ ١٦٣ ، والبحر المحيط لأبي حيان ٦/ ٣٣١ ، والدر المصون ٨/ ١٨٥ .

وقوله تعالى : ﴿وَكُنَّا فَعْلِيلِينَ﴾ . قال ابن عباس : يريد ما فعل بهم ^(١) .

يعني : من التفهيم ، وإيتائنا الحكم ، والتسخير .

٨٠ . قوله تعالى : ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ . اللُّبُوس ^(٢) : الدرع . فكل ^(٣) شيء لبسته فهو لبُّوس ، قال الشاعر ^(٤) :

البُسُّ لكلِّ حالة لبُّوسها

(١) انظر : تنوير المقباس ٢٠٣ . قال الشنقيطي ٦٧٣ / ٤ : والظاهر أن قوله ﴿وَكُنَّا فَعْلِيلِينَ﴾ مؤكد لقوله : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجَبَالَ يُسَبِّحُونَ وَالطَّيْرَ﴾ والموجب لهذا التأكيد أن تسخير الجبال وتسبيحها أمر عجب وخارق للعادة مظنة ؛ لأن يكذب به الكفرة الجهلة . وقال الألوسي ٧٦ / ١٧ : ﴿وَكُنَّا فَعْلِيلِينَ﴾ تذييل لما قبله ؛ أي من شأننا أن نفعل أمثاله ، فليس ذلك ببدع منا ، وإن كان ذلك بديعاً عندكم . وذهب الزَّجَّاج والزمخشري إلى أن (فاعلين) هنا بمعنى قادرين فقال الزَّجَّاج ٤٠٠ / ٣ : أي وكنا نقدر على ما نريده . وقال الزمخشري ٥٨٠ / ٢ : أي قادرين على أن نفعل هذا ، وإن كان عجباً عندكم . وتعقب الشنقيطي ٧٦٣ / ٤ هذا القول ، وذكر أنه ظاهر السقوط ، وعلل ذلك بقوله : لأن تأويل ﴿وَكُنَّا فَعْلِيلِينَ﴾ بمعنى كنا قادرين بعيد ، ولا دليل عليه .

(٢) (اللُّبُوس) ساقطة من (د) و(ع) .

(٣) في (د) و(ع) : (فهو كل) .

(٤) هو يبهس الفزاري ، وكان سابع سبعة إخوة ، فأغار عليهم أناس من بني أشجع ، وهم في إبلهم ، فقتلوا منهم ستة ، وبقي منهم يبهس ، وإنما تركوه ؛ لأنه كان يُحمق ، فتركوه احتقاراً له ، ثم إنه مر يوماً بنسوة من قومه يصلحن امرأة منهن يردن أن يهدينها لبعض من قتل إخوته ، فكشف عن دبره ، وغطى رأسه ، فقلن : ويحك ، أي شيء تصنع ؟ فقال :

ألبس لكلِّ حالة لبُّوسها إمانعيمها وإمابُّوسها

والخبر في الفاخر للمفضل بن سلمة ٦٢ ، ٦٣ ، ولسان العرب (لبس) ٢٠٢ / ٦ ، ٢٠٣ .

والبيت أيضاً في إصلاح المنطق لابن السكيت ٣٣٣ من غير نسبة لأحد ، شرح أبيات سيويه للسيرافي ٣٩٣ / ٢ ، وتاج العروس للزبيدي (لبس) ٤٦٦ / ١٦ .

هذا أصله . وهو فعول بمعنى : مفعول ، كالركوب والخلوب ثم جعلت^(١) اسماً للدرع ؛ لأنها تُلبَسُ^(٢) .

قال قتادة : أول من صنع الدروع داود ، وإنما كانت صفائح ، فهو أول من سردها^(٣) وحلَّقها^(٤) .

فجمعت الخفة^(٥) والتحصين^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿لِنُحْصِنَكُمْ﴾ ؛ أي ليحرزكم^(٧) ، وقال ابن عباس : ليمنعكم^(٨) ؛ يعني اللبوس ، وقال الزَّجَّاج : ويجوز ليحصنكم الله^(٩) . [قال أبو علي]^(١٠) : ويجوز^(١١) أن يكون داود ، ويجوز أن يكون التعليم يدل عليه علمناه^(١٢) .

(١) في (د) و(ع) : (جعل) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (لبس) ٤٤٣ / ١٢ ، والصحاح للجوهري ٩٧٤ / ٣ ، ولسان العرب لابن منظور ٢٠٢ / ٦ ، ٢٠٣ .

(٣) سردها بتخفيف الراء وتشديدها : نسجها بإدخال الحلق بعضها في بعض وثقبها . انظر : الصحاح للجوهري (سرد) ٤٨٧ / ٢ ، ولسان العرب لابن منظور (سرد) ٢١١ / ٣ ، وتاج العروس للزبيدي (سرد) ١٨٦ / ٨ ، ١٨٧ .

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣٣ / ٣ بهذا اللفظ . وقد رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢٧ / ٢ ، والطبري ٥٥ / ١٧ من قوله : كانت صفائح .

(٥) في (أ) : (الحلقة) ، وهو خطأ .

(٦) قوله : فجمعت الخفة والتحصين . هذا كلام الزَّجَّاج في معانيه ٤٠٠ / ٣ .

(٧) الطبري ٥٥ / ١٧ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣٣ / ٣ .

(٨) تنوير المقباس ٢٠٣ .

(٩) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤٠٠ / ٣ .

(١٠) ساقط من (ع) .

(١١) في (د) : (فيجوز) .

(١٢) في (د) و(ع) : (ما علمناه) ، وهو خطأ .

ومن قرأ بالنون^(١) فلتقدم قوله : ﴿وَعَلَّمْنَاهُ﴾ ، ومن قرأ بالتاء حملة على المعنى ، لأن اللبوس الدرع^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿مِّنْ بِأْسِكُمْ﴾ ؛ أي من حربكم^(٤) .

وقال السدي : من وقع السلاح فيكم^(٥) . ووقع السلاح حرب .

وقال ابن عباس : من السيف والسهم والرمح^(٦) . وعلى هذا التقدير : من آلة بأسكم . فحذف المضاف .

وقوله تعالى : ﴿فَهَلْ أُنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ . يريد فهل أنتم يا معشر أهل مكة ﴿شَاكِرُونَ﴾ ؛ يعني بطاعة الرسول وتصديقه .

٨١ . قوله تعالى : ﴿وَلَسَلِيمَنَّ الرِّيحُ﴾ . قال أبو إسحاق : الريح نسق على الجبال . المعنى : وسخرنا لسليمان الريح^(٨) .

(١) في (د) و(ع) : (بالتنوين) . وهو خطأ .

(٢) قرأ أبو بكر عن عاصم : (لنحصدكم) بالنون ، وقرأ ابن عامر ، وحفص عن عاصم : ﴿لِنُحْصِنَكُمْ﴾ بالتاء ، وقرأ الباقون بالياء . السبعة ٤٣٠ ، والتبصرة ٢٦٤ ، والتيسير ١٥٥ .

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي ٢٥٨/٥ مع تقديم وتأخير . انظر : علل القراءات للأزهري ٤٠٨/٢ ، ٤٠٩ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٦٩ ، والكشف لمكي ١١٢/٢ .

(٤) الكشف والبيان للثعلبي ٣٣٣/٣ ب .

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦٥٠/٥ .

(٦) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣/٤٦٠ ، والقرطبي ١١/٣٢٠ عن ابن عباس بلفظ : من سلاحكم . انظر : تنوير المقباس ٢٠٣ .

(٧) في (د) و(ع) : (يا معشر قریش) .

(٨) معاني القرآن للزجاج ٣/٤٠٠ مع اختلاف بعض الألفاظ . ويجوز أن ينصب (الريح) بفعل مقدر .

انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/٦٧ ، والإملاء للعكبري ٢/١٣٥ ، ١٣٦ ، والدر المصون ١٨٧/٨ .

وقوله تعالى : ﴿عَاصِفَةً﴾ ؛ أي شديدة الهبوب^(١) . قال ابن عباس : إن أمر الريح أن تعصف عصفت ، وإذا أراد أن ترخي أرخت . وذلك قوله في سورة ص : ﴿رُخَاءَ حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص : ٣٦] والمعنى : أنها كانت تشتد^(٢) إذا أراد ، وتلين إذا أراد^(٣) .

﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ . قال ابن عباس : يريد أرض الشام . وقال الكلبي : يعني فلسطين بارك الله فيها بالماء والشجر والنخل .
وذكرنا هذا عند قوله : ﴿بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء : ٧١] .

قال الفرّاء : كانت تجري بسليمان إلى كل موضع ، ثم تعود به من يومه إلى منزله ، فذلك قوله : ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾^(٤) .

(١) الطبري ١٧ / ٥٥ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣ / ٣٤ ب .

(٢) تشتد : ساقطة من (ع) .

(٣) هذا أحد الوجوه في التوفيق بين قوله - تعالى - في آية الأنبياء واصفاً الريح المسخرة لسليمان بأنها ﴿عَاصِفَةً﴾ وفي سورة ص : ﴿رُخَاءَ﴾ . وعلى ذلك فالريح تكون عاصفة تارة ، ورخاء تارة بحسب اختلاف مقصد سليمان منها . وهناك وجهان آخران في التوفيق بين الآيتين :

أحدهما : أن هذه الريح المسخرة لسليمان قد جمعت أمرين : فهي رخاء في نفسها ؛ أي رخية طيبة كالنسيم ، وعاصفة في عملها كما قال تعالى : ﴿عُدُوْهَا شَرْرٌ وَرَوْحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ : ١٢] ، مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد ، فهي آية إلى آية ، ومعجزة إلى معجزة . ذكره الزمخشري ٢ / ٥٨٠ .
الثاني : قال بعضهم : إن العاصفة هي في الفصول على عادة البشر والدواب في الإسراع إلى الوطن ولذلك قال : ﴿عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ وهي الشام مسكن سليمان ، والرخاء في البداية ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص : ٣٦] ؛ أي حيث يقصد ؛ لأن ذلك وقت تأن وتدير وتقلب رأي . ذكره ابن عطية ١٠ / ١٨٦ . انظر : البحر المحيط ٦ / ٣٣٢ .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٠٩ . وهذا من أخبار بني إسرائيل ، فالله أعلم بصحته . قال أبو حيان في البحر ٦ / ٣٣٣ : وقد أكثر الأخباريون في ملك سليمان ، ولا ينبغي أن يعتمد إلا على ما قصه الله في كتابه ، وفي حديث رسول الله ﷺ . اهـ . يعني ما صح من حديثه ﷺ .

وقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾. [قال^(١) ابن عباس: يريد بكل شيء فعلنا].

وقال أهل المعاني^(٢): وكنا بكل شيء علمناه عالين بصحة التدبير فيه، وعلمنا أن ما^(٣) يعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعو إلى الخضوع لربه^(٤).

٨٢. قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ﴾ قال أبو إسحاق: يجوز أن يكون موضع (من) نصباً نسقاً^(٥) على الريح، ويجوز أن يكون رفعاً بالابتداء، ويكون (له) الخبر^(٦).

والغوص: الدخول تحت الماء^(٧). أي يدخلون تحت الماء له وبأمره، فيستخرجون له الجواهر من البحر^(٨).

﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾؛ أي سوى الغوص من البناء وغيره من الأعمال^(٩). قاله الكلبي^(١٠)، والفراء^(١١)، والزجاج^(١٢).

(١) إلى قوله (قال) ينتهي الخرم من نسخة شستريتي، ويبدأ الموجود من قول ابن عباس.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (د) و(ع).

(٣) (ما) ساقطة من (د) و(ع).

(٤) ذكره البغوي ٣٣٥/٥ بنصه، ولم ينسبه لأحد.

(٥) عند الزجاج في معانيه: عطفاً.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٤٠١/٣. انظر: إعراب القرآن للنحاس ٧٦/٣، والإملاء للعكبري

١٣٦/٢، والدر المصون ١٨٨/٨.

(٧) تهذيب اللغة للأزهري (غوص) ١٥٨/٨ نقلاً عن الليث. انظر: الصحاح للجوهري (غوص)

١٠٤٧/٣.

(٨) من قوله: أي... إلى هنا: منقول عن الثعلبي ٣/٣٤ أ.

(٩) قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْدَرٍ وَمَنْشِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾ [سبأ: ١٣].

(١٠) انظر: تنوير المقباس ٢٠٤.

(١١) انظر: معاني القرآن للفراء ٢٠٦/٢.

(١٢) انظر: معاني القرآن للزجاج ٤٠١/٣.

قال الكلبي : كان الرجل في زمان سليمان يأتيه ، فيسأله أن يبعث معه شيطاناً فيعمل له ، فيبعث معه شيطاناً .

وقوله تعالى : ﴿ وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ ﴾ . قال أبو إسحاق : كان الله يحفظهم من أن يفسدوا ما عملوا^(١) . ونحو هذا قال الفراء^(٢) .

وقال الكلبي : ﴿ وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ ﴾ من أن يهيجوا^(٣) أحداً في زمانه^(٤) .

وقيل : ﴿ وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ ﴾ حتى لا يخرجوا من أمره^(٥) .

٨٣ . قوله تعالى : ﴿ وَيُؤْتِيكَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ﴾ . قال ابن عباس : دعا ربه^(٦) .

﴿ إِنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ ﴾ ؛ أصابني الجهد . ﴿ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ؛ أكثرهم رحمة . وهذا تعريض منه بمسالة الرحمة إذ أثني عليه بأنه^(٧) الأرحم وسكت .

(١) معاني القرآن للزجاج ٤٠١ / ٣ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٢٠٩ / ٢ .

(٣) غير واضحة في (أ) و(ت) . ومعنى يهيجوا : يثيروا المشقة أو ضرر . لسان العرب لابن منظور (هيج) ٣٩٤ / ٢ ، وتاج العروس للزبيدي (هيج) ٢٨٦ / ٦ ، ٢٨٧ .

(٤) ذكره الرازي ٢٠٢ / ٢٢ عن الكلبي ، وذكره الفراء في معانيه ٢٠٩ / ٢ من غير نسبة لأحد .

(٥) هذا قول الثعلبي في الكشف والبيان ٣٤٣ أ . وكل ما ذكر داخل في الحفظ ، وقد قال - تعالى - في آية أخرى : ﴿ وَمِنْ بَرِّهِمْ عَنْ أَمْرِئَا نُذِقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ [سبأ : ١٢] ، وقال ﴿ وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ [ص : ٣٨] . وبالجمله ، فالله حافظهم أن يزيغوا عن أمره ، أو يبدلوا أو يغيروا ، أو يوجد منهم فساداً في الجملة في ما هم مسخرون فيه . قاله الزمخشري ٥٨١ / ٢ .

(٦) ذكره البغوي ٣٣٧ / ٥ ، وابن الجوزي ٣٧٤ / ٥ من غير نسبة لأحد .

(٧) في (أ) : (فإنه) .

وقال أهل العلم : لم يكن هذا جزءاً من أيوب ، لأن الله - تعالى - قال : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ﴾ [ص: ٤٤] ولكن هذا دعاء منه لله تعالى ، ألا ترى أن الله - تعالى - قال : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ﴾^(١) .

وروي عن ربيعة بن كلثوم^(٢) أنه قال : دخلنا على الحسن^(٣) وهو يشتكي ضرسه ، وهو يقول : مسني الضر ، وأنت أرحم الراحمين ، اقتدى بأيوب - عليه السلام - في دعائه ليستجاب له كما استجيب لأيوب^(٤) .

على أن الجزع إنما هو الشكوى إلى الخلق ، فأما من اشتكى إلى الله - تعالى - ما حل به فليس يسمى جازعاً ؛ لأنه مثاب على ذلك إذا كان إلى الله ، والجازع مذموم ، وقول يعقوب عليه السلام : ﴿ أَشْكُوا بَنِي وَحُرِّيَّ إِلَى اللَّهِ ﴾ [يوسف: ٨٦] لا يحمل على الجزع .

وهذا معنى ما قال سفيان بن عيينة^(٥) في هذه الآية : من شكّا إلى الله لم يعد ذلك بشكوى ولا جزع ، ألم تسمع قوله : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرِّيَّ إِلَى اللَّهِ ﴾ ؟ قال وكذلك من شكّا إلى الناس وهو في شكواه راض بقضاء الله لم يكن ذلك جزءاً ،

(١) قال الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٩ ب : سمعت أستاذنا أبا القاسم بن حبيب - رحمه الله - يقول : حضرت مجلساً غاصاً بالفقهاء والأدباء في دار سلطان ، فسئلت عن هذه الآية بعد إجماعهم على أن قول أيوب ﴿ سَقَى الضَّرُّ ﴾ شكاية ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ﴾ فقلت : ليس هذا بشكاية ، وإنما هو دعاء ، بيانه قوله : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ﴾ والإجابة تعتقب الدعاء لا الاشتكاء ، فاستحسنوه وارترضوه . اهـ .

(٢) هو ربيعة بن كلثوم بن جبر البصري ، روى عن أبيه والحسن البصري وغيرهما . قال الذهبي : ثقة . وقال ابن حجر : صدوق بهم . الكاشف للذهبي ١/ ٣٠٧ ، وتهذيب التهذيب ٣/ ٢٦٣ ، وتقريب التهذيب ١/ ٢٤٨ .

(٣) هو البصري .

(٤) لم أجده .

(٥) ذكره ابن الجوزي ٥/ ٣٧٤ .

ألم تسمع قول النبي ﷺ : «أجدي مغموماً وأجدي مكروباً»^(١) ؟ وقوله : «بل أنا وارأساه»^(٢) .

فليس في مثل هذا شكوى من الله ، ولا قلة رضا بقضائه ، بل رغبة فيه .

٨٤ . قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ ﴾ . قال ابن عباس يريد الأوجاع^(٣) . ﴿ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ﴾ . قال : إن الله - تعالى - رد إليه أهله ومثلهم معهم^(٤) .

(١) هذا طرف من حديث طويل رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٢٩/٣ عن الحسين بن علي رضي الله عنه ، وفيه أن جبريل - عليه السلام - قال للنبي ﷺ كيف تجدك ؟ فقال النبي ﷺ : «أجدي يا جبريل ، مغموماً ، وأجدي يا جبريل ، مكروباً» . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٥/٩ : رواه الطبراني ، وفيه عبدالله بن ميمون القداح وهو ذاهب الحديث .

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب المرضى ، باب ما رخص للمريض أن يقول : إني وجع ، أو وارأساه ، أو اشتد بي الوجع ١٢٣/١٠ من طريق القاسم بن محمد قال : قالت عائشة : وارأساه . . . الحديث وفيه : فقال النبي ﷺ : «بل أنا وارأساه» .

ورواه الإمام أحمد في مسنده ٢٢٨/٦ ، وابن ماجه في سننه : الجنائز ، باب ما جاء في غسل الرجل امرأته وغسل المرأة زوجها ٢٧٠/١ من طريق آخر عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : رجع رسول الله ﷺ ذات يوم من جنازة بالقيع ، وأنا أجعد صداعاً في رأسي ، وأنا أقول : وارأساه ! قال : «بل أنا وارأساه» الحديث . قال البوصيري في الزوائد ٤٧٥/١ : إسناد رجاله ثقات ، ورواه البخاري من وجه آخر عن عائشة مختصراً .

(٣) ذكر الرازي ١٠/٢٢ والقرطبي ٣٢٦/١١ القول أن الله رد على أيوب أهله بأعيانهم ومثلهم معهم . ونسباه إلى جماعة منهم الكلبي . وروى عبدالرزاق في تفسيره ٢٧/٢ عن الكلبي قال : آناه الله أهله في الدنيا ، ومثلهم معهم في الآخرة .

(٤) رواه الطبري ٧٢/١٧ من طريق العوفي .

والمراد بالأهل : الأولاد^(١). قال الكلبي : كانت امرأته ولدت له سبع بنات وسبعة بنين ، وكانوا هلكوا في بلاء أيوب ، فنشروا له ، وولدت له امرأته مثلهم سبعة بنين وسبع بنات^(٢) .

وهذا قول ابن مسعود ، وقتادة ، وكعب ، [والحسن ، قالوا^(٣) : أحيا الله له أولاده]^(٤) وأوتي مثلهم في الدنيا .

وقال عكرمة : إن الله خير ، فاختار إحياء أهله في الآخرة ، ومثلهم^(٥) في الدنيا ، وأوتي على ما اختار ، وذلك أنه قال : يكونون لي في الآخرة ، وأوتي مثلهم^(٦) في الدنيا^(٧) .

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٤٠ / ٣ أ.

(٢) ذكر الفراء مثل هذا النص ، مع اختلاف يسير ، في معانيه ٢ / ٢٠٩ وصدره بقوله : وذكر . وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٥ / ٣٧٨ ، ٣٧٩ مثله وعزاه لأبي صالح عن ابن عباس ، ومعلوم أن هذه الرواية في الغالب من طريق الكلبي .

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣ / ٤٠ أ عن ابن مسعود وقتادة وكعب ، ثم ذكر عن الحسن نحوه . ورواه عن ابن مسعود الطبري في تفسيره ١٧ / ٧٢ ، والطبراني في الكبير ٩ / ٢٥٤ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥ / ٦٥٤ ، ٦٥٥ وعزاه لابن أبي شيبه وابن جرير وابن المنذر والطبراني . وهو من رواية الضحاك عن ابن مسعود ، والضحاك لم يلق ابن مسعود ، فهي رواية منقطعة ، ولذا قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ / ٦٧ : وإسناده منقطع .

ورواه الطبري ١٧ / ٧٣ عن الحسن وقتادة . وروى عبد الرزاق ٢ / ٢٧ عن الحسن قال : آتاه الله أهله في الدنيا ، ومثلهم معهم من نسلهم . وقد وردت رواية عن الحسن أخرجه ابن عساكر وابن المنذر ، كما في الدر المنثور ٥ / ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، أنه قال : ﴿ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ ﴾ في الدنيا ﴿ وَمَثَلُهُمْ مَعَهُمْ ﴾ في الآخرة .

(٤) ما بين المعقوفين كشط في (أ) .

(٥) في (د) و(ع) : (وأوتي مثلهم) ، والصواب ما في (ت) .

(٦) في (ت) : (مثلهم معهم) ، والصواب ما في (د) و(ع) .

(٧) رواه الطبري ١٧ / ٧٢ بنحوه ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥ / ٦٥٦ وعزاه لابن جرير .

وهذا^(١) قول مجاهد في رواية ليث^(٢). والقول الأول هو الظاهر.

وقوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾. قال الفرّاء: فعلنا ذلك رحمة من عندنا^(٣).

﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾. قال ابن عباس: موعظة للمطيعين^(٤).

قال محمد بن كعب: أيما مؤمن أصابه بلاء فليذكر ما أصاب أيوب، وليقل إنه قد أصاب من هو خير مني أعظم من هذا^(٥).

٨٥. قوله تعالى: ﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾. قال ابن عباس في رواية عطاء^(٦): إن نبياً من أنبياء بني إسرائيل أوحى الله إليه: أني أريد قبض روحك، فاعرض ملكك على بني إسرائيل، فمن يكفل لك أنه يصلي بالليل لا يفتر، ويصوم بالنهار لا يفطر، ويقضي بين الناس، ولا يغضب، فادفع ملكك إليه. ففعل ذلك، فقام شاب، فقال: أنا أتكفل لك بهذا. فتكفل، ووفى به، فشكر الله -تبارك وتعالى- له، ونبأه^{(٧)(٨)}.

(١) في (د) و(ع): (وذلك).

(٢) رواية ليث عن مجاهد رواها الطبري ١٧/٧٢، ٧٣.

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢/٢٠٩.

(٤) انظر: البغوي ٥/٣٤٧، وابن الجوزي ٥/٣٧٩. قال القرطبي ١١/٣٢٧: أي وتذكيراً للعباد؛ لأنهم إذا ذكروا بلاء أيوب وصبره عليه ومحتته له، وهو أفضل أهل زمانه، وطنوا أنفسهم على الصبر على شدائد الدنيا نحو ما فعل أيوب، فيكون هذا تنبيهاً لهم على إدامة العبادة واحتمال الضرر. وقال ابن كثير ٣/١٩٠: أي وجعلناه في ذلك قدوة لثلاثين أهل البلاء إنما فعلنا بهم ذلك لهُوانهم علينا، وليتأسوا به في الصبر على مقدورات الله وابتلائه لعباده بما يشاء، وله الحكمة البالغة في ذلك.

(٥) رواه الطبري ١٧/٧٣، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/٦٥٦ وعزاه لابن جرير.

(٦) (عطاء) ساقط من (أ) و(ت).

(٧) في (أ) و(د): (منه). وفي (ع): (منه) مهمة. والتصويب من الوسيط والرازي وابن الجوزي.

(٨) ذكره الرازي ٢٢/٢١٠، ٢١١ منسوباً إلى ابن عباس في رواية، وذكره البغوي في تفسيره ٥/٣٤٨.

وابن الجوزي ٥/٣٨٠ ونسبه إلى عطاء. وقد روى ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ٣/١٩٠، ١٩١.

من طريق أبي بكر بن عياش، عن الأعمش عن ابن عباس: كان قاض في بني إسرائيل، فاحتضره =

وهذا قول مجاهد ، وقتادة .

وقال أبو موسى الأشعري : لم يكن نبياً ، ولكنه كفل بصلاة رجل كان يصلي كل يوم مائة صلاة فتوفي^(١) ، وكفل بصلاته ؛ لذلك سمي ذا الكفل^(٢) .

وقال الحسن : ذو الكفل نبي اسمه ذو الكفل^(٣) .

الموت ، فقال : من يقوم مقامي على أن لا يغضب ، فذكر نحو القصة . قال ابن كثير ٣ / ١٩١ : وهكذا روي عن عبدالله بن الحارث ومحمد بن قيس وأبي حنيفة الأكبر وغيرهم من السلف ، والله أعلم . وفي الدر المنثور ٥ / ٦٦٣ ، وأخرج ابن سعيد النقاش في كتاب القضاة عن ابن عباس ، فذكر نحو هذه القصة .

(١) وقع في المطبوع من الطبري ١٧ / ٧٥ : (فوفى) .

(٢) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢ / ٢٧ عن معمر ، عن قتادة قال : قال أبو موسى الأشعري ، فذكره . ومن طريق عبدالرزاق رواه الطبري في تفسيره ١٧ / ٧٥ . ورواه الطبري ١٧ / ٧٥ من وجه آخر عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة عن أبي موسى الأشعري ، فذكره . وهذا رواية منقطعة ؛ لأن قتادة لم يلق أبا موسى الأشعري رضي الله عنه . وقد رواه موصلاً ابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير ٣ / ١٩١ من طريق أبي الجهاجر ، أخبرنا سعيد بن بشير ، حدثنا قتادة ، عن كنانة بن الأخنس قال : سمعت أبا موسى الأشعري فذكره بنحوه . وفي سندها سعيد بن بشير الأزدي ضعفه الإمام أحمد وابن معين وابن المديني والنسائي وأبو داود ، وقال فيه ابن نمير : منكر الحديث ، ليس بشيء ، ليس بقوي الحديث ، يروي عن قتادة المنكرات . وقال الساجي : حدث عن قتادة بمناكير . وقال ابن حبان : كان رديء الحفظ ، فاحش الخطأ ، يروي عن قتادة ما لا يتابع عليه . انظر : تهذيب التهذيب لابن حجر ٤ / ٨-١٠ . وبالجملة ، فهذه الرواية عن أبي موسى ضعيفة . والله أعلم . والأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور ٥ / ٦٦٤ وعزاه لعبدالرزاق وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر . قال أبو حيان في البحر ٦ / ٣٣٤ : وقيل في تسميته ذا الكفل أقوال مضطربة لا تصح .

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣ / ٤٦٤ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٥ / ٣٧٩ ، والقرطبي ١١ / ٣٢٨ . قال ابن كثير ٣ / ١٩٠ : وأما ذو الكفل ؛ فالظاهر من السياق أنه ما قرن مع الأنبياء إلا وهو نبي .

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ الصَّادِقِينَ﴾ . قال ابن عباس : يريد على طاعة الله ، وعن معاصي الله ^(١) .

٨٦ . قوله تعالى : ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾ . قال : يريد ما أنعم به ^(٢) عليهم من النبوة ، وما صيرهم إليه في الجنة من الثواب ^(٣) .

وقال أهل المعاني : أدخلناهم في رحمتنا يقتضي أنه قد غمرتهم الرحمة ، وليس كذلك رحمتهم ^(٤) .

٨٧ . قوله تعالى : ﴿وَذَا النُّونِ﴾ ؛ أي واذكر ذا النون . وهو يونس بن متى ^(٥) سماه الله - تعالى - ذا النون لما حبسه في بطن النون ، وهو الحوت ، كما قال في موضع آخر : ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨] .

وقوله تعالى : ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا﴾ . قال الضحاك : مغاضباً لقومه ^(٦) .

(١) ذكره ابن الجوزي ٣٨٠ / ٥ ولم ينسبه لأحد .

(٢) (به) : ليست في (د) و(ع) .

(٣) ذكره البغوي ٣٤٩ / ٥ ولم ينسبه لأحد .

(٤) ذكر هذا المعنى الطوسي في التبيان ٢٤٢ / ٧ ، والحاكم الجشمي في التهذيب ٥٧ / ٦ أ - ب ولم ينسباه لأحد .

(٥) متى : يفتح الميم ، وتشديد المثناة ، مقصور . وهو اسم أبيه ، على الصحيح ، كما ورد ذلك في حديث ابن عباس ، انظر : فتح الباري ٤٥١ / ٨ .

(٦) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٤١ / ٣ أ . ورواه الطبري ٧٦ / ١٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦٦٥ / ٥ وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

وهو قول ابن عباس في رواية العوفي ، قال : إن شعياً^(١) النبي والملك الذي كان في وقته وذلك القوم أرادوا أن يبعثوه إلى ملك كان قد غزا بني إسرائيل وسبى الكثير منهم ليكلّمه حتى يرسل معه بني إسرائيل ، فقال^(٢) يونس لشعياً : هل أمرك الله بإخراجي ؟ قال : لا . قال : فهل سماني لك ؟ قال : لا ، قال : فهأنا غيري أنبياء . فألحوا عليه ، فخرج مغاضباً للنبي وللملك ولقومه ، فأتى بحر الروم فكان من قصته ما كان^(٣) .

وعلى هذا عوقب بتركه ما أمره به شعياً وقومه لأن الله - تعالى - قال فيه : ﴿ فَالْنَقَمَةُ الْخَوْثُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ ؛ والمليم : الذي أتى ما يلام عليه .

وقال آخرون : إنه ذهب مغاضباً لربه . وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء^(٤) ، وابن مسعود ، وسعيد بن جبیر .

قال ابن عباس : لما وعد قومه العذاب ، وخرج من بينهم ، ورُفِع عنهم العذاب بعد ما أظلمهم على ما ذكر في القصة ، فلما بلغ ذلك يونس أبق من ربه إلى الفلك المشحون .

(١) هو شعياً بن أمصيا ، وقيل : ابن آموس . أحد أنبياء بني إسرائيل بعد داود وسليمان ، وكان قبل زكريا ويحيى ، وهو ممن بشر بعيسى ومحمد عليهما السلام ، قتله بنو إسرائيل لما وعظهم وذكرهم بالله . تاريخ الطبري ١/ ٥٣٢-٥٣٧ ، والكامل لابن الأثير ١/ ١٤٣-١٤٥ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٢/ ٣٢ ، ٣٣ ، ودائرة المعارف الإسلامية ١٣/ ٣١٦ .

(٢) في (ت) : (فقالوا) ، وهو خطأ .

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤١ من رواية العوفي عن ابن عباس . وقد رواه الطبري ١٧/ ٧٦ مختصراً جداً قال : غضب على قومه .

(٤) ذكره عن ابن عباس الرازي ٢٢/ ٢١٤ ، والقرطبي ١١/ ٣٢٩ ، وأبو حيان في البحر ٦/ ٣٣٥ .

وروى مسروق عن عبد الله في قوله: ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغَضِبًا﴾: قال: عبد أبق من ربه^(١).

وقال سعيد بن جبير: ذهب مغاضباً لربه^(٢). ونحو هذا قال الحسن^(٣).

وإلى هذه الطريقة مال ابن قتيبة، فإنه يقول في هذه الآية: يستوحش كثير^(٤) من الناس من أن يلحقوا بالأنبياء ذنوباً، ويحملهم التنزيه لهم على مخالفة كتاب الله، واستكراه التأويل، وعلى أن يلتمسوا لألفاظه المخارج البعيدة بالحيل الضعيفة، [روى في الحديث: أنه^(٥) ليس من نبي إلا^(٦)] وقد أخطأ وهم بخطيئة غير يحيى بن زكريا^(٧).

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٩/ ٢٥٥ من طريق مسروق، عن عبد الله قال: عبد أبق من سيده.

الهيثمي في مجمع الزوائد ٦٨/ ٧: وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف.

(٢) رواه عنه الثوري في تفسيره ٢٠٤، والطبري ٧٧/ ١٧.

(٣) رواه الطبري ٧٧/ ١٧.

(٤) كثير: ساقط من (أ) و(ت).

(٥) ما بين المعقوفين كشط في (أ).

(٦) (إلا): ساقطة من (ت).

(٧) روى الإمام أحمد في مسنده ١/ ٢٥٤، وأبو يعلى في مسنده ٤/ ١٨ عن ابن عباس رضي الله عنهما،

قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ أو هم ليس يحيى بن زكريا». قال

الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٠٩: وفيه علي بن زيد ضعفه الجمهور، وقد وثق، وبقية رجال أحمد

رجال الصحيح. وقال ابن كثير في تفسيره ٣/ ١١٤ بعد ذكره للحديث عن ابن عباس: وهذا أيضاً

ضعيف؛ لأن علي بن زيد بن جدعان له منكرات كثيرة.

ولذلك قال^(١) يوسف عليه السلام : ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِيَّ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالشُّوْءِ﴾ [يوسف : ٥٣] يريد : ما أضمره وحدث به نفسه [عند حدوث الشهوة . فإن كان ذو النون]^(٢) قد غاضب قومه فبأي ذنب^(٣) عوقب بالتقام الحوت والحبس^(٤) في الظلمات ؟ وما الأمر الذي ألام فيه ؟ فنعاه^(٥) الله عليه إذ يقول ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ ، والمليم الذي أجرم جرماً استوجب به اللوم .

ولم أخرجه من أولي العزم من الرسل حين يقول لنبيه : ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ [القلم : ٤٨] ؟ وإن كان مغاضباً لقومه^(٦) فإن كان غضبه قبل أن

(١) هذا أحد وجهين في قائل هذه المقالة ، والوجه الثاني أن قائل هذا هي امرأة العزيز حيث قال تعالى : ﴿قَالَتْ أَمَرْتُ الْعَزِيزَ أَنْ حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رُودُثُهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾^(٥) ذَلِكَ لَعَلَّمَ إِنِّي لَمْ أَخْنُهِ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْغَالِبِينَ^(٥) وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِيَّ﴾ [يوسف : ٥١-٥٣] . قال أبو العباس بن تيمية في الفتاوى ٢٩٨ / ١٠ : وقوله : ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِيَّ . . .﴾ الآية من كلام امرأة العزيز ، كما يدل القرآن على ذلك دلالة بيّنة ، لا يرتاب فيها من تدبر القرآن . ثم ساق الآيات ، ثم قال : فهذا كله كلام امرأة العزيز ، ويوسف إذ ذاك في السجن ، لم يحضر بعد إلى الملك ، ولا سمع كلامه ولا رآه . ثم ذكر قول من قال : إن هذا من كلام يوسف ، وتعبه بقوله : وهذا قول في غاية الفساد ، ولا دليل عليه ، بل الأدلة تدل على نقيضه .

وقال ابن كثير في تفسيره ٤٨١ / ٢ : وهذا القول - يعني أن هذا من كلام امرأة العزيز - هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام ؛ لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك ، ولم يكن يوسف - عليه السلام - عندهم ، بل بعد ذلك أحضره الملك . واستظهر هذا القول أيضاً أبو حيان في البحر ٣١٧ / ٥ ، ثم ذكر قول من قال : إن هذا من كلام يوسف ، وتعبه بقوله : ومن ذهب إلى أن قوله : ﴿لَعَلَّمَ﴾ إلى آخره من كلام يوسف يحتاج إلى تكلف ربط بيته وبين ما قبله ، ولا دليل يدل على أنه من قول يوسف .

(٢) ما بين المعقوفين كشط في (أ) .

(٣) في (أ) : (من غير ذنب) .

(٤) بعد قوله : (والحبس) يبدأ السقط في نسخة (أ) .

(٥) في (ت) : (فنعاه) .

(٦) (لقومه) : ساقطة من (ت) .

يؤمنوا فإنما غضب على من يستحق في المدة أن يغضب^(١). وإن كان الغضب عليهم بعد أن آمنوا فكيف يجوز أن يغضب على قومه حين آمنوا؟ وبه بعث، وإليه دعا. ولكن^(٢) نبي الله - عليه السلام - لما أخبرهم^(٣) عن الله أنه مُنزل العذاب عليهم لأجل، ثم بلغه بعد مضي الأجل أنه لم يأتهم ما وعدهم، خشي أن ينسب إلى الكذب، ويعير به، ويُحقق عليه، لاسيما ولم تكن قرية آمنت عند حضور العذاب فنفعها إيمانها غير قومه، فدخلته^(٤) الأنفة والحمية، وكان مغيضاً بطول ما عاناه من تكذيبهم وهزئهم وأذاهم واستخفافهم بأمر الله، مشتهياً لأن ينزل بأس الله بهم. هذا إلى ضيق صدره وقلة صبره على ما صبر على مثله أولو العزم من الرسل.

وقد روي في الحديث^(٥): أنه كان ضيق الصدر، فلما حُمِّل أعباء النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع^(٦) تحت الحمل الثقيل. فمضى على وجهه مُضي الآبق^(٧)

(١) العبارة في مشكل القرآن لابن قتيبة ٤٠٥: (فإن كان نبي الله ﷺ ذهب مغاضباً على قومه قبل أن يؤمنوا، فإنما راغم من استحق في الله أن يراغم، وهجر من وجب أن يهجر، واعتزل من علم أن قد حقت عليه كلمة العذاب).

(٢) في المشكل لابن قتيبة ٤٠٧: (فكأن).

(٣) في (د) و(ع): (خبرهم).

(٤) في (ت): (فأخذته)، وما أثبتناه هو الموافق لما في مشكل ابن قتيبة ٤٠٧.

(٥) روى الطبري في تفسيره ٧٧/١٧ والحاكم في مستدركه ٥٨٤/٢، ٥٨٥ عن وهب بن منبه اليباني قال: إن يونس بن متى كان عبداً صالحاً، وكان في خلقه ضيق، فلما حملت عليه أثقال النبوة - وهي أحمال لا يحملها إلا قليل - تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل، فقذفها تحت يديه، وخرج هارباً منها، يقول الله لنبيه ﷺ ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا وَلَوْ أَلْعَزَمْنَا مِنَ الرَّسْلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨]. وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٢٤/٧ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم. والرواية كما ترى عن وهب بن منبه فهي من أخبار بني إسرائيل، وليس لها ما يعضدها من كتاب أو سنة صحيحة، فالله أعلم بصحتها.

(٦) الرُّبْع: هو الفَصِيل يُنتَج في الربيع، وهو أول التَّاج. الصحاح للجوهري (ربيع) ٣/١٢١٢، ولسان العرب لابن منظور (ربيع) ٨/١٠٥.

(٧) الآبق: هو الهارب من العبيد من غير خوف ولا كد عمل، أو استخفى ثم ذهب. لسان العرب (أبق) ٣/١٠، والقاموس المحيط ٣/٢٠٨.

الناد^(١)، لقول^(٢) الله تعالى : ﴿وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٣) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿[الصفات: ١٣٩، ١٤٠]. انتهى كلامه^(٣) .

وأكثر أهل المعاني اختاروا قول ابن عباس في رواية العوفي .

قال الأخفش : إنه قد أذنب بتركه قومه ، وإنما غاضب بعض الملوك ، ولم يغضب ربه ، كان^(٤) أعلم بالله من ذلك^(٥) .

وأما وجه قول^(٦) ابن عباس في رواية عطاء ؛ فإنه من الصغائر التي يُجَوِّزُهَا كثير من الناس على ما ذكره ابن قتيبة ، وليس قول من قال مغاضباً لربه على ظاهره ومعناه : مغاضباً لأمر ربه ؛ وهو رفعه العذاب عنهم وكان يشتهي وقوعه بهم .

وأما قول ابن عباس وابن مسعود : عبد^(٧) أبق من ربه ؛ أي من أمر ربه حين أمر أن يعود إليهم بعد رفع العذاب عنهم فلم يعد ، وركب البحر .

ويُذَلُّ على صحة ما ذكرنا ما روي عن ابن عباس في قصته : أنه لما خرج من بطن الحوت أنبت الله له شجرة من يقطين^(٨) ، فكان^(٩) يستظل بورقها حتى قوي بعض القوة ، فمضى يوماً إلى شط البحر ، ثم رجع إلى تلك الشجرة ، فوجدها قد

(١) موضع (الناد) بياض في (د) و(ع) . والناد : الشارد . القاموس المحيط ١ / ٣٤١ .

(٢) هكذا في النسخ جميعها ، وفي المشكل لابن قتيبة ٤٠٨ : (يقول) .

(٣) مشكل القرآن لابن قتيبة ٤٠٢-٤٠٨ بتصرف .

(٤) في (د) و(ع) : (وكان) .

(٥) معاني القرآن للأخفش ٢ / ٦٣٥ .

(٦) في (ت) : (وجه قوله) .

(٧) (عبد) زيادة من (د) و(ع) .

(٨) يقطين : هو كل شجر لا يقوم على ساق ، نحو الدباء والقرع والبطيخ ، لسان العرب لابن منظور

(قطن) ١٣ / ٣٤٥ .

(٩) في (د) و(ع) : (وكان) .

جفت ، فبكى حزناً عليها ، فأوحى الله إليه : أتحنن على شجرة أنبتها لك ، وقد أردت أن أهلك أكثر من مائة ألف من عبادي ؟ اذهب إلى قومك^(١) .

وهذا يدل على أنه اشتهدى نزول عذاب الله بقومه ، وكره دفعه عنهم ، وأن ركوبه البحر كان معصية لله^(٢) بترك أمره ، إذ أمره أن يعود إليهم . فأما أن يقال : إنه غاضب ربه ، فهو عظيم ، ولا يجوز القول بذلك في الأنبياء .

وروي وجه آخر من التأويل في قوله : ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغَضِبًا﴾ وهو أن معنى المغاضبة هاهنا : الأنفة ؛ لأن الأنف من الشيء يغضب ، فتسمى الأنفة غضباً ، والغضب أنفة ؛ إذ^(٣) كان كل واحد سبباً^(٤) من الآخر ، فمعنى ﴿ذَهَبَ مُغَضِبًا﴾ ذهب^(٥) أنفاً من ظهور خلف وعده ، وقال : والله لا أرجع إليهم كذاباً أبداً ، وعدتهم العذاب في يوم ما فلم يأت .

وهذا الوجه اختيار ابن قتيبة^(٦) .

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٥٧٨/١٣ ، ٥٧٩ من طريق عبد الله بن مسلم عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، بنحوه . وعبد الله بن مسلم هو ابن هرمل المكي ضعيف كما قال الحافظ بن حجر في التقریب ٣٢٣/١ . لكن روى ابن أبي شيبة ٥٤٢/١١ عن ابن مسعود نحو هذا . قال ابن حجر في الفتح ٤٥٢/٦ : وإسناده صحيح . اهـ . ويظهر أنه من أخبار بني إسرائيل . والله أعلم .

(٢) في (ت) : (الله) ، وهو خطأ .

(٣) في المشكل ٤٠٦ : (إذا) .

(٤) في المشكل ٤٠٦ : (بسبب) .

(٥) في (ت) : (وذهب) .

(٦) مشكل القرآن لابن قتيبة ٤٠٦ . قال القرطبي في تفسيره ٣٣١/١١ بعد حكايته لهذا القول ، وأنه من قولهم غضب إذا أنف : وهذا فيه نظر ، فإنه يقال لصاحب هذا القول : إن تلك المغاضبة - وإن كانت من الأنفة - فالأنفة لا بد أن يخالطها الغضب ، وذلك الغضب - وإن دق - على من كان ؟ وأنت تقول لهم يغضب على ربه ولا على قومه . اهـ .

وفي رواية أبي صالح : أن ملكاً من ملوك بني إسرائيل كان أمره بالمسير^(١) إلى نوى^(٢) ليدعو أهلها ، بأمر شعيا النبي فأنف أن يكون ذهابه إليهم بأمر أحد غير الله ، فخرج مغاضباً للملك ، فعاقبه الله^(٣) بالتقام الحوت ، فلما قذفه الحوت بعثه الله^(٤) إلى قومه ، فدعاهم ، وأقام بينهم حتى آمنوا^(٥) .

وعلى هذا ، مغاضبته كانت قبل رسالته . ولكن الصحيح الذي تواترت به الرواية أن^(٦) هذه المغاضبة^(٧) كانت بعد إرسال الله إياه إلى قومه ، ورفع العذاب عنهم بعد ما أظلمهم . ووجه المغاضبة ما ذكرنا ، وهو أنه كره رفع العذاب عنهم ، وأنف من أن يُجربوا عليه كذباً ؛ فأبق إلى الفلك المشحون .

وقوله تعالى : ﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : ظن أن لن نقضي عليه العقوبة .

-
- (١) في (د) و(ع) : (بالمسير) .
 (٢) نينوى : بكسر أوله وسكون ثانية وفتح النون والواو ، قرية بالموصل . انظر : معجم البلدان ٨ / ٣٦٨ ، ومراصد الاطلاع ٣ / ١٤١٤ .
 (٣) لفظ الجلالة ليس في (ت) في الموضعين .
 (٤) لفظ الجلالة ليس في (ت) في الموضعين .
 (٥) ذكر رواية أبي صالح : ابن قتيبة في مشكل القرآن ٤٠٩ بهذا النص .
 (٦) في (ت) : (أو) .
 (٧) في (د) و(ع) : (المعصية) .

وهذا قول مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، والكلبي ، ورواية عطية عن ابن عباس^(١) .

قال ابن عباس : أراد الظن بعينه .

يعني^(٢) : ليس الظن ها هنا بمعنى العلم ، بل هو بمعنى الحساب .

واختار الفرّاء والزّجاج هذا القول .

قال الفرّاء : ظن أن لن نقدر عليه من العقوبة ما قدرنا^(٣) .

وقال الزّجاج : ونقدّر بمعنى : نُقدّر^(٤) .

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤١ ب عن مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، والعوفي عن ابن عباس . وعن مجاهد رواه الطبري ١٧/ ٧٨ والبيهقي في الأسماء والصفات ٦٥٤ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٦٥ وعزاه لابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات . وعن قتادة والكلبي رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٢٧ ، والطبري في تفسيره ١٧/ ٧٨ . وقول الضحاك رواه الطبري في تفسيره ١٧/ ٧٨ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم . ورواية عطية عن ابن عباس رواها الطبري في تفسيره ١٧/ ٧٨ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ٦٥٣ وذكرها السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٦٦ وعزاه لابن جرير والبيهقي في الأسماء والصفات .

(٢) (يعني) ساقطة من (ت) .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢٠٩ .

(٤) معاني القرآن للزّجاج ٣/ ٤٠٢ وفيه : ويقدر بمعنى : يُقدّر .

ويقال : قَدَّرَ اللهُ الشيءَ وَقَدَّرَهُ ؛ أي قضاة . والقَدَّرَ يكون بمعنى التقدير ، ويدل عليه قوله :

وَمُفْرَهَةٌ عَنَسٍ قَدَرْتُ لِسَاقِهَا فَخَرَّتْ كَمَا تَتَّاعٍ ^(١) الرِّيحُ بِالْقَفْلِ ^(٢)

ويدل على صحة هذا قراءة عمر بن عبد العزيز والزهري (فظن أن لن نُقَدَّرَ عليه) [بالتشديد ^(٣)] ، وقرأ عبيد بن عمير وقتادة (فظن أن لن يُقَدَّرَ عليه) ^(٤) بضم الياء والتشديد ^(٥) ، وقرئ قوله : ^(٦) ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾ [الواقعة : ٦٠] وقوله : ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى : ٣] بالوجهين من التخفيف والتشديد ^(٧) .

- (١) في (ت) : (سايع) ، وفي (د) و(ع) : (تتابع) . والمثبت من تهذيب اللغة ، واللسان وغيرهما .
- (٢) البيت لأبي ذؤيب الهذلي . وهو في ديوان الهذليين ٣٨ / ١ وروايته فيه : لرجلها في موضع (لساقها) ، و(تتابع) في موضع تتابع ، ولسان العرب (تبع) ٣٨ / ٨ ، و(قفل) ٥٦١ / ١١ . والشطر الأخير في تهذيب اللغة للأزهري (تابع) ١٤٥ / ٣ ، و(قفل) ١٦٠ / ٩ . قال الأزهري في تهذيب اللغة ١٤٥ / ٣ : يقال : اتايعت الريح بورق الشجر إذا ذهبت به . وأصله : تتايعت به . وقال أبو ذؤيب يذكر عقره ناقته ، وأنها كاست على رأسها فخرت . ثم ذكر شطر البيت ثم قال : (والقفل : ما ييس من الشجر) . وبين السكري في شرح ديوان الهذليين ٣٩ / ١ معنى هذا البيت على رواية - تتابع - فقال : قوله (ومفرهة) : يعني ناقة تأتي بأولاده فواره ، و(عنس) : شديدة ، (قدرت لرجلها) ؛ أي هيأت وضربت رجلها فخرت لما عرقتها ، (كما تتابع الريح بالقفل) : القفل : النبات اليابس ، و(تتابع) : (تتابع) . يقول : خرت هذه الناقة حين ضربت رجلها كما تمر الريح باليبس فيتبع بعضه بعضاً أمه .
- (٣) بنون مضمومة وفتح القاف وكسر الدال . وذكر هذه القراءة عنها الثعلبي في الكشف والبيان ٤١ / ٣ ، البغوي ٣٥ / ٥ ، والرازي ٢٢ / ٢١٥ ، والقرطبي ١١ / ٣٣٢ . وذكرها عن الزهري وحده ابن الجوزي ٥ / ٣٨٢ ، وأبو حيان ٦ / ٣٣٥ ، والسمين الحلبي ٨ / ١٩١ .
- (٤) ساقط من (ت) .
- (٥) ذكر هذه القراءة عنها الثعلبي ٤١ / ٣ ، والقرطبي ١١ / ٣٣٢ ، وذكرها عن عبيد بن عمير وحده الرازي ٢٢ / ٢١٥ .
- (٦) (قوله) زيادة من (د) و(ع) .
- (٧) قرأ ابن كثير : (نحن قدرنا) بتخفيف الدال ، وقرأ الباقر : (قدرنا) بتشديدها . السبعة ٦٢٣ ، والتبصرة ٣٤٤ ، والتيسير ٢٠٧ . وقرأ الكسائي : (والذي قدر) بتخفيف الدال ، وقرأ الباقر : (قدر) بتشديدها . السبعة ٦٨٠ ، والتبصرة ٣٧٧ ، والتيسير ٢٢١ .

القول الثاني : فظن أن لن يضيق عليه الحبس .

وهذا معنى قول ابن عباس [في رواية عطاء ومنصور .

قال]^(١) في رواية عطاء : أن لن نعاقبه^(٢) .

وقال في رواية منصور : يعني^(٣) البلاء الذي أصابه^(٤) . وهذا الوجه اختيار أبي الهيثم وابن قتيبة .

قال أبو الهيثم : المعنى : فظن أن لن يضيق عليه ، من قوله عز وجل : ﴿وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ [الطلاق : ٧] ؛ أي من ضيق عليه^(٥) . وكذلك قوله : ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ [الفجر : ١٦] بمعنى : ضيق عليه^(٦) . وقد^(٧) ضيق الله على يونس أشد تضيق ضيقه على معذب في الدنيا ؛ لأنه سجنه في بطن الحوت^(٨) .

وقال ابن قتيبة : ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ ؛ أي لن نضيق عليه ، وأنا نخليه ونمهله ، والعرب تقول : فلان مقدر^(٩) عليه في الرزق ومقتر عليه ، بمعنى واحد ؛ أي مضيق عليه .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (د) و(ع) .

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣ / ٤١ ب عن عطاء وكثير من العلماء .

(٣) (يعني) زيادة من (د) و(ع) .

(٤) رواه الطبري ١٧ / ٧٩ من رواية منصور ، عنه . وهي رواية منقطعة ؛ فإن منصور بن المعتمر لم يدرك ابن عباس ، وفيها ضعف من جهة محمد الرازي شيخ الطبري ؛ لأنه ضعيف . انظر : تقريب التهذيب ٢ / ١٥٦ .

(٥) في (ت) : (يعني : تضيق عليه) ، وما أثبتناه من (د) و(ع) . وهو الموافق لما في تهذيب اللغة ٩ / ٢٠ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ت) .

(٧) (قد) ليست في (د) و(ع) .

(٨) قول أبي الهيثم في تهذيب اللغة للأزهري (قدر) ٩ / ٢٠ .

(٩) في المشكل مقدر . . . وفي (ع) : (يقدر) ، وفي (د) : (يقدر) غير منقوط الأول ، وفي (ت) : (مغيزر) . وقد أثبتنا ما في المشكل ؛ لأنه الموافق لما بعد : ومقتر .

عاقب الله يونس عن حميته وأنفته^(١) وإباقتة^(٢)^(٣) وكرأته العفو عن قومه وقبول إنابتهم بالحبس له والتضييق عليه في بطن الحوت^(٤).

وروى عوف ، عن الحسن ، أنه^(٥) قال : معناه : فظن أنه يعجز ربه فلا نقدر عليه^(٦).

وهذا التأويل بعيد ، ولا يجوز مثله على الأنبياء^(٧).

قال أبو الهيثم : من اعتقد أن يونس ظن أن لن يقدر الله عليه فهو كافر ؛ لأن يونس رسول ، لا يجوز ذلك الظن عليه^(٨).

وقال الأزهري : قوله : ﴿أَنْ لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ لا يجوز أن يكون من القدرة ؛ لأن من ظن هذا فقد كفر ، والظن شك ، والشك في قدرة الله كفر ، وقد عصم الله

(١) في (ت) : (وأبقتة) . وهو خطأ .

(٢) في (ت) : (وإباقتة) . وما أثبتنا من (د) و(ع) . وهو الموافق لما في المشكل .

(٣) في (ت) زيادة : (وأبقتة بعد ، وإباقتة) ، وهو تكرار من الناسخ ، وليست في نسختي (د) و(ع) ، ولا في المشكل .

(٤) مشكل القرآن لابن قتيبة ٤٠٨ ، ٤٠٩ بتصرف .

(٥) (أنه) بياض في (ت) .

(٦) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٤١/٣ ب من رواية عوف عن الحسن . ورواه الطبري في تفسيره ٧٩/١٧ من رواية عوف ، عن سعيد ابن أبي الحسن .

(٧) قال الطبري ٧٩/١٧ عن هذا القول : ووصفه - يعني يونس - بأنه ظن أن ربه يعجز عما أراد به ولا يقدر عليه ، وصف له بأنه جهل قدرة الله ، وذلك وصف له بالكفر وغير جائز لأحد وصفه بذلك . وقال القرطبي ٣٣١/١١ : وهذا قول مردود مرغوب عنه ؛ لأنه كفر . ثم ذكر أن المهدي حكاه عن سعيد بن جبير أو الثعلبي عن الحسن . ثم ذكر رواية أخرى عن الحسن أنه قال : هو من قوله تعالى : ﴿اللَّهُ يَسُطُّ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد ٢٦] ؛ أي يضيق ، ثم قال القرطبي : وهذا الأشبه بقول سعيد والحسن .

(٨) قول أبي الهيثم في تهذيب اللغة للأزهري (قدر) ٢٠/٩ مع حذف .

أنبياء عن مثل ما ذهب إليه هذا المتأول ، ولا يتأول مثله إلا جاهل بكلام العرب ولغاتها^(١) .

وقد ذهب الأخفش إلى مثل ما روي عن الحسن ، فقال : فظن أن يفوتنا^(٢) .

فقال أبو حاتم : لم يدر الأخفش ما معنى (نقدر) ، وذهب إلى القدرة ، ولو علم أن معنى (نقدر) نضيق لم يخبط هذا الخبط ، ولم يكن عالماً بكلام العرب ، وكان عالماً بقياس النحو^(٣) .

وروي عن ابن زيد أنه قال : هذا استيفاه^{(٤)(٥)} ؛ أي استفهام على معنى : أظن ؟ وهذا الوجه بعيدٌ أيضاً ؛ لأنه لا^(٦) يحذف حرف الاستفهام إلا في ضرورة الشعر سيما إذا لم يتبعه ما يدل عليه^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿ فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ ؛ يعني : ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت .

(١) تهذيب اللغة للأزهري ٢١ / ٩ .

(٢) ذكره عن الأخفش : أبو بكر بن الأنباري في كتابه إيضاح الوقف والابتداء ٧٧٧ / ٢ ، والأزهري في تهذيب اللغة ٢٠ / ٩ .

(٣) قول أبي حاتم في تهذيب اللغة للأزهري (قدر) ٢٠ / ٩ .

(٤) في (ت) و(د) : (استفاه) ، وفي (ع) : (اسعاه) ، غير منقوطة .

(٥) ذكره بهذا اللفظ عن ابن زيد : النحاس في القطع والائتناف ٤٧٩ في إحدى النسخ .
وقد رواه الطبري في تفسيره ٧٩ / ١٧ بلفظ : استفهام ، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٤١ / ٣ بـ
بمثل رواية الطبري .

(٦) في (د) و(ع) : (لم) .

(٧) هذا كلام النحاس في كتابه القطع والائتناف ٤٧٩ ، وقال الطبري ٧٩ / ١٧ ، ٨٠ : وأما ما قاله ابن زيد ؛ فإنه قول لو كان في الكلام دليل على أنه استفهام حسن ، ولكنه لا دلالة فيه على أن ذلك كذلك ، والعرب لا تحذف من الكلام شيئاً لهم إليه حاجة إلا وقد أبقت دليلاً على أنه مراد في الكلام .

قاله ابن عباس^(١) وجميع المفسرين^(٢).

وروي عن سالم ابن أبي الجعد أنه قال : ظلمة جوف الحوت ، ثم ظلمة جوف الحوت الآخر^(٣) الذي ابتلعه ، ثم ظلمة البحر^(٤).

قال الفرّاء : يقال : ظلمة البحر ، وبطن الحوت ، ومعاؤها الذي كان فيه يونس فتلك الظلمات^{(٥)(٦)}.

(١) رواه الطبري ٨٠ / ١٧ .

(٢) انظر : الطبري ٨٠ / ١٧ ، والكشف والبيان للثعلبي ٤٢ / ٣ ، وابن كثير ١٩٢ / ٣ ، والدر المنثور للسيوطي ٦٦٦ / ٥ .

(٣) في (ت) : (الأخرى) .

(٤) ذكره عن ابن أبي الجعد ، بهذا اللفظ ، الثعلبي في الكشف والبيان ٤٢٣ أ . وقد رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٥٤٣ / ١١ ، مختصراً عنه قال : حوت في حوت ، وظلمة البحر . ورواه الطبري ٨٠ / ١٧ عنه قال : أوحى الله إلى الحوت ألا تنصر له لحماً ولا عظماً ، ثم ابتلع الحوت حوت آخر ﴿فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ظلمة الحوت ، ثم حوت ، ثم ظلمة البحر . والقول بأن الحوت ابتلعه حوت آخر قول ، الله أعلم بصحته ، وهو من الإسرائيليات .

(٥) في (ت) : (الكلمات) ، وهو خطأ .

(٦) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٠٩ . قال ابن عطية ١٠ / ١٩٧ : ويصح أن يعبر بالظلمات عن جوف الحوت الأول كما قال : (في غيابات الحب) وكل جهاته ظلمة فجمعه سائغ . وقال الزمخشري ٢ / ٨٥١ : أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله : ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ [البقرة : ١٧] . وقال أبو حيان ٦ / ٣٣٥ وجمع الظلمات لشدة تكاثفها ، فكأنها ظلمة مع ظلمة .

وقوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ . قال محمد بن قيس ^(١): ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ حين عصيتك ، وما صنعت من شيء . فلم أعبد غيرك ^(٢) . وهذا معنى قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ﴾ ^(٣) .

(١) هو محمد بن قيس المدني ، قاص عمر بن عبدالعزيز ، أبو إبراهيم ، ويقال : أبو عثمان ، ويقال : أبو أيوب ، مولى معاوية بن أبي سفيان . روى عن أبي هريرة وجابر وعمر بن عبدالعزيز وغيرهم . وعنه ابن أبي ذئب والليث بن سعد وأبو معشر وغيرهم . وكان ثقة عالماً كثير الحديث . توفي بالمدينة أيام الوليد بن يزيد سنة ١٢٥ هـ أو ١٢٦ هـ .

طبقات ابن سعد (القسم المتمم) ٣٢٥ ، والكاشف للذهبي ٩١ / ٣ ، وتهذيب التهذيب ٩ / ٤١٤ . ذكره بهذا الثعلبي في الكشف والبيان ٣ / ٤٢ أ . وقد رواه الطبري ١٧ / ٨١ من طريق أبي معشر قال : قال محمد بن قيس قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ﴾ ما صنعت من شيء فلم أعبد غيرك ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ حين عصيتك .

(٣) قال أبو العباس أحمد بن تيمية :
فإن يونس - عليه السلام - ذهب مغاضباً ، وقال تعالى : ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ ، وقال تعالى : ﴿فَالْقَمَةُ أَلْحُوتُ وَهُوَ يُؤْمِنُ﴾ ففعل ما يلام عليه ، فكان المناسب لحاله أن يبدأ بالثناء على ربه ، والاعتراف بأنه لا إله إلا هو ، فهو الذي يستحق أن يعبد من دون غيره فلا يطاع الهوى ، فإن اتباع الهوى يضعف عبادة الله وحده ، وذو النون شهد ما حصل من التقصير في حق الإلهية بما حصل من المغاضبة ففي ذلك من المعارضة في الفعل لحب شيء آخر ما يوجب تجريد محبة الله وتأله له وأن يقول (لا إله إلا أنت) وهذا الكلام يتضمن براءة ما سوى الله من الإلهية سواء صدر ذلك عن هوى النفس أو طاعة الخلق أو غير ذلك فإن قول العبد : لا إله إلا أنت ، يمحو أن يتخذ إله هواه . فكمثل يونس - صلوات الله عليه - تحقيق إلهيته لله ، ومحو الهوى الذي يتخذ إلهاً من دونه ، لم يبق له - صلوات الله عليه وسلامه - عند تحقيق قوله : (لا إله إلا أنت) إرادة تراحم إلهية الحق ، بل كان مخلصاً لله الدين إذ كان من أفضل عباد الله المخلصين .

وقوله ﴿سُبْحَانَكَ﴾ ، يتضمن تعظيمه وتنزيهه عن الظلم وغيره من النقائص ، والمقام يقتضي تنزيهه عن الظلم والعقوبة بغير ذنب ، يقول : أنت مقدس ومنزه عن ظلمي وعقوبتي بغير ذنب ؛ بل أنا الظالم الذي ظلمت نفسي . انتهى كلامه - رحمه الله - ملخصاً مع تصرف . انظر : الفتاوى ١٠ / ٢٨٤ -

وروى محمد بن سعد^(١)، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: «دعاء ذي النون^(٢) في بطن الحوت ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجيب له»^(٣).

وقال الحسن وقتادة: هذا القول من يونس اعتراف بذنبه، وتوبة من خطيئته، تاب إلى ربه في بطن الحوت وراجع نفسه، فقال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٤).

٨٨. قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾؛ أي أجبنا دعاءه ﴿وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ قال ابن عباس: يريد من تلك الظلمات^(٥).

(١) هو محمد بن سعد بن أبي وقاص، أبو القاسم، القرشي، الزهري، المسدي. روى عن أبيه وعثمان وطائفة. وكان ثقة عالماً. قام على الحجاج مع ابن الأشعث، فأسر يوم دير الجماجم، فقتله الحجاج سنة ٨٢ هـ.

طبقات ابن سعد ٥/١٦٧، ٦/٢٢١، وسير أعلام النبلاء ٤/٣٤٨، وتهذيب التهذيب ٩/١٨٣.

(٢) في (أ) و(ت): (قال ذو النون).

(٣) رواه الترمذي في جامعه في كتاب الدعوات، باب ٨٥/٩/٤٧٩ تحفة، والنسائي في عمل اليوم والليلة ٤١٦، والحاكم في مستدركه ١/٥٥٥، والطبراني في الدعاء ٢/٨٣٨. ورواه الإمام أحمد في مسنده ١/١٧٠، وأبو يعلى في مسنده ٢/١١٠، ١١١ وفي أوله قصة، كلهم من طريق محمد بن سعد، عن أبيه، به.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٦٨: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص وهو ثقة. والحديث صحيحه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه العلامة أحمد شاكر في تعليقه عن المسند ٣/٣٥، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع ١/٦٣٧.

(٤) ذكر الزمخشري ٢/٥٨٢ عن الحسن قال: ما نجاه الله إلا بإقراره على نفسه بالظلم.

(٥) ذكره البغوي ٥/٣٥٢ من غير نسبة. انظر: تنوير المقباس ٢٠٤.

قال أبو حيان ٦/٣٣٥: والغم ما كان ناله حين التقمه الحوت، ومدة بقائه في بطنه.

﴿وَكَذَلِكَ نُشَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ . قال : وكذلك أفعل بأوليائي .

وروي مرفوعاً^(١) أن قوله : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ شرط الله لمن دعاه بها أن يجيبه كما أجاب يونس ، وينجيه كما أنجاه .

﴿وَكَذَلِكَ نُشَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ؛ أي^(٢) كما أنجينا ذا النون .

وروي عن عاصم أنه قرأ : (نجي) مشددة^(٣) الجيم^(٤) . وخط المصحف بنون واحدة . قال الفرّاء^(٥) ، والزجاج^(٦) ، وابن مجاهد^(٧) : لأن النون الثانية^(٨) تخفى مع الجيم وهي ساكنة ، فلا تظهر على اللسان ، فلما خفيت حذفت من الخط ، وهي في اللفظ ثابتة .

وقال أبو علي : إنما حذفت النون من الخط كراهية لاجتماع صورتين متفقتين ، وقد كرهوا ذلك في الخط في غير هذا الموضع ، وذلك أنهم كتبوا نحو : الدنيا والعليا بالألف ، ولولا الياء التي قبل الألف لكتبوها بالياء كما كتبوا نحو : نهمى

(١) رواه الطبري ٨٢ / ١٧ من حديث سعد ابن أبي وقاص . وفي سنده علي بن زيد بن جدعان وقد ضعف . انظر : التقريب ٣٧ / ٢ .

(٢) (أي) : ساقطة من (أ) .

(٣) في (أ) : (مشدد) .

(٤) قرأ عاصم في رواية أبي بكر ، وابن عامر : (نجي) بنون واحدة ومشددة الجيم ، وقرأ الباقر بنونين مخففاً .

السبعة ٤٣٠ ، والمبسوط ٢٥٤ ، والتبصرة ٢٦٤ ، والتيسير ١٥٥ ، والنشر ٣٢٤ / ٢ .

(٥) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٠٩ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣ / ٤٠٣ .

(٧) انظر : السبعة لابن مجاهد .

(٨) موضع (ثانية) : بياض في (ت) .

وحبلى وأخرى ، ونحو ذلك بالياء ، فلما كرهوا الجمع بين صورتين متفتحتين في هذا النحو كذلك كرهوه في (ننجي) فحذف^(١) النون الساكنة^(٢) .

وأما قراءة عاصم ؛ فقد حكم عليها الزَّجَّاج^(٣) والفرَّاء^(٤) وجميع النحويين بالغلط عليها وأنها لحن^(٥) .

ثم ذكر الفرَّاء لها وجهاً فقال : أضمر المصدر في (ننجي) فنوى به الرفع ، ونصب المؤمنين ، فيكون كقولك ضرب الضرب زيدا ؛ ثم تكتني عن الضرب فتقول : ضرب زيدا ، وكذلك^(٦) نُجِّي النجاء زيدا^(٧) .

(١) في الحجة : (فحذفوا) .

(٢) الحجة لأبي علي الفارسي ٢٦٠ / ٥ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤٠٣ / ٣ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٢١٠ / ٣ .

(٥) قال السمين الحلبي في الدر المصون ١٩٣ / ٨ : وهذه القراءة متواترة ، ولا التفات على من طعن على قارئها ، وإن كان أبو علي قال : هي لحن . وهذه جرأة منه قد سبقه إليها أبو إسحاق الزَّجَّاج .

(٦) في (أ) : (وكذا) .

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ٢١٠ / ٢ .

ومن صَوَّب هذه القراءة واختارها أبو عبيد ، فقال ^(١) : وإنما ^(٢) قرأها عاصم كذلك اتباعاً للخط ، وله مخرجان في العربية :

أحدهما : أن يريد (نُنَجِّي) ^(٣) مشددة لقوله : ﴿وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ ثم تدغم النون الثانية في الجيم ^(٤) .

والمخرج الثاني : ذكره ^(٥) ، وهو ما ذكر الفراء ، وذكره ابن قتيبة أيضاً وأنشد ^(٦) :

ولو ولدت قُفَيْرَةً جَرَوْ كَلْبٍ لَسَبَّ بِذَلِكَ الْجَرَوِ الْكَلَابَا ^(٧)

(١) اختيار أبي عبيد وقوله في إعراب القرآن للنحاس ٧٨ / ٣ ، والكشف لمكي بن أبي طالب ١١٢ / ٢ ، ١١٣ ، والقرطبي ٣٣٥ / ١١ .

وبعضه في مشكل القرآن لابن قتيبة ٥٥ ، وإعراب القراءات السبع لابن خالويه ٦٧ / ٢ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، والبحر المحيط لأبي حيان ٣٣٥ / ٦ .

(٢) في (د) و(ع) : (إنها) .

(٣) في (أ) و(ت) : (ننَج) .

(٤) سيأتي بيان ضعف هذا التوجيه .

(٥) يعني ذكره أبو عبيد .

(٦) في مشكل القرآن لابن قتيبة ٥٥ : (وأنشدني بعض النحويين) . ثم ساق البيت .

وقد نسب البغدادى في خزانة الأدب ١٦٣ / ١ هذا البيت لجرير ، وتبعه في ذلك الشنقيطي في الدرر اللوامع ٤٤ / ١ . والبيت بلا نسبة في الحجة للفراسي ٢٦٠ / ٥ ، الخصائص لابن جني ٣٧٩ / ١ ، وأملى ابن الشجري ٢ / ٢١٥ ، وهمع الهوامع للسيوطي ١ / ١٦٢ . قال البغدادى في الخزانة ١٦٣ / ١ قفيرة ، بتقديم القاف والفاء والراء المهملة : اسم أم الفردق ، والجرو - مثلث الجيم - ولد السباع . وهذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها الفردق مطلعها :

أقلى اللوم عادلاً والعتابا وقولي إنْ أصبْتُ لقد أصابا

ولم أجد هذا البيت في ديوانه المطبوع .

(٧) مشكل القرآن لابن قتيبة ٥٥ ، ٥٦ .

نصب الكلاب على إضمار المصدر^(١).

وأما تسكين الياء من (نَجِّي) على قراءة عاصم فقال ابن الأنباري : سكنت الياء من (نجي) وهو فعل ماض ؛ لأن جماعة من العرب يستثقلون تحريك الياء

(١) ذكر الواحددي وجهين في توجيه هذه القراءة ، وهناك وجهان آخران :

الوجه الأول : وهو أصح الأقوال ، ما ذكره أبو جعفر النحاس في إعراب القرآن ٧٨/٣ قال : ولم أسمع في هذا ، يعني توجيه هذه القراءة - أحسن شيء سمعته من علي بن سليمان - يعني الأخفش الأصغر قال : الأصل (ننجي) فحذف إحدى النونين لاجتماعهما ، كما يحذف إحدى التائين لاجتماعهما نحو قول الله جل وعز : ﴿وَلَا تَقْرَؤُا﴾ [آل عمران : ١٠٣] الأصل : تفرقوا . قال النحاس : والدليل على صحة ما قال أن عاصماً يقرأ (نجي) بإسكان الياء ، ولو كان على ما تأوله من ذكرناه - بعد الوجهين الذين ذكرهما - لكان مفتوحاً . انتهى كلامه . وعلى هذا الوجه خرج أبو الفتح عثمان بن جني هذه القراءة فقال في كتابه الخصائص ٣٩٨/١ : وأما قراءة من قرأ : ﴿وَكَذَلِكَ تُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ فليس على إقامة المصدر مقام الفاعل ونصب المفعول الصريح ، لأنه عندنا على حذف إحدى نوني (ننجي) كما حذف ما بعد حرف المضارعة في قوله سبحانه : (تذكرون) ؛ أي تذكرون ، ويشهد أيضاً لذلك سكون لام (نجي) ولو كان ماضياً لانفتحت اللام إلا في الضرورة . وجود هذا الوجه أبو شامة المقدسي في إبراز المعاني ٦٠١ وقال أيضاً : وهو وجه شديد غريب لا تعسف فيه ، ويشهد له أيضاً حذف إحدى النونين من (تحتاجوني) ، و(تبشروني) و(تأمروني) . واستظهره أيضاً ابن هشام في أوضح المسالك ٣/٣٥٠ ، وحسنه السمين الحلبي في الدر المصون ٨/١٩١ واستشهد له . لكن مكّي ابن أبي طالب ضعف هذا الوجه في كتاب مشكل إعراب القرآن ٢/٤٨٣ ، وتبعه أبو البقاء العكبري في الإملاء ٢/١٣٦ قال : واللفظ للعكبري : وهذا ضعيف لوجهين : أن النون الثانية أصل وهي فاء الكلمة فيبعد حذفها ، والثاني : أن حركتها غير حركة النون الأولى فلا يستقل الجمع بينهما . وقد رد السمين الحلبي في الدر ٨/١٩٢ على أبي البقاء فقال : أما كون الثانية أصلاً ؛ فلا أثر له في منع الحذف ، ألا ترى أن النحويين اختلفوا في إقامة واستقامة ؛ أي الألفين المحذوفة ؟ مع أن الأولى هي أصل لأنها عين الكلمة . وأما اختلاف الحركة ؛ فلا أثر أيضاً لها ؛ لأن الاستثقال باتحاد لفظ الحرفين على أي حركة كانا . اهـ .

الوجه الثاني : أن (نجي) فعل ماض مسند لضمير المصدر ، فضمير المصدر أقيم مقام الفاعل ، و(المؤمنين) منصوب بإضمار فعل مقدر ، وليس منصوباً بنجي والتقدير : وكذلك نجى هو : أي النجاء ، ننجي المؤمنين .

ذكر أبو حيان ٦/٣٣٥ ، والسمين الحلبي ٨/١٩٣ هذا الوجه .

فيقولون : بقي فلان ، ورضي فلان . وإلى هذا ذهب الحسن فقرأ^(١) : (وذروا ما بقي من الربا) ، قال الشاعر :

ليت شعري إذا القيامة قامت ودُعي بالحساب أين المصير^(٢)^(٣)

قال : وقال الفرّاء^(٤) : وقوم^(٥) من العرب يكرهون تحريك الياء ؛ فيجعلونها ألفاً فيقولون في بقي : بقا^(٦) ، وفي نعي^(٧) : نعا .

وأنشد^(٨) :

لعمرك ما أخشى التصعلك ما بقا على الأرض قيسي يسوق الأباعرا

(١) قراءة الحسن في الشواذ لابن خالويه ١٧ ، والقرطبي ٣ / ٣٦٩ ، والبحر المحيط ٢ / ٣٣٧ ، والدر المصون ٢ / ٦٣٧ .

(٢) في (أ) و(ت) و(ع) : (المصير) ، والمثبت من (د) وبقية المصادر .

(٣) هذا البيت أنشده ابن الأنباري في شرحه للقوائد السبع الطوال الجاهليات ٢٩٥ ، ولم ينسبه لأحد . وهو من غير نسبة في إيضاح الشعر لأبي علي الفارسي ٢ / ٣١٤ ، وأما ابن الشجري ١ / ٣٦ ، والقرطبي ١١ / ٣٣٥ . قال القرطبي : سكن الياء في (دعي) استثقلاً لتحريكها وقبلها كسرة .

(٤) لم أجد قول الفرّاء .

(٥) (وقوم) : ساقطة من (أ) و(ت) . وهؤلاء القوم هم طيء كما سيأتي .

(٦) في (أ) و(ت) : (بقي ، نعي) .

(٧) في (أ) و(ت) : (بقي ، نعي) .

(٨) البيت لزيد الخيل ، وهو في ديوانه ٦٢ ، والنوادر لأبي زيد ٢٧٩ ، والطبري ١١ / ٦٩ . قال أبو زيد : يقول ما أخشى ما بقي قيسي يسوق إبلاً ؛ لأنني أغير عليهم اهـ . والتصعلك : الفقر . الصحاح للجوهري (صعلك) ٤ / ١٥٩٦ . والشاهد من البيت قوله : ما بقا . إذ أصله ما بقي ، فقلبت الياء ألفاً .

وَأُنْشِدْ أَيْضاً^(١) :

أَفِي كُلِّ عَامٍ مَاتُمْ تُحْدِثُونَهُ عَلَى فَاجِعٍ مِنْ خَيْرِ قَوْمِكُمْ^(٢) نَعَا^(٣)

قال : وشبيهه هذا إسكانهم الياء المنكسر ما قبلها في النصب كقول رؤبة :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقِ^(٤)^(٥)

(١) هذان الشطران لزيد الخيل أيضاً ، وقد روت المصادر على خلاف بينها في بعض الألفاظ هذا الشعر هكذا :

أَفِي كُلِّ عَامٍ مَاتُمْ تَبْعُونَهُ عَلَى مُحْمَرٍ عَوْدٍ أَثِيبَ وَمَارُضَا
تَحْدُونُ خَمْشاً بَعْدَ خَمْشٍ كَأَنَّهُ عَلَى فَاجِعٍ مِنْ خَيْرِ قَوْمِكُمْ نَعَا
والبيتان في : ديوان زيد الخيل ٥٥ ، والنوادر لأبي زيد ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، وشرح أبيات سيبويه للسرياني ١٢١ / ١ ، وخزانة الأدب للبغداد ٩ / ٤٩٤ .

والبيت الأول في الكتاب لسبويه ١ / ١٢٩ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ١٧٦ ، ولسان العرب (أتم) ١٢ / ٤ . وهما من قصيدة قالها زيد مجيباً لكعب بن زهير ، وكان زيد قد أخذ فرساً لكعب ، فقال كعب :

لَقَدْ نَالَ زَيْدُ الْخَيْلِ مَالَ أَحْيَاكُمْ فَأَصْبَحَ زَيْدٌ بَعْدَ فَقْرٍ قَدْ اقْتَنَى

فقال زيد : أفي كل

قال البغداد ٩ / ٤٩٤ ، ٤٩٥ : قوله : (أفي كل عام) . . . الخ استفهام توبيخي ، (والمأتم) مهموز ، وهو الجماعة من النساء يجتمعن لحزن أو فرح ، والمراد به هنا الحزن . وقال أبو زيد ٣٠٣ : المحمر : الفرس يشبه الحمار . . . ، والعود : المسن . أثيب : أعطى ثوابه . وقال السرياني ١ / ١٢١ : المحمر : البرذون ، وقيل هو السكيت الذي لا خير منه من الخيل . يريد أنهم يجمعون نساء ليكن على هذا المحمر والفاجع : الهالك الذي يؤذي أهله فقده . و(رضا) و(نعا) أصلها (رضي) و(نعي) فقلبت الياء فيها ألفاً ، وهذه لغة طائية . اهـ .

(٢) في (أ) و(ت) : (قومك) .

(٣) في (ت) : (ناعيا) .

(٤) في (أ) : (القرق) .

(٥) هذا الرجز لرؤبة ، وبعده : أيدي جوار يتعاطين الورق . وهو في ديوانه : ١٧٩ ، والكامل للمبرّد ٢ / ٣٢٠ ، والعمدة لابن رشيق ٢ / ١٩٣ ، وأمالى ابن الشجري ١٠٥ / ١ ، وخزانة الأدب ٨ / ٣٤٧ . وغير منسوب في مقاييس اللغة : لابن فارس (قرق) : ٥ / ٧٥ ، والخصائص لابن جني ١ / ٣٠٦ ، وأمالى المرتضى ١ / ٥٦١ ، ولسان العرب (قرق) ١٠ / ٣٢١ ، وهمع الهوامع للسيوطي ١ / ٥٣ =

وهذا وجه قول من أجاز هذه القراءة .

والذين لم يميزوها أبطلوا هذا ، قال الزَّجَّاج : لا يجوز ضرب زيداً . تريد : ضرب الضرب ؛ لأنك إذا قلت : ضرب زيد ، فقد علم أن^(١) الذي ضربه ضَرْبٌ ، فلا فائدة من إضماره وإقامته مقام^(٢) الفاعل^(٣) .

وقال أبو علي : قول من قال : إنه يسند الفعل إلى المصدر ويضمه ؛ لأن الفعل دل عليه فذلك مما يجوز في ضرورة الشعر والبيت الذي أنشد^(٤) :

ولو ولدت قفيرة

لا يكون حجة في هذه القراءة^(٥) .

وأما ما ذكره أبو عبيد^(٦) أنه (ننجي) من التنجية فادغم النون في الجيم [هذا لا وجه له ؛ لأنه لا يجوز إدغام النون في الجيم]^(٧) سيما والنون متحركة والجيم مشددة بالتضعيف^(٨) .

والشاهد فيه إسكان الياء من (أيديهن) والقياس فتحها . قال ابن الشجري في أماليه ١ / ١٠٥ ضمير (أيديهن) للإبل ، والقاع : المكان المستوي ، والقرق بفتح القاف الأولى وكسر الراء : الأملس ، وجوار ، بفتح الجيم : جمع جارية ، ويتعاطين ؛ أي يناول بعضهن بعضاً . والورق : الدراهم ، وفي التنزيل ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ﴾ [الكهف : ١٩] اهـ . وقال المرتضى في أماليه ١ / ٥٦١ : شبه حذف مناسمهن له بحذف جوار يلعبن بدراهم ، وخص الجواري لأنهن أخف يداً من النساء .

(١) عند الزَّجَّاج : (أنه) .

(٢) عند الزَّجَّاج : (مع الفاعل) .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣ / ٤٠٣ .

(٤) في (د) و(ع) : (أنشدوا) ، والمثبت من باقي النسخ هو الموافق لما في الحجة .

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي ٥ / ٢٦٠ .

(٦) في (د) و(ع) : (أبو علي) ، وهو خطأ .

(٧) ساقط من (د) و(ع) .

(٨) وضعفه أيضاً النحاس في إعراب القرآن ٣ / ٧٨ ، وقال عنه ابن خالويه في إعراب القراءات السبع وعللها ٢ / ٦٧ ، إنه غلط ، وضعفه جداً السمين الحلبي في الدر المصون ٨ / ١٩٣ .

وحمل أبو علي وجه هذه القراءة على أن الراوي عن^(١) عاصم غلط في^(٢) روايته وأن الغلط جاء^(٣) من جهة الراوي لا من جهة عاصم ، فقال إن عاصماً ينبغي أن يكون قرأ (ننجي المؤمنين) بنونين وأخفى^(٤) الثانية ؛ لأن هذه النون^(٥) تخفى مع حروف الفم وتبينها لحن ، فلما أخفى عاصم ظن السامع أنه إدغام ، فالتبس على السامع الإخفاء بالإدغام من حيث كان كل^(٦) واحد غير مبين^(٧) ويدل على هذا إسكانه الياء من (نجي) والفعل إذا كان مبنياً للمفعول به وكان ماضياً لم يسكن آخره فإسكان الياء يدل على أنه قد قرأ (ننجي) كما روى حفص عنه^(٨) ، ومما يمنع أن يظن ذلك به نصب قوله : ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ ولو كان على ما لم يسم فاعله لوجب أن يرتفع ؛ لأن الفعل إذا بني للمفعول ينبغي أن يسند إليه كما يسند المبني للفاعل إليه^(٩) .

(١) في (ع) : (من) .

(٢) في (أ) : (لي) .

(٣) في (أ) : (جاءه) .

(٤) في (أ) و(ت) : (واخفاء) .

(٥) في (أ) و(ت) : (النونين) .

(٦) (كل) : ساقطة من (أ) و(ت) .

(٧) هذه دعوى لا دليل عليها ، فإنه الراوي عن عاصم هو أبو بكر بن عياش ، وهو إمام ضابط القراءة حتى قال ابن مجاهد في السبعة ٧١ ، في سياق كلامه عن سبب عدم غلبة قراءة عاصم على أهل الكوفة وإلى قراءة عاصم صار بعض أهل الكوفة ، وليست بالغالبة عليهم ؛ لأنه أضبط من أخذ عن عاصم أبو بكر بن عياش - في ما يقال - لأنه تعلمها منه تعليماً : خمساً خمساً . وكان أهل الكوفة لا يأتمنون في قراءة عاصم بأحد ممن يثبتونه في القراءة عليه إلا بأبي بكر بن عياش ، وكان أبو بكر لا يكاد يمكن من نفسه من أرادها منه ، فقلت بالكوفة من أجل ذلك وقل من يحسنها . اهـ .

ثم إن هذه القراءة هي الموافقة لرسم المصحف ولذلك اختارها أبو عبيد ، وقد بين العلماء وجهها من العربية . فلا مجال بعد ذلك للطعن فيها وتغليب رواته ، لا سيما وقد قرأ بها ابن عامر أيضاً كما تقدم تحريج القراءة ، ولم ينفرد بها أبو بكر ، أفيقال أيضاً : إن ابن عامر أو الرواة عنه غلطوا فظنوا أنه إدغام فالتبس عليهم الإخفاء بالإدغام ؟ ! .

(٨) انظر : ما تقدم بيان سبب إسكان الباء .

(٩) الحجة للفارسي ٢٥٩/٥ ، ٢٦٠ مع تصرف .

٨٩. قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾. قال ابن عباس: يريد وحيداً بلا ولد^(١).

وهذا كقوله: ﴿مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ ﴿يَرْئِي﴾ الآية [مريم: ٥-٦].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾، قال ابن عباس: أفضل الوارثين. وقال المفسرون: رد الأمر إلى الله^(٢).

ومعنى هذا: أنه أثني على الله بأنه الباقي بعد فناء خلقه، وأنه أفضل من بقي حياً بعد ميت، وأن الخلق كلهم يموتون ويبقى هو، هذا معنى قولهم: رد الأمر إلى الله^(٣).

(١) في تنوير المقباس ٢٠٤: وحيداً بلا معين.

(٢) الطبري ٨٣/١٧، والكشف والبيان للثعلبي ٤٢/٣ ب.

(٣) ويحتمل أن يكون معنى قول المفسرين: رد الأمر إلى الله، ما قاله الزمخشري ٥٨٢/٢، وابن جزي ٦٧/٣، وأبو حيان ٦٣٦/٦: ثم رد أمره إلى الله مستسلماً، فقال: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾؛ أي إن لم ترزقني من يرثني، فلا أبالي فإنك خير وارث.

وقد اعترض على هذا الوجه، وأنه لا يناسب مقام الدعاء، فإن من آداب الداعي أن يدعو بجهد واجتهاد وتصميم منه.

وذكر الألوسي ٨٧/١٧ احتمال أن يكون معنى رد الأمر إلى الله من قبيل: ارزقني إن شئت، ولكن المقصود منه إظهار الرضا والاعتماد على الله عز وجل، ولو لم يجب دعاءه. والأقرب أن معنى قوله: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ما قاله ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره ١٩٣/٣: دعاء وثناء مناسب للمسألة.

وبينه ابن عاشور في التحرير والتنوير ١٣٥/١٧ بقوله: وجملة ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ثناء لتمهيد الإجابة؛ أي أنت الوارث الحق، فاقض علي من صفتك العالية شيئاً، وقد شاع في الكتاب والسنة ذكر صفة من صفات الله عند سؤاله إعطاء ما هو من جنسها، كما قال أيوب: ﴿وَأَنْتَ أَزْكَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، ودل ذكر ذلك على أنه سأل الولد لأجل أن يرثه كما في آية سورة مريم: ﴿يَرْئِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾.

٩٠. وقوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ . قال قتادة : كانت عاقراً فجعلها الله ولوداً^(١) .

وقال الكلبي : كانت عقيماً لم تلد شيئاً قط ، فأصلحت بالولد فولدت وهي بنت تسع وتسعين سنة^(٢) .

وهذا قول أكثر المفسرين أن إصلاح زوجه^(٣) إزالة عقرها^(٤) .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : كان في لسان امرأة زكريا طول فأصلحه الله ، فلم تكن تخالفه ولا تعصيه ، وانقطع لسانها عنه^(٥) .
والأول أشبه^(٦) .

وقوله : ﴿إِنَّهُمْ﴾ الظاهر أن الكناية تعود إلى زكريا ويحيى وامرأة زكريا^(٧) .
ويدل على هذا ما روي أن أبا بكر - رضي الله عنه - خطب فقال في خطبته : وإن الله أثنى على زكريا وأهل بيته فقال : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَكَّرُونَ﴾ الآية^(٨) .

(١) رواه الطبري ٨٣ / ١٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦٧٠ / ٥ ، وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) ذكر الماوردي في النكت والعيون ٤٦٨ / ٣ عن الكلبي أنه قال : ولدت له وهو ابن بضع وسبعين سنة .

(٣) في النسخ جميعها : (زوجها) . وهو خطأ . والتصويب من الوسيط ٣٥٠ / ٣ .

(٤) انظر : الطبري ٨٣ / ١٧ ، والكشف والبيان للثعلبي ٤٢ / ٣ ب ، وابن كثير ١٩٣ / ٣ ، والدر المنثور للسيوطي ٦٧٠ / ٥ .

(٥) رواه الحاكم في مستدركه ٣٨٣ / ٢ من طريق طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس . وقال : حديث صحيح الإسناد . وتعقبه الذهبي بقوله : طلحة واه .

(٦) وقال ابن كثير ١٩٣ / ٣ ، والأظهر من السياق الأول . وقال ابن عطية ٢٠٠ / ١٠ : وعموم اللفظة يتناول كل وجوه الإصلاح .

(٧) هذا قول الطبري ٨٣ / ١٨ . وذكره الماوردي ٤٦٨ / ٣ ، وابن الجوزي ٣٨٥ / ٥ من غير نسبة .

(٨) رواه ابن أبي شيبه في مصنفه ٢٥٨ / ١٣ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ، كما في تفسير ابن كثير ١٩٣ / ٣ ، وأبو نعيم في الحلية ٣٥ / ١ ، والحاكم في مستدركه ٣٨٣ / ٢ ، ٣٨٤ ، كلهم من طريق =

وقال بعض المفسرين : ﴿إِنَّهُمْ﴾^(١) يعني الأنبياء الذين ساء لهم في هذه السورة^(٢).

ومعنى ﴿يُسْكِرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ ؛ قال ابن عباس : يبادرون في طاعة الله^(٣) وأداء فرائضه ، ويتنافسون^(٤) في المعروف على عباد الله^(٥).

وقوله تعالى : ﴿وَيَدْعُونَكَ رَغْبًا وَرَهْبًا﴾ . الرَّغْبُ والرَّغْبَةُ كلها مصادر^(٦) ، وكذلك في الرَّهْب^(٧).

والرغبة والرهباء اسمان منها ، يقال : الرهباء من الله والرغبة إليه^(٨).

-
- =
- عبد الرحمن بن إسحاق ، عن عبد الله القرشي ، عن عبد الله بن حكيم قال : خطبنا أبو بكر ، فذكره .
قال الحاكم بعد إخرجه ٢ / ٣٨٤ : هذا حديث صحيح الإسناد . لكن تعقبه الذهبي بقوله :
عبد الرحمن بن إسحاق كوفي ضعيف .
وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور ٥ / ٦٧١ وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي نعيم
والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان .
(١) (إنهم) : زيادة من (د) و(ع) .
(٢) هذا قول الثعلبي في الكشف والبيان ٣ / ٤٢ ب .
وقد ذكره البغوي ٥ / ٣٥٣ ، والزنجشري ٢ / ٥٨٢ وابن الجوزي ٥ / ٣٨٥ من غير نسبة لأحد .
(٣) لفظ الجلالة سقط من (د) و(ع) .
(٤) في (د) و(ع) : (ويتنافسون) .
(٥) انظر : تنوير المقباس ٢٠٤ .
(٦) انظر : تهذيب اللغة (رغب) ٨ / ١٢١ ، ولسان العرب ١ / ٤٢٢ ، ٤٢٣ . والقاموس المحيط ١ / ٧٤ ،
وتاج العروس ٢ / ٥٠٨ .
(٧) انظر : تهذيب اللغة (رهب) ٦ / ٢٩٠ ، ولسان العرب ١ / ٤٣٦ ، والقاموس المحيط ١ / ٧٦ ، وتاج
العروس ١ / ٥٣٧ .
(٨) تهذيب اللغة للأزهري ٦ / ٢٩٢ ، ٢٩٣ مع تصرف منسوباً إلى الليث .
وهو بنحوه في العين ٤ / ٤٧ . انظر ما تقدم من مصادر في : (رغب) و(رهب) .

وانتصابها على المصدر على معنى : يرغبون رغباً ، ويرهبون رهباً ، أو على المفعول له ؛ أي للرغب^(١) والرهب^(٢) .

قال ابن عباس : يريد راغبين في الجنة وخائفين من النار^(٣) . ﴿وَكَاْنُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ قال مجاهد : متواضعين^(٤) .

وقال قتادة : ذُلِّلَ لأمر الله^(٥) .

٩١ . قوله تعالى : ﴿وَالَّتِي﴾ ؛ يعني مريم بنت عمران . ﴿وَالَّتِي﴾ في محل النصب بالعطف على ما قبلها^(٦) .

﴿أَحْصَكْتَ﴾ ؛ أحرزت ومنعت عن الفساد . ﴿فَرَّجَهَا﴾ . ذكر الفراء والزجاج أنه يعني : جيبها^(٧) .

(١) في (أ) و(ت) : (الرغب) ، وهو خطأ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٠٣/٣ ، والإملاء للعكبري ١٣٦/٢ ، والبحر المحيط ٣٣٦/٦ ، والدر المصون ١٩٤/٨ .

(٣) نحوه في تنوير المقباس ٢٠٤ .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٩٣/٣ عن مجاهد . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦٧١/٥ عن مجاهد وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٩٣/٣ عن الحسن و قتادة بلفظ : متذللين لله عز وجل .

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦٧٠/٥ عن قتادة بلفظ (أذلاء) . وعزاه لابن جرير ، ولم أره فيه ، وابن المنذر وابن أبي حاتم .

قال ابن كثير ١٩٣/٣ بعد سياقه لهذه الأقوال : وهذه الأقوال متقاربة .

(٦) أو ينتصب بإضمار اذكر .

انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٠٣/٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ٧٨/٣ ، ومشكل إعراب القرآن

لمكي ٤٨١/٢ ، والدر المصون ١٩٤/٨ .

(٧) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٠٣/٣ .

قال الفرّاء : ذكر المفسرون أنه جيب درعها^(١) .

وهذا محتمل ؛ لأن الفرّج معناه في اللغة : كل فرجة بين شيئين ، ولذلك^(٢) يقال : [لما بين قوائم الدابة : الفروج . ومنه قوله :

تَسُدُّ به فرجها من دبر^(٣)

أراد ما بين^(٤) فخذها ورجليها^(٥) .

وموضع جيب درع المرأة مشقوق فهو فرج . وهذا أبلغ في الثناء عليها من أن يجعل فرجها بمعنى الفرّج المعروف للنساء ؛ لأنها إذا منعت جيب درعها فهي لنفسها أمانع وأشد إحصاناً .

(١) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢١٠ .

(٢) في (ت) : (وكذلك) .

(٣) هذا عجز بيت لامرئ القيس ، وصدره :

لها ذنبٌ مثلُ ذيلِ العروسِ

وهو في ديوانه ١٦٤ ، وتهذيب اللغة للأزهري (فرج) ١١ / ٤٥ ، ومقاييس اللغة لابن فارس (فرج) ٤ / ٤٩٩ ، ولسان العرب (فرج) ٢ / ٣٤٢ ، وتاج العروس للزبيدي (فرج) ٦ / ١٤٣ . وهذا البيت من قصيدة قالها امرؤ القيس بعد قتله لثعلبة بن مالك ، ويصف فرسه التي ركبها عند قتاله له .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ت) .

(٥) من قوله : كل فرجة إلى هنا ، في تهذيب اللغة للأزهري (فرج) ١١ / ٤٤ ، ٤٥ منسوباً إلى الليث وهو

في العين (فرج) ٦ / ١٠٩ إلى قوله : فهو فرج .

انظر : المراجع اللغوية المتقدمة في تخريج البيت .

وقد قيل : ﴿أَحْصَنْتَ فَرْجَهَا﴾ ؛ حفظت فرج نفسها^(١) .

وقوله تعالى : ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ . قال المفسرون : أمرنا جبريل حتى نفخ في درعها^(٢) .

وعلى هذا ، المراد فنفخنا في درعها . فحذف المضاف^(٣) ويجوز أن يكون المراد في نفسها . والمعنى : وأجرينا^(٤) فيها روح المسيح كما تجري الريح بالنفخ ، وذلك

(١) نسب ابن عطية في تفسيره ٢٠١ / ١٠ هذا القول إلى الجمهور .

وقال الطبري ٨٤ / ١٧ ، والذي هو أولى القولين عندنا بتأويل ذلك قول من قال : أحصنت فرجها من الفاحشة ؛ لأن ذلك هو الأغلب من معنييه عليه ، والأظهر في ظاهر الكلام .
وقال ابن عطية ٢٠١ / ١٠ ، وهو ظاهر القرآن . وقال عن القول الأول : إنه ضعيف .

وما اختاره الطبري وابن عطية ذهب إليه أبو العباس بن تيمية في الفتاوى ٢٦٢ / ١٧ ، واستظهره أبو حيان في البحر ٣٣٦ / ٦ واستشهد عليه بقولها : ﴿وَلَمْ يَمَسَّ نِجْنَى بَشَرٍ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم : ٢٠] .

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ٤٣ / ٣ أبنصه .

(٣) يرد هذا قوله - تعالى - في سورة التحريم : ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنْتَ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ .

قال أبو العباس ابن تيمية - رحمه الله - في الفتاوى ٢٦٢ / ١٧ : وقد ذكر المفسرون أن جبريل نفخ في جيب درعها ، والجيب هو الطوق الذي في العنق ، وذكر أبو الفرج وغيره قولين : هل كانت النفخة في جيب الدرع أو في الفرج ؟ فإن من قال بالأول قال : في فرج درعها ، وأن من قال : هو مخرج الولد قال الهاء كناية عن غير مذكور ، لأنه إنما نفخ في درعها لا في فرجها ، وهذا ليس بشيء ، بل هو عدول عن صريح القرآن . وهذا النقل إن كان ثابتاً لم يناقض القرآن ، وإن لم يكن ثابتاً لم يلتفت إليه ، فإن من نقل أن جبريل نفخ في جيب الدرع فمراده أنه - عليه السلام - لم يكشف بدن . . . ، فنفخ في جيب الدرع فوصلت النفخة إلى فرجها .

والمقصود إنما هو النفخ في الفرج كما أخبر الله في آيتين ، وإلا فإن النفخ في الثوب فقط من غير وصول النفخ إلى الفرج مخالف للقرآن ، مع أنه لا تأثير له في حصول الولد ، ولم يقل ذلك أحد من أئمة المسلمين ، ولا نقله أحد عن عالم معروف من السلف . اهـ .

(٤) في (د) و(ع) : (فأجرينا) .

أن الله - تعالى - أجرى فيها روح عيسى بنفخ جبريل ، وأحدث بذلك النفخ المسيح في رحمها^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ مِنْ رُوحِنَا ﴾ ؛ يريد من روح عيسى . وأضاف الروح إليه إضافة الملك على معنى التشريف والتخصيص^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا أَبْنَاءَ آيَةٍ لِلْعَالَمِينَ ﴾ . قال الفراء ، والزجاج ، والكسائي : وحد الآية بعد ذكرهما جميعاً لما كان شأنهما واحداً ، وكانت الآية فيهما آية واحدة ، وهي ولادة من غير فعل^(٣) .

وهذا معنى قول ابن عباس في هذه الآية ، وذلك أنه لم يكن امرأة وَلَدَتْ بلا رجل ، ولا رجل وَلَدَ بلا ذكر غير عيسى وأمه . هذا كلامه^(٤) .

والمعنى : أن الآية فيهما واحدة وهي كون عيسى من غير أب وولادة أمه من غير ذكر . ومعنى كونها آية للعالمين ما ظهر فيهما من التي دلت على قدرة الله .

(١) هذا قول الثعلبي ٤٣/٣ أ .

ودكره الماوردي في النكت والعيون ٤٦٩/٣ مختصراً ، وابن الجوزي ٣٨٥/٥ من غير نسبة .
(٢) وفيه وجه آخر ذكره الزخشري ٥٨٣/٢ ، وأبو العباس بن تيمية في الفتاوى ٢٦٣/١٧ ، وأبو حيان في البحر ٣٣٦/٦ ، والألوسي في روح المعاني ٨٨/١٧ وهو أن الروح هنا جبريل كما قال تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم : ١٧] .

قال أبو العباس ابن تيمية في قوله : ﴿ فَتَفَخَّنَا فِيهَا ﴾ أو ﴿ فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ﴾ ؛ أي من هذا الروح الذي هو جبريل ، وعيسى روح من هذا الروح ، فهو روح من الله بهذا الاعتبار ، و(من) لابتداء الغاية . وقال : ولهذا قيل في المسيح : ﴿ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ باعتبار هذا النفخ .
(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/٢١٠ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/٤٠٤ .

وقال السمين الحلبي ٨/١٩٥ بعد ذكره لهذا الوجه : أنه حذف من الأول لدلالة الثاني أو بالعكس ؛ أي وجعلنا ابن مريم آية ، وأمه كذلك . وهو نظير الحذف في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ ﴾ [التوبة : ٦٢] .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٢٠٤ .

٩٢. قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾. قال ابن عباس: يريد دينكم^(١). وهو قول الحسن^(٢)، ومجاهد^(٣)، وجميع المفسرين^(٤).

وقال الكلبي: ملتكم^(٥). ومضى الكلام في معاني الأمة.

وقال ابن قتيبة: الأمة: الدين. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢]؛ أي على دين. وقال النابغة:

وَهَلْ يَأْتَمَنُ ذُو أُمَّةٍ وَهُوَ طَائِعٌ؟^(٦)

أي ذو دين. والأصل أنه يقال للقوم يجتمعون على دين واحد: أمة، فتقام الأمة مقام الدين^(٧).

قوله تعالى: ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾. قال ابن عباس: يريد ديناً واحداً^(٨).

(١) رواه الطبري ١٧/ ٨٥ وإسناده حسن، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٧٢ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره عنه الطوسي في التبيان ٧/ ٢٤٥.

(٣) رواه الطبري ١٧/ ٨٥.

(٤) انظر: ابن كثير ٣/ ١٩٤، والدر المنثور للسيوطي ٥/ ٦٧٢.

(٥) في الدر المنثور ٥/ ٦٧٢. وأخرج عبد بن حميد عن الكلبي قال: لسانكم لسان واحد.

(٦) هذا عجز بيت للنابغة، وصدره:

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً

وهو في ديوانه ٣٥، ومشكل القرآن لابن قتيبة ٤٤٦، ومعاني القرآن للأخفش ١/ ٤١٩، وتهذيب اللغة للأزهري (أم) ١٥/ ٦٣٥، والصاحح للجوهري (أمم) ٥/ ١٨٦٤، ولسان العرب (أمم) ١٢/ ٢٤.

(٧) غريب القرآن لابن قتيبة ٤٤٦.

(٨) رواه الطبري ١٧/ ٨٥ بسند حسن، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٧٢ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

قال الفرّاء وأبو عبيد : نصب ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على القطع ، لمجيء النكرة بعد تمام الكلام^(١) .

والمعنى : أن هذه الشريعة التي يَبْتَنِيها لكم في كتابكم دين واحد .

قال الحسن : بَيَّن لهم ما يتقون وما يأتون^(٢) .

ثم قال : ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ إبطالاً لما سواها من الأديان^(٣) .

وعند الزَّجَّاج ﴿أُمَّةً﴾ نصب على الحال والمعنى : أن هذه أمتكم في حال اجتماعها على الحق ، فإذا افرقت فليس من خالف الحق داخلًا فيها^(٤) . هذا كلامه^(٥) .

والمعنى : هذه أمتكم ما دامت واحدة واجتمعتم عليها ، فإذا خالفتكم^(٦) فليس من خالف [الحق من]^(٧) حملة أهل الدين الحق^(٨) ، ومثله في الكلام أن تقول : فلان صديقي عفيفاً ؛ أي ما دام عفيفاً ، وما بقي على العفة ، فإذا خالف العفة لم يكن صديقك .

(١) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢١٠ . ولم أجد من ذكره عن أبي عبيد .

ومعنى القطع : الحال . وفي نصب (أمة) وجه آخر وهو البدل من (هذه) .

انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣ / ٧٩ ، والبحر المحيط ٦ / ٣٣٧ ، والدر المصون ٨ / ١٩٥ .

(٢) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره ٣ / ١٩٤ .

(٣) قوله : (إبطالاً . . .) هذا قول الثعلبي في تفسيره ٣ / ٤٤٣ .

(٤) في (أ) و(ت) : (فيه) ، وما في (د) و(ع) هو الموافق لما في المعاني للزَّجَّاج .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣ / ٤٠٣ .

(٦) في (أ) : (خالفهم) ، وهو خطأ .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ت) .

(٨) من قوله : (فإذا خالفتكم . إلى هنا) ، هذا معنى قول الزَّجَّاج ٣ / ٤٠٣ .

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِي﴾ . قال ابن عباس : فأطيعون^(١) ؛ أي لا دين سوى ديني ، ولا رب غيري .

وفي هذا حث على الاجتماع ، وتجنب الاختلاف^(٢) .

ولما حث المؤمنين على الاجتماع ذم غيرهم من المشركين واليهود والنصارى بالاختلاف فقال :

٩٣ . قوله تعالى : ﴿وَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ . قال ابن عباس : يريد المشركين اتخذوا من دونه آلهة^(٣) . هذا كلامه في رواية عطاء .

والصحيح أن هذا إخبار عن جميع مخالفين شريعة محمد ﷺ ، يقول : اختلفوا في الدين فصاروا فيه فرقاً وأحزاباً . ويجوز أن يكون هذا الاختلاف راجعاً إلى اختلاف أهل كل ملة كاختلاف اليهود في ما بينهم ، واختلاف النصارى ، وهذا هو الظاهر . ويجوز أن يرجع إلى مخالفتهم دين الحق .

(١) مثله في تنوير المقباس ٢٠٤ .

(٢) والمقصود أن الله - تعالى - بعد أن ذكر الأنبياء المتقدمين قال مخاطباً للناس كافة : ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ؛ يعني أن دينكم دين الأنبياء ورسول الله جميعهم الذين هم أمتكم وأئمتكم الذين بهم تأتون وهديم تقتدون ، فقد كانوا على ملة واحدة ودين واحد وطريقة واحدة لا اختلاف فيها وأصول العقائد كما قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران : ١٩] وقال : ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾^(١) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ [المؤمنون : ٥١-٥٢] وكما قال رسول الله ﷺ : «نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد» رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء ٦/٤٧٨ . فالدين واحد ، والرب واحد ، ولهذا قال : ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾ .

فإن كان الرب واحداً والدين واحداً ، وهو عبادة الله وحده ، كان الواجب عليكم القيام بهذه العبادة ولهذا قال : ﴿فَاعْبُدُونِي﴾ ، وكان اللائق هو الاجتماع على هذا الأمر وعدم التفرق .

انظر : التسهيل لابن جزي ٣/٦٨ ، والبحر المحيط لأبي حيان ٦/٣٣٧ ، وابن كثير ٣/١٩٤ ، وتيسير الكريم المنان لابن سعدي ٣/٣٩٨ .

(٣) في (د) و(ع) : (إلهاً) .

وعلى هذا ، معنى ﴿أَمْرُهُمْ﴾ ؛ أي الأمر الذي شرع لهم ودعوا إليه . والمعنى الأول من قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٩] ، والمعنى الثاني من قراءة من قرأ : (فارقوا دينهم)^(١) .

قال الكلبي : يقول فرقوا دينهم في ما بينهم يلعن بعضهم بعضاً ، ويتبرأ بعضهم من بعض ، كل فرقة يرون أنهم على الحق^(٢) .

والتقطع في هذه الآية واقع بمنزلة التقطيع .

قال أبو عبيدة والزجاج : أي اختلفوا وتفرقوا ؛ لأن تقطعهم أمرهم بينهم تفرقة^(٣) .

قال الأزهري^(٤) : ويجوز أن يكون قوله : ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ ؛ أي تفرقوا في أمرهم . [وَنَصَبَ أَمْرَهُمْ]^(٥) بحذف (في) . قال : وهذا القول أصوب^(٦) .

(١) قرأهزة ، والكسائي : (فارقوا) بالألف مخففاً . وقرأ الباقون : (وفرقوا) بغير ألف مشدداً . السبعة ٢٧٤ ، والتبصرة ٢٠٠ ، والتيسير ١٠٨ .

(٢) ذكره البغوي ٣٥٣/٥ عن الكلبي إلى قوله : من بعض . وذكر الماوردي ٤٧٠/٣ عن الكلبي قال : تفرقوا .

(٣) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٤٢/٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤٠٤/٣ .

(٤) في (أ) و(ت) : (الزهري) ، وهو تصحيف .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (د) و(ع) .

(٦) هذا النص عن الأزهري ليس موجوداً في المطبوع من تهذيب اللغة (قطع) ١٨٧/١ - ١٩٦ ، فلعله سقط من المطبوع ، أو من النسخة الخطية المعتمدة عليها في الطباعة . وهو موجود بهذا النص في لسان العرب لابن منظور (قطع) ٢٧٦/٨ منسوباً إلى الأزهري . وهو عند القرطبي ٣٣٩/١١ عن الأزهري إلى قوله : بحذف (في) .

وعلى هذا ، التقطع^(١) لازم^(٢) .

ثم أخبر - عز وجل - أن مرجع جميع أهل الأديان إليه ، وأنه مجاز جميعهم فقال : ﴿كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد الذين عبدوا غيري ، والذين وحدوني وأطاعوني .

وقال أهل المعاني : كل إلينا راجعون ؛ أي إلى حكمنا في الوقت الذي لا يقدر على الحكم سوانا . كما يقال رجع أمرهم إلى القاضي ؛ أي إلى حكمه^(٣) .

٩٤ . قوله تعالى : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ . قال صاحب النظم : (من) هاهنا للتبعية ؛ أي ومن يعمل شيئاً من الصالحات ؛ أي من أداء الفرائض ، وغيرها من صلة الرحم ، ونصر المظلوم ، ومعونة الضعيف ، ونحو ذلك من أعمال البر .

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ . قال ابن عباس : وهو مصدق بمحمد ﷺ وبها جاء به^(٤) .

(١) في (ع) : (القطع) .

(٢) وعلى الوجه الأول يكون (أمرهم) منتصباً على أنه مفعول به ، وعدى (تقطعوا) ؛ لأنه بمعنى قطعوا . انظر : الإملاء للعكبري ١٣٦/٢ ، ١٣٧ ، والدر المصون ١٩٦/٨ .

(٣) ذكر هذا القول الطوسي في التبيان ٢٤٦/٧ ، والحاكم الجشمي في التهذيب ١٦٠/٣ ، والقرطبي في تفسيره ٣٣٩/١١ من غير نسبة لأحد .

والذي يظهر أن قول أهل المعاني صادر بسبب التأويل . والصواب أن المعنى : ﴿كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ ؛ أي صائرون إليه - سبحانه - يوم القيامة ، فيحكم بينهم في ذلك اليوم ويجازي جميعهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر كما قال تعالى : ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران : ٥٥] .

انظر : تفسير الطبري ٨٥/١٧ ، وتفسير ابن كثير ١٩٤/٣ .

(٤) انظر : التبيان للطوسي ٢٤٦/٧ ، والتهذيب للحاكم الجشمي ١٦٠/٦ .

﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ﴾ ؛ أي لا جحود لعمله^(١) . يعني : أنه يقبل ويشكر بالثواب عليه ولا يبطل^(٢) .

والكُفْرَان والكُفُور والكُفْر مصادر مثل الشُّكْرَان والشُّكُور والشُّكْر^(٣) .

قال ابن مسلم : أي لا يُجحد ما عمل^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿وإِنَّا لَهُ كَنُيُوتٌ﴾ . قال صاحب النظم : الهاء كناية للسعي على معنى : وإنا كاتبون لسعيه .

وهذا وهم . الهاء كناية لـ (من) في قوله : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ﴾ والمعنى^(٥) : وإنا كاتبون لمن يعمل عمله . ولو كان على ما قال لقيط : وإنا وإياه كاتبون ؛ لأنه يقال : كتب عمله ، ولا يقال : كتب لعمله ، ولكن يقال : كتب له عمله^(٦) . والمعنى : نأمر الحفظة بأن يكتبوا لذلك العامل ما عمل من الخير لنجازه به .

٩٥ . قوله تعالى : ﴿وَحَكَرْهُمْ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ . هذه آية كثرت فيها الأقوال ، وتقسمت فيها الخواطر والآراء ، ولم يقع لها شرح شاف ، ولا بيان

(١) في (أ) : (لعمله) ، وهو خطأ .

(٢) انظر : الطبري ١٧/٨٦ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣/٤٣ أ .

(٣) الطبري ١٧/٨٦ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/٤٠٤ .

انظر : الصحاح للجوهري (كفر) ٢/٨٠٧ ، ولسان العرب لابن منظور (كفر) ٥/١٤٤ .

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٨٨ .

(٥) ذكر أبو البقاء العكبري ٢/١٣٧ الوجهين في عود الضمير من غير نسبة ، وقدم ما قاله صاحب النظم ثم قال : وقيل : يعود على (من) .

وعلى ما ذكر صاحب النظم اقتصر الزمخشري ٢/٥٨٢ ، والرازي ٢٢/٢٢٠ ، والسمين الحلبي ٨/١٩٧ وغيرهم من المفسرين .

لكن الألوسي ١٧/٩٠ ذكر القولين ثم تعقب القول الثاني - الذي اختاره الواحدي - بقوله : وليس بشيء .

(٦) في (د) و(ع) : (يقال : له كتب عمله) .

لتفسيرها كاف . والذي يدل عليه^(١) ظاهر اللفظ ، وبه قال كثير من المفسرين : أن الحرام هاهنا بمعنى الواجب .

قال قتادة^(٢) ، عن ابن عباس : [معناه : واجب عليها ألا ترجع إلى دنياها إذا هلكت^(٣)] .

وروى عكرمة ، عن ابن عباس^(٤) : أنه قرأ (وَحَرِّمُ) قال : وجب^(٥) .

-
- (١) في (د) و(ع) : (عليها) .
- (٢) قتادة : ساقط من (د) و(ع) .
- (٣) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة ٤٨ / ٥ من رواية قتادة ، عن ابن عباس ، . . وهو منقطع . وقد رواه ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٦٧٣ / ٥ عن قتادة .
- (٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .
- (٥) رواه الأزهري في تهذيب اللغة ٤٨ / ٥ بسنده ، عن عكرمة ، عن ابن عباس به .
- وقد نسب السيوطي في الدر المنثور ٦٧٢ / ٥ إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس أنه كان يقرأ : (وَحَرَمَ عَلَى قُرَيْشٍ) قال : وجب على قريّة
- وقد طالعت تفسير سعيد بن منصور (ل ١٥٥ أ) فوجدته رواه من طريق عكرمة ، عن ابن عباس ، وفيه ذكر القراءة من دون التفسير .
- ورواه الطبري ٨٦ / ١٧ من طريق عكرمة وسعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فأما رواية عكرمة ؛ ففيها ذكر القراءة والتفسير ، لكن ليس فيه (حرم) بمعنى وجب ، وأما رواية سعيد بن جبير ؛ ففيه ذكر القراءة عن ابن عباس من دون التفسير ، ثم تفسير سعيد بن جبير نفسه لحرم بمعنى : حرم .
- لكن ذكر ابن كثير - وهو يعتمد كثيراً على تفسير ابن أبي حاتم - في تفسيره ١٩٤ / ٣ عن ابن عباس أنه قال : وجب . فلعل هذا التفسير وقع في رواية ابن أبي حاتم أو غيره ممن ذكر السيوطي من دون رواية سعيد بن منصور والطبري .
- وذكر النحاس في إعراب القرآن ٧٩ / ٣ من رواية ابن عيينة . وهشيم وغيرهما ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿وَحَرِّمُ﴾ قال : وجب .

قال الزَّجَّاج : وجاء أيضاً عن ابن عباس أنه قال : حتم عليهم لا يرجعون^(١) إلى دنياهم . قال : وجاء في التفسير (حِرْمٌ) في معنى : حتم^(٢) .

وعن سعيد بن جبیر : أنه قرأ (وحِرْمٌ على قرية) فسئل عنها فقال : عزم عليها^(٣) .

والذين قالوا إن حراماً هاهنا بمعنى : واجب أنشدوا^(٤) قول الخنساء :

وإن^(٥) حراماً لا أرى الدهرَ باكياً
على شَجْوِهِ إلا بكيت على عَمْرُو^(٦)
أي واجب .

ونحو هذا قال عطاء ، عن ابن عباس ، في قوله : ﴿وَحَرَمٌ﴾ قال : يريد حتماً مني^(٧) .

-
- (١) عند الزَّجَّاج : ألا يرجعوا .
(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣ / ٤٠٤ .
(٣) تهذيب اللغة للأزهري ٤٨ / ٥ وفيه : وقال أبو معاذ النحوي . . . قال : وحدثت عن سعيد بن جبیر ، فذكره .
وقد رواه الطبري ٨٦ / ١٧ من طريق أبي المعلى يحيى بن ميمون ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس أنه قرأ : (وحرم على قرية) قال - يعني أبا المعلى - فقلت لسعيد : أي شيء حرم ؟ قال : عزم .
(٤) ابن قتيبة في غريب القرآن ٢٨٨ .
(٥) عند ابن قتيبة ٢٨٨ (فإن) .
(٦) البيت أنشده ابن قتيبة في غريب القرآن ٢٨٨ من غير نسبة لأحد . ونسبه الثعلبي في الكشف والبيان ٤٣ / ٣ أ للخنساء بمثل رواية الواحدي هنا .
ونسبه لها أيضاً القرطبي ١١ / ٣٤٠ لكن عنده : على صخر . وهو عند أبي حيان في البحر المحيط ٦ / ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، والسمين الحلبي في الدر المصون ٨ / ١٩٨ ، ١٩٩ منسوباً للخنساء لكن روايته : حرامٌ علي لا أرى الدهرَ باكياً
على شَجْوِهِ إلا بكيتُ على صَخْر
ولم أجد هذا البيت في ديوانها .
(٧) ذكر ابن الجوزي ٥ / ٣٨٧ هذا القول عن عطاء .

وقال الكلبي : يقول : وجب على أهل قرية ﴿أَهْلَكْنَهَا﴾ يريد عذبتها
﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إلى الدنيا أبداً . قال : يعني أهل مكة من أهل القرى ، لا
يرجعون إلى يوم القيامة .

هذا الذي ذكرنا قول واحد في هذه الآية ، ومعناه : إن الله - تعالى - كتب
على من أهلك أن يبقى في البرزخ إلى يوم القيامة ، وأن لا يرجع إلى الدنيا عزماً
منه ذلك حتماً . وفي^(١) هذا تخويف لكفار مكة بأنهم إن عذبوا وأهلكوا لم يرجعوا
إلى الدنيا كغيرهم من الأمم المهلكة . وإلى هذا أشار الكلبي في ما حكينا عنه .
وهذا التفسير موافق لظاهر اللفظ ، إلا أن حراماً بمعنى وجب نادر ، وهو مقبول
من أهل التفسير ، ولم يحتج في هذا القول إلى تقدير محذوف أو حكم على حرف
بزيادة^(٢) .

القول الثاني : أن معنى الآية ﴿وَحَكْرُمٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ؛
أي أهلكناهم بالاستئصال والاصطلام ؛ لأنهم إنما لا يرجعون للاستئصال
الواقع بهم والإبادة لهم . وخبر المبتدأ على هذا محذوف ، تقديره : وحرام على قرية
أهلكناها بالاستئصال بقاءهم أو حياتهم . ونحو ذلك مما يكون في الكلام دلالة
عليه .

وهذا القول ذكره أبو علي^(٣) .

(١) في (ت) : (في) .

(٢) في (أ) و(ت) : (بزيادة) .

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي ٣/ ٣٨٢ ، وانظر : ٥/ ٢٦١ .

وإلى نحو هذا [من التقدير الذي ذكره أبو علي] ^(١) ذهب الزَّجَّاج وقطرب ^(٢) في معنى هذه الآية .

قال الزَّجَّاج : لما ذكر الله - تعالى - أنه لا يضيع عمل عامل من المؤمنين في قوله : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ الآية ، ذكر في هذه الآية أنه قد حرم قبول أعمال الكفار . والمعنى : حرام على قرية أهلكتها أن يُتقبل منهم عمل ؛ لأنهم لا يرجعون ؛ أي لا يتوبون كما قال عز وجل : ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة : ٧] فأعلم أنهم لا يتوبون أبداً ، وكذلك ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ معناه : قد علم منهم أنهم لا يتوبون ، . هذا كلامه ^(٣) .

ونحتاج في هذا إلى شرح ، وهو أن نقول : معنى هذا القول : وحرام على قرية حكمنا عليها بالهلاك - لعلمنا بأنهم لا يرجعون عن كفرهم - أن نقبل منهم طاعة أو نثيبهم على عمل ؛ فنحتاج إلى تقدير لام في (أنهم) كما قدر أبو علي باء وإلى إضمار خبر المبتدأ كما أضمره هو . وذكر ^(٤) قوله : ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ احتجاجاً بأن قوله : ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ معناه : لا يرجعون من الشرك لحكم الله عليهم [بذلك كما قال] ^(٥) ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ الآية ، واحتج على أن الله لا يقبل عمل كافر بقوله : ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ [محمد : ١] ، وهذا الذي

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٢) لم أجد من ذكره عن قطرب .

(٣) ليس هذا كلامه بنصه ، بل فيه زيادة وتصرف وحذف . انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣ / ٤٠٥ .

(٤) يعني الزَّجَّاج ، وليس عند الزَّجَّاج الاحتجاج بهذه الآية ، بل في قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ

سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ . انظر : المعاني ٣ / ٤٠٥ .

(٥) ما بين المعقوفين بياض في (ت) .

ذهب إليه أبو إسحاق معنى قول [قتادة^(١)]. هذا كله إذا جعلت^(٢) (لا) في قوله : ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ غير زائدة^(٣).

فإن جعلت (لا) زائدة ، وهو قول ابن جريج ، وأبي عبيد^(٤) ، وابن قتيبة^(٥) ، وكثير من أهل التفسير والمعاني ، فالمعنى : حرام على قرية مهلكة رجوعهم إلى الدنيا كما قال : ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ﴾^(٦) [يَرْجِعُونَ] ﴿يس : ٥٠﴾ ، و(أن)

(١) ذكره عنه السيوطي في الدر المنثور ٦٧٣/٥ وعزاه لابن أبي حاتم وابن المنذر . انظر : تفسير ابن كثير ١٩٤/٣ .

(٢) ما بين المعقوفين بياض في (ت) .

(٣) وفي الآية وجه آخر حسن تكون فيه (لا) غير زائدة ، و(حرام) على بابها . وهو أن الله - عز وجل - قال في الآيات التي قبل هذه الآية : ﴿وَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾^(٧) فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُوبُونَ ﴿فبين - عز وجل - أن الخلق راجعون إليه وأنه لا كفران لسعي أحد . ثم قال بعد ذلك : ﴿وَحَرَّمْ عَلَىٰ قَرْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ؛ أي ممتنع على أي قرية أهلكتها الله انتفاء الرجوع إلى الآخرة ، فإذا امتنع الانتفاء وجب الرجوع ، والمعنى : أنهم يجب رجوعهم إلى الحياة في الدار الآخرة ، ويكون الفرض إبطال قول من ينكر البعث .

انظر : تفسير الرازي ١٢٢/٢٢ ، والبحر المحيط ٣٣٨/٦ ، والدر المصون ١٩٩/٨ . وقد أشار ابن عطية في المحرر ١٠/٢٠٤ إلى هذا المعنى بقوله : ويتجه في الآية معنى ضمنه وعيد بين ، وذلك أنه ذكر من عمل صالحاً وهو مؤمن ، ثم عاد إلى ذكر الكفرة الذين من كفرهم ومعتقدهم أنهم لا يحشرون إلى رب ، ولا يرجعون إلى معاد ؛ فهم يظنون بذلك أنه لا عقاب ينالهم ، فجاءت الآية مكذبة لظن هؤلاء ، ؛ أي ممتنع على الكفرة المهلكين أنهم لا يرجعون ، بل هم راجعون إلى عقاب الله وأليم عذابه . فتكون (لا) على بابها ، والحرام على بابها ، وكذلك الحرام ، فتأمله . اهـ .

(٤) ذكر النحاس في إعراب القرآن ٣/٨٠ هذا القول عن أبي عبيد ولم يرضه ، حيث قال : وأما قول أبي عبيد : إن (لا) زائدة فقد رده عليه جماعة ؛ لأنها لا تزداد في مثل هذا الموضع ، ولا في ما يقع فيه إشكال . وذكر هذا القول عن أبي عبيد أيضاً القرطبي ١١/٣٤٠ ، وأبو حيان ٦/٣٣٨ .

(٥) مشكل القرآن لابن قتيبة ٢٤٥ ، انظر : غريب القرآن له ٢٨٨ .

قال الطبري ١٧/٧٨ : وقد زعم بعضهم أنها في هذا الموضع صلة فإن معنى الكلام : وحرام على قرية أهلكتها أن يرجعوا . وأهل التأويل الذين ذكرناهم - يعني ابن عباس وسعيد بن جبيرة وعكرمة - كانوا أعلم بمعنى ذلك منه .

(٦) بياض في (ت) .

في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ الذي هو حرام ، و(لا) زائدة^(١) لزيادتها في مواضع ذكرناها أنها صلة فيها . ومعنى هذا القول كمعنى القول الأول في هذه الآية .

وذكر على تقدير زيادة (لا) قول آخر ، وهو : أن المعنى : وحرام على قرية حكمنا بهلاكها للشقاء الذي كتبنا عليها أن يرجعوا عن الشرك ويؤمنوا^(٢) .

ومعنى حرام على الأقوال كلها - غير القول الأول - أنهم يمنعون عن ذلك كما يمنعون من الأشياء المحرمة في الشرع ، وليس كحظر الشريعة الذي إن شاء المحظور عليه ركه وإن شاء تركه ، وكان الأمر فيه موقوفاً على اختياره^(٣) .

والحرام بمعنى المنع قد ورد في التنزيل في مواضع كقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف : ٥٠] ؛ أي منعهم منها ، وقوله تعالى : ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ [القصص : ١٢] يعني تحريم منع ، وهذا كما تقول : حرمت علي لقاءك ؛ أي منعني من ذلك^(٤) ، ولم يرد تحريم شرع .

وقرئ^(٥) (وحرّم) وهو بمعنى حرام في قول جميع أهل اللغة ، كما يقال حل^(٦) وحلال^(٧) .

-
- (١) من قوله : (فالمعنى : حرام . . . إلى هنا) هذا كلام أبي علي في الحجة ٣ / ٢٦١ مع اختلاف يسير .
 (٢) ذكر الرازي ٢٢ / ٢٢١ ، وأبو حيان ٦ / ٣٣٩ عن مجاهد والحسن قالا : لا يرجعون عن الشرك .
 (٣) انظر : المحرر لابن عطية ١٠ / ٢٠٤ .
 (٤) في (أ) : (مالك) .
 (٥) في (أ) و(ت) : (وقرأ) .
 (٦) قرأ حمزة ، والكسائي ، وعاصم في رواية أبي بكر : (وحرّم) بكسر الحاء وإسكان الراء من غير ألف .
 وقرأ الباقون : (وحرّم) بالألف .
 السبعة ٤٣١ ، والتبصرة ٢٦٤ ، والتيسير ١٥٥ .
 (٧) في (أ) و(ت) : (حال) ، وهو خطأ .
 (٨) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣ / ٤٠٤ ، وعلل القراءات للأزهري ٢ / ٤١٢ ، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٢ / ٦٨ .

٩٦. قوله تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا فَتَحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾. معنى (حتى) هاهنا كمعنى (حتى) في قوله: ﴿حَقَّ إِذَا أَسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾^(١).

وقرئ^(٢) (فتحت) مخففاً ومشدداً^(٣). فمن خفف -وهي القراءة المعروفة^(٤)- فلأن الفعل في الظاهر مسند إلى هذين الاسمين، ولم يحمل ذلك على الكثرة حتى تشدد بمنزلة ﴿مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: ٥٠] ولأن المعنى على حذف المضاف؛ لأن التقدير: فتح سد يأجوج ومأجوج، فحذف المضاف وأدخلت علامة التانيث لما حذف المضاف^(٥)؛ لأن يأجوج ومأجوج مؤنثان^(٦) بمنزلة القبيلتين. ومن قرأ بالتشديد شدد لكثرة القبيلتين المسمايتين بهذين الاسمين، وعددهما كثير^(٧).

ومعنى فتحهما: إخراجهما عن السد الذي جعلاً وراءه، وكأنها قيداً بذلك السد، وإذا ارتفع السد انفتحا. وتقدم الكلام في يأجوج ومأجوج في سورة [الكهف: ٩٤].

(١) يوسف ١١٠. ويعني المؤلف أن (حتى) هنا للغاية. وفيها وجه آخر، وهو أنها ابتدائية. واستظهره ابن عطية ١٠/٢٠٥، انظر: الدر المصون ٨/٢٠٢.

(٢) في (أ) و(ت): (قرأ).

(٣) قرأ ابن عامر: (فتحت) مشددة التاء، وقرأ الباقر: (فتحت) خفيفة.

السبعة ٤٣١، والتبصرة ١٩٣، والتيسير ١٠٢.

(٤) في (أ): (المعرفة).

(٥) هنا ينتهي الموجود من نسخة (ت).

(٦) في (د) و(ع): (مؤنثان).

(٧) انظر: الحجة للفارسي ٥/٢٦٢، وعلل القراءات للأزهري ٢/٤١٥، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٧٠.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾ . معنى الحذب في اللغة : الحُدُور في صيب ، والجمع : حَدَابٌ^(١) . ومنه قيل : حذبة الظهر .

وقال الفراء^(٢) والزجاج^(٣) : الحذب كل أكمة من الأرض مرتفعة .

وقوله تعالى: ﴿يَنْسِلُونَ﴾ . النسلان : مشبة الذئب إذا أسرع^(٤) . والماشي ينسل ، إذا أسرع . يقال : نسل في العدو يَنْسِلُ وَيَنْسُلُ - بالكسر والضم - نسولاً^(٥) ونسلاناً^(٦) . ذكر ذلك الكسائي وغيره وأنشدوا قول الجعدي^(٧) :

بَرَدَ اللَّيْلُ عَلَيْهِ فَنَسَلَ

-
- (١) تهذيب اللغة للأزهري (حذب) ٤/ ٤٢٩ منسوباً إلى الليث .
 (٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢١١ .
 (٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٠٥ .
 (٤) تهذيب اللغة للأزهري (نسل) ١٢/ ٤٢٨ منسوباً إلى الليث .
 (٥) هكذا في النسخ جميعها . ولم تذكر المصادر اللغوية التي اطلعت عليها هذا التصريف . وإنما ذكرت : نَسَلًا وَنَسَلًا وَنَسَلَانًا .
 (٦) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (نسل) ١٢/ ٤٢٨ ، والصحاح للجوهري ٥/ ١٨٣٠ ، ولسان العرب لابن منظور ١١/ ٦٦٠ ، ٦٦١ ، والقاموس المحيط ٤/ ٥٧ .
 (٧) هذا عجز بيت ، وصدوره : عَسَلَانَ الذئبُ أُمْسَى قَارِبًا

وقد أنشده للجعدي أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٤٢ . وهو في ديوانه ٩٠ .
 وهو منسوب للبيد في الكامل للمبرّد ١/ ٣٦٩ ، والجمهرة لابن دريد ٣/ ٣٢ . ومن غير نسبة في الطبري ١٧/ ٩١ ، وتهذيب اللغة للأزهري ١٢/ ٤٢٨ ، ولسان العرب (نسل) ١١/ ٦٦١ .

واختلفوا في المعنيين بقوله: ﴿وَهُمْ﴾ ، فأكثر المفسرين على أن (هم) كناية عن يأجوج ومأجوج ، وهو قول ابن مسعود^(١) .

والمعنى : وهم من كل نشز^(٢) من الأرض يسرحون ، يعني أنهم يتفرقون في الأرض فلا يرى أكمة^(٣) إلا وقوم منهم يهبطون منها مسرعين .

وقال آخرون^(٤) : ﴿وَهُمْ﴾ ؛ يعني الخلق كلهم يحشرون إلى أرض^(٥) الموقف فهم يسرعون من كل وجه ، كما قال ابن عباس في رواية عطاء : ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ : يريد من كل وجه يخرجون^(٦) .

وهذا قول مجاهد^(٧) ، وكان يقرأ : (وهم من كل جدث ينسلون) اعتباراً بقوله ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾^(٨) والظاهر هو الأول^(٩) .

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٤٣/٣ ب .

وقد رواه الطبري ٩٠/١٧ ، والحاكم في مستدركه ٤٩٦/٤ ضمن أثر طويل .
وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، وصحح إسناده أحمد شاكر في تعليقه على الطبري ٢٩٧/٣ .

(٢) في (أ) : (بشر) ، وهو خطأ . والنَّشَز ، بفتح الشين وإسكانها : المكان المرتفع . الصحاح للجوهري (نشر) ٨٩٩/٣ .

(٣) الأكمة : التل وكل موضع يكون أشد ارتفاعاً مما حوله . القاموس المحيط ٧٥/٤ .

(٤) ذكر هذا القول الثعلبي ٤٣/٣ ب ، ولم ينسبه لأحد .

(٥) في (أ) : (الأرض) .

(٦) انظر : تنوير المقباس ٢٠٤ .

(٧) رواه الطبري ٩٠/١٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦٧٣/٥ وعزاه لعبد بن حميد والطبري .

(٨) يس ٥١ . وقد ذكر قراءة مجاهد والتعليل الثعلبي في الكشف والبيان ٤٣/٣ ب .

انظر : الشواذ لابن خالويه ٩٣ ، والمحتسب لابن جني ٦٦/٢ ، وتعليل القراءات للشاذة للعكبري ٢٦١ .

(٩) صوبه الطبري ٩٠/١٧ ، وصححه ابن الجوزي ٣٨٩/٥ ، واستظهره أبو حيان في البحر ٣٣٩/٦ .

٩٧. قوله تعالى : ﴿وَأَقْرَبَ﴾ . اختلفوا في هذه الواو : فقال الفراء : الواو مقحمة زائدة ، المعنى : حتى إذا فتحت اقرب ، ودخول الواو هاهنا بمنزلة قوله : ﴿حَقَّ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] ، ومثله ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ۖ ﴿١٣﴾ وَنَدَيْتُهُ﴾ [الصفات: ١٠٣-١٠٤] ومعناه : نادينه ، وأنشد قول امرئ القيس ^(١) :

فَلَمَّا أَجْزَنَّا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى
بَنَّا بَطْنَ خَبْتِ ذِي حَقَافٍ عَقَنْقَلٍ
قال : يريد : انتحى ^(٢) .

(١) البيت أنشده الفراء في معاني القرآن ٢/ ٢١١ وروايته : ذي قفاف . وهو في ديوان امرئ القيس ١٥ من معلقته ، ورواية شطره الثاني :

بَنَّا بَطْنَ ذِي رَكَامٍ عَقَنْقَلٍ

وشرح القصائد السبع الطوال لابن الأنباري ٥٤ مثل رواية الفراء ، وتهذيب اللغة للأزهري (جوز) ١١/ ١٤٨ وفيه : ذي حفاف ، ولسان العرب (جوز) ٥/ ٣٢٦ وفيه : ذي قفاف ، قال : ويروى ذي حفاف . قال البطليوسي في الاقتضاب ٣/ ٢١٧ : ومعنى أجزنا : قطعنا وخلفنا . وساحة الحي : فناؤه ، وانتحى : اعترض . والحقف : الكتيب من الرمل يعوج وينثني . وبطنه : ما انخفض وغمض ، وركامه : ما تراكم منه بعضه فوق بعض . والعقنقل : ما تعقد منه ودخل بعضه في بعض . اهـ . انظر : شرح السبع الطوال لابن الأنباري ٥٤ ، ٥٥ ، وشرح القصائد العشر للتبريزي ٨٦ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢١١ من دون قوله : الواو زائدة مقحمة .

وقد قال بزيادة الواو في هذه المواطن الكوفيون ، ومنع من زيادتها جمهور البصريين . قال ابن جني في سر صناعة الإعراب ٢/ ٦٤٦ بعد ذكره لقول الكوفيين في إجازة أن تكون الواو زائدة : فأما أصحابنا - يعني البصريين - فيدفعون هذا التأويل ألبتة ، ولا يجيزون زيادة هذه الواو ، ويرون أن أجوبة هذه الأشياء محذوفة للعلم بها والاعتقاد في مثلها . وقاله في ٢/ ٦٤٩ : وذهب أصحابنا إلى أن حذف الجواب في هذه الأشياء أبلغ في المعنى من إظهاره .

وذكر ابن جني الجواب عن الآيتين اللتين استشهد بهما الفراء فقال ٢/ ٦٤٦ ، ٦٤٧ عن قوله : ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ۖ ﴿١٣﴾ وَنَدَيْتُهُ﴾ : وتأويل ذلك عندنا على معنى : فلما أسلما وتله للجبين ، ونادينه أن يا إبراهيم ، قد صدقت الرؤيا ؛ أدرك ثوابنا ونال المنزل الرفيع عندنا . وكذلك قوله عز وجل : ﴿حَقَّ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ تقديره : صادفوا الثواب الذي وعدوه اهـ . وأما البيت الذي استشهد به الفراء ؛ فقد قال أبو عبيدة كما في شرح القصائد السبع لابن الأنباري ٥٥ =

ونحو هذا قال الكسائي^(١) قال : والعرب تدخل الواو في جواب (حتى إذا)^(٢) و(لما) و(حين) و(ساعة) و(يوم) و(الواو)^(٣) و(الفاء) و(ثم) ، ومعناها الطرح فتقول : ولما فعلت كذا ، وحين فعلت كذا ، وأقبل^(٤) يفعل أو ثم أقبل ، والمراد أقبل يفعل . ومعنى (ثم) والواو الطرح .

قال أبو إسحاق : والواو عند البصريين لا يجوز أن تدخل ويكون معناها الطرح ، وجواب (حتى إذا) [مضمرة في الآية]^(٥) لأن قوله : ﴿يَوَلِّينَا قَدْ كُنَّا فِي عَفْوَ﴾ هاهنا قول محذوف ، المعنى : حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج واقترب الوعد الحق قالوا : يا ويلنا . وخروج يأجوج ومأجوج من أعلام الساعة^(٦) .

﴿الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ . قال ابن عباس : يريد القيامة^(٧) .

وانتحي : نسق على (أجزنا) ، وجواب فلما أجزنا : هصرت بفودي رأسها . اهـ .
انظر أيضاً : الكتاب لسيبويه ١٠٣/٣ ، والإنصاف في مسائل الخلاف للأبنازي ٤٥٦/٢ ، ٤٦٢ ، وشرح المفصل لابن يعيش ١٥٠/٩ ، ورصف المباني للمالقي ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، والجنى الداني للمراي ١٦٤-١٦٦ ، ومغني الليب لابن هشام ٤١٧/٢ .
(١) ذكر النحاس في إعراب القرآن ٨٠/٣ ، والقرطبي ٣٤٢/١١ عن الكسائي أن الواو في هذه الآية زائدة .

(٢) في (أ) : (إذا) .

(٣) في (أ) : (الواو) .

(٤) في (أ) : (قبل) .

(٥) ساقط من (أ) . وفي (أ) عوضاً منه : (أنتم) .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٤٠٥/٣ ، والثعلبي ٤٣٣ ب .

وحسن النحاس في إعراب القرآن ٨١/٣ قول الزجاج في تقدير جواب إذا .

وحكى أبو حيان ٣٣٩/٦ تقدير الزجاج ثم قال : أو تقديره : فحينئذ يبعثون . وفي جواب (إذا) وجه آخر - سيذكره المصنف عن الكسائي - وهو ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ، قاله الزمخشري ٥٨٤/٢ ، واختاره ابن عطية ٢٠٥/١٠ وحكا أبو حيان ٣٣٩/٦ ، والسمين الحلبي ٢٠٢/٨ عن الخوفي .

(٧) الثعلبي ٤٣/٣ ب ، والبغوي ٣٥٥/٥ ، والقرطبي ٣٤٢/١١ من غير نسبة .

قال الكسائي^(١) : ويجوز أن يكون واقترب عطفاً على ﴿إِذَا فُتِحَتْ﴾ ويكون قوله : ﴿فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ﴾ : جواباً لهما : ﴿حَقَّ إِذَا﴾ ولقوله : ﴿وَاقْتَرَبَ﴾ .

قوله تعالى : ﴿فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ﴾ . قال الفرّاء^(٢) : تكون ﴿هِيَ﴾ عماداً^(٣) يصلح في موضعها (هو) فتكون كقوله : ﴿إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ﴾ [النمل : ٩] ومثله ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ﴾ [الحج : ٤٦] فجاز^(٤) التأنيث ؛ لأن الأبصار مؤنثة والتذكير للعماد . قال : وسمعت بعض العرب يقول : كان مرة وهو ينفع الناس أحسابهم . فجعل (هو) عماداً . قال : وأنشدني بعضهم^(٥) :

بَثُوبٍ وَدِينَارٍ وَشَاةٍ وَدِرْهَمٍ فَهَلْ هُوَ مَرْفُوعٌ بِمَا هَاهُنَا رَأْسُ

(١) ذكر النحاس في إعراب القرآن ٨١ / ٣ عن الكسائي أنه أجاز أن يكون جواب (إذا) ﴿فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ .

(٢) الفرّاء : ساقطة من (ز) .

(٣) العماد عند الكوفيين هو ما اصطلح عليه البصريون بقولهم : ضمير الفصل . قال ابن عقيل في شرح التسهيل لابن مالك ١١٩ / ١ وسموه بذلك ؛ لأنه يعتمد عليه في الفائدة ، إذ يتبين به أن الثاني ليس بتابع للأول .

انظر : همع الهوامع للسيوطي ٦٨ / ١ .

(٤) في (د) و(ع) : (فجاءت) ، وفي المطبوع من الفرّاء : (فجاء) .

(٥) البيت أنشده الفرّاء في معانيه ٢ / ١١٢ ونسبه لبعضهم ، وأنشده أيضاً ١ / ٥٢ مع بيتين قبله عن بعض العرب ، والبيتان قبله هما :

فأبلغ أبا يحيى إذا ما لقيته على العيس في آباطها عرقُ يسُ
بأنّ السلامي الذي بضرية أمير الحمى قد باع حقي بني عبس
بثوب ودينار . . . والبيتان من غير نسبة في الطبري ٢ / ٣١٣ ، ١٧ / ٩٣ ، والبحر المحيط ٦ / ٣٤٠ ، والدر المصون ٨ / ٢٥٠ .

[أراد فهل يرفع^(١) رأس بما هاهنا فجعل هو عماداً]^(٢) قال : وإن شئت جعلت (هي) للأبصار كنيت عنها ، ثم أظهرت الأبصار لتفسيرها^(٣) كما قال الشاعر^(٤) :

لعمري أيها لا تقولُ طعيتي ألا فرّ عني مالك بن أبي كعب
فذكر الطعينة وقد كُتِيَ عنها . انتهى كلامه^(٥) .

وعلى هذا إضمار على شريطة التفسير^(٦) [أضمر الأبصار ، ثم فسرهما بقوله : ﴿أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٧) وقد ذكرنا معنى الإضمار على شريطة التفسير]^(٨) وبيننا هذه المسألة عند قوله : ﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ﴾ [يوسف : ٧٧] من كلام أبي علي^(٩) .

-
- (١) في (ع) : (يرتفع) .
 (٢) قوله : ... أراد . عماداً . هذا من كلام الواحدي وليس من كلام الفراء .
 (٣) عند الفراء : لتفسرها .
 (٤) البيت أنشدته الفراء في معانيه ٢١٢/٢ من غير نسبة .
 وهو من غير نسبة عند الطبري ٩٢/١٧ ، والمحزر الوجيز ٢٠٨/١٠ ، والقرطبي ٣٤٢/١١ ، والبحر المحيط ٣٤٠/٦ ، والدر المصون ٢٠٥/٨ .
 ونسبه الأصمهاني في الأغاني ٤٤٢/١ ، ٢٣٤/١٦ لمالك بن كعب والد كعب بن مالك الصحابي المشهور أحد الثلاثة الذين تيب عليهم ، ورواية الأغاني : (خليلتي) مكان طعيتي .
 قال الأصمهاني ٢٣٤/١٦ عن مالك بن أبي كعب : وهو شاعر وله خبر ، وذكر في حرب الأوس والخزرج .
 والطعينة : هي المرأة في الهودج ، هذا هو الأصل ، ثم كثر ذلك حتى قيل للمرأة بلا هودج طعينة .
 انظر : لسان العرب (ظعن) ٢٧١/١٣ .
 (٥) معاني القرآن للفراء ٢١٢/٢ .
 (٦) قال نور الدين الجامي في شرحه لكافية ابن الحاجب ٣٥١/١ الشريطة والشرط واحد ، وإضافتها إلى التفسير بيانية ؛ أي أضمر عامله على شرط وهو تفسيره .
 (٧) وهذا قول الزمخشري . انظر : الكشف ٥٨٤/٢ .
 (٨) ساقط من (ع) .
 (٩) انظر : البسيط : سورة يوسف ٧٧ .

وقال المبرّد في هذه الآية : قال سيبويه : إذا كان الخبر عن مذكر فحق الإضمار أن يكون بعلامة التذكير نحو قوله : ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا ﴾ [طه : ٨٤] وكذلك : ﴿ وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَيْنًا ﴾ [الجن : ٣] تقديره : إن الأمر هذا ، وإذا كان الخبر عن مؤنث يصلح أن يكون الإضمار بعلامة التأنيث ويكون تقديره : القصة نحو قولك : إنها أمة الله خارجة ، وإمّا دارك خير من دار زيد ؛ أي القصة كذا ، ولو قلت : إنه دارك ؛ أي إن الأمر ، كان جيداً بالغاً ، وإمّا ملّت إلى الضمير الذي يدل على القصة ليُنْبِئَ عن أنّك تريد أن يذكر مؤنثاً^(١) .

وهذا قول ثالث في هذه الكناية .

وقد يكون التقدير في الآية : فإذا القصة شاخصة أبصار الذين كفروا^(٢) ؛ أي القصة أنّ أبصارهم عند ذلك تشخص كقوله : ﴿ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ [إبراهيم : ٤٢] وقد مر .

قال الكلبي : شخّصت أبصار الكفار فلا تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم وهوله^(٣) .

(١) انظر : المقتضب ٢/ ١٤٤ ، ١٤٥ ، الكتاب ١/ ٦٩-٧١ ، ٧٢/ ٢ ، وشرح المفصل لابن يعيش

٣/ ١١٦ ، وارتشاف الضرب لأبي حيان ١/ ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، وشرح التسهيل لابن عقيل ١/ ١١٦ .

(٢) فتكون (هي) ضمير القصة ، و(شاخصة) خبر مقدم ، و(أبصار) مبتدأ مؤخر .

وقال السمين الحلبي ٨/ ٢٠٤ عن هذا الوجه : إنه الأجود .

وذكر الثعلبي ٣/ ١٤٤ وجهاً آخر ، وهو أنّ تمام الكلام عند قوله : (هي) على معنى : فإذا هي بارزة واقفة ، يعني من قربها كأنها حاضرة ، ثم ابتداء : ﴿ شَخْصَةُ أَبْصَارِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ على تقديم الخبر على الابتداء .

قال أبو : حيان ٦/ ٣٤٠ : وهذا وجه متكلف ، متنافر التركيب .

(٣) ذكره البغوي ٥/ ٣٥٥ عن الكلبي .

وقوله تعالى: ﴿يَتَوَلَّيْنَا﴾ ؛ أي قالوا يا ويلنا ﴿قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ قال ابن عباس : يريد في الدنيا كنا في عماية عما يراد منا ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أنفسنا بتكذيب محمد ﷺ ، واتخاذ الآلهة .

٩٨ . قوله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ ؛ يعني الأوثان . والخطاب لأهل مكة [حَصْبُ جَهَنَّمَ] . قال الليث : الحصب : الحطب الذي يلقي^(١) في تنُّور أو في^(٢) وَقُود^(٣) .

وقال الفرَّاء : ذكر أن الحصب في لغة اليمن : الحطب . وقال : والحصب في لغة أهل نجد ما رميت به في النار^(٤) .

وقال الزَّجَّاج : كل ما يرمى به في جهنم حصب^(٥) .

والأصل في هذا ما ذكره ابن قتيبة : ﴿حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾ : ما أُلقي فيها . وأصله^(٦) من قولهم : حَصَبْتُ فلاناً ، إذا ، رميته أحصبه^(٧) حصباً - بتسكين الصاد - وما رميت به : حَصَب ، بفتح الصاد . كما تقول : نفضت الشجر نفضاً [والنفض بفتح الفاء اسم ما نفضت]^{(٨)(٩)} .

(١) يلقي ساقطة من (أ) .

(٢) (في) : ساقطة من (د) و(ع) .

(٣) قول الليث في تهذيب اللغة للأزهري (حصب) ٢٦٠ / ٤ . وهو في العين (حصب) ١٢٣ / ٣ مع اختلاف يسير جداً .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢ / ٢١٢ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣ / ٤٠٦ .

(٦) في غريب القرآن لابن قتيبة ٢٨٨ : وأصله من الحصباء ، وهي الحصى . يقال : حصبته .

(٧) (أحصبه) مقحمة من كلام الأزهري في تهذيب اللغة ٤ / ٢٦٠ ، وليس من كلام ابن قتيبة .

(٨) ما بين المعقوفين عند ابن قتيبة ٢٣٨٨ : وما وقع من ثمرها ، نفض . وعند الأزهري ٤ / ٢٦٠ : والمنفوض نفض .

(٩) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٨٨ مع حذف وزيادة وتصرف .

ونحو هذا قال الأزهري سواء^(١).

قال ابن عباس في قوله: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾^(٢): يريد وقودها^(٣).

وقال مجاهد، وقتادة، وعكرمة: حطبها^(٤).

وقال الضحاك: يرمون بهم في النار كما يرمى بالحصباء^(٥).

وقوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ﴾. قال ابن عباس: يريد فيها داخلون^(٦).

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (حصب) ٢٦٠ / ٤.

(٢) (حصب): ساقطة من (د) و(ع).

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ٤٤ / ٣ أ. وقد رواه الطبري ٩٤ / ١٧ بإسناد حسن عن ابن عباس قال: حَصَبُ جَهَنَّمَ شجر جهنم.

(٤) الكشف والبيان للثعلبي ٤٤ / ٣ أ عن مجاهد وقتادة وعكرمة. وعن مجاهد رواه الطبري ٩٤ / ١٧، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦٨٠ / ٥ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير. وعن قتادة رواه عبدالرزاق في تفسيره ٣٠ / ٢، والطبري ٩٤ / ١٧.

وعن عكرمة رواه سفيان الثوري في تفسيره ٢٠٥، والطبري في تفسيره ٩٤ / ١٧.

وذكره البخاري في صحيحه كتاب التفسير، سورة الأنبياء ٤٣٥ / ٨ معلقاً، ووصله ابن حجر في تغليق التعليق ٣ / ٥٠٨ من رواية ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق سفيان الثوري. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥ / ٦٨٠ عن عكرمة، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٥) الكشف والبيان للثعلبي ٣ / ١٤٤ أ عن الضحاك بنصه.

ورواه الطبري ٩٤ / ١٧ بنحوه، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥ / ٦٨٠ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٦) قال عبدالرزاق في تفسيره ٢ / ١١ أنبأنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار قال: أخبرني من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الأزرق، فقال ابن عباس: الورد: الدخول. وقال نافع: لا. قال: فقرأ ابن عباس: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ﴾ وليس في هذه الرواية تسمية من سمع ابن عباس.

وقد رواه الطبري ١١ / ١١١، والمروزي في زوائد الزهد ٤٩٩ من طريق آخر عن مجاهد قال: كنت عند ابن عباس، فجاءه رجل يقال له أبو راشد، وهو نافع بن الأزرق، فقال له: يا ابن عباس أ رأيت قول الله: ﴿وَلِنْ مَنكُمُ إِلَّا وَارِدُهَا...﴾ الآية. قال: أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها، فانظر: هل تصدر عنها أم لا؟

٩٩. قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَتْ هَتُؤُلَاءِ﴾ ؛ يعني الأصنام آلهة كما يزعم الكفار .
 ﴿مَا وَرَدُوهَا﴾ ؛ يحتمل أن يكون المعنى : ما ورد عابدها النار .
 ويحتمل أن يقال : ما وردهم^(١) أي الأصنام النار . والأولى أن يقال :
 ﴿مَا وَرَدُوهَا﴾ يعني العابدين والمعبودين لقوله : ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يعني العابد والمعبود .

١٠٠. قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا﴾ ؛ في جهنم ﴿زَفِيرٌ﴾ . ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ . قال ابن مسعود في هذه الآية «إذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت^(٢) من نار ، ثم جعلت التوابيت في توابيت أخرى ، ثم جعلت التوابيت في توابيت أخرى ؛ فلا يسمعون شيئاً ، ولا يرى أحد منهم^(٣) أن في النار أحداً^(٤) يعذب غيره^(٥) .

ورواه هناد في الزهد ١ / ١٦٤ قال : ثنا الحارثي ، عن ليث ، عن مجاهد قال : سأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن قوله : ﴿وَلَنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ . . . فقال ابن عباس : أما أنا وأنت يا ابن الأزرق ؛ فسندخلها ، فانظر : هل يخرجنا الله منها أم لا ؟

وقال السيوطي في الدر المنثور ٥ / ٥٣٥ . وأخرج عبد الرزاق ، وسعيد بن منصور ، وهناد ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في البعث عن مجاهد قال : خاصم نافع بن الأزرق ابن عباس ، فقال ابن عباس : الورود الدخول . . . ثم ساق مثل رواية عبد الرزاق .

(١) في (د) و(ع) : (ودوهم) . ولعل الصواب : وردوها .

(٢) (توابيت) : جمع تابوت ، وهو : الصندوق . لسان العرب لابن منظور (تبت) ١٧ / ٢ .

(٣) (منهم) : ساقطة من (د) و(ع) .

(٤) في (ع) : (أحد) . وهو خطأ .

(٥) رواه الطبري ١٧ / ٩٥ ، والبيهقي في البعث والنشور ٣١٤ من طريق المسعودي ، عن يونس بن خباب ، عن ابن مسعود ، بنحوه .

وفي سنده علتان : الأولى : المسعودي وهو عبد الرحمن بن عبد الله . وقد اختلط قبل موته ، انظر : تقريب التهذيب ١ / ٤٨٧ .

والثانية : يونس بن خباب صدوق يخطئ ، ولم يسمع من ابن مسعود . انظر : تقريب التهذيب ٢ / ٣٧٨٤ . ورواه الطبراني في المعجم الكبير ٩ / ٢٥٥ من طريق يحيى الخثاني ، عن قيس بن الربيع ، عن يونس بن خباب ، عن حدثه ، عن عبد الله بن مسعود فذكره بنحوه .

١٠١ . قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ الآية . قال الكلبي : أتى رسول الله ﷺ قريشاً ، وهم في المسجد مجتمعون ، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً ، فتلا عليهم : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الآيات الثلاث ، فشق ذلك عليهم ، فأتاهم عبد الله بن الزبيري السهمي ، فرآهم قد ظهر ذلك منهم ، فقال : مالي أراكم بحال لم أركم^(١) عليها قبل أن أفارقكم ؟ فقالوا : إنَّ محمداً يزعم أننا وما نعبد في النار ، فقال ابن الزبيري : والذي جعلها بيته لو كنت ها هنا لخصمته .

وقالوا : وهل لك أن نرسل إليه^(٢) فتكلمه^(٣) ؟ قال : نعم . وكان رسول الله ﷺ إذا بعث^(٤) إليه قريش أتاهم رجاء أن يسلموا ، فبعثوا إليه ، فأتاهم ، فقال ابن الزبيري : أرايت يا محمد ما قلت لقومك أنفاً أخاص أم عام ؟ قال : بل عام ، من عبد شيئاً من دون الله فهو وما يعبد في النار . قال : قد خصمتك ورب الكعبة [أليست اليهود تعبد عزيزاً ، والنصارى تعبد المسيح ، وبنو مليح^(٥) يعبدون

وفيه علتان : الأولى : ما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦٩ / ٧ بقوله : وفيه يحيى الحماني ، وهو ضعيف .

والثانية : جهالة الراوي عن ابن مسعود .

وقد رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ١٩٧ / ٣ من طريق المسعودي ، عن أبيه ، قال : قال

ابن مسعود ، فذكره بنحوه باختصار . وهو منقطع .

فالأثر لا يصح عن ابن مسعود رضي الله عنه .

وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦٨١ / ٥ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن أبي

الدنيا في صفة النار ، والطبراني والبيهقي في البعث .

(١) في (أ) : (أراكم) .

(٢) في (أ) : (الله) . وهو خطأ .

(٣) (فتكلمه) : ساقطة من (د) و(ع) . وهي في (أ) : (فيكلمه) ، والصواب ما أثبتنا .

(٤) في (أ) و(ع) : (بعث) .

(٥) بنو مليح : بطن من خزاعة ، من القحطانية . وهم بنو مليح بن عمرو بن عامر بن لحي .

انظر : جهرة أنساب العرب لابن حزم ٢٣٨ ، ومعجم قبائل العرب لكحالة ١١٣٨ / ٣ .

الملائكة؟^(١) فإن كانوا هم ومعبودوهم في النار فما آهتنا خير من معبوديهم^(٢)، فسكت النبي ﷺ رجاء أن يأتيه جبريل، ولم يجبه ساعة، فأنزل الله هذه الآية^(٣).

وروى أن النبي ﷺ قال لابن الزبير: بل هم يعبدون الشياطين، هي التي أمرتهم بذلك. وأنزل الله هذه الآية^(٤).

وأراد بقوله: ﴿سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ عزيراً، وعيسى، والملائكة. وهذا قول يروى عن ابن عباس^(٥). وهو قول مجاهد، وسعيد بن جبير، وأبي صالح، والضحاك^(٦)، والسدي.

وقال آخرون: هذه الآية مستأنفة ليست ترجع بمعناها إلى ما قبلها، وهي عامة في كل من سبقت لهم^(٧) من الله السعادة.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٢) في (أ): (معبودهم).

(٣) ذكره عن الكلبي هوذ بن محكم الهواري.

والكلبي متهم بالكذب فلا يعتمد عليه في رواية.

قال ابن عطية ٢١٣/١. ولا مزية أنها مع نزولها في خصوص مقصود تتناول كل من سعد في الآخرة.

(٤) روى الطبري ٩٧/١٧ عن محمد بن حميد قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، فذكره مرفوعاً بنحوه. وإسناده لا يصح لضعف شيخ الطبري: محمد بن حميد، ولإرساله.

(٥) روى الطبري ٩٦/١٧ من طريق عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. وفيه عطاء بن السائب قد اختلط في آخره.

لكن يشهد له رواه البزار في مسنده كما في كشف الأستار ٥٩/٣ عنه بلفظ: عيسى بن مريم ﷺ ومن كان معه. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦٨/٧: رواه البزار، وفيه شر حييل بن سعد مولى الأنصار وثقه ابن معين وضعفه الجمهور، وبقيّة رجاله ثقات.

(٦) روى الطبري في تفسيره ٩٧-٦٩/١٧ هذا القول عن مجاهد وسعيد وأبي صالح والضحاك.

(٧) في (أ): (له).

(۱) هو سعد بن أبى وقاص .

الاستيعاب ٦١٤/٢، وسير أعلام النبلاء ١/١٢٤، والإصابة ٢/٤٤.

وورواه ابن عدي في الكامل عن داود بن عليّ الحارثي ، عن ليث بن أبي سليم ، به ، فذكره ، ولم يذكر سعداً كالثعلبي . اهـ . كلام الزيلعي .

وفي النسخة الموجودة عندي من تفسير الشعلي ٣/ ٤٤ ب ذكر سعداً في الأثر ، فلعله سقط من نسخته التي اعتمد عليه .

والأثر عند ابن عدي في الكامل ٩٨٦/٣ .

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٨٢ وعزاه لابن أبي حاتم وابن عدى وابن مردويه .

وهذا الأثر عن علي - رضي الله عنه - فيه علتان : الأولى : ضعف ليث بن أبي سليم ، والثانية : جهالة ابن عم النعمان بن بشر .

وفقد روى ابن أبي شيبة في مصنفه ٥١/ ٥٢، والطبري في تفسيره ٩٦/ ١٧، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير ٣/ ١٩٨ عن محمد بن حاطب قال: سمعت علياً يخطب، فقرأ هذه الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْكُمْ بِالْإِيمَانِ وَأُثِرُوا عَلَى الْإِيمَانِ﴾ قال عثمان -رضي الله عنه- منهم. ولفظ ابن أبي حاتم: عثمان وأصحابه.

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٨١، ٦٨٢ وعزاه لابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن جرير .
وإسناده صحيح .

وهذا اختيار أكثر^(١) أهل المعاني . قالوا : وقوله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ أراد أوثان قريش ، ولو كان عزير وعيسى والملائكة داخلاً تحت الكلام لقليل : ومن تعبدون ، ولأن الخطاب^(٢) لمشركي مكة وهم كانوا أصحاب أوثان ، والإشارة بقوله : ﴿لَوْ كَانَتْ هَتُؤَلَاءُ﴾ إلى تلك الأصنام التي وقف عليها رسول الله ﷺ وكانت حول الكعبة . وقوله لابن الزبعرى هي عامة يعني في ما عبد من دون الله من غير العقلاء ، وسكوته عند إلزامه إياه حديث عزير وعيسى إنما كان لإرادة أن يكون الجواب من الله إن صح أنه سكت .

ومعنى قوله : ﴿سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ . قال ابن عباس وعكرمة : يريد الرحمة^(٣) .

وقال ابن زيد : السعادة من الله لأهلها^(٤) .

وروي عن ابن عباس : الحسنى الجنة^(٥) . وقد سبق من الله للمؤمنين الوعد بها .

١٠٢ . قوله تعالى : ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ ؛ أي حسها وحركة تلّهبها . والحسّيس والحسّ : الحركة^(٦) .

(١) (أكثر) : ساقطة من (د) و(ع) .

(٢) في (د) و(ع) : (الكلام) .

(٣) ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٣٩٣/٥ عن ابن عباس وعكرمة أنها قالوا : الجنة .

(٤) رواه الطبري ٩٨/١٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦٨١/٥ وعزاه لابن مردويه وابن جرير وابن أبي حاتم .

(٥) ذكره عنه ابن الجوزي كما تقدم . انظر : تنوير المقياس ٢٠٥ .

ويشهد لهذا قوله تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس : ٢٦] . والمعاني في تفسير الحسنى متقاربة .

(٦) تهذيب اللغة للأزهري (حسن) : بنصه .

وقال الليث : الحِسُّ والحسيس تسمعه من الشيء يمر منك قريباً ولا تراه ،
وأُشْد في صفة باز^(١) :

تري الطيرَ العتاقَ يظَلْنَ مِنْهُ جنوحاً إنْ سَمِعْنَ له حسيساً^(٢)
وقال أبو عبيدة : الحسيس والحس والجرس واحد ، وهو الصوت الخفي
الذي لا^(٣) يحس^(٤) .

قال ابن عباس : لا يسمعون حسيستها كما يسمع أهلها حسيستها من مسيرة
خمسمائة عام .

والظاهر أن هذا مطلق لا يسمعون حسيستها أبداً .
وقال بعض المفسرين : يعني إذا نزلوا منازلهم من الجنة^(٥) .
وعلى هذا ، كأنهم قبل دخول الجنة يسمعون حسَّ النار .

(١) قول الليث وإنشاده في تهذيب اللغة للأزهري (حسن) ٤٠٨/٣ ، ٤٠٩ . وهو في كتاب العين (حس) ١٦/٣ ، ولم ينسب البيت لأحد .

والبيت من غير نسبة أيضاً في لسان العرب (جنح) ٤٢٨/٢ ، و(حسس) ٥٠/٦ ، وتاج العروس للزبيدي (جنح) ٣٥٠/٦ ، و(حسس) ٤٥٣٦/١٥ .

(٢) قول الليث وإنشاده في تهذيب اللغة للأزهري (حس) ٤٠٨/٣ ، ٤٠٩ . وهو في كتاب العين (حس) ١٦/٣ ، ولم ينسب البيت لأحد . والبيت من غير نسبة أيضاً في لسان العرب (جنح) ، و(حسس) ٤٢٨/٢ ، ٥٠/٦ ، وتاج العروس للزبيدي (جنح) ٣٥٠/٦ ، و(حسس) ٤٥٣٦/١٥ .

(٣) (لا) : ساقطة من (أ) .

(٤) في مجاز القرآن ٤٢/٢ : (أي صوتها ، والحس والحسيس واحد) .
لكن قال البخاري في صحيحه (فتح) ٤٣٥/٨ في أول تفسير سورة الأنبياء : وقال غيره :
الحسيس والحس والجرس والهمس واحد . وهو الصوت الخفي .

قال ابن حجر في فتح الباري ٤٣٦/٨ شارحاً لقول البخاري وقال غيره : كذا لهم - يريد ابن حجر لرواة الصحيح - وللنسفي - وهو أحد رواة الصحيح - وقال معمر ، ومعمر هذا بالسكون هو أبو عبيدة معمر بن المثنى اللغوي ، وقد أكثر البخاري نقل كلامه ، فتارة يصريح باسمه وتارة يبهمه .

(٥) قاله الطبري والثعلبي . انظر : الطبري ٩٨/١٧ والكشف والبيان للثعلبي ٤٤٤/٣ ب .

﴿وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد في الجنة . ومعنى الشهوة والاشتهاء ذكرنا في ما تقدم^(١) .

١٠٣ . قوله تعالى : ﴿لَا يَخْزِيهِمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ﴾ . قال سعيد بن جبير ، والضحاك ، والكلبي ، والثوري^(٢) : إطباق جهنم [على أهلها الفرع الأكبر]^(٣) .

وقال الحسن : هو أن يؤمر^(٤) بالعبد إلى النار^(٥) .

وقال ابن جريج : هو ذبح الموت بين الفريقين^(٦) .

وقال ابن عباس : هو النفخة الأخيرة^(٧) .

(١) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْإِنْسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف : ٨١] .

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٤٤ / ٣ ب عن ابن جبير والضحاك . ورواه الطبري في تفسيره ٩٨ / ١٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥ / ٦٨٢ ، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

ورواه عبد الرزاق في تفسيره ٣٠ / ٢ عن الكلبي .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (د) و(ع) .

(٤) عند الطبري والثعلبي : (حين يؤمر) .

(٥) الكشف والبيان للثعلبي ٤٤ / ٣ ب . ورواه الطبري ٩٩ / ١٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥ / ٦٨٢ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم .

(٦) رواه الطبري ٩٩ / ١٧ . انظر : الكشف والبيان للثعلبي ٤٤ / ٣ ب .

(٧) الكشف والبيان للثعلبي ٤٤ / ٣ ب . ورواه الطبري ٩٩ / ١٧ من رواية العوفي ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥ / ٦٨٢ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم .

واختار الطبري هذا القول وقال : وذلك أن من لم يحزنه ذلك الفرع الأكبر وأمن منه ، فهو مما بعده أخرى أن لا يفزع ، وأن من أفرعه ذلك فغير مأمون عليه الفرع مما بعده .

واستدل الثعلبي في الكشف ٤٤ / ٣ ب لهذا القول بقوله : ﴿وَيَوْمَ يُفْعُ فِي الصُّورِ فَفَرَجَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النمل : ٨٧] .

وقال ابن الجوزي ٥ / ٥٩٤ : ويدل على صحة هذا الوجه قوله تعالى : ﴿وَنُلَقِّهِمُ الْمَلَكَةَ﴾ . =

وهذا^(١) كما قال في رواية عطاء ، يريد البعث . يعني أنهم لا يحزنون للبعث كما يحزن غيرهم ممن يعلم أنه يصير إلى النار .

قوله تعالى : ﴿وَنُنَلِّقُهُمُ الْمَلَكَةَ﴾ ؛ تستقبلهم ملائكة الرحمة . قال ابن عباس : وذلك عند خروجهم من القبور^(٢) .

ومعنى التلقي : التعرض^(٣) للقاء الشيء ، والمستقبل متعرض للقاء مُسْتَقْبَلُهُ^(٤) .

﴿هَذَا يَوْمُكُمْ﴾ ؛ أي يقولون لهم^(٥) ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ أي توعدونه في الدنيا .

وذهب ابن عطية - رحمه الله - إلى أن الفزع الأكبر عام من غير تخصيص بشيء ، فقال في المحرر ١٠ / ٢١٢ : والفزع الأكبر عام في كل هول يكون في يوم القيامة ، فكأن يوم القيامة بجملته هو الفزع الأكبر ، وإن خُصَّص شيء من ذلك فيجب أن يقصد الأعظم هوله . ثم ذكر ابن عطية الأقوال المخصصة لذلك الفزع ، ثم قال : وهذا - يعني قول من قال : هو وقت النفخة الآخرة - وما قبله أشبه أن يكون فيها الفزع ؛ لأنها وقت لرحم الظنون وتعرض الحوادث ، فأما وقت ذبح الموت ووقوع طبق جهنم فوق قد حصل فيه أهل الجنة في الجنة ، فذلك فزع بين أنه لا يصيب أحداً من أهل الجنة فضلاً عن الأنبياء ، اللهم إلا أن يريد : لا يحزنهم الشيء الذي هو عند أهل النار فزع أكبر ، فأما إن كان فزعا للجميع فلا بد مما قلنا من أنه قبل دخول الجنة . اهـ .

(١) (وهذا) . ساقطة من (أ) .

(٢) ذكره القرطبي ١١ / ٣٤٦ وأبو حيان في البحر ٦ / ٣٤٢ عن ابن عباس .

وذكره ابن كثير ٣ / ١٩٩ مقتصراً عليه من غير نسبة .

وقيل : إن هذا التلقي قبل دخول الجنة رواه الطبري ١٧ / ٩٩ عن ابن زيد ، فالملائكة تستقبلهم على أبواب الجنة ، يهتئونهم يقولون : (هذا . . .) .

(٣) في (أ) : (التعرض) .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (لقا) ٩ / ٢٩٨ ، والصحاح ٦ / ٢٤٨٤ ، ولسان العرب ١٥ / ٢٥٦ .

(٥) (لهم) : زيادة من (أ) .

(٦) (هذا) : ساقطة من (أ) .

١٠٤ . قوله تعالى : ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾ ؛ أي لا يحزنهم الفزع الأكبر يوم نطوي السماء . وهذا يدل على أنَّ المراد بالفزع الأكبر البعث ؛ لأنَّه يقع في ذلك اليوم .

وقال أبو علي : ﴿يَوْمَ نَطْوِي﴾ يكون في انتصابه وجهان : أحدهما : أن يكون بدلاً من الهاء المحذوفة من الصلة ، ألا ترى أن المعنى : هذا يومكم الذي كنتم^(١) توعدون . والآخر : أن يكون منتصباً بـ «نعيده»^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿كُتِبَ السِّجِّلُ﴾ اختلفوا في معنى ﴿السِّجِّلِ﴾ : فقال ابن عباس في رواية عطاء : يريد ملكاً يقال له : السجل^(٣) ، وهو الذي يطوي كتب بني آدم إذا رفعت إليه^(٤) .

وهذا قول السدي ، قال : السجل : ملك موكل بالصحف ، فإذا مات الإنسان دُفع كتابه إلى السجل^(٥) فطواه ورفعته إلى يوم القيامة^(٦) .

-
- (١) كنتم : ساقطة من (د) و(ع) .
 (٢) الحجة لأبي علي الفارسي ٢٦٣ / ٥ .
 وجوز أبو حيان ٣٤٢ / ٦ ، وتبعه السمين الحلبي ٢٠٨ / ٨ أن يكون ﴿يَوْمَ﴾ منصوباً بـ ﴿لَا يَحْزَنُهُمْ﴾ أو ﴿وَنُلْقِيَهُمْ﴾ ، أو يكون منصوباً بإضمار أذكر أو أعني .
 (٣) في (أ) : (سجل) .
 (٤) ذكره عن ابن عباس الرازي ٢٢٨ / ٢٢ ، والقرطبي ٣٤٧ / ١١ ، وأبو حيان ٣٤٣ / ٦ .
 ورواية عطاء عن ابن عباس هذه باطلة ، وقد تقدم الكلام فيها .
 (٥) في النسخ جميعها : (سجل) ، والتصحيح من تفسير ابن كثير ، والدر المنثور .
 (٦) رواه عن السدي بهذا اللفظ ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ٢٠٠ / ٣ ، والدر المنثور ٦٨٣ / ٥ .
 ورواه سفيان الثوري في تفسيره ٢٠٦ ، والطبري ١٧ / ١٠٠ عن السدي مختصراً ، بلفظ : (السجل ملك) .

وهذا القول مروى عن ابن عمر أيضاً^(١).

وقال^(٢) في رواية أبي الجوزاء ، وعكرمة : السجل كاتب كان لرسول الله ﷺ^(٣).

(١) رواه الطبري ٩٩ / ١٧ ، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ٣ / ٢٠٠ ، والدر المنثور للسيوطي ٥ / ٦٨٣ من طريق يحيى بن بيان ، قال : حدثنا أبو الوفاء الأشجعي ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال : السجل ملك ، فإذا صعد بالاستغفار قال : اكتبها نوراً .

(٢) يعني ابن عباس .

(٣) رواه أبو داود في سننه في كتاب الخراج والإمارة والفیء ، باب اتخاذ الكاتب ٨ / ١٥٤ ، والنسائي في التفسير ٢ / ٧٤ ، والطبري في تفسيره ١٧ / ١٠٠ ، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير ٣ / ٢٠٠ ، والبيهقي في سننه ١٠ / ١٢٦ كلهم من طريق يزيد بن كعب . عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس ، به . وفي سننه يزيد بن كعب وهو العوذی قال الذهبي في الميزان ٤ / ٣٤٨ : لا يدري من ذا أصلاً . وقال ابن حجر في التقریب ٢ / ٣٧٠ : مجهول .

وعمر بن مالك وهو النكري ، قال عنه ابن حجر في التقریب ٢ / ٤٢٦ : صدوق له أوهام . وقد تابع يزيد بن كعب يحيى بن عمرو بن مالك فرواه عن أبيه ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس به . ورواه من هذا الوجه الطبراني في المعجم الكبير ١٢ / ١٧٠ ، وابن عدي في الكامل ٧ / ٢٦٦٢ ، والبيهقي في سننه ١٠ / ١٢٦ .

لكن قال ابن كثير في البداية والنهاية ٥ / ٣٤٨ بعد ذكره لهذه المتابعة : ويحيى هذا ضعيف جداً ، فلا يصلح للمتابعة .

وذكر ابن كثير في تفسيره ٣ / ٢٠٠ وفي البداية والنهاية ٥ / ٣٤٨ عن ابن عمر شاهداً لهذا الأثر رواه الخطيب البغدادي في تاريخه ٨ / ١٧٥ من حديث حمدان بن سعيد ، عن عبدالله بن نمير ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : كان للنبي ﷺ كاتب يقال له : سجل ، فأنزل الله ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ﴾ . ثم قال ابن كثير في تفسيره : وهذا منكر جداً من حديث نافع عن ابن عمر لا يصح أصلاً ، وكذلك ما تقدم عن ابن عباس - من رواية أبي داود وغيره - لا يصح أيضاً ، وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه - وإن كان في سنن أبي داود - منهم شيخنا الحافظ الكبير أبو الحجاج المزي . وقال في البداية والنهاية ٥ / ٣٤٧ : وعرضت هذا الحديث - يعني حديث ابن عباس - على شيخنا الحافظ الكبير أبي الحجاج المزي فأنكره جداً ، وأخبرته أن شيخنا العلامة أبا العباس بن تيمية كان يقول : هو حديث موضوع وإن كان في سنن أبي داود ، فقال شيخنا المزي : وأنا أقوله .

وقال ابن القيم في تعليقه على (سنن أبي داود ٨ / ١٥٤ حاشية عون المعبود) : سمعت شيخنا أبا العباس بن تيمية يقول : هذا الحديث موضوع ، ولا يعرف لرسول الله ﷺ كاتب اسمه السجل قط . اهـ . أما رواية عكرمة عن ابن عباس ؛ فقد ذكرها الثعلبي في الكشف والبيان ٣ / ٤٥ أ .

قال أستاذنا أبو إسحاق^(١) رحمه الله : هذا قول غير قوي ؛ لأن كُتَّاب رسول الله ﷺ كانوا معروفين ، ليس^(٢) يعرف فيهم من يسمى بهذا الاسم^(٣) .

قال الزَّجَّاج : وقيل : السجل بلغة الحبش الرَّجُل^(٤) . وعلى هذه الأقوال لا يعرف للسجل اشتقاق .

وقال مجاهد : السجل : الصحيفة التي فيها الكتاب . يعني المكتوب^(٥) .

وهذا اختيار^(٦) الفراء^(٧) وابن قتيبة^(٨) ، وهو الذي يعرفه أهل اللغة من معنى السجل^(٩) . وهو قول الكلبي في روايته عن ابن عباس^{(١٠)(١١)} .

(١) هو أبو إسحاق ، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، النيسابوري . صاحب التفسير الكبير المسمى بالكشف والبيان .

(٢) في (د) و(ع) : (ولم) .

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ٤٥ / ٣ إلى قوله : معروفين . ولم أجد في تفسيره قوله : وليس وأصل الكلام للطبري رحمه الله في تفسيره ١٧ / ١٠٠ .

قال ابن كثير في تفسيره ٣ / ٢٠٠ : وقد تصدى الإمام أبو جعفر بن جرير للإنكار على هذا الحديث ورده أتم رد ، قال : لا يعرف في الصحابة أحد اسمه السجل ، وكتاب النبي ﷺ معروفون ، وليس فيهم أحد اسمه السجل . وصدق رحمه الله ، في ذلك ، وهو من أقوى الأدلة على نكارة هذا الحديث . معاني القرآن للزَّجَّاج ٤٠٦ / ٣ .

(٥) رواه الفريابي في تفسيره كما في تغليق التعليق ٤ / ٢٥٩ ، والطبري ١٧ / ١٠٠ عن مجاهد مختصراً ، بلفظ : (السجل : الصحيفة) .

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥ / ٦٨٤ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وهو في تفسير مجاهد ١ / ٤١٧ بمثل رواية الفريابي وغيره .

(٦) في (د) و(ع) : (واختار هذا) .

(٧) انظر : معاني القرآن للفراء ٢ / ٢١٣ .

(٨) انظر : غريب القرآن لابن قتيبة ٢٨٨ .

(٩) هذا قول الطبري في تفسيره ١٧ / ١٠٠ .

(١٠) في (أ) : (في رواية ابن عباس) ، وهو خطأ .

(١١) لم أجده من رواية الكلبي عن ابن عباس ، وروى الطبري ١٧ / ١٠٠ هذا القول عن ابن عباس من رواية علي ابن أبي طلحة الوالبي ، والعوفي .

وقال قتادة : كطي الصحيفة فيها الكتب^(١) .

وأصله في المساجلة ، والمساجلة مأخوذ^(٢) من السَّجَل ، وهو الدلو ملأى ماء .
والرجلان يستقيان بالسجل فيكون لكل واحد منهما سجل . هذا هو
الأصل ، ثم قيل لكل أمر بين اثنين يكون^(٣) لهذا مرةً ولهذا^(٤) مرة : هو بينهما
سجال : ومساجلة ، ومنه قول اللهبي^(٥) :

من يساجلني يساجلٌ ماجداً يملأ الدلو إلى عَقْدِ الكَرْبِ^(٦) .

قال ابن كثير في تفسيره ٢٠٠ / ٣ : والصحيح عن ابن عباس أن السجل هي الصحيفة . قاله علي
ابن أبي طلحة والعوفي عنه ، ونص على ذلك مجاهد وقتادة وغير واحد . واختاره ابن جرير ، لأنه
المعروف في اللغة ، فعلى هذا ، يكون معنى الكلام : يوم نظوي الساء كطي السجل للكتاب ؛ أي على
الكتاب بمعنى المكتوب ، كقوله : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَلَّاهُ لِلْجَبِينِ ﴾ [الصفافات : ١٠٣] ؛ أي على الجبين ، وله
نظائر في اللغة .

(١) ذكره عنه ابن كثير ٢٠٠ / ٣ .

(٢) في المطبوع من تهذيب اللغة ٥٨٧ / ١٠ ، واللسان ٣٢٥ / ١١ : (مأخوذة) . وأشار محقق تهذيب اللغة
في الحاشية إلى أن في الأصل : (مأخوذ) .

(٣) (يكون) : ساقطة من (ع) .

(٤) في (أ) : (ولذلك) .

(٥) هو الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي هب ، القرشي . يقال له اللهبي نسبة إلى أبي هب .
شاعر من فصحاء بني هاشم ، كان معاصراً للأحوص والفرزدق ، وله معهما أخبار . ومدح
عبد الملك بن مروان ، وهو أول هاشمي يمدح أمويًا . توفي في خلافة الوليد بن عبد الملك .
معجم الشعراء للمرزباني ١٧٨ ، والمؤتلف للأمدى ٣٥ ، والأعلام للزركلي ١٥٠ / ٥ .

(٦) في (أ) : (الكذب) ، وهو خطأ .

(٧) البيت للهبي بقوله مفتخراً ، وهو منسوب له في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٢٩ / ٢ ، والمعاني الكبير
لابن قتيبة ٢ / ٧٩٥ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣ / ٧١ ، والطبري ١٢ / ٩٤ ، والكمال للمبرّد ١ / ١١٠ ،
وتهذيب اللغة للأزهري (سجل) ١٠ / ٥٨٦ ، ولسان العرب (سجل) ١١ / ٣٢٦ .

والكرب : هو الحبل الذي يشد على الدلو . لسان العرب لابن منظور (كرب) ١ / ٧١٤ .
والكلام الذي ذكره الواحد هنا مع البيت منقول من مواضع متفرقة من تهذيب اللغة للأزهري
(سجل) ١٠ / ٥٨٤-٥٨٨ .

انظر : الكشف والبيان للثعلبي ٣ / ٤٥ أ .

ثم قيل للمكاتبة : مساجلة ؛ لأنَّ المبتدئ يكتب مرة والمجيب أخرى ، ولما قيل للمكاتبة مساجلة قيل للكتاب : سِجل ، وسَجَّل ؛ أي كتب السجل .

هذه أربعة أقوال في السجل . وعلى الأقوال الثلاثة المتقدمة^(١) ، قوله : ﴿ كَطِي السَّجِّلِ ﴾ المصدر مضاف إلى الفاعل ، والمراد بالكتاب وبالكاتب على اختلاف القراءتين^(٢) : الصحائف كما تقول : كطي زيد الكتب ، ومن أفرد فإنه واحد يراد به الكثرة . وتكون اللام^(٣) في (للكتاب) زائدة كالتي في : ﴿ رَدِفَ لَكُمْ ﴾ [النمل : ٧٢] . هذا كلام أبي علي^(٤) .

وعلى القول الرابع^(٥) ، المصدر مضاف إلى المفعول ، والفاعل^(٦) محذوف عن^(٧) اللفظ كقوله : ﴿ سَوَّالِ نَعَجِكَ ﴾ [ص : ٢٤] والتقدير : كطي الطاوي السجل ، فحذف الطاوي وأضيف المصدر إلى المفعول ، كما أن المعنى في سؤال نعجتك : بسؤاله نعجتك . وقوله تعالى : ﴿ لِلْكُتُبِ ﴾ ؛ أي لدرج^(٨) الكتب ، فحذف المضاف ، والمراد بالكتب والكتاب : المكتوب . هذا كله قول أبي علي^(٩) .

(١) يعني أن السجل ملك ، أو كتاب النبي ﷺ ، أو الرجل بلغة الحبشة .

(٢) قرأ حزة ، والكسائي ، وحفص عن عاصم : ﴿ لِلْكُتُبِ ﴾ على الجمع والكاف والتاء مضمومتان وقرأ الباقون (للكتاب) على التوحيد .

السبعة ٤٣١ ، والتبصرة ٢٦٤ ، والتيسير ١٥٥ .

(٣) (اللام) : ساقطة من (أ) .

(٤) الحجة لأبي علي الفارسي ٢٦٤ / ٥ .

انظر : حجة القراءات لابن زنجلة ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٢ / ١١٤ ، ١١٥ .

(٥) يعني أن السجل : الصحيفة .

(٦) (والفاعل) : ساقط من (د) و(ع) .

(٧) في الحجة ٢٦٤ / ٥ من .

(٨) درج الكتاب طيه وداخله . تاج العروس للزبيدي (درج) ٥٥٦ / ٥ .

(٩) الحجة لأبي علي الفارسي ٢٦٤ / ٥ مع تصرف .

وقال المبرّد: يجوز أن يكون الكتاب بدلاً من السجل ، كأنه قيل : كطي الكتاب^(١) ، واللام مؤكدة . هذا كلامه^(٢) .

ويجوز تقدير آخر وهو أن^(٣) السجل يكون بمنزلة الفاعل لما كان بانطوائه ينطوي المكتوب فيه ، جعل كأنه يطوي الكتاب .

وتم الكلام^(٤) ، ثم قال : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾^(٥) ، وفيه ثلاثة أقوال :

أحدها : كما بدأناهم في بطون أمهاتهم^(٦) حفاة عراة غرلاً^(٧) ، كذلك نعيدهم يوم القيامة .

(١) في (د) و(ع) : (السجل) ، وهو خطأ .

(٢) لم أجده .

(٣) (أَنْ) : ساقطة من (د) و(ع) .

(٤) في (أ) : (الكتاب) ، وهو خطأ .

(٥) هذا قول الفراء ٢/٢١٣ ، والطبري ١٧/١٠١ ، والزجاج ٢/٤٠٦ . والمعنى أن الكلام انقطع عند قوله : ﴿ لِلْكَتُبِ ﴾ ثم ابتدأ الخبر عما الله فاعل بخلقه يومئذ ، فقال : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾ .

وقيل : إن الله - تعالى - لما قال : ﴿ وَنَلَقْنَاهُمُ اللَّمَّةَ ﴾ . . . الآية ، عقبه بقوله : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ ﴾ . . . فوصف اليوم بذلك ، ثم وصفه بوصف آخر فقال : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾ .

انظر : الرازي ٢٢/٢٢٨ .

(٦) في (أ) : (أمهاتكم) .

(٧) غرلاً : جمع أغرل ، وهو الأقف الذي لم يجتن . الفائق في غريب الحديث للزمخشري ١/١٣٧ ، وغريب الحديث لابن الجوزي ٢/١٥٤ .

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً^(١) بموعظة^(٢) ، فقال : «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حَفَاةَ عَرَاةٍ كَمَا بَدَأَكُمْ^(٣) أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ»^(٤) .

ونحو هذا روت عائشة عن رسول الله ﷺ^(٥) .

القول الثاني : ما ذكره الفرّاء والزّجاج ، قال الفرّاء : ثم استأنف فقال : ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ ؛ أي نعيد الخلق كما بدأناهم^(٦) .

وقال الزّجاج : نبعث الخلق كما ابتدأناه ، أي قدرتنا على الابتداء^(٧) .

وقال أبو علي : المعنى نعيد الخلق إعادة كابتدائه ؛ أي كابتداء الخلق ، والخلق هاهنا اسم الحدث لا الذي يراد به المخلوق^(٨) .

القول الثالث : ما روي عن ابن عباس أنه قال : نهلك كل شيء كما كان أول مرة^(٩) . وهذا معنى قوله في رواية عطاء .

(١) خطيباً : ساقطة من (أ) .

(٢) بموعظة : ساقطة من (د) و(ع) .

(٣) هكذا في النسخ جميعها . وفي مصادر التخرّيج : (بدأنا) .

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ٣٥١ تحقيق شاكر ، والبخاري في صحيحه في كتاب التفسير ، تفسير سورة الأنبياء ٨/ ٤٣٧ ، ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٩٤ من طريق سعيد بن جبير ، عن ابن عباس بألفاظ مقاربة .

(٥) رواه الطبري في تفسيره ١٧/ ١٠٢ ، وصححه القرطبي ١١/ ٣٤٨ .

(٦) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢١٣ .

(٧) معاني القرآن للزّجاج ٣/ ٤٠٦ . وفيه : كما ابتدأناهم .

(٨) الحجة لأبي علي الفارسي ٥/ ٢٦٣ . مع اختلاف يسير .

(٩) رواه الطبري في تفسيره ١٧/ ١٠٢ من رواية العوفي ، عنه .

وعلى هذا ، المعنى كما بدأنا أول خلق نعيده إلى الفناء والهلاك . وعلى هذا ، ليس الكلام بمستأنف بل هو متصل بالأول يقول : نطوي السماء ثم نعيده^(١) إلى الفناء . قال ابن عباس : كما بدأ خلقها ثم يذهب فلا يكون شيء .

وقوله تعالى : ﴿وَعَدَّا عَلَيْنَا﴾ . قال الزَّجَّاج : منصوب على المصدر ؛ لأن قوله : ﴿نُعِيدُهُ﴾ بمعنى وعدنا هذا وعداً^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ . قال ابن عباس : يريد الفعل بعينه .

ومعنى هذا ما ذكره الزَّجَّاج ؛ أي قادرين على فعل ما نشاء^(٣) .

وقال آخرون^(٤) : يعني البدء والإعادة . والمعنى إنا كنا فاعلين^(٥) ما وعدناكم من ذلك ، والموعود هو الإعادة .

١٠٥ . قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ﴾ . الزبور : جميع^(٦) الكتب المنزلة من السماء ، والمراد بالذكر أم الكتاب الذي عند الله .

(١) في (أ) : (ونعيده) .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤٠٦/٣ .

انظر : البحر المحيط ٣٤٤/٦ ، والدر المصون ٢١٣/٨ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤٠٧/٣ .

(٤) هذا قول الطبري ١٧/١٠٢ ، والثعلبي في الكشف والبيان ٣/٤٥ ب .

(٥) عند الطبري ١٧/١٠٢ : إنا كنا فاعلي .

(٦) في (د) و(ع) : (جمع) ، وهو خطأ .

هذا قول سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وابن زيد^(١) ، واختيار أبي إسحاق ، قال :
الزبور جميع الكتب : التوراة والإنجيل والقرآن^(٢) ، زبور لأن الزبور والكتاب في
معنى واحد ، يقال : زبرت وكتبت ، والمعنى : ولقد كتبنا في الكتب من بعد ذكرنا
في السماء^(٣) .

قال ابن عباس في رواية الكلبي ، والضحاك ، والسدي : الذكر التوراة ،
والزبور الكتب المنزلة بعد التوراة^(٤) .

وقال في رواية عطاء : يريد زبور داود من بعد التوراة . وهذا قول عامر
الشعبي^(٥) .

والمختار قول سعيد ؛ لأنه الأجمع^(٦) ، وتأويل الكلام : لقد حكمنا فأثبتنا
حكمنا في الكتب من بعد أم الكتاب .

- (١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٤٥ / ٣ ب عن ابن جبير ومجاهد وابن زيد .
ورواه عن سعيد بن جبير سفيان في تفسيره ٢٠٦ ، وسعيد بن منصور في تفسيره : ل ١٥٥ أ ، وهناد
في الزهد ١ / ١٢٣ ، والطبري في تفسيره ١٧ / ١٠٣ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥ / ٦٨٥ وعزاه
لهناد وعبد بن حميد وابن جرير .
ورواه عن مجاهد الطبري ١٧ / ١٠٣ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥ / ٦٨٥ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير .
ورواه عن ابن زيد الطبري ١٧ / ١٠٣ .
- (٢) في المطبوع من المعاني : (الفرقان) .
- (٣) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٤٠٧ .
- (٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٤٥ / ٣ ب عن ابن عباس والضحاك .
ورواه الطبري في تفسيره ١٧ / ١٠٣ عن ابن عباس من طريق العوفي .
ورواه عن الضحاك أيضاً ١٧ / ١٠٣ .
ورواه عبد الرزاق في تفسيره ٢ / ٣٠ عن الكلبي .
- (٥) رواه ابن أبي شيبه في مصنفه ١٠ / ٥٥٥ ، والطبري في تفسيره ١٧ / ١٠٣ ، والحاكم في مستدركه
٢ / ٥٨٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥ / ٦٨٦ وعزاه لابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن جرير
وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم .
- (٦) وهو اختيار الطبري في تفسيره ١٧ / ١٠٤ ، وما نقله الواحدي بعد ذلك من قوله وتأويل الكلام . هو
كلام الطبري رحمه الله .

﴿أَنْتَ الْأَرْضُ﴾ ؛ يعني أرض الجنة . قاله ابن عباس في رواية عطاء ، ومجاهد ، والسدي ، وأبو صالح ، وأبو العالية ، وسعيد بن جبير ، وابن زيد^(١) ، واحتجوا بقوله : ﴿وَأَوْزَنَّا الْأَرْضَ﴾ الآية [الزمر : ٧٤] ، ﴿يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ قالوا : المؤمنون العاملون بطاعة الله^(٢) .

وروي عن ابن عباس أنه قال : يعني الدنيا تصير للمؤمنين من هذه الأمة ، وهذا حكم من الله - عز وجل - بإظهار الدين وقهر الكافرين^(٣) .

١٠٦ . قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي هَذَا﴾ ؛ يعني القرآن في قول الجميع^(٤) .

﴿لَبَلَّغًا﴾ ؛ لكفاية . يقال : في هذا الشيء بلاغٌ وبُغْغَةٌ وتَبْلُغٌ^(٥) ؛ أي كفاية^(٦) .

(١) رواه الطبري في تفسيره ١٧ / ١٠٤ من طريق مجاهد عن ابن عباس ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦٨٧ / ٥ وعزه للفريابي وابن جرير وابن أبي حاتم . وروى الطبري ١٧ / ١٠٤ ، ١٠٥ هذا القول عن سعيد بن جبير وأبي العالية ومجاهد وابن زيد .

وذكر ابن كثير في تفسيره ٣ / ٢٠١ هذا القول عن أبي العالية ومجاهد وسعيد بن جبير والسدي وأبي صالح وغيرهم .

(٢) انظر : الطبري ١٧ / ١٠٤ ، ١٠٥ ، وتفسير ابن كثير ٣ / ٢٠١ ، والدر المنثور ٥ / ٦٨٦ ، ٦٨٧ .

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣ / ٤٥ ب عن ابن عباس بهذا النص .

وقد ذكر الشنقيطي - رحمه الله - في أضواء البيان ٤ / ٦٩٣ أَنَّ القولين كليهما حق داخل في الآية ويشهد لكل منهما قرآن . واستشهد للأول - أنها أرض الجنة - ما استشهد به الواحدي ، واستشهد للثاني بآيات منها قوله تعالى : ﴿وَأَوْزَنَّا الْأَرْضَ بِأَكْمَالِهَا﴾ [الأنبياء : ٢٧] ، وقوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النور : ٥٥] وغيرها من الآيات .

(٤) انظر : الطبري ١٧ / ١٠٥ ، والثعلبي ٣ / ٤٥ ب .

وقيل : الإشارة في قوله : ﴿إِنَّ فِي هَذَا﴾ ؛ أي المذكور في هذه السورة من الأخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة . انظر : القرطبي ١١ / ٣٤٩ ، والبحر المحيط ٦ / ٣٤٤ .

(٥) في (د) و(ع) : (تبليغ) .

(٦) تهذيب اللغة للأزهري (بلغ) ٨ / ١٣٩ منسوباً إلى الليث .

والبلوغ : الوصول ، والبلاغ : سبب الوصول ، وهو ما يوصل به إلى الشيء
كبلاغ المسافر^(١) .

والمعنى : أن من اتبع القرآن وعمل به كان القرآن بلاغه إلى الجنة^(٢) .

قوله تعالى : ﴿لَقَوْمٍ عَكِيدٍ﴾ . قال ابن عباس : مطيعين^(٣) .

وقال كعب : هم أمة محمد ﷺ الذين يصلون الصلوات الخمس ، ويصومون
شهر رمضان ، سباهم الله - سبحانه وتعالى - عابدين^(٤) .

وذكر^(٥) بعضهم : البلاغ في هذه الآية بمعنى التبليغ ، على معنى : إن في
القرآن تبليغاً من الله إلى خلقه ، فلا يبقى لأحد بعده عذر . وهذا بعيد ؛ لتخصيص
العابدين بالذكر ، ولأنه قال : ﴿بَلَّغْنَا لِقَوْمٍ﴾ فوجب أن يكون البلاغ لهم ، ولو
كان بمعنى التبليغ لم يوصل باللام .

١٠٧ . قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ . قال ابن عباس : في
رواية عطاء : يريد للبر والفاجر ؛ لأن كل نبي غير محمد ﷺ إذا كُذِّب

(١) انظر : الصحاح (بلغ) ١٣١٦/٤ ، ولسان العرب ٤١٩/٨ ، والقاموس المحيط ١٠٣/٣ .

(٢) انظر : الطبري ١٠٥/١٧ ، والكشف والبيان للثعلبي ٤٥/٣ ب .

(٣) ذكره القرطبي ٣٤٩/١١ عن ابن عباس ، وذكره الماوردي ٤٧٥/٣ من غير نسبة .

وقد روى الطبري ١٠٦/١٧ من طريق ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : عالمين .

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦٨٦/٥ وزاد نسبه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) ذكره بهذا اللفظ عن كعب الثعلبي في الكشف والبيان ٤٥/٣ ب .

وقد رواه الطبري ١٠٥/١٧ ، ١٠٦ عنه بنحوه مفرقاً .

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره ٢٠١/٣ : ﴿لَقَوْمٍ عَكِيدٍ﴾ وهم الذين عبدوا الله بما شرعه

وأحبه ورضيه ، وآثروا طاعة الله على طاعة الشيطان وشهوات أنفسهم .

(٥) في (د) و(ع) : (وذكرهم) ، وهو خطأ .

أهلك الله من كذَّبه ، ومحمدٌ أخرٌ من كذَّبه إلى موت أو قيامة ، والذي صدقه عَجَلت له الرحمة في الدنيا والآخرة .

وقال في رواية سعيد بن جبير : تمت الرحمة لمن آمن به ^(١) ، ومن ^(٢) لم يؤمن عوفي مما أصاب الأمم قبلنا من المسخ ^(٣) والخسف والقذف ^(٤) .

وقال الكلبي : يعني الجن والإنس . وقال ابن زيد : يعني المؤمنين خاصة ^(٥) .

(١) (به) : ساقطة من (د) و(ع) .

(٢) في (د) و(ع) : (ولن) ، وهو خطأ .

(٣) المسخ : تحويل خلق إلى صورة أخرى . لسان العرب (مسخ) ٥٥ / ٣ .

(٤) رواه الطبري ١٧ / ١٠٦ ، وابن أبي حاتم (كما في تفسير ابن كثير ٣ / ٢٠٢) من طريق المسعودي ، عن سعيد بن المرزبان البقال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، بنحوه .

ورواه الطبري في المعجم الكبير ١٢ / ٢٣ من طريق أيوب بن سويد ، عن المسعودي ، عن حبيب ابن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، بنحوه .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ / ٦٩ رواه الطبراني ، وفيه أيوب بن سويد ، وهو ضعيف جداً وقد وثقه ابن حبان بشرط في من يروى عنه وقال : إنه كثير الخطأ ، والمسعودي قد اختلط .

وقد ذكر هذا الأثر عن ابن عباس السيوطي في الدر المنثور ٥ / ٦٨٧ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والطبراني والبيهقي في الدلائل .

(٥) الكشف والبيان للثعلبي ٣ / ٤٥ ب . ورواه الطبري ١٧ / ١٠٦ بنحوه واختار الطبري ١٧ / ١٠٦ العموم .

فإن قيل : الكفار لم يرحموا به ، فالجواب من وجهين :

الأول : ما ذكره الطبري ١٧ / ١٠٦ ، وجاءت به الرواية عن ابن عباس ، وهو أنه دفع به عنهم عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذبة .

الثاني : ما ذكره غير واحد ، منهم ابن جزي في التسهيل ٣ / ٧٢ ، والألوسي في روح المعاني ١٧ / ١٠٤ واستظهره ، والشنقيطي في أضواء البيان ٤ / ٦٩٤ واستظهره ، واللفظ له : أنه ما أرسل هذا النبي الكريم - صوات الله وسلامه عليه - إلى الخلائق إلا رحمة لهم ؛ لأنه جاءهم بما يسعدهم وينالون به كل خير من خيري الدنيا والآخرة إن اتبعوه ، ومن خالف ولم يتبع فهو الذي ضيع على نفسه نصيبه من تلك الرحمة العظمى . . . ويوضح ذلك قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ [إبراهيم : ٢٨] .

١٠٨ . قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ . قال الكلبي : يعني مخلصون العبادة^(١) .

ومعناه : فهل أنتم مسلمون^(٢) لهذا^(٣) الوحي^(٤) الذي يوحى^(٥) إلي من إخلاص الإلهية والتوحيد لله ؟

والمراد بهذا الاستفهام الأمر^(٦) ، كقوله : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(٧) . وقد مرَّ .

١٠٩ . قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ . قال ابن عباس : يريد فإن لم يسلموا ﴿ فَقُلْ ﴾ ^{ءَاذَنْتُكُمْ} ، قال : يريد للحرب . ﴿ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ يريد على بيان^(٨) .

والمعنى : أعلمتكم أنني حرب لكم إعلاماً ظاهراً ، أستوي أنا وأنتم في العلم به ، فاستوينا في العلم^(٩) .

وقال أبو إسحاق : أعلمتكم بما يوحى إلي لتستووا في الإيمان به^(١٠) .

ومعنى هذا على سواء . وقد مرَّ .

-
- (١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣٩٩/٥ ونسبه إلى ابن عباس .
 (٢) فيكون ﴿ مُسْلِمُونَ ﴾ بمعنى مستسلمون أو مذعنون أو منقادون . انظر : الطبري ١٧/١٠٧ ، وابن كثير ٣/٢٠٢ .
 (٣) في (ع) : (بهذا) .
 (٤) (الوحي) : ساقطة من (أ) .
 (٥) في (د) و(ع) : (أوحي) .
 (٦) نسبه ابن الجوزي في زاد المسير ٣٩٩/٥ إلى أهل المعاني .
 (٧) هود ١٤ . ووقع في (أ) و(د) : (هل أنتم مسلمون) ، وهو خطأ .
 (٨) القرطبي ١١/٣٥٠ من غير نسبة لأحد . انظر : الماوردي ٣/٤٧٦ .
 (٩) انظر : غريب القرآن لابن قتيبة ٢٨٩ .
 (١٠) معاني القرآن للزجاج ٣/٤٠٨ .

وقال أبو علي الفارسي : سواء تحتمل ضربين : أحدهما : أن يكون صفة لمصدر محذوف ، التقدير : أذنتكم إيداناً على سواء ، كقوله : ﴿ كُنِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُنِبَ ﴾ [البقرة: ١٨٣] التقدير : كتابة كما كتب ، فحذف المصدر . ومعنى إيداناً على سواء : إعلماً نستوي في علمه لا أستبدُّ أنا به^(١) دونكم ؛ لتأهبوا لما يراد منكم . والثاني : أن يكون حالاً . فإذا جعلته حالاً أمكن فيه ثلاثة أضرب : أحدها : أن يكون حالاً من الفاعل^(٢) . والآخر : أن يكون حالاً من المفعول به^(٣) . والثالث : أن يكون منهما جميعاً ، على قياس ما جاء في قول عنتره :

متى ما نلتقي فردينِ ترجف روادفُ إليتكِ وتستطارا^(٤)^(٥)

(١) في (أ) : (لا استيداناه) ، وفي (د) و(ع) : (لا ستيدانابه) ، ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٢) يعني الرسول ﷺ .

(٣) يعني المخاطبين ، وهم الكفار .

(٤) البيت في ديوانه ٢٣٤ ، وفيه : روافف . وتهذيب اللغة للأزهري (طار) ١٤ / ١٤ ، وأمالى ابن الشجري ١ / ١٦ ، والمخصص لابن سيده ٢ / ٤٤ ، ولسان العرب (طير) ٤ / ٥١٣ . وفي ما مضى جميعه : روافف .

وهو من قصيدة قالها عنتره يهجو بها عماره بن زياد العبسي أحد سادة عبس ، وكان يحسد عنتره ويقول لقومه : إنكم أكثرتم ذكره ، والله لوددت أني لقيته خالياً حتى أعلمكم أنه عبد ، قال الشستمرى في شرحه لديوان عنتره ٢٣٤ قوله : نلتقي فردين ؛ أي منفردين أنا وأنت والروافف : جوانب الإليتين وأعلها وواحدتها رانفة . ومعنى ترجف : تضطرب جزعاً وجبناً . وتستطار : تكاد تطير ، والألف في تستطار ضمير الروافف ؛ لأنها في معنى رانفين ، ويجوز أن تكون ضمير الإليتين . اهـ . انظر : الخزانه للبيدادي ٣ / ٣٧٧ .

والشاهد فيه : نصب فردين على الحال من ضميره الفاعل والمفعول في نلتقي .

(٥) انظر : مشكل إعراب القرآن لمكي ٢ / ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، وإعراب القرآن للأبازي ٢ / ١٦٦ ، ١٦٧ ، والدر المصون ٨ / ٢١٦ .

١١١ . وقوله تعالى : ﴿وَأِنْ أَدْرَى﴾ ؛ ما أدري ﴿أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾ .
قال ابن عباس : يريد أجل القيامة لا يدريه أحد لا نبي ولا ملك ^(١) .

﴿وَأِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ﴾ . قال الزَّجَّاج : ما أدري لعل ما آذنتكم به ﴿فِتْنَةٌ لَكُمْ﴾ ؛ أي اختبار ^(٢) .

يعني : ما أخبرهم ^(٣) به من أنه لا يدري وقت عذابهم وهو القيامة ، وكأنه قيل : لعل تأخير العذاب عنكم اختبار لكم ليرى كيف صنيعكم .

وهذا معنى قول سعيد بن جبير والأكثرين : أن الفتنة هاهنا بمعنى الاختبار ^(٤) .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : لعله هلاككم ^(٥) . يعني : أنهم يزدادون طغياناً وتمادياً في الشر بتأخير العقوبة عنهم ^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿وَمَنْعٌ إِلَى حِينٍ﴾ ؛ أي تتمتعون إلى ^(٧) انقضاء آجالكم .

(١) ذكره القرطبي ٣٥٠ / ١١ عن ابن عباس . ثم قال القرطبي : وقيل : آذنتم بالحرب ، ولكن لا أدري متى يؤذن لي في محاربتكم .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤٠٨ / ٣ .

(٣) في (أ) : (اختبرهم) .

(٤) لم أجد من ذكره عن سعيد ، وقد ذكره الطوسي في التبيان ٢٥٣ / ٧ ، والجشمي في التهذيب ١٦٤ / ٦ ب ولم ينسبها لأحد .

(٥) في (د) و(ع) : (هلاكمهم) .

(٦) ذكره الماوردي ٤٧٧ / ٣ من غير نسبة لأحد .

(٧) في (د) و(ع) : (في) ، وهو خطأ .

١١٢ . قوله تعالى : ﴿قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ﴾ . قال قتادة : كانت الأنبياء يقولون ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق . فأمر الله نبيه ﷺ أن يقول : ﴿رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ﴾^(١) .

فعلى هذا ، معنى ﴿بِالْحَقِّ﴾ ؛ أي بعذاب كفار قومي الذي هو حق نازل بهم . ويدل على هذا ما روي أن النبي ﷺ كان إذا شهد قتالاً قال : رب احكم بالحق^(٢) .

قال الكلبي : فحكم عليهم بالقتل^(٣) يوم [بدر ، ويوم] ^(٤) أحد ، ويوم الأحزاب ، ويوم خيبر ، ويوم الخندق .

فدل على أن المسئول بقوله : ﴿أَحْكُم بِالْحَقِّ﴾ عذاب قومه ، والمعنى على هذا القول : افصل بيني وبين المشركين بما يظهر به الحق للجميع .

وقال أبو عبيدة : معناه : رب احكم بحكمك [الحق]^(٥) ، فأقيم الحق^(٦) مقامه ؛ لأن حكمه لا يكون إلا حقاً^(٧) .

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٦٨٩ / ٥ .

(٢) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٣٠ / ٢ ، والطبري ١٠٨ / ١٧ عن قتادة مرسلًا . وهو ضعيف لإرساله ، ومراسيل قتادة من أوهى المراسيل .

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦٨٩ / ٥ ، وعزاه لعبدالرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة ، به مرسلًا .

(٣) في النسخ جميعها : (القتل) ، والمثبت من الوسيط ٢٥٥ / ٣ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٥) زيادة من الكشف والبيان للثعلبي ٤٦ / ٣ أ .

(٦) في (أ) : (بالحق) ، هو خطأ .

(٧) لم أجده في المطبوع من مجاز القرآن . وهو عند القرطبي ٣٥١ / ١١ منسوباً إلى أبي عبيدة . وذكره الطبري ١٠٨ / ١٧ هذا القول وصدره بقوله : وقد زعم بعضهم أن معنى . . . فذكره ، ثم قال الطبري : ولذلك وجه ، غير أن الذي قلناه - يعني القول الأول الذي ذكره الواحدي ، وهو أن معنى الحق هنا عذاب قومه - أوضح وأشبه بما قاله أهل التأويل ، فلذلك اخترناه .

وقال أهل المعاني : هذا الدعاء مما تُعبد النبي ﷺ أن يقوله ، ويدعوه به ، وإن كان الله لا يفعل غيره ، لما في ذلك من التضرع^(١) ، والعبودية كقوله^(٢) : ﴿ رَبَّنَا وَءَاثِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٩٤] والله منجز وعده ، وإن لم يسأل ذلك ، وقوله : ﴿ فَأَعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ﴾ [غافر: ٧] الآيتان^(٣) .

وقرأ حفص ﴿ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ ﴾^(٤) يعني قال الرسول ذلك^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ وَرَبَّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ . قال ابن عباس : يريد من تكذيبهم النبي وخلافكم إياه ، واتخاذكم الحجارة أرباباً .

وقال غيره^(٦) : على ما تكذبون في قوله : ﴿ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [الأنبياء: ٣] وقولكم : ﴿ اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾ [الأنبياء: ٢٦] . والمعنى ﴿ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ من كذبكم وباطلكم .

(١) في (د) و(ع) : (النضر) ، وهو خطأ .

(٢) في (أ) : (لقوله) .

(٣) ذكره هذا المعنى باختصار الطوسي في التبيان ٢٥٣/٧ ولم ينسبه لأحد .

(٤) قرأ حفص عن عاصم : ﴿ قُلْ ﴾ بآلف ، وقرأ الباقر : (قُلْ) بغير ألف .

السبعة ٤٣١ ، والتبصرة ٢٦٤ ، والتيسير ١٥٦ .

(٥) أي إخبار عن الله - عز وجل - عن نبيه ﷺ فهي مسألة سألها ربه ، وقراءة الباقر : (قل) على الأمر ، ؛ أي قل يا محمد : يا رب احكم بالحق فهو تعليم من الله لنبيه أن يسأله الحكم بالحق .

علل القراءات الأزهرية ٤١٧/٢ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٧١ .

(٦) هذا قول الطبري في تفسيره ١٠٩/١٧ .

والوصف بمعنى الكذب ، على الوجه الذي ذكرنا ، قد ذكر في مواضع من التنزيل كقوله : ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾ [الأنعام: ١٣٩] ، وقوله : ﴿ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٨] . وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ مَا تَصِفُونَ ﴾ وقرئ (تصفون) بالتاء والياء^(١) .

فمن قرأ بالتاء ففي الآية إضمار ؛ أي وقل للمشركين : وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون . ومن قرأ بالياء فهو^(٢) إخبار عن الكفار^(٣) .



(١) قرأ ابن عامر في رواية ابن ذكوان : (يصفون) بالياء على الغيبة . وقرأ الباقر : (تصفون) بالتاء على الخطأ .

السبعة ٤٣٢ ، والنشر ٣٢٥ / ٢ .

(٢) (فهو) : ساقطة من (د) و(ع) .

(٣) انظر : الحجة للفارسي ٢٦٥ / ٥ ، وعلل القراءات للأزهري ٤١٧ / ٢ .

تفسير

سورة الحج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ . قوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ قال ابن عباس : يريد أهل مكة ^(١) ،
﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ احذروا عقابه بطاعته ^(٢) .

قوله تعالى : ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ . الزلزلة : شدة الحركة على الحال الهائلة ،
وكأن أصله من قولهم : زلّت ^(٣) قدمه ، إذا ^(٤) زالت عن الجهة بسرعة ، ثم ضُوعف
فقليل : زلزل الله قدمه ، كما قيل : دكّه ودكدكه ^{(٥)(٦)} .

واختلفوا في هذه الزلزلة :

-
- (١) ذكره أبو حيان في البحر ٦/ ٣٤٩ من غير نسبة ، وقال : والظاهر أن قوله : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ عام .
(٢) الطبري ١٧/ ١٠٩ .
(٣) في (د) و(ع) : (زلزت) .
(٤) في (أ) : (أي) .
(٥) في (أ) : (دكدك له) ، وهو خطأ .
(٦) من قوله : الزلزلة : شدة . . . إلى ضوعف . نقلاً عن الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٤٦ ب .

فقال علقمة ، والشعبي : هي من أشراط^(١) الساعة ، وهي في^(٢) الدنيا قبل^(٣) يوم القيامة^(٤) .

وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء ، لأنه قال : يريد النفخة الأولى^(٥) .
يعني أن هذه الزلزلة تكون معها .

وقال الحسن والسدي : هذه الزلزلة تكون يوم القيامة^(٦) . ورويا بإسناديهما
أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية والتي بعدها ، فقال له الناس : يا رسول الله ، أي يوم
هذا ؟ قال : « هذا يوم يقول الله لأدم : يا آدم ، قم فابعث بعث النار »^(٧) .

(١) في (د) و(ع) : (شرائط) .

(٢) في : ساقطة من (أ) .

(٣) في (د) : (قيل) ، وهو خطأ .

(٤) رواه سفيان في تفسيره ٢٠٨ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٣ / ٤١٠ ، والطبري ١٧ / ١٠٩ عن علقمة .
وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٧ وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر
وابن أبي حاتم .

ورواه الطبري ١٧ / ١٠٩ عن الشعبي ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٧ وعزاه لابن جرير
وابن المنذر .

(٥) ذكره القرطبي ١٢ / ٤ ، وأبو حيان في البحر ٦ / ٣٤٩ من غير نسبة لأحد .

(٦) ذكره عنها البغوي ٥ / ٣٦٣ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٥ / ٤٠٣ .

(٧) رواه سعيد بن منصور في تفسيره ١٥٥ ، والترمذي في جامعه كتاب التفسير . ومن سورة الحج ٩ / ٩ ، ١٠ ،
والنسائي في تفسيره ٢ / ٨٢ ، والطبري ١٧ / ١١١ ، والحاكم في مستدركه ٢ / ٢٣٣ من طريق ، عن
الحسن البصري ، عن عمران بن حصين ، نحو ما ذكر هنا لكن في سائر الروايات أن النبي ﷺ هو
القائل : « أتدرون أي يوم ذلك » . وليس الناس كما في الرواية التي ساقها الواحدي .
وأما رواية السدي لهذا الحديث فلم أجدها .

والحديث مشهور^(١).

وقال أبو إسحاق : وقيل : إنها الزلزلة التي تكون معها الساعة^(٢).

وهذا قول الكلبي ، قال^(٣) : إن زلزلة الساعة قيام الساعة^{(٤)(٥)}.

يعني أن هذه الزلزلة تقارن قيام الساعة وتكون معها .

وهذا كما روي عن ابن عباس أنه قال : ﴿ زَلْزَلَةُ السَّاعَةِ ﴾ ؛ قيام الساعة^(٦).

قوله : ﴿ مَتَى عَظِيمٌ ﴾ يعني أنه لا يوصف لعظمه .

وهذه الآية بيان عما يوجب شدة أهوال القيامة من التأهب لها .

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب التفسير ، سورة الحج ٨ / ٤٤١ ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال النبي ﷺ : « يقول الله - عز وجل - يوم القيامة : يا آدم ، فيقول : لبيك ربنا وسعديك . فينادي بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار » الحديث . وفيه : « فحينئذ تضع الحامل حملها ، ويشيب الوليد ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » . الحديث .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٤٠٩ .

(٣) قال : ساقطة من (د) و(ع) .

(٤) مثله في تنوير المقباس ٢٠٥ .

(٥) في (د) زيادة بعد قوله الساعة : (يعني أن هذه الزلزلة الساعة قيام الساعة) . وهو تكرار وخطأ من الناسخ .

(٦) ذكره عنه البغوي ٥ / ٣٦٣ ، وابن الجوزي ٥ / ٤٠٣ .

٢. قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ ؛ يعني^(١) : ترون^(٢) تلك الزلزلة^(٣) .

وانتصب ﴿يَوْمَ﴾ لأنه ظرف لقوله: ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ ؛ أي في ذلك اليوم تذهل^(٤) .

قال الفرّاء: ذَهَلْتُ عن كذا . وَذَهَلْتُ قليلة^(٥) تذهل فيها جميعاً بفتح الهاء ليس غيره ، وأذهلته : أنسيته^(٦) إِذْهَالًا^(٧) .

ويقال: ذَهَلَ ذَهَالًا وَذُهِولًا ، إذا ترك الشيء وتناساه^(٨) على عمد أو شغله عنه شغل . هذا معنى الذهول في اللغة^(٩) .

(١) في (ع) : (معنى) .

(٢) في (أ) : (يرون) .

(٣) استظهر هذا القول أبو حيان ٢٤٩/٦ ، والسمين الحلبي ٢٢٢/٨ .

وقيل الضمير في قوله : (ترونها) عائدٌ إلى الساعة ، يعني : ترون الساعة .

وقال ابن كثير : هذا من باب ضمير الشأن ، ولهذا قال مفسرأله : «تذهل كل مرضعة . . .» .

٢٠٥/٣ . انظر : القرطبي ٤/١٢ ، والبحرالبحر المحيط ٣٤٩/٦ ، ٣٥٠ ، والدر المصون ٢٢٢/٨ .

(٤) وهذا قول الزمخشري ٤/٣ ، وأبي حيان ٣٤٩/٦ .

وجوز أبو البقاء العكبري ١٣٩/٢ وتبعه السمين الحلبي ٢٢٢/٨ أن يكون انتصاب ﴿يَوْمَ﴾ على أنه ظرف لـ ﴿عَظِيمٌ﴾ ، أو على إضمار : اذكر .

(٥) (قليلة) : ساقطة من (ع) .

(٦) (أنسيته) : ساقطة من (أ) .

(٧) ليس في المطبوع من الفرّاء ، وفي الطبري ١١٣/١٧ نحوه باختصار .

(٨) من قوله : وتناساه . . . يبدأ الموجود من نسخة الظاهرية [ظ] .

(٩) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (ذهل) ٢٦١/٦ ، والصحاح للجوهري ١٧٠٢/٤ ، ولسان العرب

فأما تفسير قوله ^(١) : ﴿ تَذَهَّلْ ﴾ ، فقال الليث ^(٢) والضحاك ^(٣) وابن قتيبة ^(٤) وأبو عبيدة ^(٥) : تَسْلُو . وأنشدوا قول كثير ^(٦) :

صحا قلبه يا عَزَّ أو كادَ يَذْهَلُ ^(٧)

وقال الزَّجَّاج : تحير ^(٨) .

وقال الكلبي : تلهى ، فلا تعرف ولدها صغيراً كان أو كبيراً ، اشتغالاً بنفسها ^(٩) .

وقال المفسرون : تنسى وتترك ولدها للكرب الذي نزل بها ^(١٠) .

-
- (١) في (د) و(ع) : (فأما التفسير في قوله) .
- (٢) قول الليث في تهذيب اللغة للأزهري (ذهل) ٢٦١ / ٦ . انظر : العين (ذهل) ٤٩ / ٤ .
- (٣) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٤٦ / ٣ ب ، وذكره ابن حجر في الفتح ٤٤١ / ٨ من رواية ابن المنذر عن الضحاك .
- (٤) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٩٠ .
- (٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٤٤ / ٢ .
- (٦) هو أبو صخر ، كثير بن عبد الرحمن بن الأسود ، الخزاعي ، المدني . شاعر مشهور ، يعرف بكثير عزة ؛ لأنه تميم بعزة بنت جميل الصخرية ، وشبب بها ، وهو من غلاة الرافضة القائلين بالرجعة . مات سنة ١٠٥ هـ ، وقيل ١٠٦ هـ ، وقيل ١٠٧ هـ .
- طبقات فحول الشعراء ٥٤٠ / ٢ ، والشعر والشعراء ٣٣٤ - ٣٤٤ ، ومعجم الشعراء ٢٤٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٥٢ / ٥ ، وشذرات الذهب ١٣١ / ١ .
- (٧) المنشد من قول كثير هو صدر بيت له من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان ، وعجزه : وأضحى يريد الصَّرمَ أو يتبدَّل .
- وهو في ديوانه ٢٥٤ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٤٤ / ٢ ، والكامل للمبرِّد ٢٩٩ / ٢ .
- (٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤٠٩ / ٣ .
- (٩) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون ٦ / ٤ مختصراً .
- (١٠) هذا قول الطبري في تفسيره ١١٣ / ١٧ ، والثعلبي في الكشف والبيان ٤٦ / ٣ ب .

وهذا قول مقاتل بن حيان^(١).

وقال ابن عباس : تُشْغَل^(٢).

وقوله : ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ . قال أبو إسحاق : مرضعة جاءت على الفعل على أرضعت ، ويقال : امرأة مرضع ؛ أي ذات رضاع^(٣).

وهذا^(٤) معنى قول الأخفش : إنها أراد -والله أعلم- الفعل ، ولو أراد الصفة لقال : مرضع^(٥).

قال المبرّد : ولما^(٦) قال تبارك وتعالى : ﴿عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ كان حق هذا مرضعة .

-
- (١) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٤٦/٣ ب .
- (٢) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٤٦/٣ ب . قال القرطبي ٤/١٢ بعد ذكره للأقوال المتقدمة : والمعنى متقارب .
- (٣) معاني القرآن للزجاج ٣/٤٠٩ ، ٤١٠ . وفي المطبوع : ومرضعة جَارٍ على المفعول على ما أرضعت ، ويقال
- (٤) في (ظ) و(د) و(ع) : (هذا) .
- (٥) معاني القرآن للأخفش ٢/٦٣٥ .
- قال العلامة ابن القيم -رحمه الله- في بدائع الفوائد ٤/٢١ ، ٢٢ : المرضع : من لها ولد تُرضعه ، والمرضعة من ألقمت الثدي للرضيع . وعلى هذا فقوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَرَوْنها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ أبلغ من مرضع في هذا المقام ؛ فإن المرأة قد تذهل عن الرضيع إذا كان غير مباشر للرضاعة ، فإذا التقم الثدي واشتغلت برضاعه لم تذهل عنه إلا لأمر هو أعظم عندها من اشتغالها بالرضاع .
- (٦) في (ظ) : (لما) .

قوله: ﴿عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ . قال الحسن في هذه الآية : تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام ، وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام^(١) .

وعلى هذا -وهو قول جميع المفسرين^(٢)- يكون التقدير : عمن أرضعت (ما) يكون بمعنى (من)^(٣) .

وقال المبرّد : (ما) بمعنى المصدر ؛ أي تذهل عن الإرضاع^(٤) . يعني لا ترضع ولدها الصغير . والأول الوجه^(٥) .

وقوله : ﴿وَنَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ . قال الكلبي : كل حبل تضع ولدها لتمام أو غير تمام .

يعني : من هول ذلك اليوم ، وهذا يدل على أن هذه الزلزلة تكون في الدنيا ؛ لأنّ بعد البعث لا يكون حبل . وعند شدة الفزع تلقي المرأة جنينها ، وقد ذكرت

(١) رواه الطبري ١١٤/١٧ .

(٢) انظر : الطبري ١١٤/١٧ .

(٣) فتكون (ما) على هذا الوجه موصولة بمعنى : الذي . انظر : الإملاء للعكبري ١٣٩/٢ ، والبحر المحيط ٦/٣٥٠ ، والدر المصون ٨/٢٢٤ .

(٤) ذكره عنه القرطبي ٤/١٢ .

(٥) واستظهره أبو حيان ٦/٣٥٠ وقال : ويقويه تعدي (تضع) إلى المفعول به في قوله : ﴿حَمْلَهَا﴾ لا إلى المصدر ، انظر : الدر المصون ٨/٢٢٤ .

العرب هذا في أشعارها^(١)، ووصفوا شدة [الفرع به، قال مُزَرَّد^(٢) أخو^(٣) الشَّخَّاح في^(٤)] مرثية عمر رضي الله عنه :

تضل [الحصان البكرُ تلقي جنينها نثا خبر فوق المطيِّ مُعلّق]^{(٥)(٦)}

(١) في (ظ) : (أشعار) .

(٢) هو مُزَرَّد بن ضرار بن حرملة، المازني، الذبياني، العطفاني يقال : اسمه يزيد، ومزرد لقبه . وهو فارس وشاعر جاهلي . وكان هجاء في الجاهلية ، أدرك الإسلام فأسلم . وهو الأخ الأكبر للشَّخَّاح الشاعر .

طبقات فحول الشعراء ١/ ١٣٢ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ١٩٥ ، ومعجم الشعراء للمرزباني ٤٨٣ ، والاستيعاب لابن عبد البر ٤/ ١٤٧٠ ، وأسد الغابة ٤/ ٣٥١ ، والإصابة ٣/ ٣٨٥ .

(٣) في (د) و(ع) : (أخ) .

(٤) ما بين المعقوفين كشط في (ظ) .

(٥) كشط في (ظ) .

(٦) هذا البيت أحد أبيات قيلت في رثاء عمر رضي الله عنه ، كما قال الواحدي ، وقد اختلف في نسبتها . قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٢/ ١٩٤ : والأكثر أن يرونها لمزرد أخي الشَّخَّاح ، ومنهم من يرونها للشَّخَّاح نفسه .

وقال التبريزي في شرح ديوان الحماسة ٣/ ٦٥ معلقاً على قول أبي تمام : وقال الشَّخَّاح يرثي عمر بن الخطاب : وقال أبو رياش : الذي عندي أنه لمزرد أخيه ، وقال أبو محمد الأعرابي : هو لجُزء بن ضرار أخيه .

والبيت في ديوان الحماسة لأبي تمام ١/ ٥٤١ منسوباً للشَّخَّاح ، وفي ملحق ديوان الشَّخَّاح ٤٤٨ ، ٤٤٩ وذكر الخلاف فيه ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٣/ ١٠٩٢ ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٣/ ٦٥ ، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢/ ١٩٤ ، والرواية عندهم : (يلقي) مكان (تلقي) ، على تقدير : يلقي نثا خبر يعني ظهوره جنينها ، قال المرزوقي في شرحه : الحصان العفيفة ، . . . والبكر : التي حملت أول حملها . والنثا : يستعمل في الخير والشر ، يقال : نثوت الكلام أنشؤه نثواً ، إذا أظهرته .

فيقول : ترى الحامل يسقط حملها ما ينثى من خبر سار به الركبان وتقاذفته الأقطار استفظاعاً لوقوعه واستشعاراً لكل بلاء وخوف منه . اهـ .

وذكر التبريزي مثل قول المرزوقي وزاد : و(نثا خبر) يجوز أن يكون مرفوعاً على أنه فاعل ومنصوباً على أنه مفعول به ، وإذا كان منصوباً يروى : تلقى (بالتاء) ، ومعلق نعت للخبر جعله . . . لأنَّ الراكب أخبر بقتله .

أي لهول ما تسمع من نعي [عمر تلقي جنينها .

وقوله تعالى : ﴿ وَتَرَى النَّاسَ ﴾ . قال صاحب النظم : خاطب^(١) جماعة الناس بقوله : ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا ﴾ ثم أفرد وترك مذهب الجمع في قول : ﴿ وَتَرَى ﴾ ، وذلك^(٢) من فنون الخطاب ، كما جاز^(٣) أن يخاطب عيناً ثم يترك مخاطبته إلى الحكاية عن غائب كقوله : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ ﴾ [يونس : ٢٢] جاز أن ينادي جميعاً ويخاطبه^(٤) ثم يرجع^(٥) إلى واحد ، ويجوز على الضد من هذا كقوله : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾^(٦) [الطلاق : ١] .

قال الحسن : ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكْرَى ﴾ من الخوف ، ﴿ وَمَا هُمْ بِسُكْرَى ﴾ ؛ وما هم بسكارى من الشراب^(٧) . وهذا قول ابن عباس^(٨) ، وجميع المفسرين^(٩) .

(١) كشط في (ظ) .

(٢) في (أ) : (ذلك) .

(٣) في (ظ) و(د) : (أجاز) .

(٤) في (د) و(ع) : (وتخاطبه) ، وفي (ظ) : (مهملة) .

(٥) في (د) و(ع) : (ترجع) .

(٦) (النساء) : ليست في (أ) .

(٧) رواه الطبري ١١٥ / ١٧ .

(٨) ذكره عنه الرازي في تفسيره ٤ / ٢٣ .

(٩) انظر : الطبري ١١٥ / ١٧ ، والدر المنثور للسيوطي ٨ ، ٧ / ٦ .

وقال أهل المعاني: وتري^(١) الناس كأنهم سكارى من ذهول عقولهم لشدة ما يمر بهم، فيضطربون اضطراب السكران من^(٢) الشراب^(٣). يدل على صحة هذا قراءة من قرأ «وتري^(٤) الناس» بضم التاء^(٥). أي تَظُنُّهُمْ.

قال الفراء في هذه القراءة: وهو وجه جيّد^(٦).

وحكى صاحب النظم عن بعض النحويين أن قوله: ﴿وَتَرَى﴾ كلمة موضوعة على الأفراد وتأويلها التشبيه، كأنه - عز وجل - قال: وكأنّ الناس سكارى. واحتج بقول: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ [العلق: ١١] معنى ﴿أَرَأَيْتَ﴾ هاهنا للتنبيه على السؤال والإجابة، وكذلك قوله: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ [الإسراء: ٦٢]، وقد مرّ. قال: ولا ينكر أن تكون (تري) كلمة ضمنت معنى لا يظهر في بنية صورتها^(٧)؛ ولذلك تركت على حال واحدة بعد العطف بها على مخاطبة جماعة.

(١) وفي (ظ): (ويرى).

(٢) وفي (ظ): (في)، وهو خطأ.

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٥٤٦/٣ باختصار، وعزاه لأهل المعاني.

(٤) وفي (ظ): (ويرى).

(٥) نسبت هذه القراءة لأبي هريرة، وأبي زرعة بن عمرو بن جرير، وأبي نبيك وقراءة الجمهور: ﴿وَتَرَى﴾ بفتح التاء.

الشواذ لابن خالويه ٩٤، وإعراب القرآن للنحاس ٨٥/٣، والكشف والبيان للثعلبي ٤٦/٣ ب، والقرطبي ٥/١٢، والبحر المحيط ٣٥٠/٦، والدر المصون ٢٢٤/٨.

(٦) معاني القرآن للفراء ٢/٢١٥.

(٧) العبارة في (أ): (ولا ينكر أن تكون (تري) كلمة في معنى لا يظهر ضمنت نية صورتها)، وهي عبارة ركيكة.

﴿سُكَّرِي﴾ ؛ جمع سكران . وقرئ (سكري) ^(١) .

قال أبو الهيثم : النعت ^(٢) [الذي على فعلاَن يجمع] ^(٣) على فُعَالِي ^(٤) وفُعَالِي مثل : غَيْرَانْ وَغُيَارِي وَغُيَارِي ^(٥) ، وسكران [وسكارى . وإنما قالوا سكرى ، وأكثر] ^(٦) ما يجيء فعلى جمعاً لفعل بمعنى مفعول ، [مثل قتيل وقتلى وجريح وجرحى وصرع وصرعى] ^(٧) ، لأنه شبه بالتوكى ^(٨) والجمعى [والهلكى لزوال عقل السكران] ^(٩) .

وقال سيبويه : قالوا : رجل سكران ^(١٠) وقوم سكرى . قال : وذلك أنهم جعلوه كالمرضى ^(١١) .

- (١) قرأ حمزة والكسائي : (سكري) بفتح السين من غير ألف ، وقرأ الباقون : ﴿سُكَّرِي﴾ بضم السين وبألف بعد الكاف . السبعة ٤٣٤ ، والتبصرة ٢٦٥ ، والتيسير ١٥٦ .
- (٢) في (ظ) : (البعث) ، وهو خطأ .
- (٣) ما بين المعقوفين كشط في (ظ) .
- (٤) في (ظ) : (فعال) ، وهو خطأ .
- (٥) (غيارى) : ساقطة من (ظ) ، وفي (أ) : (عبارى) .
- (٦) غياري : جمع غيران وهو فعلاَن من الغيرة وهي الحمية والأنفة . انظر : لسان العرب (غير) ٤٢ / ٥ .
- (٧) غياري : ساقطة من (ظ) ، وفي (أ) : (عبارى) .
- (٨) وغياري : جمع غيران وهو فعلاَن من الغيرة وهي الحمية والأنفة . انظر : لسان العرب (غير) ٤٢ / ٥ .
- (٩) ما بين المعقوفين كشط في (ظ) .
- (١٠) في (أ) : (بالنكوى) ، هو خطأ .
- (١١) والتوكى : جمع أنوك ، وهو : الأحمق . الصحاح للجوهري (نوك) ١٦١٣ / ٤ .
- (٩) قول أبي الهيثم في تهذيب اللغة للأزهري (سكر) ٥٧ / ١٠ .
- (١٠) ما بين المعقوفين كشط في (ظ) .
- (١١) الكتاب لسيبويه ٦٤٩ / ٣ .

قال أبو علي : ويجوز (سكرى) من وجه آخر وهو أن سيبويه حكى رجل سَكِرَ^(١) ، وقد جمعوا هذا البناء على فَعَلَى^(٢) فقالوا : هَرِمَ وهَرَمَى وزَمِنُ وزَمِنَى وَضَمِنُ وَضَمِنَى^(٣) ، لأنه من باب الأدواء والأمراض التي يصاب بها ، فَعَلَى في هذا الجمع - وإن كان كعطشى - فليس يراد بها المفرد ، إنما يراد بها تأنيث الجمع كما أن الباضعة^(٤) والطائفة^(٥) وإن كان على لفظ الضاربة والقائمة فإنما لتأنيث الجمع دون تأنيث الواحد من المؤنث^(٦) .

ونحو هذا قال الفراء في قراءة من قرأ (سكرى) قال : وهو وجه جيد في العربية ؛ لأنه بمنزلة الهلكى والجرحى ، والعرب تجعل فَعَلَى علامة لجمع كل ذي زمانة وضرر وهلاك ، ولا يبالون أكان واحده فاعلاً أم فاعلاً أم فعلان . قال : ولو قيل (سكرى) على أن^(٧) الجمع يقع عليه التأنيث فيكون كالواحدة كان وجهاً ، كما

(١) الكتاب لسيبويه ٦٤٦/٣ .

(٢) في (أ) : (فعل) ، وهو خطأ .

(٣) زَمِن : أي مبتلى بين الزَّمانَة ، والزَّمانَة : العاهة . لسان العرب (زمن) ١٩٩/١٣ .

ضمنن : هو الذي به ضمانَة في جسده من زمانة أو بلاء أو كسر أو غيره . الصحاح للجوهري ٢١٥٥/٦ ، ولسان العرب (ضمنن) ٢٦٠/١٣ .

(٤) الباضعة) : مهملة في (أ) .

والباضعة هي الفرق من الغنم ، أو القطعة التي انقطعت من الغنم .

الصحاح للجوهري (بضع) ١١٨٦/٣ ، والقاموس المحيط للفيروزآبادي ٥/٣ .

(٥) تصحفت في المطبوع من الحجة إلى (الطائفة) .

لسان العرب (طوف) ٢٢٦/٩ .

(٦) الحجة لأبي علي الفارسي ٢٦٦/٥ ، ٢٦٧ .

انظر : علل القراءات للأزهري ٤١٩/٢ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٧٢ ، والكشف لمكي بن أبي طالب ١١٦/٢ .

(٧) (أَنَّ) : ساقطة من (ظ) و(د) و(ع) .

قال الله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ﴿الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾^(١)، و﴿النَّاسِ﴾ جماعة فجاءت^(٢): أن يقع ذلك عليهم، وأنشد:

أصحت بنو عامر غَضَبِي أَنْوَفُهُمْ
أَنْتَى عَفَوْتُ^(٣) فَلَا عَارٌ وَلَا بَاسٌ
فقال غضبي للأنوف، على ما فسّرت لك^(٤).

وقوله: ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ دليل على سكرهم من خوف العذاب.

٣. قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾. قال المفسرون: نزلت في النَّصْر بن الحارث، كان كثير^(٥) الجِدال، وكان ينكر أن الله قادرٌ على إحياء من بلي وصار تراباً^(٦).

وقال ابن عباس في رواية عطاء: يريد الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة^(٧).

والمعنى: أنه يخاصم^(٨) في الله فيزعم أنه غير قادر على البعث.

(١) طه ٥١، القصص ٤٣.

(٢) في (ظ): (فجاء).

(٣) في (أ): (عفرت)، وهو خطأ.

(٤) معاني القرآن للقرّاء ٢/ ٢١٤، ٢١٥.

والبيت الذي أنشده القرّاء قال عنه: وأنشدني بعضهم.

(٥) في (ظ): (كبير).

(٦) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٤٧ أ.

(٧) لم أجد من ذكره عن ابن عباس، وقد ذكر الماوردي ٦/ ٤، وابن الجوزي ٥/ ٤٠٥ عن ابن عباس أنها نزلت في النَّصْر بن الحارث.

والصواب أنه لم يثبت أنها نزلت في واحد من هؤلاء بعينه، بل هي نازلة في من جادل في الله بغير علم ومنهم هؤلاء المذكورون، ثم هي بعد عامة في كل من اتصف بهذه الصفة. انظر: المحرر الوجيز لابن عطية ١٠/ ٢٢٦، والبحر المحيط ٦/ ٣٥١.

(٨) في (أ): (فخاصم).

﴿يَغْيِرْ عَلِيمٍ﴾ ؛ يعني أنه لا علم له في ذلك ، إنما^(١) [يقوله بإغراء من الشيطان وطاعته إياه]^(٢) . وهو قوله : ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ ؛ أي يتبع ما يسول له الشيطان قال ابن عباس^(٣) : والمريد الذي يتمرد على الله عز وجل^(٤) .

وقال^(٥) أهل اللغة في المريد قولين^(٦) :

أحدهما : أنه المتجرد للفساد .

والثاني : أنه العاري من الخير .

وذلك أن أصله في اللغة : الإملاس ، والمريد^(٧) : المتملس من الخير ، ومنه قوله : ﴿صَرَخَ مُمَرَّدٌ﴾ [النمل : ٤٤] . وذكرنا الكلام في هذا عند قوله : ﴿مَرَدُّوْاْ عَلَى الْوَعْدِ﴾ [التوبة : ١٠١] .

٤ . قوله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن قَوْلَاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ .

قال ابن عباس : قضى الله - تعالى - أن من أطاع إبليس أضله ولم يرشده ، وصيره إلى عذاب السعير^(٨) .

(١) في (ظ) : (وإنما) .

(٢) ما بين المعقوفين كشط في (ظ) .

(٣) ما بين المعقوفين كشط في (ظ) .

(٤) انظر : تنوير المقياس ٢٠٦ .

(٥) في (ظ) : (قال) .

(٦) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (مرد) ١٤/١١٨ ، ١١٩ ، ولسان العرب لابن منظور ٣/٤٠٠ ، ٤٠١ .

(٧) في (ظ) : (فالمرید) .

(٨) ورد نحوه باختصار عن مجاهد وقتادة . انظر : الطبري ١٧/١١٦ ، والدر المنثور ٨/٦ .

والكناية في قوله : ﴿عَلَيْهِ﴾^(١) عائدة على^(٢) الشيطان ، وكذلك في قوله : ﴿أَنَّهُ، مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ،﴾^(٣)(٤) .

وهذه الآية دليل على أَنَّ^(٥) الله قد كتب في الأزل وقضى على الشيطان إضلال من تولاها ، وَأَنَّ ذلك من الله - تعالى - حكم^(٦) لا نكير^(٧) عليه فيه .

وفيه تكذيب للقدرية في امتناعهم عن إضافة القدر إلى الله - تعالى - في الضلال والكفر ، وعندهم أن شيئاً من اللطف لم يبق إلا وقد فعله الله بعباده فلم يؤمنوا ، ولو منع شيئاً من اللطف خرج عن الإلهية ، فلاهمم بزعمهم في صورة عاجز على الحقيقة لا يقدر أن يفعل ما يصير الناس به^(٨) مؤمنين ، وهم أبداً يقولون^(٩) : إضلاله إياهم وقضاؤه عليهم بالكفر سفه . فيقال^(١٠) ففي خلقه إياهم مع علمه بما سيكون منهم مثل ذلك السفه فلم خلقهم وهو يعلم أنهم لا يتعاطون سوى الكفر ؟ وفي خلق القدرة لهم حتى يكفروا بها ؟

(١) (عليه) : ساقطة من (ظ) .

(٢) في (ظ) : (إلى) .

(٣) (فأنه) : ساقطة من (ظ) .

(٤) وقيل : الكناية في (عليه) و(أنه) تعود على (من) الأولى ؛ أي المجادل . واستظهره أبو حيّان .
وقيل الضميران في (عليه) و(أنه) عائدان على (من) الأولى . والضمير في (فأنه) ضمير الشأن .
وقال ابن عطية بعد أن ذكر أن الضمير في (عليه) عائد على الشيطان ثم ذكر احتياله أنه يعود على المتولي : والذي يظهر لي أن الضمير في (أنه) الأولى للشيطان ، وفي الثانية (لـمن) الذي هو المتولي .
المحرر لابن عطية ١٠ / ٢٧ ، والبحر المحيط ٦ / ٣٥١ ، والدر المصون ٨ / ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

(٥) (أَنَّ) ساقطة من (أ) .

(٦) (حكم) : ساقطة من (ظ) .

(٧) في (ع) : (لا يكبر) ، وهو خطأ .

(٨) في (ظ) و(د) و(ع) : زيادة (إليه) بعد قوله : الناس .

(٩) في (أ) : (يقول) ، وهو خطأ .

(١٠) في (ظ) : (فقال) ، وهو خطأ .

فبان بهذا أن الدين كله في الاستسلام للقدرة وتفويض الأمر إلى المشيئة من غير تحكم ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

قال ^(١) أبو إسحاق : ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ ﴾ ﴿ أَنَّهُ ﴾ في ^(٢) موضع رفع ﴿ فَاتَّه ﴾ ^(٣) يُضِلُّهُ ، عطف عليه ، والفاء الأجود فيها أن تكون [في معنى الجزاء ، وجائز كسر إنَّ مع الفاء وتكون ^(٤) جزاءً] ^(٥) لا غير . والتأويل : كتب على الشيطان [إضلال متوليه ^(٦) وهدايتهم إلى عذاب السعير . وحقيقة (أن)] ^(٧) الثانية أنها مكررة على جهة التوكيد ، لأن المعنى : كتب عليه أنه من تولاه أضله . انتهى كلامه ^(٨) .

قال أبو علي : إعراب هذه الآية مشكل ، وأنا أشرحه - إن شاء الله - وأبين موضع السَّهْو فيه .

قوله : ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ ﴾ ﴿ أَنَّهُ ﴾ في موضع رفع وهي توصل من الجمل ^(٩) بالابتداء والخبر . وخبر الابتداء معلومٌ وجوهه . وقوله : ﴿ مَن تَوَلَّاهُ ﴾ لا تخلو (مَن) من أن تكون ^(١٠) بمنزلة (الذي) وتكون بمعنى الجزاء . [فإن كان

(١) في (ظ) : (يزعمون) .

(٢) في (أ) : (وقال) .

(٣) ما بين المعقوفين كشط من (ظ) .

(٤) في المعاني : (ويكون) .

(٥) ما بين المعقوفين كشط في (ظ) .

(٦) في (أ) : (متواليه) ، وهو خطأ .

(٧) ما بين المعقوفين كشط في (ظ) .

(٨) معاني القرآن للزجاج ٤١١ / ٣ .

(٩) في الإغفال ١٠٣١ : (وهي ما توصل بالجمل) .

(١٠) في الإغفال ١٠٣١ : (فلا يخلو (من) فيه من أن تكون . . .) .

بمعنى الجزاء^(١) فالفاء في ﴿فَأَنَّهُ﴾ إنما هو جواب الجزاء ، ولا تكون العاطفة [لأنها إذا كانت جواباً للجزاء لم يجوز أن تكون العاطفة]^(٢) كما أنها إذا كانت داخلة على خبر المبتدأ إذا كان المبتدأ موصولاً ، وكانت جملة بمعنى الجزاء لم تكن العاطفة نحو قوله : ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِتِلِ وَالْتِهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٤] ف (من) على هذا الوجه في موضع رفع ، و ﴿تَوَلَّاهُ﴾ في موضع جزم لكونه شرطاً ، والفاء وما بعدها في موضع جزم لوقوعه موقع جزاء الشرط ، و (أن) من قوله ﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ﴾ موضعه رفع بإضمار مبتدأ بين الفاء و (إن) ، لترتفع «أن» على أنه^(٣) خبر مبتدأ^(٤) محذوف تقديره : فشأنه أنه يُضِلُّهُ ، أو أمره ، أو نحو ذلك مما يصلح أن يكون مبتدأ لهذا الخبر ، إذ كانت (أن) لا تكون مبتدأة وإنما تكون مبنية على شيء ، ومثل هذا قوله : ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَتَاكَ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٦٣] فارتفاع (أن) بما ارتفع به (أن) في قوله : ﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ﴾ وقوله^(٥) : ﴿مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ في موضع رفع لوقوع جميع ذلك خبراً لـ (أن) . كما أن ﴿مَن يُحَادِدِ اللَّهَ﴾ إلى قوله : ﴿خَلَدًا فِيهَا﴾^(٦) في موضع رفع لوقوعها خبراً لـ (أن) ، فالفاء في ﴿فَأَنَّهُ﴾ ليست بعاطفة في^(٧) هذا الوجه .

(١) ساقط من (ظ) و (د) و (ع) وليس موجوداً في الإغفال .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٣) (أنه) : ساقطة من (ظ) .

(٤) في (أ) : (لمبتدأ) .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٦) (فيها) : ساقطة من (أ) .

(٧) في الإغفال ١٠٣٥ : (على) .

وإن كان (من) من قوله : ﴿أَنَّهُ، مَنْ تَوَلَّاهُ﴾ بمعنى (الذي)^(١) فالتقدير : كتب على الشيطان أن الشيطان الذي تولاّه . فاسم (أَنْ) الهاء التي هي ضمير الشيطان و«من» اسم مبتدأ وخبره ﴿فَأَنَّهُ، يُضِلُّهُ﴾ فالقول في ارتفاع (أَنْ) من قوله : ﴿فَأَنَّهُ﴾ على هذا الوجه كالقول في الوجه الأول وما يقدر فيه من الإضرار الذي يكون أن مبنياً عليه ، وتقديره : الذي تولاّه ﴿فَأَنَّهُ، يُضِلُّهُ﴾^(٢) فله إضلاله [أو (فشأنه إضلاله)]^(٣) وهدايته إياه إلى عذاب السعير . فالفاء في هذا الوجه أيضاً داخله لمعنى الجزاء ، ولا يجوز أن تكون العاطفة . ألا ترى أنك لا تقول : زيد فمطلق . فتعطف الخبر على مبتدأه ، وإنّما دخلت هنا لما في الصلة من معنى الجزاء كقوله : ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِيلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ [البقرة : ٢٧٤] ، وقوله : ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النحل : ٥٣] . ومثله في التنزيل كثير .

فإذا لم يخل من الوجهين اللذين ذكرنا ، وكانت الفاء في كلا الوجهين متعلقة بها لا على جهة العطف لما بينا ثبت أن قول أبي إسحاق : أَنْ^(٤) (فأنه) عطف على (أَنْ) خطأ ؛ إذ كانت الفاء لا تخلو إما أن تكون مع ما بعدها في موضع جزم لوقوعه جزاء للشرط ، وإما أن تكون مع ما بعدها في موضع رفع لوقوعها خبراً لمبتدأ واقع مع خبره موقع خبر (أَنْ) من قوله : ﴿أَنَّهُ، مَنْ تَوَلَّاهُ﴾ .

(١) هذا هو شرح الاحتمال الثاني في معنى من من قول : ﴿مَنْ تَوَلَّاهُ﴾ الذي ذكره أبو علي في أول كلامه

بقوله : وقوله : ﴿مَنْ تَوَلَّاهُ﴾ لا تخلو (من) من أن تكون بمنزلة الذي أو تكون بمعنى الجزاء .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٤) (أَنْ) : ساقطة من (ظ) .

وإذا بطل أن تكون الفاء للعطف بطل قول أبي إسحاق في (أن) من قوله : ﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ﴾ موضعها رفع أيضاً أن يكون مرفوعاً من الجهة التي ذكر وهو خطأ^(١) ثانٍ^(٢) لزمه لجعله الفاء عاطفة و(أن) من قوله ﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ﴾ لا يجوز أن تكون معطوفة على الأولى^(٣) ؛ لأنه لا يخلو من أن يكون خبر مبتدأ ، أو يكون جواب شرط ، ومحال أن يعطف خبر المبتدأ على المبتدأ بحرف^(٤) عطف أو يعطف جواب الشرط على شيء قبل الشرط^(٥) .

٥. قوله : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ . قال ابن عباس : يريد أهل مكة^(٦) . ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ﴾ . قال : يريد إن كنتم في شك من القيامة ، ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ﴾ ؛ يريد آدم^(٧) .

قال أبو إسحاق : قيل للذين جحدوا البعث ، وهم المشركون : إن كنتم في شك من^(٨) أن الله يبعث الموتى فتدبروا أمر خلقكم وابتدائكم فإنكم^(٩) لا تجدون في القدرة فرقاً بين ابتداء الخلق وبين إعادته .

(١) في (أ) : (التي ذكره) ، هو خطأ .

(٢) في (أ) : (فإن) ، وهو خطأ .

(٣) في (ظ) و(د) و(ع) : (الأول) ، والمثبت من (أ) . وهو الموافق لما في الإغفال ١٠٤٠ .

(٤) في (أ) : (لحرف) ، وهو خطأ .

(٥) الإغفال لأبي علي الفارسي ١٠٣١/٢ - ١٠٤٠ .

انظر : إعراب القرآن للنحاس ٨٦/٣ ، ومشكل إعراب القرآن لمكي ابن أبي طالب ٤٨٦/٢ ، والبيان في غريب إعراب القرآن للأنباري ١٦٨/٢ ، ١٦٩ ، والبحر المحيط ٣٥١/٦ ، والدر المصون ٢٢٧/٨ ، ٢٢٨ .

(٦) مثله في تنوير المقباس ٢٠٦ ، وذكره ابن الجوزي ٤٠٦/٥ من غير نسبة لأحد .

(٧) مثله في تنوير المقباس ٢٠٦ .

(٨) (من) : ساقطة من (أ) .

(٩) (فإنكم) : ساقطة من (ظ) .

ثم بين لهم ابتداء خلقهم ، فأعلمهم ^(١) أنَّهم خلقوا من تراب ، وهو خلق آدم عليه السلام ، ثم خُلِقَ ولده من نطفة ، ثم من علقة ثم من مضغة ، فأعلمهم أحوال خلقهم ^(٢) .

وقال ^(٣) صاحب النظم : معنى الآية إن كنتم في ريب من البعث فإننا نخبركم أنا خلقناكم من تراب .

وقوله : ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ يعني ولد آدم ^(٤) ، خلقه من مني الأب .

ومعنى النطفة في اللغة : الماء القليل .

يقال : في الغدير نطفة زرقاء ، أي بقية ماء صاف . وأصلها من النُّطْف ^(٥) وهو القطر ، يقال : نطفت السحابة وهي تُنْطَفُ - بالضم - نَطْفًا . وليلة نُطُوف : تَطَرُّ حتى الصباح ، والذي يَخْلُقُ منه الولد يسمى نطفة ، لأنه ماء يقطر ^(٦) .

(١) في (ظ) : (وعلمهم) .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤١٢/٣ .

(٣) في (أ) : (قال) .

(٤) (آدم) : ساقطة من (ظ) .

(٥) في (ظ) : (النطفة) .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (نطف) ٣٦٥، ٣٦٦، والصحاح ١٤٣٤/٤ ، ولسان العرب ٣٣٥/٩ ،

وقوله: ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ . العلق الدم الجامد قبل أن ييبس ، والقطعة علقه منه^(١) ، ومنه قول القطامي :

تَمَجُّ عُرُوقُهَا عَلَقًا مُتَاعًا^(٣)

وذلك أن النطفة المخلوق منها الولد تصير دماً غليظاً .

وقوله: ﴿ثُمَّ مِنْ مَضْغَةٍ﴾ . المضغة قطعة لحم ، وقلب الإنسان مضغة من جسده ، وإذا صارت العلقة لحمة فهي مضغة .

قال ابن عباس . يريد من^(٤) لحم .

وهذا كله في الأطوار أربعة أشهر ، وهذا معنى ما روي في الحديث : «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم أربعين يوماً علقه ، ثم أربعين يوماً مضغة ، ثم يبعث الملك فينفخ فيها الروح»^(٥) .

(١) (منه) : ساقطة من (ظ) و(د) و(ع) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (علق) ١/ ٢٤٣ ، والصاح ٤/ ١٥٢٩ ، ولسان العرب ١٠/ ٢٦٧ .

(٣) هذا عجز بيت للقطامي من قصيدة يمدح بها زفر بن الحارث الكلبي ، وصدره :
وْظَلَّتْ تَغِيْطُ الْأَيْدِي كُلُّوْمًا

وهو في ديوانه ٣٣ ، وتهذيب اللغة للأزهري (تاع) ٣/ ١٤٤ ، ولسان العرب (عبط) ٧/ ٣٤٨ .
والمُتَاع : القِيء . لسان العرب (تبع) ٨/ ٣٨ .

(٤) (من) : ساقطة من (ظ) .

(٥) رواه البخاري في كتاب القدر ١٢/ ٤٧٧ ، ومسلم في كتاب القدر ٤/ ٢٠٣٦ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق ، فذكره .

قال ابن عباس : [ثم يصوّر^(١)] في العشر بعد الأربعة الأشهر ، ثم ينفخ فيه الروح ، فذلك عدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشر ، فإذا تحرك في جوفها علمت أن فيه ولداً^(٢)^(٣) .

قوله : ﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ . قال ابن الأعرابي : ﴿مُخَلَّقَةٍ﴾ قد بدا خلقه ، ﴿وغير مُخَلَّقَةٍ﴾ بعد^(٤) لم يصور^(٥)^(٦) .

هذا الذي ذكره ابن الأعرابي : مخلقة قدراً^(٧) هو معنى المخلقة في اللغة .

وأما أهل التفسير فإن مجاهداً والسدي اتفقا^(٨) على أن المخلقة وغير المخلقة : يعني بهما السقط .

قال^(٩) مجاهد في رواية ابن نجيح : ﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ قال : السقط مخلوق وغير مخلوق^(١٠) .

-
- (١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .
 - (٢) في (ظ) و(ع) و(د) : (ولد) ، وهو خطأ .
 - (٣) ذكره عنه القرطبي ٦ / ١٢ باختصار .
 - (٤) (بعد) : ساقطة من (ظ) و(ع) وهي في (د) : (قد) .
 - (٥) في (أ) : (يتصور) . وغير واضحة في (د) .
 - (٦) قول ابن الأعرابي في تهذيب اللغة للأزهري ٢٨ / ٧ .
 - (٧) (مخلقة قدراً) : ساقطة من (أ) . وسقط من (ع) : (قدراً) .
 - (٨) (اتفقا) : زيادة من (ظ) .
 - (٩) في (ظ) : (وقال) .
 - (١٠) رواه الطبري ١٧ / ١١٧ عن مجاهد من رواية ابن أبي نجيح .

وقد كشف السدي عن هذا المعنى الذي ذكره مجاهد فقال : هذا في السقط ، المرأة تسقط النطفة بيضاء والعلقة ، وتسقط اللحم لم يخلق ، وتسقط قد صور [بعضه ، وتسقط قد صور] ^(١) كله ^(٢) .

ويدل على أن هذا ^(٣) في السقط قوله : ﴿ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ﴾ ؛ يعني ما يولد لتتمام المدة ولم تسقطه ^(٤) المرأة ^(٥) .

وذهب آخرون إلى أنَّ المخلقة في غير السقط ، وغير المخلقة : هو السقط .

قال ^(٦) ابن عباس في رواية عكرمة : المخلقة ما ^(٧) كان حيًّا ، وغير المخلقة ما كان من سقط ^(٨) .

ونحو هذا قال مجاهد في رواية خُصيف ، قال : المخلقة : الولد ، وغير مخلقة : السقط ^(٩) .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : المخلقة : ما أخذ منه الميثاق ، وغير المخلقة : ما لم يؤخذ منه الميثاق ولا يكون مخلوقاً .

(١) ما بين المعقوفين في حاشية (ظ) .

(٢) ذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٤٠٧/٥ .

(٣) العبارة في (ظ) : (ويدل على هذا أنه) .

(٤) في (أ) : (ولم تسقط) .

(٥) سيأتي بيان ضعف هذا القول مع القول الذي بعده .

(٦) في (ظ) و(د) و(ع) : (وقال) .

(٧) في (ظ) : (ما قد كان حيًّا) .

(٨) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور للسيوطي ١٠/٦ .

(٩) رواه عنه سعيد بن منصور في تفسيره ١٥٥ ب من رواية خصيف .

ويدل على صحة هذا التفسير ما روى علقمة ، عن عبدالله بن مسعود^(١) : إذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله - عز وجل - ملكاً فقال : يا رب ، مخلقة أم غير مخلقة ؟ فإن قال : غير مخلقة مجَّتها^(٢) الأرحام ، وإن قال : مخلقة ، قال : يا رب ، ما صفة هذه النطفة ؟ أذكر أم أنثى ؟ ما رزقها ؟ ما أجلها ؟ أشقي أم سعيد ؟ فيقال له : انطلق إلى أم الكتاب فاستنسخ منه^(٣) صفة هذه النطفة^(٤) .

وعلى هذا القول ، معنى (المخلقة) : المخلوقة ، كما ذكره ابن عباس في رواية عطاء ، وهو : أنه أكمل خلقه بنفخ الروح فيه ، فما أكمل خلقه بالروح ولد لتمام حيّاً ، وما سقط كان غير مخلقة ؛ أي غير حي بإكمال خلقه بالروح^(٥) .

وقال^(٦) الكلبي : ﴿مُخَلَّقَةٌ وَغَيْرُ مُخَلَّقَةٍ﴾ يقول مخلوق وغير مخلوق ، فالمخلوق : هو التمام من الولد ، وغير المخلوق : هو السقط .

(١) في (ظ) : (ابن عباس) ، وهو خطأ .

(٢) مجَّتها : رمتها . الصحاح (مجمع) ١/ ٣٤٠ .

(٣) (منه) : ساقطة من (ظ) .

(٤) رواه بهذا اللفظ الطبري في تفسيره ١٧/ ١١٧ ، وقال ابن حجر في الفتح ١/ ٤١٩ وإسناده صحيح ، وهو موقوف لفظاً ، مرفوع حكماً . اهـ .

ورواه بنحوه مطولاً ابن أبي حاتم (كما في تفسير ابن كثير ٣/ ٢٠٧ والدر المنثور ٦/ ٩) ، والواحد في الوسيط ٣/ ٢٥٩ . والأثر لا يدل كما قال الواحدي على صحة هذا التفسير ، لأنَّ الأثر في النطفة : إذا وقعت النطفة . وظاهر القرآن أن قوله تعالى : ﴿مُخَلَّقَةٌ وَغَيْرُ مُخَلَّقَةٍ﴾ وصفٌ للمضغة لا للنطفة .

(٥) ذكره ابن الجوزي ٥/ ٤٠٦ ، ٤٠٧ عن ابن عباس .

(٦) في (د) و(ع) : (وقد قال) .

وهذا القول مذهب أكثر أهل التفسير^(١)، وهو قول أبي عبيدة في المخلقة :
أنها المخلوقة^(٢).

وفي هذا مذهب ثالث ، وهو أن المخلقة وغير المخلقة كلاهما^(٣) من صفة
الولد الذي يولد ، وليسوا ولا أحدهما من صفة السقط .

وهو مذهب قتادة ، واختيار أبي إسحاق وثعلب .

(١) وهو اختيار الطبري - رحمه الله - في تفسيره ١٧ / ١١٧ .

قال الشنقيطي - رحمه الله - في أضواء البيان ٥ / ٢٢ ، ٢٣ ، بعد أن ذكر أن هذا القول اختيار الطبري ،
وغير واحد من أهل العلم : هذا القول الذي اختاره الإمام الجليل الطبري - رحمه الله - لا يظهر
صوابه ، وفي الآية الكريمة قرينة تدل على ذلك وهي قوله - جل وعلا - في أول الآية ﴿ فَإِنَّا خَلَقْتَنكُمْ
مِّنْ تُرَابٍ ﴾ لأنه على القول المذكور الذي اختاره الطبري يصير المعنى : ثم خلقناكم من مضغة مخلقة
وخلقناكم من مضغة غير مخلقة . وخطاب الناس بأن الله خلق بعضهم من مضغة غير مصورة فيه من
التناقض كما ترى . فافهم .

فإن قيل : في نفس الآية الكريمة قرينة تدل على أن المراد بغير المخلقة السقط ، لأن قوله : ﴿ وَنُقِرُّ فِي
الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ يفهم منه أن هناك قسماً آخر لا يقره الله في الأرحام إلى ذلك الأجل
المسمى وهو السقط ؟ .

فالجواب : أنه لا يتعين فهم السقط من الآية ، لأن الله يقر في الأرحام ما يشاء أن يقره إلى أجل مسمى ،
فقد يقره ستة أشهر ، وقد يقره تسعة ، وقد يقره أكثر من ذلك كيف شاء .

أما السقط فقد دلت الآية على أنه غير مراد بدليل قوله : ﴿ فَإِنَّا خَلَقْتَنكُمْ ﴾ الآية ؛ لأن السقط الذي
تلقيه أمه ميتاً - ولو بعد التشكيل والتخطيط - لم يخلق الله منه إنساناً واحداً من المخاطبين بقوله :
﴿ فَإِنَّا خَلَقْتَنكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ﴾ الآية ، فظاهر القرآن يقتضي أن كلاً من المخلقة وغير المخلقة يخلق منه بعض
المخاطبين في قوله : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ . . . ﴾ الآية . اهـ .

وفي جواب الشنقيطي أيضاً ردٌّ على قول من قال : السقط مخلوق وغير مخلوق .

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ٤٤ .

(٣) في (أ) : (كلاهما) .

قال قتادة في قوله : ﴿مُخْلَقَةٍ وَغَيْرِ مُخْلَقَةٍ﴾ : تامة وغير تامة^(١) .

وقال^(٢) أبو إسحاق : وصف أحوال الخلق أَنَّ منهم من يتم^(٣) مضغته فيخلق له الأعضاء التي تكمل آلات الإنسان ، ومنهم من لا يتم الله^(٤) خلقه^(٥) .

وقال أبو العباس^(٦) : الناس خلقوا على ضربين : منهم تام الخلق ، ومنهم خديج ناقص غير تام^(٧) .

وعلى هذا القول ، معنى المخلقة : التام الخلقة والأعضاء^(٨) . فحصل في المخلقة ثلاثة أقوال في معناها وتفسيرها .

(١) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٣٢ / ٢ ، والطبري ١١٧ / ١٧ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ١١ / ٦ وعزاه لعبدالرزاق وعبد بن حميد وابن جرير .

(٢) في (ظ) : (قال) .

(٣) في (ظ) : (تتم) ، وفي (د) : (تتم) ، مهملة ، وفي (ع) : (يتم) ، وما أثبتنا هو الموافق لما في المعاني .

(٤) الاسم الجليل كتب في حاشية (ظ) ، وعليه علامة التصحيح .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤١٢ / ٣ .

(٦) هو ثعلب .

(٧) ذكره عن أبي العباس الأزهري في تهذيب اللغة (خلق) ٢٨ / ٧ .

(٨) قال الشنقيطي في أضواء البيان ٢٣ / ٥ ، ٢٤ عن هذا القول : إنه أولى الأقوال في الآية وهو القول الذي لا تناقض فيه ، لأن القرآن أنزل ليصدق بعضه بعضاً لا ليتناقض بعضه مع بعض .

وعزاه إلى قتادة والضحاك . قال : واقتصر عليه الزمخشري ثم نقل الشنقيطي عن الزمخشري - وقول الزمخشري في الكشف ٣ / ٥ - أنه قال : والمخلقة : المسوأة للمساء من النقص والعيب ، يقال : خلق السواك والعود : إذا سواه وملسه ، من قولهم : صخرة ملساء ، إذا كانت ملساء ، كأن الله - تعالى - يخلق المضغ متفاوتة ، منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب ، ومنها ما هو على عكس ذلك ، فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتماهم ونقصانهم .

قال الشنقيطي : وهذا المعنى الذي ذكره الزمخشري معروف في كلام العرب . ثم ذكر الشنقيطي شواهد من شعر العرب وكلامهم في هذا المعنى .

قوله تعالى : ﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ اختلفوا في مفعول ^(١) التبيين ^(٢) .

فقال ^(٣) ابن عباس : لنبين لكم ما تأتون وما تذكرون ^(٤) .

يعني أن الله - تعالى - خلق بني آدم ليبين لهم من أشدهم ، وما يحتاجون إليه في العبادة .

وقال الزَّجَّاج : أي ذكرنا أحوال خلق الإنسان لنبين لكم قدرتنا على ما نشاء ، ونعرفكم ابتداءنا ^(٥) خلقكم ^(٦) .

وقال ^(٧) صاحب النظم : لنبين لكم أن البعث حق ، يدل على هذا أن الآية أنزلت دلالة على البعث ^(٨) .

وقال ابن مسلم : لنبين لكم كيف نخلقكم في الأرحام ^(٩) .

(١) في (ظ) : (معنى) .

(٢) في (د) و(ع) : (لنبين) .

(٣) في (ظ) و(د) و(ع) : (قال) .

(٤) ذكره البغوي ٣٦٦/٥ ، وابن الجوزي ٤٠٧/٥ من غير نسبة لأحد .

(٥) في (ظ) : (ابتداء) .

(٦) ليس في المطبوع من معاني الزَّجَّاج ٤١٢/٣ إلا قوله : أي ذكرنا أحوال خلق الإنسان .

وليس باقي الكلام موجوداً فيه . وهذا القول في الطبري ١١٨/١٧ .

(٧) في (ظ) : (قال) .

(٨) ذكر ابن عطية في المحرر ٢٢٩/١٠ ، وابن الجوزي ٤٠٧/٥ هذا القول مختصراً من غير نسبة لأحد .

(٩) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٩٠ .

وقال^(١) أهل المعاني: لندلكم على مقدورنا بتصريف ضروب الخلق^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾؛ أي^(٣): نثبت^(٤) في الأرحام ما نشاء، فلا يكون سقطاً ﴿إِلَّا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾؛ أي إلى أجل الولادة.

ويجوز أن يكون المعنى: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾، فلا يخرج^(٥) الأجل المعتاد ﴿إِلَّا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ سواه الله لذلك^(٦) الولد في أم الكتاب، وذلك أن مدة الحمل تختلف فيمتد من ستة أشهر إلى أربع سنين.

والقراءة في ﴿وَنُقِرُّ﴾ بالرفع، وروى المفضل^(٧)، عن عاصم: ﴿وَنُقِرُّ﴾ بالنصب^(٨).

(١) في (ظ): (قال).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٤٧/٣ أ من غير نسبة لأحد.

انظر: الكشف للزمخشري ٥/٣. حيث قال وورود الفعل غير معدي إلى المبيّن إعلامٌ بأن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ألا يكتنّيه ولا يحيط به الوصف.

(٣) في (د): (أن)، وهو خطأ.

(٤) في (أ): (يثبت)، وفي (ظ): (يثيب)، ومهملة في (د)، وفي (ع): (نبت)، وما أثبتنا هو الصواب.

(٥) في (ظ) و(د) و(ع): (فلا يكون سقطاً بخرج)، بزيادة: (يكون سقطاً)، وهذه الزيادة تخل بالمعنى. ويظهر لي أن ناسخ النسخة التي نسخت منها تلك النسخ رجع نظره إلى الجملة التي قبل هذه الجملة فهي مشابهة لها.

(٦) في (أ): (كذلك)، وهو خطأ.

(٧) هو المفضل بن محمد، الضبي، الكوفي، اللغوي، أبو محمد. كان من جلّة أصحاب عاصم، قرأ عليه، وتصدّر للإقراء. وهو صاحب المفضليات المشهورة.

قال الخطيب البغدادي: كان إخبارياً علامة موثقاً. لكن قال أبو حاتم الرازي: متروك القراءة والحديث. قال الذهبي معلقاً على قول أبي حاتم: قلت: قد شذ عن عاصم بأحرف. وقال أبو حاتم السجستاني: ثقة في الأشعار، غير ثقة في الحروف. توفي سنة ١٦٨هـ.

الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣١٨/٨، وتاريخ بغداد ١٣/١٢١، وإنباه الرواة ٣/٢٩٨، ومعرفة القراء الكبار للذهبي ١/١٣١، وغاية النهاية ٢/٣٠٧، ولسان الميزان لابن حجر ٦/٨١.

(٨) ذكرها النحاس في إعراب القرآن ٣/٨٧ من رواية المفضل، عنه.

وهي رواية شاذة لا تصح عن عاصم؛ لأنّ المفضل متروك القراءة.

قال أبو إسحاق : ولا يجوز فيه إلا الرفع ، ولا يجوز أن يكون معناه فعلنا ذلك لنقر في الأرحام ؛ لأن الله - عز وجل - لم يخلق الأنام ليقرهم في الأرحام ، وإنما خلقهم ليدلهم على رشدهم وصلاتهم^(١) .

وقال^(٢) صاحب النظم : انقطع الخبر عند قوله : ﴿لَنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ ثم ابتداء خبراً آخر فقال^(٣) : ﴿وَنُقَرِّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ ولذلك ارتفع ؛ لأنه منقطع مما قبله .

وقوله : ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ . قال الزَّجَّاج : ﴿طِفْلاً﴾ في معنى أطفال ، ودل عليه ذكر الجماعة ، وكأن طِفْلاً يدل على معنى : ونُخْرِجُ^(٤) كل واحد منكم^(٥) . طِفْلاً^(٦) .

وقال المبرِّد : انتصب ﴿طِفْلاً﴾ على المصدر الذي هو في موضع الحال . وقد قال قوم : تمييز . والذي قالوا جائز في هذا الموضع كقوله : ﴿فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾ [النساء : ٤] فهذا لا يكون إلا تمييزاً ، إلا أننا قدمنا المصدر ؛ لأنه قد استعمل مصدراً كالرِّضَا والعدل الذي يقع على الواحد والجماعة ، قال الله عز وجل : ﴿أَوْ الطِّفْلِ الَّذِيكَلَمْ يَظْهَرُوا﴾ [النور : ٣١] فهذا فيه دليل على أنه مصدر^(٧) .

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣ / ٤١٢ .

(٢) في (ظ) : (قال) .

(٣) في (ظ) و(د) : (قال) ، وفي (أ) : (وقال) ، والمثبت من (ع) .

(٤) في (أ) : (يخرج) ، مهمل الأول . وفي (ط) و(د) : (يخرج) ، مهمله . والمثبت من (ع) . وفي المطبوع من المعاني : (ويخرج) .

(٥) في (أ) : (منهم) .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣ / ٤١٢ .

(٧) ذكر هذا القول عن المبرِّد باختصار القرطبي ١٢ / ١٢ ، وأبو حيان ٦ / ٣٥٢ والسمين الحلبي في الدر المصون ٨ / ٢٣٢ .

وقال أبو عبيدة : ﴿طِفْلاً﴾ في موضع أطفال^(١) . وأنشد^(٢) :

في حلقكم^(٣) عظم وقد شجينا

وقال أبو الهيثم : الصبي يدعى طفلاً حين يسقط من بطن أمه إلى أن يحتلم .

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ٤٤ .

(٢) هذا الشطر من الرجز أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢ / ١٩٥ ونسبه للغنوي . وهو بلا نسبة في الكتاب ١ / ٢٠٩ ، ومعاني القرآن للأخفش ١ / ٤٣٧ ، والمقتضب للمبرّد ٢ / ١٧٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ١ / ٨٣ .

ونسبه السيرافي في شرح أبيات سيويه ١ / ٢١٢ ، والشتمري في تحصيل عين الذهب ١ / ١٠٧ ، وابن منظور في لسان العرب (شجا) ١٤ / ٤٢٣ للمسيب بن زيد بن مناة الغنوي يخاطب به حنظلة بن الأعراف الضبابي ، وكان حنظلة قد غزا غنيّاً فأخذ غلاماً منهم ، فبيع ذلك الغلام ، فخفي شأنه زماناً ، ثم وجدته غنيّاً في بيت ختن لحنظلة بن الأعراف فأخذوا الغلام وقتلوا ختن حنظلة ، فبلغهم أن الأعراف يتبعهم ويتوعدهم ، فقال المسيب :

مالك يا أعراف تبتغينا

إلى أن قال :

في حلقكم عظمٌ وقد شجينا

قال السيرافي : الشاهد فيه قوله : في حلقكم ، فوَحَد وهو يريد في حلو قكم ، فوضع الواحد في موضع الجمع . . . وقوله : في حلقكم عظم وقد شجينا ، هو على طريق المثل ، يعني أنهم بمنزلة من قد غصَّ بشيء في حلقه لأجل قتل ختنهم ، ونحن قد شجينا بشيء في حلو قنا من أجل الغلام الذي قد سبي هنا . اهـ .

(٣) في (أ) و(د) و(ع) : (خلقكم) . والمثبت من (ظ) وباقي مصادر التخريج .

قال : والعرب تقول : جاريةٌ طِفْلٌ ، وجاريتان طِفْلٌ ، وجوارٍ طِفْلٌ وغلانٌ طِفْلٌ ، وغلان طِفْلٌ^(١) . [ويقال : طِفْلٌ]^(٢) وطفلة وطفلان وطفلتان في القياس وأطفال ، ولا يقال : طفلات^{(٣)(٤)} .

وأطفلت المرأة والظبية^(٥) ، إذا صارت ذات طفل^(٦) .

قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾ . ذكر صاحب النظم منه وجهين :

أحدهما : أن يكون فيه إضمار على تأويل : ثم نخرجكم طفلاً ، ثم نعمركم^(٧) لتبلغوا أشدكم^(٨) .

(١) (وغلان طفل) : ليست في المطبوع من تهذيب اللغة ٣/ ٣٤٨ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) و(د) و(ع) .

(٣) في تهذيب اللغة ١٣/ ٣٤٨ نقلاً عن أبي الهيثم : يقال : طفلٌ ، وطفلةٌ ، وطفلان ، وأطفال ، وطفلتان ، وطفلات في القياس . وكذا في اللسان (طفل) ١١/ ٤٠٢ .

وعند القرطبي ١٢/ ١٢ : ويقال أيضاً : طفل وطفلة وطفلان وطفلتان وأطفال ، ولا يقال : طفلات مثل ما عند الوحيد .

(٤) قول أبي الهيثم في تهذيب اللغة للأزهري ١٣/ ٣٤٨ .

(٥) (الظبية) .

(٦) تهذيب اللغة للأزهري (طفل) ١٣/ ٣٤٨ نقلاً عن الليث .

(٧) في (ظ) : (نعمكم) .

(٨) ذكر ابن الجوزي ٥/ ٤٠ هذا الوجه ، ولم ينسبه لأحد .

والوجه الآخر : أن تكون ﴿ثُمَّ﴾ في قوله : ﴿ثُمَّ لَتَبْلُغُوا﴾ مقحمة^(١) [كما تقحم الواو ؛ لأنها من حروف النسق ومعناه : ثم نخرجكم طفلاً لتبلغوا أشدكم]^(٢) [٣] .

قال ابن عباس : يريد ثماني عشرة سنة^(٤) .

قال الزَّجَّاج : وتأويله الكمال والقوة والتميز وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين^(٥) . وهذا مما قد تقدم القول فيه .

قوله تعالى : ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤَوِّفُ﴾ . قال ابن عباس : يريد من قبل ذلك . يعني من قبل بلوغ الأشد^(٦) .

﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ﴾ ؛ أي أحسنه وأدونه ، وهو الخرف ، يخرف حتى لا يعقل ، وبين ذلك بقوله : ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ .

قال ابن عباس : يريد يبلغ من السن ما يتغير^(٧) عقله حتى لا يعقل شيئاً^(٨) .

(١) في (أ) : (مفخمة ، تفخّم) .

(٢) ذكر القرطبي ١٢/١٢ هذا الوجه ، وصدره بقوله : وقيل .

وهذا الوجه الذي ذكره الواحدي عن صاحب النظم مردود . قال أبو حيان في البحر ١١٠/٥ : وغير ثابت من لسان العرب زيادة (ثم) .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٤) ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ١٤٩/٣ عند قوله تعالى : ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام : ١٥٣] عن ابن عباس من رواية أبي صالح أنه قال : ما بين ثماني عشرة إلى ثلاثين سنة .

ثم ذكر قولاً آخر أنه : ثماني عشرة سنة ، وعزاه لسعيد بن جبير ومقاتل .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤١٣/٣ .

(٦) ذكره ابن الجوزي ٤٠٨/٥ ولم ينسبه لأحد .

(٧) في (ظ) و(ع) : (سعد) مهملة . وفي (أ) : (يتعين) ، والمثبت من (ع) .

(٨) في الوسيط ٢٦٠/٣ عن ابن عباس يبلغ السن من بعد ما يتغير عقله حتى لا يعقل شيئاً .

قال : وليس ذلك إلّا في أهل الشرك^(١) .

وقال عكرمة : من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة ، واحتجّ بقوله : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۖ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [النين: ٥-٦] قال : إلّا الذين قرأوا القرآن^(٢) .

قوله : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾ . قال الزّجاج : ثم دهم على إحيائه^(٣) الموتى بإحيائه الأرض^(٤) .

وقال صاحب النظم : هذا فصل منقطع مما قبله ، لأنّ الأول مخاطبة جماعة وهذا مخاطبة واحد ، وهو معطوف على ما قبله بمثل معناه ؛ لأنّه من تبيين وجوب البعث^(٥) .

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٦٨ عنه من رواية عطاء بمعناه . عند قوله تعالى : ﴿ لِيَكُنِيَ لَكَ يَوْمَئِذٍ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْتَ ﴾ [النحل: ٧٠] .

وهذه الرواية لا تصح عن ابن عباس ، وكم شوهد من أهل الإسلام من ردّ إلى أرذل العمر ، وقد كان النبي ﷺ يقول في دعائه : وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر رواه البخاري في كتاب الدعوات ، باب التعوذ من البخل ١١/ ١٧٨ .

(٢) رواه الطبري ٣٠/ ٣٤٦ بنحوه ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٨/ ٥٥٨ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير .

وقد روى سعيد بن منصور في تفسيره : (ل ١٥٥ ب) وابن أبي شيبة في مصنفه ١٠/ ٤٦٨ عنه قال : من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمل . ثم قرأ ﴿ لِيَكُنِيَ لَكَ يَوْمَئِذٍ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْتَ ﴾ [النحل: ٧٠] .

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٤٦ وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) في (أ) : (إحياء) .

(٤) معاني القرآن للزّجاج ٣/ ٤١٣ .

(٥) ذكره القرطبي ١٢/ ١٣ بمعناه من غير نسبة لأحد .

قال الليث: أرض جامدة مقشعة لا نبات فيها إلا يبيس^(١) مُتَحَطِّمٌ^(٢)،
والهامد^(٣) من الشجر: اليابس^(٤).

وقال شمر: الهامد: الأرض المستنة^(٥)، وهمودها^(٦) ألا يكون فيها حياة^(٧)،
والرَّمَاد^(٨) الهامد: المتلبّد البالي بعضه فوق بعض. وهمد^(٩) الثوب يهمد هموداً،
إذا تناثر من البلى^(١٠).

قال^(١١) الأصمعي: همدت^(١٢) النار إذا طفئت ألبتة^(١٣)(١٤). قال الأعشى:

قالت قُتَيْلَةُ ما لجسمك شاحباً وأرى ثيابك باليات هُمْدَا^(١٥)(١٦)

(١) في (أ): مهملة. وفي (ظ): (يبس).

(٢) من (أ): (فيحكم)، وهو خطأ.

(٣) في (ظ): (والهامد).

(٤) قول الليث في تهذيب اللغة للأزهري (همد) ٢٢٨/٦. وهو في العين (همد) ٣١/٤ بنصه.

(٥) في (أ): (المستنة)، وفي (ظ) و(د): (المسنة). وفي (ع): (المسه)، مهملة. والتصويب من تهذيب

اللغة ٢٢٨/٦. وفي تهذيب اللغة ٣٨٥/١٢: قال ابن شميل: أرضٌ مستنة: لم يصبها مطرٌ فلم تُنبت.

(٦) في (أ): (وهودها)، وهو خطأ.

(٧) في النسخ جميعها: (حيا)، والتصويب في تهذيب اللغة ٢٢٨/٦.

(٨) في (ظ) و(د) و(ع): (والمراد)، وهو خطأ.

(٩) في (أ): (وهذا)، وهو خطأ.

(١٠) تهذيب اللغة للأزهري (همد) ٢٢٨/٦.

(١١) قال: ساقطة من (ظ) و(د) و(ع).

(١٢) في (أ): (همت)، وهو خطأ.

(١٣) (ألبتة) مهملة في (د).

(١٤) تهذيب اللغة للأزهري (همد) ٢٢٨/٦ من رواية أبي عبيد، عن الأصمعي.

(١٥) (همدا): ساقطة من (ظ).

(١٦) البيت في ديوانه ٢٢٧، والرواية فيه (سائناً) في موضع (شاحباً)، والطبري ١١٩/١٧، والأضداد لابن الأثير ١٧٤، والقرطبي ١٣/١٢.

قال ابن عباس : هامة يريد التي قد تلبّدت وذهب عنها الندى .

وقال مجاهد : هالكة . يعني جافة^(١) يابسة ؛ لأن هلاك الأرض يُبسها .

وقال قتادة : غبراء متهشمة^(٢) . [يعني متهشمة]^(٣) النبت .

وقال أبو إسحاق : يعني جافة ذات تراب^(٤) .

وقال ابن مسلم : ميتة يابسة كالنار إذا طفئت فذهبت^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ . قال المفسرون : تحركت بالنبات^(٦) .

والمعنى على هذا تحركت بالنبات عند وقوع الماء ، وذلك أن الأرض ترتفع عن النبات إذا ظهر فذلك تحركها ، وهو معنى قوله : ﴿ وَرَبَتْ ﴾ ؛ أي ارتفعت وزادت .

(١) في (أ) : (حاقة) ، وهو خطأ .

(٢) قال السيوطي في الدر المنثور ١١ / ٦ : وأخرج عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾ ؛ أي غبراء متهشمة . وهذه الرواية عن قتادة ليست موجودة في تفسير عبدالرزاق والطبري في هذا الموطن من سورة الحج كما عزا إليها السيوطي ، وإنما موجودة في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً ﴾ [فصلت : ٣٩] فروى عبدالرزاق في تفسيره ١٨٨ / ٢ والطبري ١٢٢ / ٢٤ عن قتادة في قوله : ﴿ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً ﴾ قال : غبراء متهشمة .

(٣) ساقط من (ظ) و(د) و(ع) .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤١٣ / ٣ .

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٩٠ .

(٦) الطبري ١١٩ / ١٧ ، والكشف والبيان للثعلبي ٤٧ / ٣ ب .

وقال الليث : يقال اهتزت الأرض ^(١) إذا أنبتت ^(٢) .

وقال المبرّد : أراد ^(٣) اهتز نباتها ^(٤) . وعلى هذا حذف المضاف الذي هو النبات [ف قيل : اهتزت . والاهتزاز في النبات أظهر ، ويقال : اهتز النبات] ^(٥) إذا طال ^(٦) .

وقوله : ﴿وَرَبَّتْ﴾ ؛ أي زادت ونمت ؛ أي الأرض أو نباتها على ما ذكرنا .
ويقال : ربا الشيء ، إذا زاد ، ومنه الرّبوّة والرّبا ^(٧) .

وقوله : ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ . قال ابن عباس : من كل صنف حسن ^(٨) . والبهجة : حسن الشيء ونضارته ^(٩) . والبهيج بمعنى المبهج ، وهو الحسن الصورة الذي تمتع العين برؤيته .

قال المبرّد : هو الشيء المشرق الجميل ^(١٠) ، ومنه قوله : ﴿حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ﴾ [النمل : ٦٠] .

-
- (١) (الأرض) : ساقطة من (ظ) و(د) و(ع) .
 - (٢) تهذيب اللغة للأزهري (هز) ٥ / ٣٥٠ بنصّه ، لكن من غير نسبة لأحد . وكأنّ في المطبوع سقطاً ، وهو في العين (هز) ٢ / ٣٤٦ مع اختلاف يسير جداً .
 - (٣) (أراد) : ساقطة من (ظ) و(د) و(ع) .
 - (٤) ذكره عن المبرّد ابن الجوزي ٥ / ٤٠٨ ، والقرطبي ١٢ / ١٣ .
 - (٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) و(د) و(ع) .
 - (٦) انظر : تهذيب اللغة (هز) ٥ / ٣٥٠ ، ولسان العرب (هز) ٥ / ٤٢٤ .
 - وقال أبو حيان في البحر ٥ / ٣٥٣ : اهتزازها : تخلخلها واضطراب بعض أحسامها لأجل خروج النبات .
 - (٧) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (ربا) ٥ / ٢٧٢-٢٧٤ .
 - (٨) روى ابن أبي حاتم (كما في الدر المنثور ٦ / ١١) عنه قال : (بهيج) ؛ أي حسن .
 - (٩) تهذيب اللغة للأزهري (بهج) ٦ / ٦٤ عن الليث ، وهو في العين (بهج) ٣ / ٣٩٤ .
 - (١٠) ذكره الرازي ٢٣ / ٩ عن المبرّد .

وعلى هذا ، هو فعيل من بهج^(١) ، وهو قول أبي زيد^(٢) ، قال : بهيج حسن^(٣) ، وقد بهج بهاجة وبهجة^(٤) .

ويقال : تباهج الروض إذا كثر نواره^(٦) . وأنشد الليث^(٧) :

نَوَّارُهُ مُتَبَاهِجٌ يَتَوَهَّجُ

وأكثر أهل^(٨) النحو على أن بهيج هاهنا^(٩) فعيل بمعنى فاعل ، وهو قول الأخفش وابن مسلم^(١٠) .

٦ . قوله : ﴿ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّهِ﴾ . قال أبو إسحاق : المعنى الأمر ذلك ؛ أي الأمر ما وصف لكم ، وبين بأن الحق هو الله ، [قال : ويجوز أن يكون نصباً

(١) في (أ) : (بهيج) ، وهو خطأ .

(٢) في النسخ جميعها : (ابن زيد) ، وهو تصحيف . والتصويب من تهذيب اللغة ، وغيره .

(٣) (حسن) : ساقط من (ظ) و(د) و(ع) .

(٤) في (ظ) و(د) و(ع) : (قد) .

(٥) قول أبي زيد في تهذيب اللغة (بهج) ٦ / ٦٥ .

(٦) في تهذيب اللغة ٦ / ٦٤ ، ولسان العرب (نور) ٢ / ٢١٦ .

(٧) هذا الشطر أنشده الليث في العين ٣ / ٣٩٤ من غير نسبة ، والرواية فيه : (نوارها) في موضع (نواره) . وقال : يصف الروضة .

وهو في تهذيب اللغة للأزهري (بهج) ٦ / ٦٤ ، ولسان العرب (بهج) ٢ / ٩٢١٦ ، وتاج العروس (بهج) ٥ / ٤٣١ .

وفي التكملة للصاغاني ١ / ٤٠٣ أن القائل هو أسد بن ناعصة ، وصدره فيها :

فِي بَطْنٍ وَاِدٍ مُسَجَّهٌ رَفْرَفٍ

(٨) في (ظ) و(د) و(ع) : (هذا) .

(٩) العبارة في (ظ) و(د) و(ع) : (علي بهيج يقال هاهنا) ، وهي عبارة ركيكة .

(١٠) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٩٠ .

على معنى : فعل الله ذلك بأنه هو الحق^(١) ، والأجود أن يكون موضع ﴿ذَلِكَ﴾ رفعاً^(٢) .

قال أبو علي : موضع ﴿ذَلِكَ﴾ من الإعراب لا يخلو من أحد وجهين : أحدهما^(٣) رفع ، أو نصب . أمّا جهة النصب ؛ فعلى أن يكون مفعولاً بفعل مضمّر يدل عليه ما قبله من الأفعال المذكورة كما ذكره أبو إسحاق .

وأما جهة الرفع ؛ فلا يخلو من أن يكون مبتدأً أو خبراً ، ولا يجوز أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف وهو الأمر والشأن على ما ذكره أبو إسحاق لأنه إذا قدر كذلك^(٤) بقى الجار في^(٥) قوله : ﴿يَا أَيُّهَا اللَّهُ﴾^(٦) غير متعلق بشيء ؛ وذلك لأن الجار إنّه يتعلق بقوله : ﴿ذَلِكَ﴾ إذا قدرته مبتدأً بتوسط^(٧) فعل مقدر محذوف لدلالة الجار على ، والمعنى : ذلك فعله الله أو بيّنه^(٨) الله بأن الله هو الحق ، ثم حذف الفعل وصار الجار مع المجرور في موضعه خبراً لـ ﴿ذَلِكَ﴾ . وإذا قدرت ﴿ذَلِكَ﴾ خبر مبتدأ لم يحز أن يتعلق به الجار ؛ لأن تعلق حرف الجر بالاسم لا يخلو من أمرين : إما أن يتعلق به على التقدير الذي تقدم ، أو يتعلق به^(٩) كما يعلق إذا كان الخبر اسم فاعل ، نحو : ذاهب وقائم ، فيتصل الجار به [كما يتصل بالفعل نحو : هذا ذاهب به ، أو قائم إلى عمرو ، وليس قولنا ذلك اسم فاعل فيتصل به هذا الاتصال ،

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤١٣/٣ مع تقديم وتأخير .

(٣) (أحدهما) : ساقطة من (أ) .

(٤) في (أ) : (ذلك) ، وهو خطأ .

(٥) (في) : ساقطة من (أ) .

(٦) في (أ) : (وقوله أن الله) ، وهو خطأ .

(٧) في (أ) : (يتوسط) ، وهو خطأ .

(٨) في الإغفال ١٠٤٦ : (أو بّنه) .

(٩) في (ظ) : (بهما) .

ولا يجوز أن يكون بتعلق الجار به^(١) [واتصاله بذلك ، وهو مقدر خبر مبتدأ من حيث اتصل به وهو مقدر مبتدأ ، وذلك أنَّك إذا قدرت مثل الفعل الذي يوصل الجار إلى ذلك وتعلقه به وجب أن يكون ذلك الفعل خبره ، وإذا كان خبره كان ذلك مبتدأ ، إذ لا متصل للفعل^(٢) بقوله : ﴿ذَلِكَ﴾ إلا من هذه الجهة ، واتصاله به يخرج عن أن يكون خبراً [فإذا لم يجز أن يكون موضع ﴿ذَلِكَ﴾ رفعاً على أنه خبر مبتدأ]^(٣) وجب أن يكون موضعه رفعاً على أنه مبتدأ ، والجار مع المنجر به في موضع خبره ، لا يجوز غير ذلك^(٤) .

وأما معنى الآية فهو أن يقول : فعل الله ذلك ، يعني ما ذكر من ابتداء الخلق وإحياء الأرض ، ذلك الذي ذكر فعله^(٥) الله بأنه هو^(٦) الحق ؛ أي ذو الحق .

يعني أنَّ جميع ما يأمر به ويفعله هو الحق لا الباطل ، كما يأمر به الشيطان من الباطل .

قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى﴾ ؛ أي وبأنه يحيي الموتى . والمعنى أحياء الأرض ، وفعل ما فعل بقدرته على إحياء الموتى ، وبأنه قادر على ذلك ، وقادر على كل^(٧) ما أراد وهو قوله : ﴿وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٢) في (ظ) : (إذ لا يتصل الفعل) ، وفي (د) : (إذ لا يتصل للفعل) .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٤) الإغفال لأبي علي الفارسي ٢ / ١٠٤٤ - ١٠٤٧ .

(٥) في (ظ) و(د) و(ع) : (فعل الله) .

(٦) (هو) : ليست في (ظ) و(د) و(ع) .

(٧) (كل) : ساقطة من (ظ) .

٧. قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾ موضع (أَنَّ) خفض في الظاهر بالعطف على ما قبله من قوله ^(١) ﴿يَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتِ وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ إلا أنه لا يصح في المعنى حمله بالعطف على ما قبله ، لأنه لا يمكن أن يقال : فعل الله ما ذكر بأن الساعة آتية ، ولكن يضمّر لـ (أَنَّ) فعلاً ينصبه ، ودلّ عليه ما تقدم ، وهو أن يقول : المعنى : ولتعلموا أن الساعة آتية [أي بدء الخلق وإحياء الأرض بالماء دلالة لكم لتعلموا بها أن القيامة آتية] ^(٢) وأن البعث حق ، وهو قوله : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ .

٨. قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ ؛ أي في قدرة الله على البعث والإعادة .

قال عطاء عن ابن عباس : يريد أبا جهل ^(٣) .

وقال الكلبي : نزلت في النضر بن الحارث ^(٤) .

وقوله : ﴿يَعْيِي عَلَيْهِ﴾ مضى تفسيره في هذه السورة .

(١) من قوله : (ليست) في (ظ) و(د) و(ع) .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) و(د) و(ع) .

(٣) ذكره عنه الزخشي ٦/٣ ، والقرطبي ١٢/١٥ ، وأبو حيان ٦/٣٥٤ .

(٤) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون ٨/٤ .

وذكره أبو حيان ٦/٣٥٤ وعزاه للجمهور . ولم يثبت من هذا شيء .

﴿وَلَا هُدًى﴾ . قال ابن عباس : ليس معه من ربه رشاد ولا بيان ﴿وَلَا كِتَابٌ مُّنِيرٌ﴾ له نور^(١) .

٩ . وقوله : ﴿ثَانِي عَطْفِهِ﴾ . يقال : ثنيت الشيء ، إذا حنيت^(٢) وعطفته^(٣) .

ذكرنا ذلك في قوله : ﴿يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ﴾ [هود: ٥] .

والعطفُ : الجانب^(٤) . وعطفًا الرجل : ناحيته عن يمين وشمال ، ومنكب الرجل : عطفه وإبطه .

قال ابن الإعرابي : عطف كل إنسان ودابة : شقاه من لدن رأسه إلى وركيه^(٥) .

وأصله من العطف ، وهو : الي ، والعطف : الموضع الذي يعطفه الإنسان ؛ أي يلويه ويميله عند الإعراض والانحراف عن الشيء^(٦) .

واختلفت^(٧) عبارة المفسرين في تفسير قوله : ﴿ثَانِي عَطْفِهِ﴾ .

(١) قال الشنقيطي في أضواء البيان ٥ / ٤٠ : قال بعض العلماء في قوله في هذه الآية الكريمة : ﴿يَغَيِّرُ عَلِيمٌ﴾ ؛ أي من دون علم ضروري حاصل لهم بما يجادلون به ﴿وَلَا هُدًى﴾ ؛ أي استدلال ونظر عقلي يهتدي به العقل للصواب ﴿وَلَا كِتَابٌ مُّنِيرٌ﴾ ؛ أي وحي نير واضح يعلم به ما يجادل به ، فليس عنده علم ضروري ، ولا علم مكتسب بالنظر الصحيح العقلي ، ولا علم من وحي ، فهو جاهلٌ محضٌ من جميع الجهات .

(٢) في (أ) : (حسه) ، مهملة .

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (ثنى) ١٣٤ / ١٥ بنصه .

(٤) الكشف والبيان للثعلبي ٣ / ٤٧ ب .

(٥) من قوله : وعطفًا الرجل ... إلى هنا ، نقلًا عن تهذيب اللغة للأزهري (عطف) ٢ / ١٨٠ .

(٦) انظر : الصحاح للجوهري (عطف) ٤ / ١٤٠٥ ، ولسان العرب ٩ / ٢٥٠ ، ٢٥١ ، والقاموس المحيط ٣ / ١٧٦ .

(٧) في (أ) : (واختلف) .

- قال ابن عباس : مستكبراً في نفسه^(١) .
- وقال الضحاك : شامخاً^(٢) بأنفه^(٣) .
- وقال مجاهد وقتادة : لاوياً عنقه^(٤) .
- وقال ابن زيد والعوفي : معرضاً عما يُدعى إليه كبراً^(٥) .
- ونحوه^(٦) . قال ابن جريج^(٧) .
- وقال السدي : معرضاً من العظمة ينظر في جانب واحد^(٨) .
- وهذه الألفاظ تعود إلى معنى واحد وهو الإعراض والتكبر .

-
- (١) الكشف والبيان للثعلبي ٤٧/٣ ب .
ورواه الطبري ١٧/١٢١ وإسناده حسن ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/١٣ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .
- (٢) في (ظ) : (سافحاً) ، وهو خطأ .
- (٣) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٤٧/٣ ب .
- (٤) ذكره عنهما الثعلبي في الكشف والبيان ٤٧/٣ ب .
- ورواه عن مجاهد الطبري ١٧/١٢١ .
- ورواه عن قتادة عبدالرزاق ٢/٣٣ ، والطبري ١٧/١٢١ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/١٢ وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .
- (٥) ذكره عنهما الثعلبي في الكشف والبيان ٤٧/٣ ب .
- وعن ابن زيد رواه الطبري ١٧/١٢١ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/١٢ .
- وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم .
- وعن العوفي رواه الطبري ١٧/١٢١ من طريق العوفي عن ابن عباس .
- (٦) في (ظ) : (ونحو ما قال) ، وفي (د) و(ع) : (ونحو قال) .
- (٧) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٤٧/٣ ب . ورواه الطبري ١٧/١٢١ .
- (٨) ذكر السيوطي في الدر المنثور ٦/١٢ عن قتادة مثل هذا القول .

قال أبو إسحاق : وهذا يوصف به المتكبر . والمعنى : ومن الناس من يجادل في الله متكبراً^{(١)(٢)} .

وقال المبرّد : ﴿ثَانِي عِطْفِهِ﴾ ، عبارة عن التكبر والتهاون . تقول العرب : أثنانا فلان ثاني عطفه وثاني جیده وشهاخاً بأنفه . وأنشد^(٣) :

يَهْدِي إِلَى خَنَاهُ ثَانِي الْجِيدِ^(٤)

أي متهاوناً . قال : والعطف ما انعطف من العنق والمنكين . وسمي الرداء العطف ؛ لأنه يقع في ذلك الموضع^(٥) .

وانتصب ﴿ثَانِي﴾ على الحال ، والتنوين فيه مقدر ، والإضافة في تقدير الانفصال^(٦) ، كما ذكرنا في قوله : ﴿بَلَغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة : ٩٥] ، و﴿غَيْرُ مُحَلِّي الصَّيْدِ﴾ [المائدة : ١] ، ومواضع أخرى^(٧) .

(١) في (أ) : (مكبراً) .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤١٤ / ٣ .

(٣) في (أ) زيادة : (فقال قوله وأنشد) .

(٤) هذا عجز بيت للشماخ من قصيدة يهجو بها الربيع بن علباء السلمي ، وصدره :
نبئت أن ربيعاً إن رعى إبلاً

وهو في ديوانه ١١٥ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٤٦ / ٢ ، والمعاني الكبير لابن قتيبة ٤٩٦ / ١ ، والكمال للمبرّد ١٠ / ١ ، ٤٠٣ / ٢ والاقطصاب للبطلوسي ٤١١ / ٣ .

قال ابن قتيبة في المعاني : أي صارت له إبل يرعاها ، أرادك : أن استغنى واستطال بذلك .
ثاني الجيد ؛ أي رخي البال غير مكتر .

وقال البطلوسي : يقول لما كثرت إبله وحسنت حاله أبطرتة النعمة . وقيل معناه : أنا نغزوه في أيام الربيع حين يهيج الحيوان وطلب السفاد ، وفي ذلك الوقت يغزو بعضهم بعضاً .

(٥) انظر : الكامل للمبرّد ١٠ / ١ ، ٤٠٣ / ٢ ففيه نحو من هذا ، وفيه البيت .

وفي معاني القرآن للنحاس ٣٨٢ / ٤ عن المبرّد : العطف : ما اثنى من العنق . . . الموضع .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤١٤ / ٣ .

(٧) عند قوله تعالى : ﴿ظَالِمٍ أَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء : ٩٧] .

ومثل قوله : ﴿ثَانِي عَطْفِهِ﴾ في المعنى قوله : ﴿لَوْ أَرَادُوا وَسَهُمُ﴾ الآية [المنافقون : ٥] .

وقوله : ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [قال ابن عباس : عن طاعة الله ^(١) ^(٢)]

والمعنى : يجادل في الله بغير علم مستكبراً لا وياً عنقه ليضل عن سبيل الله ^(٣) ويذهب عنه ، لا ^(٤) أن له على ما يجادل فيه محجة أو دلالة ^(٥) أو لديه فيه بياناً . ومثل هذا في المعنى قوله : ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۖ لِيَكْفُرُوا﴾ ^(٦) [النحل : ٥٤-٥٥] في من جعل اللام الجارة ، أي أشركوا ليكفروا بما بيناه لهم ، لا لأن ^(٧) لهم على ذلك حجة وبياناً .

وقوله : ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ . قال ابن عباس : يريد الذي ^(٨) أصابه يوم بدر ^(٩) .

١٠ . قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ . قال أبو إسحاق : المعنى : يقال له هذا العذاب بما قدمت يداك ، وموضع ﴿ذَلِكَ﴾ رفع بالابتداء ، وخبره ﴿بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ﴾ ، وموضع (أن) من قوله : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ خفض ؛ لأن المعنى : بما قدمت وبأن الله . قال : ويجوز أن يكون موضع ﴿ذَلِكَ﴾ رفعاً على خبر الابتداء ، المعنى : الأمر ذلك بما

(١) لفظ الجلالة لم يرد في (أ) .

(٢) ذكره القرطبي ١٢/١٣ من غير نسبة لأحد .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٤) في (ظ) : (إلا) ، وهو خطأ .

(٥) (أو دلالة) : ساقط من (أ) .

(٦) في (ظ) : (يكفرون) بدلاً من (يشركون) ، وهو خطأ .

(٧) في (أ) : (أن) .

(٨) بعد قوله : (الذي) يبدأ المفقود من نسخة الظاهرية (ظ) ومقداره صفحتان .

(٩) ذكره عنه الرازي ٢٣/١٢ ، انظر : تنوير المقياس ٢٠٦ .

قدمت يداك ، ويكون موضع (أَنَّ) الرفع على معنى : والأمر أَنَّ الله ليس بظلام للعبيد^(١) .

وأبطل أبو علي أن يكون ﴿ذَلِكَ﴾ خبر الابتداء ؛ لأنَّ الجار يبقى غير متعلق بشيء . والقول في هذه الآية كالقول في قوله : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ لا فصل بينهما وإذا بطل هذا بطل أن يكون موضع (أَنَّ) في قوله : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ رفعاً ؛ لأنه إذا لم يجز إضمار الأمر الذي يكون مبتدأ لقوله : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ لم يجز إضماره ها هنا ، وإذا لم يجز ذلك كان موضعه جراً بالعطف^(٢) على (ما) المنجر بالباء^(٣) .

وأما معنى هذه الآية فهو مما ذكرناه في سورة الأنفال عند قوله : ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال : ٥١] .

١١ . قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ . أكثر المفسرين على أن المعنى : على شك^(٤) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤١٤ .

(٢) في (أ) : (جواباً لعطف) .

(٣) كلام أبي علي في الإغفال ٢/ ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ .

(٤) انظر : الطبري ١٧/ ١٢٣ ، والدر المنثور ٦/ ١٤ .

وهو قول مجاهد^(١) والسدي وقتادة^(٢)، واختيار أبي إسحاق^(٣) وأبي زيد وابن الأعرابي .

روى ابن اليزيدي^(٤) عن أبي زيد : على حرف ؛ على شك^(٥) .

وقال ابن الأعرابي : [الحرف]^(٦) الشك في قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ أي شك^(٧) . ونحو هذا قال أحمد بن يحيى^(٨) .

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٤٨٣ أ .

ورواه سعيد بن منصور في تفسيره : ل ١٥٥ ب ، والطبري ١٧ / ١٢٣ .

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ١٤ وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره ٢ / ٣٣ ، والطبري ١٧ / ١٢٣ عن قتادة ، وذكره السيوطي في الدر المنثور

٦ / ١٤ وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣ / ٤١٤ .

(٤) في (أ) : (ابن اليزيدي) ، وهو خطأ .

وابن اليزيدي هو إبراهيم بن يحيى بن المبارك بن المغيرة ، أبو إسحاق ابن أبي محمد العدوي مولا لهم ، المعروف بابن اليزيدي .

بصري سكن بغداد . وسمع من أبيه وأبي زيد الأنصاري والأصمعي وغيرهم . وكان ذا قدر وعلم بالنحو واللغة والقراءة والأدب . له مصنفات كثيرة منها : ما اتفق لفظه واختلف معناه كبير جداً ، ومصادر القرآن بلغ فيه إلى سورة الحديد . توفي سنة ٢٢٥ هـ .

واليزيدي : نسبة إلى يزيد بن منصور الحميري خال المهدي ، وكان أبوه يحيى بن المبارك مؤدباً لأولاده منقطعاً إليه ، فنسب إليه .

انظر : تاريخ بغداد ٦ / ٢٠٩ ، وإنباه الرواة ١ / ٢٢٤-٢٢٦ ، واللباب لابن الأثير ٣ / ٤١١ ، وغاية النهاية ١ / ٢٩ ، وطبقات المفسرين للدواود ١ / ٢٥-٢٧ .

(٥) ذكره الأزهرى في تهذيب اللغة ٥ / ١٢ من رواية ابن اليزيدي ، عن أبي زيد .

(٦) زيادة من تهذيب اللغة .

(٧) ذكره عنه ابن جني في سر صناعة الإعراب ١ / ١٤ .

(٨) ذكره الأزهرى في تهذيب اللغة ٥ / ١٥ من رواية أبي العباس ، وهو ثعلب ، أحمد بن يحيى ، عن ابن الأعرابي .

وهذا الذي قالوا هو معنى ﴿حَرْفٍ﴾ في هذه الآية لا تفسيره . وتفسير الحرف في اللغة : الطرف وهو منتهى الجسم ، والحرف والطرف والجانب نظائر في اللغة .

والانحراف : الانعдал إلى الجانب ، وقلم محرف قد عدل بقطعه عن الاستواء ، والحرف منعدل إلى الجانب عن^(١) الوسط^(٢) .

وقال أبو الفتح الموصلي : أما الحرف فالقول فيه أن (حرف) أينما وقعت في الكلام^(٣) يراد به حد الشيء وحدته ، من ذلك حرف الشيء إنما هو حده وناحيته ، وطعام حريف : يراد به^(٤) حدته . ورجل محارف أي محدود عن الكسب والخير ، ومثله محرف كأنَّ الخير قد حرف عنه ما يحرف القلم^(٥) .

وقولهم : انحرف فلان عني ، من هذا ، كأنَّه جعل بيني وبينه حداً بالبعد والاعتزال . ومنه قولهم لهذه البقلة الحادة : الحُرْف^(٦) ، سمي بذلك لحدته . هذا كلامه^(٧) .

وعلى القول الأول أصل الحرف من الميل سمي الطرف حرفاً لميله عن^(٨) الوسط ، وعلى قول أبي الفتح أصله من الحدَّة والطرف حرفٌ لحدته .

(١) في (ع) : (إلى) ، وهو خطأ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (حرف) ١٢ / ٥ ، ١٤ ، والصاحح للجوهري ١١٣٢ / ٤ ، ولسان العرب ٤١ / ٩ - ٤٣ .

(٣) في (أ) : (الكلاف) ، وهو خطأ .

(٤) (به) : ساقطة من (د) و(ع) .

(٥) العبارة في سر صناعة الإعراب : (ومثل مجرّف ومجلف ، كأنَّ الخير قد جُرّف عن وجلف ، كما يجلف القلم ونحوه) .

(٦) الحُرْف : حبّ الرشاد . القاموس المحيط ١٢٧ / ٣ .

(٧) سر صناعة الإعراب لابن جني ١٤ / ١ ، ١٥ .

(٨) في (أ) و(د) : (على) .

قال أبو إسحاق : وحقيقته أنه يعبد الله على حرف الطريقة في الدين ، لا يدخل فيه دخول متمكن^(١) .

وقال أبو عبيدة في قوله : ﴿ عَلَى حَرْفٍ ﴾ ؛ أي لا يدوم . قال : وتقول^(٢) : إنما أنت على حرف^(٣) ؛ أي لا أثق بك^(٤) .

قال أبو الفتح : وهذا راجع إلى ما قدمناه لأن تأويله أنه قلق في دينه ، على غير ثبات ولا طمأنينة ولا استحكام بصيرة ، فكأنه معتمد^(٥) على حرف دينه غير واسط فيه ، كالذي هو على حرف جبل ونحوه ، يضطرب اضطراباً ويضعف قيامه ، فهو يعرض أن يقع في أحد جانبي الطرف ، فقليل للشاك في دينه أنه يعبد الله على حرف ؛ لأنه لو عبده على يقين وبصيرة لم يكن في حرف يسقط عنه بأدنى شيء يصيبه . وهذا المعنى ظاهر في قوله : ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ﴾ الآية^(٦) .

وقال بعض أهل المعاني : إنما قيل للشاك في دينه : يعبد الله على حرف ؛ لضعفه واضطرابه في طريق العلم إذ^(٧) لم يتمكن في الدلائل المؤدية إلى الحق ، فأدنى شبهة تعرض له ينقاد لها ولا يعمل في حلها .

وقال المبرّد : والعرب تقول : فلان على حرف ، إذا كان بين قوم يظهر الميل إلى أحدهم ، وفي نفسه من الآخرين شيء . ومعناه الشك وأصله من حرف الشيء ، نحو : الحيل والدكان والحائط الذي القائم عليه غير مستقر .

(١) معاني القرآن للزجاج ٤١٤ / ٣ .

(٢) في (د) و(ع) : (ويقولون) .

(٣) هكذا في جميع النسخ وسر صناعة الإعراب ، وفي مجاز القرآن : إنها أنت لي على حرف . بزيادة (لي) .

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٤٦ / ٢ .

(٥) في (د) و(ع) : (متعمد) .

(٦) سر صناعة الإعراب لأبي الفتح ابن جني ١٤ / ١ .

(٧) في (أ) : (إذا) .

هذا الذي ذكرناه كله يعود إلى معنى واحد .

وقال ^(١) ابن قتيبة : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ ^(٢) واحد ^(٣) أي على وجه واحد ومذهب واحد ^(٤) .

واختار الأزهري هذا القول ، فقال : كأنَّ الخير والخصب ناحية ، والضر والشر والمكروه ناحية أخرى ، فهما حرفان ، وعلى العبد أن يعبد خالقه على الحاليتين ^(٥) .

أعني السَّراء والضراء ، ومن عَبَدَ الله على السَّراء وحدها من دون أن يعبدَه على الضراء فقد عبده على حرف ، ومن عبده على الحاليتين فقد عبده عبادة العبد المقر بأنَّ له خالقاً ^(٦) يصرفه كيف يشاء ، وهو في ذلك عادل غير ظالم له ^(٧) .

فعلى هذا ، معنى قوله ^(٨) ﴿عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ ؛ على وجه واحد ، وهو إذا أصاب خيراً عبده ، وإن أصابه شر ترك عبادته ، على ما ذكره الأزهري .

وقال الحسن : هو المنافق يعبد الله بلسانه دون قلبه ^(٩) .

(١) في (د) و(ع) : (قال) .

(٢) إلى هنا ينتهي المفقود من نسخة (ظ) ، والموجود يبدأ من قوله : (يعبد الله) .

(٣) هكذا في جميع النسخ ، والأظهر حذفها فليس (واحد) عند ابن قتيبة .

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٩٠ .

(٥) في (أ) زيادة بعد قوله : (الحاليتين) : (فقد عبده عباده) ، وهي زيادة ناشئة من انتقال نظر الناسخ إلى الكلام الذي بعده .

وليس في تهذيب اللغة للأزهري .

(٦) في (أ) : (بأنه خالق) ، وهو خطأ .

(٧) تهذيب اللغة للأزهري ١٢/٥ ، ١٣ مع تصرف في العبادة .

(٨) في (ظ) : (فعلى هذا المعنى في قوله) .

(٩) ذكره عنه الثعلبي ٤٨/٣ أ ، والبغوي ٢٦٨/٥ ، ٢٦٩ ، والقرطبي ١٨/١٢ .

ويكون معنى ﴿عَلَى حَرْفٍ﴾ في هذا القول : على شك .

قوله : ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾ ؛ إن أصابه رخاء^(١) وعافية وخصب ، وكثر ماله اطمأن على عبادة الله بذلك الخير الذي أصابه .

والكناية في ﴿بِهِ﴾ تعود إلى الخير .

﴿وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ﴾ اختبار بجذب وقلة مال ، ﴿أَنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ ؛ قال أبو إسحاق : رجع عن دينه إلى الكفر وعبادة الأوثان^(٢) .

وقال المبرد : تأويله قلب وجهه عما كان عليه من الدين والعبادة . ويجوز أن يكون المعنى انقلب على وجهه الذي توجه^(٣) منه ، وهو الكفر .

ويكون معنى الوجه على هذا : طريقه الذي جاء منه^(٤) ، وهو الكفر .

قال الكلبي وغيره من المفسرين : نزلت في أعراب كانوا يقدمون على رسول الله ﷺ المدينة . وكان أحدهم إذا صح جسمه ، ونتجت^(٥) فرسه مهراً حسناً ، وولدت امرأته غلاماً ، وكثر ماله ، رضي واطمأن ، وقال : ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيراً . وإن أصابه وجع في^(٦) المدينة ، وولدت امرأته جارية ، وأجهضت رماكه^(٧) ، وذهب ماله ، وتأخرت عنه الصدقة ، أتاه الشيطان ، فقال

(١) في (أ) : (رجاء) . وهو تصحيف .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٤١٤ .

(٣) توجه : مهملة في (أ) .

(٤) في (ظ) و(د) و(ع) : (منها) .

(٥) نتجت : ولدت . لسان العرب (نتج) ٢ / ٣٧٤ .

(٦) في : ليست في (ظ) و(د) و(ع) .

(٧) في (ظ) : (رماله) .

ورماكه : جمع رمكه ، والرمكة : الفرس والأنثى من البراذين . الصحاح للجوهري (رمك)

٤ / ١٥٨٨ ، ولسان العرب (رمك) ١٠ / ٤٣٤ .

له^(١) : والله ما أصبت منذ دخلت في هذا الدين إلا شراً . فينقلب عن دينه . وذلك الفتنة^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ﴾ يعني هذا الشاك خسر دنياه حيث لم يظفر بها طلب من المال ، وخسر آخرته بارتداده عن الدين ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ ؛ أي الضرر الظاهر . يعني ذلك الذي فعل من انقلابه على وجهه ، وذلك^(٣) الخسران الذي لحقه هو الخسران المبين . وخسر يدل على الخسران ؛ لأنّ الفعل يدل على المصدر .

١٢ . قوله : ﴿ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ؛ أي هذا المرتد يدعو^(٤) راجعاً إلى الكفر يعبد سوى الله ﴿ مَا لَا يَضُرُّهُ ﴾ في معاش إن لم يعبد ، ولا ينفعه إن أطاعه ، يعني الحجارة التي كانوا يعبدونها ، ذلك الذي فعل ﴿ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ أي عن الحق والرشد .

(١) (له) : ساقطة من (أ) و(ع) .

(٢) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في الكشف والبيان ٤٧/٣ ب ، ٤٨ أ من غير نسبة لأحد .

وذكره عن الكلبي الرازي في تفسيره ١٣/٢٣ .

وقد رواه بنحوه الطبري في تفسيره ١٢٢/١٧ من رواية العوفي عن ابن عباس .

وروى البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، سورة الحج ، باب ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾ ٤٤٢/٨ نحوه مختصراً عن ابن عباس قال : كان الرجل يقدم المدينة ، فإن ولدت امرأته غلاماً ونتجت خيله قال : هذا دين صالح ، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله ، قال : هذا دين سوء . وروى ابن أبي حاتم ، كما في تفسير ابن كثير ٣/٢٠٩ بإسناد حسن عن ابن عباس قال : كان ناس من الأعراب يأتون النبي ﷺ فيسلمون . فإذا رجعوا إلى بلادهم ، فإن وجدوا عام غيث و عام خصب و عام ولاد حسن قالوا : إن ديننا هذا لصالح فتمسكوا به . وإن وجدوا عام جدوبة و عام ولاد سوء و عام قحط قالوا : ما في ديننا هذا خير ، فأُنزل الله على نبيه : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ ﴾ الآية . وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٣/٦ وقال : بسند صحيح ، وعزه لابن أبي حاتم ، وابن مردويه .

(٣) في (أ) : (أو ذلك) .

(٤) (يدعو) : ساقط من (أ) .

١٣ . قوله : ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ . هذه الآية كثير^(١) الاختلاف في إعرابها ، ووجه دخول اللام في قوله : ﴿لِمَنْ﴾ ، وأذكر الأقوال التي حكاها أبو إسحاق ، وأتبع كل قول منها ما ذكر عليه إن شاء الله .

قال أبو إسحاق : قد اختلف الناس في تفسير هذه^(٢) اللام وفي : ﴿يَدْعُوا﴾ بأي شيء هي متعلقة ؟ ونحن نفسر^(٣) جميع ما قالوه وما أغفلوه مما هو أبين من جميع ما قالوه : إن شاء الله .

قال البصريون والكوفيون : اللام معناها^(٤) التأخير ، المعنى : يدعو من لضره^(٥) أقرب من نفعه . ولم يشبعوا الشرح ، ولا قالوا من أين جاز أن تكون اللام في غير موضعها^(٦) ؟ وشرح ذلك : أن اللام لليمين والتوكيد ، فحقها أن تكون أول الكلام ، فقدّمت لتجعل في حقها ، وإن كان أصلها أن تكون في (لضره)^(٧) كما أن لام (إن) حقها أن تكون في الابتداء ، فلما لم يجوز أن تلي (إن) جعلت في الخبر

(١) هكذا في جميع النسخ .

(٢) في (ظ) و(د) و(ع) : (في تفسير هذه الآية ، في اللام وفي يدعو) . وما أثبتنا من (أ) هو الموافق لمعاني الزّجاج .

(٣) في (أ) : (وعن تفسير) ، وهو خطأ .

(٤) في (أ) : (معناه) .

(٥) في (أ) : (يدعوا لمن يضره) ، وهو خطأ .

(٦) في (ظ) و(د) و(ع) : (موضع) . وفي (د) علامة . . بعدها .

(٧) هكذا في (ظ) و(د) و(ع) . والمعاني للزّجاج . وفي (أ) : (يضره) ، ولعل الصواب في (ضره) .

في مثل قولك : إن زيدا لقائم . ولا يجوز : إن لزيداً قائم ، فإذا أمكنك^(١) أن تكون في الاسم كان ذلك أجود في الكلام تقول^(٢) : إنَّ في ذلك لآية . فهذا قول^(٣) .

قال أبو علي : من زعم أنَّ هذه اللام في قوله : ﴿لَمَنْ ضَرُّهُ﴾ كان حكمها أن تكون في المبتدأ الذي في صلة (من) وهو الضَّرُّ ثُمَّ قُدِّمَ^(٤) إلى الموصول - وهو (من) - فهو مخطيء ؛ لأنَّا قد أحاط علمنا بهذه اللام والمواضع التي^(٥) يستعملونها فيها ، وتلك المواضع :

منها المبتدأ ، وهي فيه^(٦) على ضربين : إمَّا أن تكون للتأكيد مجرداً من تلقي القسم . وإمَّا أن يكون لتلقي القسم والتأكيد .

ومنها (إنَّ) وهي تستعمل معها على ضربين أيضاً : إمَّا أن تدخل على اسم (إنَّ) إذا فصل بينها وبين (إنَّ) نحو : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾^(٧) ، ولا تمنع (إنَّ) من أن تعمل في اسمها النصب ؛ لأنَّ التقدير بها أول الكلام قبل (إنَّ) . وإمَّا أن تدخل على خبرها ، وهي تدخل على جميع أنواع خبر (إنَّ) من المفرد والجملة ، نحو : إن

(١) في المطبوع من المعاني ٤١٥/٣ : (أمكن) . وقد أشار المحقق في الحاشية إلى أنه في الأصل (أمكنك) ، فقام بتغييرها .

(٢) في (ظ) : (ويقول) .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤١٥/٣ .

(٤) في جميع النسخ : (ثم آخر) ، والتصويب من الإغفال للفارسي ١٥٠٧/٢ .

(٥) في (ظ) : (الذي) .

(٦) في الإغفال ١٥٠٧/٢ : (وهي فيه) .

(٧) (إنَّ) : ساقطة من (أ) .

زيداً لأبوه منطلق ، والفعل المضارع ، ولا تدخل على الفعل الماضي إذا كان خبراً لـ (إن) ، ومنها دخولها^(١) على خبر المبتدأ في الشذوذ والضرورة كقوله^(٢) :

أم الحليس لعجوز شهيرة^(٣)

وكما حكى أبو الحسن^(٤) في حكاية نادرة : إنَّ زيداً وجهه لحسن^(٥) .

فإذا كان حق هذه اللام أن تدخل على المبتدأ ، أو على اسم (إن) وخبرها من حيث دخلت على المبتدأ ، وكان دخولها على خبر المبتدأ ضرورة وشذوذاً^(٦) مع أنَّ خبر المبتدأ في المعنى هو المبتدأ ، أو راجع [في المعنى إلى ما هو المبتدأ فدخوله في الموصول والمراد به]^(٧) الصلة ينبغي أن لا يجوز ؛ لأن الصلة ليست بالموصول ، كما أن خبر المبتدأ [هو] المبتدأ^(٨) .

(١) في النسخ جميعها : (دخوله) . وأشار محقق الإغفال ٢ / ١٠٦٠ إلى أنها في الأصل : (دخولها) . وفي نسختين من الإغفال : (دخوله) . فأثبتنا ما في النسخة الأصل للإغفال .

(٢) هذا شطر من الرجز ، وشطره الآخر :

ترضى من اللحم بعظم الرقبة

وهي بلاد كما في الطبري ١٦ / ١٨١ ، والصحاح للجوهري (شهر) ١ / ١٥٩ ، واللسان ١ / ٥١٠ ، وتاج العروس (شهر) ٣ / ١٦٩ .

قال العين : أي في المقاصد النحوية ١ / ٥٣٥ : قائله رؤية بن العجاج ، ونسبة الصاغانى في العباب إلى عنتر بن عروس ، وهو الصحيح . اهـ . وهو في ديوان رؤية ١٧٠ .

قال العين ١ / ٥٣٥ ، ٥٣٦ : والحليس بضم الحاء المهملة وفتح اللام وآخره سين مهملة . والشهيرة : العجوز الكبيرة . انظر : ما تقدم من مراجع في اللغة .

(٣) في (ظ) : (شهيرة) .

(٤) هو الأخفش سعيد بن مسعدة .

(٥) في (أ) : (إن زيداً لوجهه لحسن) ، وهو خطأ .

(٦) في الإغفال ٢ / ١٠٥٦ : (أو شذوذاً) .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٨) (هو) : زيادة من الإغفال .

فتبين بهذا أن قول من قال : التقدير بها في الآية التأخير إلى الصلة خطأ ، وأنه تارك^(١) لمذهب العرب في تأويله إياها هذا^(٢) التأويل .

ويفسد هذا القول أيضاً أن اللام إذا كان حكمه^(٣) أن تكون في الصلة ، ثم قدم إلى الموصول فغير سائغ ، كما أن سائر ما يكون في الصلة لا يتقدم على الموصول .

وأما تشبيهه تقدّم هذه اللام في الآية بتأخيرها عن الاسم إلى الخبر في (إنّ) فلا يشتبهان ، وهو بعيد من الصواب ؛ لأنه لا شيء يجب ويلزم له أن تقدم هذه اللام إلى الموصول من الصلة ، كما كان في اسم (إنّ) سبب يوجب تأخيرها إلى الخبر وهو اجتماع حرفين بمعنى واحد ، ففساد هذا التشبيه بين .

وأما قوله : ولا يجوز إنّ لزيداً قائم ، فتمثيل سوء فيه إيهام^(٤) أن اللام التقدير بها أن تكون بعد (إنّ) وليس كذلك^(٥) ، لأنّ تقدير اللام أن^(٦) تكون قبل (إن) يدلّك على ذلك تعليقه الفعل ووقّعه^(٧) به عن (إنّ) في نحو علمت إنّ زيدا لمنطلق .

(١) في (أ) : (لتارك) .

(٢) في (ظ) : (بهذا) .

(٣) في الإغفال ٢/ ١٠٦٠ : (حكمها) ، وأشار المحقق إلى أنه في بعض النسخ : (حكمه) .

(٤) في (أ) : (إيهام) .

(٥) في (أ) : (ذلك) ، وهو خطأ .

(٦) في (أ) : (بأنّ) .

(٧) في (أ) : (وومعه) مهملة ، وفي (ظ) : (ووقعه) ، وفي (د) و(ع) : (ووقفه) ، ولعل الصواب ما أثبتنا ، ففي الإغفال ٢/ ١٠٦٧ : ووقعه على إنّ المكسورة في نحو قولك : علمت إنّ زيدا لمنطلق .

ولو^(١) كان التقدير بها^(٢) الوقوع بعد (إن) لفتح الفعل [في] (إن)^(٣) ؛ لأنه لم يكن له كاف عن (إن) وفتحها ، ويدل أيضاً^(٤) على أن التقدير بها التقديم قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴾ فلو لم يكن التقدير بها التقديم على (إن) لكفت (إن) عن العمل كما كفت الفعل عن العمل في نحو : علمت لزيد خير منك . فلما لم تكف (إن) عن أن تعمل في اسمها كما كف الفعل ولم يعلقه ؛ علمنا أن التقدير بها التقديم على (إن) ، ويقوي ذلك من^(٥) السمع قولهم : لهنك^(٦) رجل صدق^(٧) . فاللام قبل (إن) فتأمل هذا الكلام ؛ أي على هذا القول^(٨) .

قال أبو إسحاق : وقالوا أيضاً : إِنَّ ﴿ يَدْعُوا ﴾ معه هاء مضمرة ، وأنَّ ﴿ ذَلِكَ ﴾ من قوله : ﴿ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ ﴾ في موضع رفع و ﴿ يَدْعُوا ﴾ في موضع الحال المعنى : ذلك هو الضلال البعيد يدعوه . المعنى في حال دعائه إياه ، ويكون : ﴿ لَمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ﴾ مستأنفاً مرفوعاً بالابتداء ، وخبره : ﴿ لَيْسَ الْمَوْلَى وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴾^(٩) .

قال أبو علي : إن قال قائل : على هذا القول كيف يجوز هذا التأويل في التنزيل وحذف الهاء إنما يسوغ في الصلة والصفة ، وليس هذا بصلة ولا صفة ؟ والقول عندي أن ذلك غير ممتنع لمصارعة الحال الصفة . ألا ترى أنك إذا قلت : جاء زيد راكباً ، فقد فصل راكب بين مجيئين أو أكثر كما أن قولك : جاءني رجل ظريف

(١) في (ظ) : (فلو)

(٢) في (ظ) : (فيها) .

(٣) زيادة من الإغفال ١٦٠٧/٢ .

(٤) أيضاً : ليست في (ظ) و(د) و(ع) .

(٥) (من) : ساقطة من (ط) .

(٦) في (أ) : (لمعئك) .

(٧) (صدق) : ساقطة من (أ) .

(٨) الإغفال ١٠٥١-١٠٦٨ مع تصرف .

(٩) معاني القرآن للزجاج ٤١٥/٣ ، ٤١٦ .

يفرق بين رجلين أو رجال والحال في هذا كالصفة ، فتقدير قوله : ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ ﴿يَدْعُوا﴾ أشير إليه مدعواً^(١)^(٢) .

وزاد أبو الفتح الموصلي بياناً لهذا القول فقال : في ﴿يَدْعُوا﴾ من قوله : ﴿يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ﴾ هاء منصوبة بـ«يدعو» محذوفة ، وتكون الجملة في موضع نصب على الحال من ﴿ذَلِكَ﴾ في قوله : ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ﴾ [التقدير : ذلك هو الضلال]^(٣) البعيد مدعواً . وغير منكر حذف الهاء من الحال ؛ لأنها تضارع الصفة ، والصفة يجوز فيها حذف الهاء جوازاً حسناً ، من ذلك قولك : الناس رجلا ن رجل أكرمت ورجل أهنت . ومن أبيات الكتاب^(٤) :

أبحث^(٥) حمي تهامة بعد نجد وما شيء حميت بمستباح^(٦)

أي حميته . فعلى هذا تقول : نظرت إلى زيد تضرب^(٧) هند ، [أي تضربه هند]^(٨) ، فحذف الهاء من الحال لمضارعها الصفة . وتكون اللام في (لمن) لام الابتداء و(من) مرفوعة بالابتداء ، وقوله ﴿لَيْتَسَ الْمَوْلَى﴾ خبر (من) كأنه قال :

(١) في الإغفال ١٠٦٩ / ٢ : يدعو على هذا ، أشير إليه مدعواً .

(٢) الإغفال لأبي علي ١٠٦٨ / ٢ ، ١٠٦٩ مع تصرف .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٤) في (أ) زيادة : (فقال) ، بعد قوله : (الكتاب) .

(٥) في (أ) : (أبحث) .

(٦) البيت في الكتاب ٨٧ / ١ منسوباً لـجرير ، وهو في ديوانه ٨٩ / ١ . وأما ابن الشجري ٥ / ١ ، والمقاصد النحوية ٧٥ / ٤ .

قال الشستمر في تحصيل عين الذهب ٤٥ / ١ : يخاطب عبد الملك بن مروان فيقول : ملكت . . . وأبحث حماها بعد مخالفتها لك ، وما حميت لا يصل إليه من خالفك لقوة سلطانك . وتهامة ما تسفل من بلاد العرب . ونجد ما ارتفع ، وكنتي بهما عن جميع بلاد العرب .

(٧) في (ظ) و(د) و(ع) : (نظرت) ، وهو خطأ .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) و(د) و(ع) .

لِلَّذِي ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِبئْسَ المولى . واللام التي في ﴿لِبئْسَ﴾ هي اللام التي يتلقى بها القسم في نحو :

لناموا فما إن من رقيب ولا صالي^(١)

وهي تدل على يمين محذوفة ، فكأنه قال : لِلَّذِي ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ والله لبئس المولى . كما تقول : زيد والله لقد قام . هذا كله كلام أبي الفتح^(٢) في بيان القول الثاني من^(٣) الأقوال التي حكاها الزَّجَّاج .

قال الزَّجَّاج : وفيه وجه ثالث : يكون ﴿يَدْعُوا﴾ في معنى يقول . ويكون «من» في موضع رفع ، وخبره محذوف . ويكون المعنى : يقول لمن ضره أقرب من نفعه هو مولاي .

ومثل (يدعو)^(٤) في معنى يقول قول عنتره :

يدعون عنترَ الرماحُ كأنها أشطانُ بئرٍ في لبانِ الأدهم^(٥)

(١) البيت لامرئ القيس وأوله :

حَلَفْتُ لها بالله حَلْفَةَ فَاجِرٍ

وهو في ديوانه ٣٢ ، وسر صناعة الإعراب ١ / ٣٧٤ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٩ / ٢٠ ، ولسان العرب (حلف) ٩ / ٥٣ ، ومعجم الهوامع ٢ / ١١٥ ، وخزانة الأدب ١٠ / ٧١ ، ٧٨ .
وعندهم (حديث) مكان (رقيب) .

والفاجر هنا : الكاذب . والصالي : الذي يصطلي بالنار .

(٢) سر صناعة الإعراب ١ / ٤٠٢ ، ٤٠٣ مع تقديم وتأخير .

(٣) في (أ) : (عين) .

(٤) (يدعو) : ساقطة من (أ) .

(٥) البيت أنشده الزَّجَّاج لعنتره في معاني القرآن ٣ / ٤١٦ .

وهو في ديوانه ٩٢١٦ من معلقته ، وفي لسان العرب (شطن) ١٣ / ٢٣٧ .

قال الشنتمري في شرحه لديوان عنتره ٢١٦ : قوله : يدعون عنتر ؛ أي ينادونني يا عنتر ، يا عنتر ، ...
والأشطان : الحبال ، شبه الرماح بها في طولها واستقامتها . وقوله : في لبان الأدهم : يعني فرسه ،
واللبان : الصدر ؛ أي إذا نظر القوم إلى الرماح وقد كثرت وأشرعت في لبان الأدهم نادوني .

قال : ويجوز أن يكون (يدعو) في معنى يسمّى كما قال ابن أحر^(١) :

أهوى لها مشقّصاً حشراً^(٢) فشبرقها

وكنْتُ أدعو قذاها الإثمَد القردا^(٣)

ووجه هذا القول كوجه الذي قبله^(٤) . انتهت الحكاية عنه .

(١) في (ظ) و(د) و(ع) : (ابن الأحر) .

وهو عمرو بن أحر بن العمرد بن عامر ، الباهلي ، أبو الخطاب . شاعر مخضرم ، أسلم وغزا مغازي الروم ، وعُمّر تسعين سنة ، ومات نحو ٦٥ هـ . الشعر والشعراء ٢٢٣ ، ومعجم الشعراء للمرزباني ٢٤ ، والإصابة ١١٢ / ٣ ، والأعلام ٧٢ / ٥ .

(٢) في (أ) : (حش) ، وفي (ظ) : (فرداً) .

(٣) البيت أنشده الزّجاج لابن أحر في معاني القرآن ٤١٦ / ٣ . وهذا البيت ضمن أبيات قالها ابن أحر لما رماه رجل يقال له مخشي بسهم فذهبت عينه ، فقال : شلتُ أناملُ مخشي فلا جبرثُ ولا استعانَ بضاحي كفّه أبداً أهوى لها . . .

وهو في ديوانه ٤٩ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١٣ / ٢ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٢٢٣ ، والمعاني الكبير لابن قتيبة أيضاً ٩٨٨ / ٢ ، والطبري ١٣١ / ١٦ .

والمشقص : نصل السهم ، أو السهم الذي فيه نصل طويل أو عريض . حشّر : لطيف القُذذ وهي الريش قد بُريت وحددت وسويت .

شبرقها : مزّقها . أدعو : أسَمّي . الإثمَد : الكحل . القرد : المتلبّد .

انظر : لسان العرب (حشر) ١٩٢ / ٤ ، و(شبرق) ١٧١ / ١٠ ، و(قرد) ٣٤٨ / ٣ ، وتاج العروس (شقص) ١٨ / ١٥ ، ١٦ ، و(ثمَد) ٤٦٨ / ٧ .

قال ابن قتيبة في المعاني الكبير ٩٨٨ / ٢ : يقول : كنت من إشفافي عليها أسمي ما يصلحها - يعني الإثمَد - قذى ، فكيف ما يؤذيها ؟ وقوله : أدعو : أسَمّي .

(٤) معاني القرآن للزّجاج ٤١٦ / ٣ .

قال أبو علي : أقول إنَّ الدعاء بمعنى القول سائغ ، وهذا الوجه الذي أجازَه ممكن ، أعني أن يصرف يدعو إلى معنى يقول فيحكى^(١) ما بعدها إذا^(٢) كان في معنى القول وضرباً منه ، واللام في (لمن) لام ابتداء ، وموضع (من) رفع ، والخبر مضمّر . ولا يجوز أن يكون الخبر ﴿لَيْسَ الْمَوْلَى﴾ أعني خبر (لمن) لأن الكافر المتمسك بعبادة الأصنام لا يقول للصنم لبس المولى^(٣) .

وزاد أبو الفتح لهذا القول بياناً فقال : ﴿يَدْعُوا﴾ بمنزلة^(٤) يقول ، أي يقول لمن ضره أقرب من نفعه إله^(٥) أو رب ، فتكون (من)^(٦) مرفوعة بالابتداء ، وخبرها محذوف مقدر ، ويدل على أن ﴿يَدْعُوا﴾ بمنزلة يقول قول عنتره :

يدعون عنتر ؛ أي يقولون : يا عنتره ، فدلَّ يدعون عليها .

فإن قيل : فلم جعلوا خبر (من) محذوفاً دون أن يكون قوله : ﴿لَيْسَ الْمَوْلَى﴾ كما أجزتم في القول الثاني ؟ قيل : إنَّ الكفار ليسوا^(٧) يقولون لمن يدعونه إلهاً : لبس المولى ، ولو قالوا ذلك لما عبدوه .

ومعنى : ﴿لَيْسَ الْمَوْلَى﴾ ذم لمعبودهم لا على الحكاية عنهم ولكن على الإخبار ، أخبر الله - تعالى - أن من ضره أقرب من نفعه فإنَّه بئس المولى . فإن قيل : فإذا كان الأمر كذلك فكيف جاز أن يقول يدعو بمعنى يقول لمن ضره

(١) في (ظ) و(د) و(ع) : (فيحلى) .

(٢) في الإغفال ١٠٧١ / ٢ : (إذا) .

(٣) الإغفال لأبي علي الفارسي ١٠٧١ / ٢ ، ١٠٧٢ مع تصرف .

(٤) في (أ) : (يميله) .

(٥) (إله) : ساقطة من (ظ) .

(٦) (من) : ساقطة من (أ) .

(٧) (ليسوا) : ساقطة من (ظ) .

أقرب من نفعه إله ، والكافر لا يقول ذلك ؟ قيل : إِنَّ ذَلِكَ عَلَى حِكَايَةِ^(١) قَوْلِنَا^(٢) نحن فيه أي يقول لمن ضره أقرب من نفعه عندنا وفي قولنا إله عنده . وقد جاءت هذه الحكاية عنهم مجيئاً واسعاً من ذلك قوله تعالى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [الدخان: ٤٩] وقوله : ﴿ يَتَأْتِيَهُ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ [الزخرف: ٤٩] وقالوا هذا بعد إيمانهم وتقديره : يا أيها الساحر ، عند أولئك الذين يدعونك ساحراً ، فأما نحن فنعلم^(٣) أنك لست بساحر . انتهى كلامه^(٤) .

وهذا القول أَنَّ ﴿ يَدْعُوا ﴾ بمعنى : يقول وهو قول الأخفش ذكره في كتابه^(٥) ، واختيار المبرّد .

قال المبرّد : يدعو بمعنى : يقول ، كقول^(٦) القائل : ما يدعى فلان فيكم ؟ أي ما يقال له ؟ فمعناه : يقول لمن ضره أقرب من نفعه إله ، فالخبر^(٧) محذوف لما دل عليه من قوله ﴿ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ .

قال أبو علي : فأما قوله : يجوز أن يكون ﴿ يَدْعُوا ﴾^(٨) في معنى يسمى ، فقول ممتنع غير جائز في الآية ، وقد أجاز سيبويه فقال : تقول : دعوته زيدا إذا أردت معنى سميته فتعديه إلى مفعولين^(٩) . والذي منع من [إجازة ذلك في الآية دخول

(١) في (ظ) و(د) و(ع) : (الحكاية) .

(٢) في (ظ) : (وقولنا) .

(٣) في (ظ) و(د) و(ع) : (نعلم) .

(٤) سر صناعة الإعراب ١ / ٤٠٤-٤٠٦ مع تقديم وتأخير وتصرف .

(٥) معاني القرآن للأخفش ٢ / ٦٣٥ ، ٦٣٦ .

(٦) في (ظ) و(د) و(ع) : (كما يقول القائل) .

(٧) في (ظ) : (والخبر) .

(٨) في (أ) : (يدعوه) .

(٩) الكتاب ١ / ٣٧ .

لام^(١) الابتداء في الكلام ، وإذا حملة على هذا التأويل لزمه أن^(٢) يعلقه ، لأنه لا يعمل في اللفظ . والتعليق^(٣) فيه لا^(٤) يجوز ؛ لأنّ التعليق إنّما يجوز في ما^(٥) يجوز فيه الإلغاء^(٦) ، وهو علمت وبابه ، ولو جاز التعليق^(٧) في سَمِيت لجاز أن تقول : سميت^(٨) أخوك زيد ، كما تقول : علمت لزيد منطلق . وهذا قول الخليل وسيبويه وجميع البصريين^(٩) . إذ التعليق لا يجوز في ما عدا علمت وبابه ، والبيت الذي أنشده يجوز أن يكون (يدعو) فيه بمعنى يسمى ؛ لأنه لا شيء فيه يمنع من ذلك كما منع منه في الآية دخول اللام . ألا ترى أنّ^(١٠) قوله :

وكنّت أدعو قذاها الإثمَدَ القردا

-
- (١) في (ظ) و(د) و(ع) : (اللام) .
 (٢) ما بين المعقوفين في حاشية (د) ، وعليه علامة التصحيح .
 (٣) التعليق : هو إبطال عمل الفعل القلبي لفظاً لا محلاً مانع ، وسمي تعليقاً لأنه إبطال في اللفظ مع تعليق العامل بالمحل وتقدير إعماله .
 انظر : شرح التسهيل لابن عقيل ١/ ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، وجمع الهوامع للسيوطي ١/ ١٥٥ ، ومعجم المصطلحات النحوية لمحمد اللبدي ١٥٥ .
 (٤) في (ظ) و(د) و(ع) : (فلا) .
 (٥) في (أ) : (فيها) ، وهو خطأ .
 (٦) الإلغاء : هو إبطال العمل لفظاً ومحلاً لغير مانع لضعف العامل .
 انظر : شرح التسهيل لابن عقيل ١/ ٣٦٤ ، وجمع الهوامع ١/ ١٥٣ ، وموسوعة النحو والصرف لإميل بديع ٢٦١ .
 (٧) في (د) و(ع) : (التعلق) .
 (٨) انظر : الإغفال ٢/ ١٠٧٨ .
 (٩) انظر : الكتاب ٣/ ١٤٩ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٧/ ٨٦ ، وأوضح المسالك لابن هشام ١/ ٣١٣-٣١٧ ، وجمع الهوامع للسيوطي ١/ ١٥٣ ، ١٥٤ .
 (١٠) في (ظ) : (إلى) .

أنه بمنزلة^(١) (كنت أدعو أخاك زيدا) . فلا يجوز أن يكون (يدعو) بمعنى يسمى في الآية كما جاز [في تأويله الذي]^(٢) في^(٣) هذا البيت^(٤) .

قال أبو إسحاق : وفيها وجه رابع وهو الذي أغفله الناس : أن ﴿ذَلِكَ﴾ في موضع نصب بوقوع ﴿يَدْعُوا﴾ عليه ، ويكون ﴿ذَلِكَ﴾ في تأويل الذي ، ويكون المعنى الذي هو الضلال البعيد يدعو ، ويكون ﴿لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ مستأنفاً . وذا مثل قوله : ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَّى﴾ [طه : ١٧] على معنى : ما التي بيمينك ؟^(٥) .

قال أبو علي : وهذا الوجه هو الحسن ، أعني أن يتأول^(٦) ﴿ذَلِكَ﴾ بمعنى (الذي) ، ويجعل قوله ﴿هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ صلته ، ويجعل^(٧) الموصول في موضع نصب^(٨) ، فتكون اللام حينئذ داخلاً^(٩) على اسم مبتدأ موصول ، وقوله : ﴿لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ في موضع رفع لوقوعه خبر المبتدأ ، واللام التي في^(١٠) قوله : ﴿لَيْسَ الْمَوْلَىٰ﴾ لام اليمين ، وهي التي إذا دخلت على المضارع لزمته النون ، وهذا ما يجب أن تحمل الآية عليه^{(١١)(١٢)} .

(١) في (ظ) و(د) و(ع) : (بمعنى كنت) .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) و(د) و(ع) .

(٣) (في) : ساقطة من (أ) .

(٤) الإغفال للفارسي ١٠٧٣/٢ - ١٠٧٨ بتصرف .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤١٦/٣٠ .

(٦) في (أ) : (تناول) ، وهو خطأ .

(٧) في (ظ) : (ويحتمل) .

(٨) في الإغفال : (نصب يدعو) .

(٩) في (ظ) و(د) و(ع) : (داخل) ، وهو خطأ ، وفي الإغفال : (فتكون اللام حينئذ داخلة) .

(١٠) (في) : ساقطة من (ظ) .

(١١) في (ظ) و(د) و(ع) : (ما يجب على الآية) .

(١٢) الإغفال للفارسي ١٠٦٢/٢ ، ١٠٦٣ مع تصريف .

وتعقّب الموصلي هذا القول وزاده بياناً ، وقال : وجه هذا القول أن تجعل (ذلك) بمنزلة (الذي) وتجعل الجملة التي هي قوله : ﴿هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ صلة له ، وتنصب^(١) (ذلك) التي بمعنى (الذي) بـ(يدعو) ، فيصير التقدير : يدعو الذي [هو الضلال البعيد ، ثم تقدم المفعول الذي]^(٢) هو (الذي) ، فصار كما تقول : زيد يضرب^(٣) ، و(ذلك) قد استعملت بمعنى (الذي) نحو قوله : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩] في من رفع الجواب فقال ﴿قُلِ الْغَفْوُ﴾^(٤) . وقد ذكرنا هذا في ما تقدّم .

هذا الذي ذكرنا هو الأقوال التي ذكرها أبو إسحاق في كتابه ، وكلام الإمامين أبي علي وأبي الفتح عليها .

ثم ذكر أبو علي من عند نفسه قولاً خامساً وهو : أن تجعل يدعو في قوله : ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُ﴾ تكراراً للفعل الأول على جهة تكثير هذا الفعل الذي هو الدعاء من فاعله ، ولا تعديده إذ قد عديته مرة . هذا كلامه^(٥) .

وشرحه أبو الفتح فقال : يجعل^(٦) ﴿يَدْعُوا﴾ تكراراً لـ ﴿يَدْعُوا﴾ الأولى وهو قوله : ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ، وترك إعمال الثاني ؛ لأنّها قد أعملت متقدمة ، فاستغني فيها عن إعادة العمل ، كما تقول : ضربت زيدا ضربت . حكى ذلك

(١) في (ظ) و(د) و(ع) : (وانتصب) ، والمثبت من (أ) ، وسر صناعة الإعراب .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٣) العبارة في سر صناعة الإعراب : ثم يقدم المفعول الذي هو (الذي) فيصير التقدير : الذي هو الضلال البعيد يدعو ، كما تقول : زيدا يضرب . و(ذا) . . .

(٤) سر صناعة الإعراب لابن جني ٤٠٣/١ .

(٥) الإغفال للفارسي ١٠٦٢/٢ .

(٦) (يجعل) : ساقط من (ظ) و(د) و(ع) .

سيبويه ، وتكون اللام في ﴿لَمَنْ﴾ لام الابتداء و﴿مِنْ﴾ مرفوعة بالابتداء ، وقوله :
﴿لَيْسَ الْمَوْلَى﴾ خبر ﴿مِنْ﴾^{(١)(٢)} . على ما بينا في القول الثاني .

وقال الفرّاء في هذه الآية : جاء التفسير : يدعو من ضره أقرب من نفعه ، وكذا هو في قراءة عبدالله^(٣) (يدعو من ضره) وقد حالت اللام بين الفعل والمفعول في قراءة العامة . ولم نجد العرب تقول : ضربت لأخاك ، ولا رأيت لزيداً . وترى أن جواز ذلك في الآية لأن (من) حرف لا يتبين فيه^(٤) الإعراب ؛ فاستجيز الاعتراض باللام دون الاسم . وذكر عن العرب أنهم قالوا : عندي لما غيره خير منه ، فحالوا باللام من دون الرفع ، وموقع اللام كان ينبغي أن يكون في ﴿صَرُّهُ﴾^(٥) وفي قولك : عندي ما لغيره خير منه . فهذا وجه^(٦) .

واعتمد ابن الأنباري هذا فذكره في كتاب الوقف والابتداء^(٧) .

وأما معنى الآية : فقال السدي : ضره في الآخرة بعبادته^(٨) إياه أقرب من النفع^(٩) .

(١) في (ظ) : (خبره من ضره) ، وفي (د) و(ع) : (خبر من ضره) .

(٢) سر صناعة الإعراب ١/ ٤٠٢ ، ٤٠٣ .

(٣) انظر : الطبري ١٧/ ١٢٤ ، والشواذ لابن خالويه ٩٤ ، والثعلبي ٣/ ٤٨ أ ، والقرطبي ١٢/ ٢٠ ، والبحر المحيط ٦/ ٣٥٧ .

(٤) في (أ) : (فيها) .

(٥) في (ظ) و(د) و(ع) : (خبره) ، وهو خطأ .

(٦) معاني القرآن ٢/ ٢١٧ . وتتمته : هذا وجه القراءة للتأني .

(٧) انظر : إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٨٧١ .

(٨) في (أ) : (بعبادة) ، وهو خطأ .

(٩) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور للسيوطي ٦/ ١٥ .

قال الزَّجَّاج : فإن قال قائل : كيف يقال : ﴿أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ ولا نفع ^(١) من قبله ألبتة . فالعرب تقول لما لا يكون : هذا بعيد . والدليل على ذلك قوله : ﴿إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣] هذا كلامه ^(٢) .

ومعنى هذا ^(٣) : أنه لما كان يقال لما لا يكون : هذا بعيد ، فنفع الصنم بعيد ؛ لأنه لا يكون ، فلما كان نفعه بعيداً قيل : لضره أنه ^(٤) أقرب من نفعه ، على معنى أنه كائن ^(٥) .

- (١) في (أ) : (ولا يقع) ، وهو خطأ .
 (٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣ / ٤١٥ .
 (٣) في (ظ) و(د) و(ع) : (ومعنى الآية هذا) .
 (٤) (أنه) : ليست في (ظ) و(د) و(ع) .
 (٥) ذكر البغوي في تفسيره ٥ / ٣٦٩ أن هذه الآية يعني قوله : ﴿لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ من مشكلات القرآن ثم قال : وفيها أسئلة . أولها : قالوا : قد قال الله في الآية الأولى ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ ، وقال هاهنا ﴿لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ فكيف التوفيق بينهما ؟ وللعلماء أجوبة أخرى أقربها جوابان :

الأول : ما ذكره أبو حيان في البحر ٦ / ٣٥٥ بقوله : ونفى هنا الضر والنفع وأثبتهما في قوله ﴿لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ وذلك لاختلاف المتعلق ، وذلك أن قول : ﴿وَمَا لَا يَنْفَعُهُ﴾ هو الأصنام والأوثان ، ولذلك أتى التعبير عنها بـ(ما) التي لا تكون لأحد من يعقل ، وقوله : ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ﴾ هو من عبد باقتضاء ، وطلب من عابديه من المدعين الإلهية كفرعون وغيره من ملوك بني عبيد الذين كانوا بالمغرب ثم ملكوا مصر فإنهم كانوا يدعون الإلهية ويطاف بقصرهم في مصر وينادون مما ينادى به رب العالمين من التسييح والتقديس ، فهو لاء - وإن كان منهم نفع لعابديهم في دار الدنيا - فضررهم أعظم وأقرب من نفعهم ؛ إذ هم في الدنيا مملوكون للكفار وعابدون لغير الله ، وفي الآخرة معذبون العذاب الدائم ، ولهذا كان التعبير هنا بـ(من) التي هي لمن يعقل . قال الشنقيطي في أضواء البيان ٥ / ٤٧ بعد ذكره لجواب أبي حيان : وله اتجاه .

ثم ذكر البغوي : قول السدي وكلام الزَّجَّاج من غير نسبة لهما ، واقتصر عليه .
 الثاني : ما ذكره أبو العباس ابن تيمية في الفتاوى ١٥ / ٢٦٩ - ٢٧٥ وخلاصة جوابه : أن قوله تعالى : ﴿وَمَا لَا يَضُرُّهُمْ وَوَمَا لَا يَنْفَعُهُ﴾ هو نفى لكون المدعو المعبود من دون الله يملك نفعاً أو ضرراً ، وهذا يتناول كل ما سوى الله من الملائكة والبشر والجن والكواكب والأوثان كلها ، فما سوى الله لا يملك لنفسه ولا لغيره ضرراً ولا نفعاً ، كما قال الله - تعالى - في سياق نهيه عن عبادة المسيح :

وقوله : ﴿لَيْسَ الْمَوْلَى﴾ ؛ أي الناصر ، ﴿وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ ؛ أي الصاحب والمخالط .

قال المبرد : والعشير : المعاشر وهو المخالط . والعشيرة تأويلها : المجتمععة إلى أب واحد . وقولهم : بُرمة ^(١) أعشار ، إنها هي كسور عن أصل واحد ^(٢) .

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٦] . وقد قال لخاتم الرسل : ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] . وقال على العموم : ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضَرِّيَ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِي قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨] . فالمنفي في قوله : ﴿مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ﴾ هو قدرة من سوى الله على النفع والضرر ، فنفى الله فعلهم ، وأما قوله : ﴿ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ فالمثبت اسم مضاف إليه فإنه لم يقل : يضر أعظم مما ينفع ، بل قال : ﴿لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ والشئ يضاف إلى الشئ بأدنى ملاسبة ، فقد يضاف إلى محله وزمانه ومكانه وسبب حدوثه وإن لم يكن فاعلاً كقوله : ﴿بَلْ مَكْرٌ آتِيلٌ وَالنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] ، وكقول الخليل عن الأصنام : ﴿رَبِّ إِيْمَنَ أَضَلَّكَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦] فسبب الإضلال إليه . ولا ريب أن بين المعبود من دون الله وبين ضرر عابديه تعلق يقتضي الإضافة . فما يدعى من دون الله هو لا ينفع ولا يضر ، ولكن هو السبب في دعاء الداعي له وعبادته إياه . وعبادة ذلك ودعاؤه هو الذي ضره ، فهذا الضر المضاف إليه غير الضر المنفي عنه . فضرر العابد له بعبادته يحصل في الدنيا والآخرة وإن كان عذاب الآخرة أشد . اهـ .

وقد ارتضى هذا الوجه في الجمع ابن عاشور في التحرير والتنوير ٢١٦/١٧ حيث قال : ولما كان الضرُّ الحاصل من الأصنام ليس ضرراً ناشئاً عن فعلها بل هو ضرر ملابس لها أثبت الضر بطريق الإضافة للضمير من دون طريق الإسناد إذ قال تعالى : ﴿لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ ولم يقل : لمن يضر ولا ينفع ؛ لأن الإضافة أوسع من الإسناد فلم يحصل تنافي بين قوله : ﴿مَا لَا يَضُرُّهُ﴾ وقوله : ﴿لَمَنْ ضَرُّهُ﴾ . اهـ .

(١) في (أ) : (ترمه) ، وهو خطأ . والبُرمة : قدر من حجارة . تهذيب اللغة للأزهري (برم) ٢٢٠/١٥ .

وفي تهذيب اللغة للأزهري (عشر) ٤١١/١ : (والعرب تقول : بُرمة أعشار ؛ أي متكسرة) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (عشر) ٤١١/١ ، والصحاح ٧٤٧/٢ ، ولسان العرب ٥٧٤/٤ .

ولما ذكر الشاك في الدين بالخير^(١) والرجوع إلى الكفر ، وذمه بالخسران
وعبادته ما لا ينفعه ، ذكر^(٢) ثواب المؤمنين فقال :

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية .

١٤ . قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ . قال ابن عباس : يريد أوليائه
وأهل طاعته .

وقال غيره : ﴿يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ؛ فيعطي ما شاء^(٣) من كرامته أهل طاعته ، وما
شاء^(٤) من الهوان أهل^(٥) معصيته^(٦) .

وهذا يدل على تكذيب^(٧) من^(٨) زعم أن المؤمن يدخل الجنة باستجابة^(٩)
ذلك على الله بطاعته^(١٠) . وعلى تصديق قول^(١١) الرسول ﷺ : «لن يدخل الجنة
أحدٌ إلا برحمة الله»^(١٢) .

(١) في (ظ) : (بالخير) .

(٢) في (ظ) : (وذكر) .

(٣) في (ظ) و(د) و(ع) : (وقوله) .

(٤) في (ظ) : (يشاء) ، في الموضعين .

(٥) في (ظ) : (لأهل) .

(٦) هذا قول الطبري ١٧ / ١٢٥ بنصه .

(٧) (تكذيب) : ساقطة من (ظ) و(د) و(ع) .

(٨) في (ظ) و(د) و(ع) : (أن) ، وهو خطأ .

(٩) (باستجابة) مهملة في (أ) و(ظ) و(د) ، والمثبت من (ع) .

(١٠) هذا قول المعتزلة . انظر : الملل والنحل للشهرستاني ١ / ٤٥ .

(١١) (قول) : ساقطة من (ظ) .

(١٢) روي هذا الحديث بعدة ألفاظ ، أقربها إلى لفظ المصنف رواية الإمام أحمد في مسنده ٢ / ٣٩٠ من
حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

ورواه البخاري في صحيحه في كتاب المرضى ، باب تمنى المريض الموت ١٠ / ١٢٧ ، ومسلم في صحيحه

في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله ، بل برحمة الله ٤ / ٢١٧٠ =

ورحمته : إرادته الخير^(١) .

١٥ . قوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ . أكثر أهل التفسير على أن الهاء في ﴿يَنْصُرُهُ﴾ كناية عن محمد ﷺ^(٢) .

قال ابن عباس : يريد أن لن ينصر الله محمداً^(٣) .

وهو قول قتادة^(٤) ، والسدي ، والكلبي^(٥) ، وابن زيد^(٦) ، واختيار الفرّاء والزجاج .

قال الزجاج : أي من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً حتى يظهره على الدين كله فليمت غيظاً ، وهو تفسير قوله : ﴿فَلْيَمْدُدْ سَبَبَ إِلَى السَّمَاءِ﴾^(٧) فليشد حبلاً في سقفه^(٨) ﴿ثُمَّ لَيَقَطَّعْ﴾ أي ليمد الحبل حتى ينقطع^(٩) فيموت مختنقاً^(١٠) .

بلفظ : (لن يُدخل أحداً منكم عمله الجنة قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا . إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة .

(١) هذا تأويل . والصواب أن الرحمة صفة من صفات الله وصف بها نفسه ، ووصفه بها رسوله . فنشئها الله سبحانه ، من غير تعطيل ولا تحريف ولا تكيف ولا تمثيل .

(٢) الكشف والبيان : للثعلبي ٤٨/٣ ب ، وانظر : الطبري ١٧/١٢٥-١٢٧ .

(٣) رواه الطبري ١٧/١٢٦ ، ١٢٧ ، والحاكم في مستدركه ٢/٣٨٦ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/١٥ وعزه للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه .

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره ٢/٣٣ ، والطبري ١٧/١٢٦ .

(٥) ذكره عن السدي والكلبي الرازي ٢٣/١٥ ، وأبو حيان في البحر ٦/٣٥٧ .

(٦) رواه الطبري ١٧/١٢٦ ، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٦/١٦ .

(٧) في (ظ) : (من) ، وهو خطأ .

(٨) في (أ) : (شقفه) .

(٩) في (ظ) زيادة : (الحبل) ، بعد قوله (ينقطع) ، وليست عند الزجاج .

(١٠) معاني القرآن للزجاج ٣/٤١٧ .

وقال الفرّاء : من كان منكم يظن أن الله لن ينصر محمداً^(١) بالغلبة حتى يظهر دين الله فليجعل في سماء بيته حبلاً ثم ليختنق ، فذلك قوله : ﴿ثُمَّ لَيَقَطَّعَ﴾^(٢) أي اختناقاً . وفي قراءة عبدالله : (ثم ليقطعه) يعني السبب^(٣) .

وعلى هذا القول ، النصر معناه : حسن المعونة وعون المظلوم والإظهار بالغلبة .

ومعنى (فليقطع) فليختنق في قول جميع المفسرين^(٤) .

ووجه ما ذكره^(٥) الزّجاج والفرّاء أنه يقطعه بجذبه إياه حتى ينقطع ، فيموت اختناقاً .

وذكر الأزهري وجهاً آخر فقال : أجمع المفسرون على أن تأويل قوله : ﴿ثُمَّ لَيَقَطَّعَ﴾ ثم ليختنق ، وهو محتاج إلى شرح يزيد في بيانه ، ومعنى ﴿لَيَقَطَّعَ﴾ ليمد الحبل مشدوداً على حلقة مدداً شديداً حتى يقطع^(٦) حياته ونفسه خنقاً^(٧) .

وعلى هذا ، معنى ﴿لَيَقَطَّعَ﴾ ليقطع نفسه . والقول هو الأول ، ويدل عليه قراءة عبدالله : (ليقطعه) بالهاء الراجع إلى السبب .

(١) العبارة في (ظ) و(د) و(ع) : (أن لن ينصر الله محمداً) ، وما أثبتنا من (أ) هو الموافق لمعاني الفرّاء .

(٢) في (ظ) و(د) و(ع) زيادة : (فذلك) بعد قوله (ثم ليقطع) ، ولا معنى لها .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢١٨ .

(٤) القول بأن معنى (فليقطع) فليختنق في قول المفسرين جميعهم محل نظر ، فقد قيل : (فليقطع) ؛ أي فليقطع النصر أو الوحي عن محمد ﷺ إن تهيأ له ذلك . انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣ / ٩٠ ، والنكت للهاوردي ٤ / ١٢ ، وزاد المسير ٥ / ٤١٤ .

(٥) في (أ) : (ذكرناه) ، وهو خطأ .

(٦) في (ظ) : (تنقطع) .

(٧) تهذيب اللغة للأزهري (قطع) ١ / ١٨٨ .

قال الأزهري : والمعنى : فليختنق غيظاً حتى يموت ، فإن الله ^(١) مظهره ولا ينفعه غيظه ^(٢) .

قوله تعالى : ﴿ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ ﴾ ؛ أي صنيعه وحيلته ﴿ مَا يَغِيظُ ﴾ . (ما) بمعنى المصدر ؛ أي هل يذهبن كيده غيظه ؟ ويجوز أن يكون (ما) بمعنى : (الذي) ، والمعنى ^(٣) : هل يذهبن كيده الذي يغيبه ؟ ^(٤) .

والأول قول الفرّاء والزّجاج ^(٥) . ويقال : غطتُ فلاناً أغيبه غَيْظاً ^(٦) .

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي : غاظه وأغاظه وغَيَّظه بمعنى واحد ^(٧) .

وشرح ابن قتيبة هذه الآية على هذا القول بأبلغ بيان فقال : كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحقنهم على المشركين يستبطؤون ما وعد الله رسوله ^(٨) من النصر ، وآخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون أن لا يتم له أمره ، فقال الله : ﴿ مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ ﴾ يعني محمداً ﷺ على مذهب العرب في الإضمار لغير المذكور ^(٩) ، وهو يسمعي أعداه النصر والإظهار والتمكين ، أو كان ^(١٠) يستعجل به قبل الوقت الذي قضيت أن يكون ذلك فيه : ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ ﴾ ؛

(١) لفظ الجلالة لم يرد في (د) و(ع) . وفي (ظ) : (فإنه مظهره) .

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (نصر) ١٢ / ١٦٠ وفي المطبوع : (ولا ينفعه موته خنقاً) .

وفي اللسان ٥ / ٢١٠ : (ولا ينفعه غيظه وموته خنقاً) . فيظهر أن (غيظه) ساقطة من المطبوع .

(٣) في (ظ) و(د) و(ع) : (وهو المعنى) .

(٤) تفسير الطبري ١٧ / ١٢٨ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣ / ٤٨ ب .

(٥) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢١٨ ، ومعاني القرآن للزّجاج ٣ / ٤١٧ .

(٦) تهذيب اللغة للأزهري (غاظ) ٨ / ١٧٣ نقلاً عن الليث . وهو في العين (غيظ) ٤ / ٤٣٩ .

(٧) تهذيب اللغة للأزهري (غاظ) ٨ / ١٧٣ عن ثعلب ، عن ابن الأعرابي .

(٨) في (أ) : (ورسوله) ، وما أثبتناه هو الموافق للمشكل ٣٥٨ .

(٩) العبارة في (ظ) و(د) و(ع) : (لغيره في الإضمار المذكور) . وهي عبارة غير مفهومة .

(١٠) في (ظ) و(د) و(ع) : (إذ كان) ، وفي المشكل ٣٥٨ : (وإن كان) .

أي بحبل ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ ؛ يعني سقّف البيت ، وكل شيء علاك^(١) وأظلك فهو سماء ، والسحاب : سماء ، يقول الله : ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا﴾^(٢) [ق: ٩] ، وقال سلامة بن جندل^(٣) يذكر قتل^(٤) كسرى النعمان^(٥) .

هُوَ الْمُدْخِلُ النَّعْمَانَ بَيْتًا سَمَاءُ

نُحُورُ الْفُيُولِ^(٦) بَعْدَ بَيْتِ مُسَرْدَقٍ^(٧)

- (١) في (أ) : (وكل ما علاك) ، والمثبت هو الموافق للمشكل ٣٥٨ .
- (٢) في النسخ جميعها : (وأنزلنا) ، وهو خطأ .
- (٣) هو سلامة بن جندل بن عبد عمرو ، من بني كعب بن سعد التميمي ، أبو مالك . شاعر جاهلي قديم ، وهو من فرسان تميم المعدادين ، في شعره حكمة وجودة ، وهو ممن يصف الخيل فيحسن . طبقات فحول الشعراء ١ / ١٥٥ ، والشعر والشعراء ١٦٦ ، وخزانة الأدب ٤ / ٢٩ ، والأعلام للزركلي ٣ / ١٠٦ .
- (٤) في (أ) : (قبل) ، وفي (د) : (قبل) : بإهمال ثانية . ومهملة في (ظ) و(ع) .
- (٥) هو النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرئ القيس اللخمي ، أبو قابوس . من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية ، ملك الحيرة بعد أبيه ، وكانت تابعة للفرس ، وهو صاحب إيفاد العرب على كسرى ، نقم عليه كسرى أمراً فعزله وسجنه حتى مات ، وقيل ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته ، فهلك نحو ١٥ ق . هـ . انظر : الكامل لابن الأثير ١ / ٢٤٦ ، والبداية والنهاية ١ / ١٩٩ ، والأعلام للزركلي ٨ / ٤٣ .
- (٦) في (أ) : (القبول) .
- (٧) البيت أنشده ابن قتيبة لسلامة في مشكل القرآن ٣٥٨ . وهو في ديوانه ١٨٤ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ / ٣٩٩ ، ومنه (المولج) في موضع (المدخل) ، و(صدور) في موضع (نحور) . والطبري ١٥ / ٢٣٨ بمثل رواية أبي عبيدة ، ولسان العرب ١٠ / ١٥٨ وفيه صدور .
- وبيت مُسَرْدَق : هو أن يكون أعلاه وأسفله مشدوداً كله . لسان العرب (سردق) ١٠ / ١٥٨ ، والقاموس المحيط ٣ / ٢٤٤ .

يعني : سقفه ، وذلك أنه أدخله بيتاً فيه فيلة فتوطأته حتى قتلتها^(١) . وقوله^(٢) : ﴿ثُمَّ لَيَقَطَّ﴾ . قال المفسرون : ليختنق . وقوله : ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ﴾^(٣) ؛ هل يذهب ذلك ما^(٤) في قلبه ؟ .

وفعل هذا رجل وَعَدْتَهُ شيئاً مرة بعد مرة ، ووكدت على نفسك الوعد^(٥) ، وهو يراجعك في ذلك ، ولا تسكن نفسه إلى قولك ، فتقول له : إن كنت لا تثق بها أقول ، فاذهب فاختنق^(٦) . تريد : اجهد جهدك . هذا معنى قول المفسرين . انتهت الحكاية عنه^(٧) .

ومعنى : ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ إلى آخر الآية ، إنما أمر بالخنق لا على وجه الإلزام ، ولكن^(٨) إشارة إلى أنه لا حيلة له ، وليس يتوصل إلى تقديم النصر قبل وقته ، وإخراج ما يظن من^(٩) أن محمداً - عليه السلام - لا ينصر عن قلبه فلم يبق له^(١٠) إلا الخنق ليستريح^(١١) من غيظه بتأخر النصر عن محمد ﷺ كما قال الشاعر :

إِنْ كُنْتَ لَا تَرْضَى بِمَا قَدْ تَرَى^(١٢) فَدُونَكَ الْحَبْلُ بِهِ فَاخْتَنْقِ^(١٣)

(١) في (أ) : (فيه قبله) ، انظر : قصة قتل كسرى للنعمان في الكامل لابن الأثير ١ / ٢٨٧-٢٨٩ ، وخزانة الأدب للبغدادى ٣ / ٣٨٣-٣٨٦ .

(٢) في (أ) : (قوله) .

(٣) من بعد (فليَنظُرْ) ساقط من (ظ) و(د) و(ع) .

(٤) في (ظ) : (مما) .

(٥) في (ظ) و(د) و(ع) : (الوعيد) ، وهو خطأ .

(٦) في (أ) : (واختنق) .

(٧) مشكل القرآن لابن قتيبة ٣٥٨ ، ٣٥٩ مع اختلاف يسير .

(٨) في (ظ) و(د) و(ع) : (لكن) .

(٩) (من) : زيادة من (أ) .

(١٠) (له) : ليست في (ظ) و(د) و(ع) .

(١١) في (أ) : (لتستريح) .

(١٢) في (أ) : (إن كنت لا ترى بما قد ترضى) ، وهو خطأ .

(١٣) لم أهد لهذا البيت .

أي لا سبيل إلى تغييره^(١)، فإن غاظك ما تراه ولا ترضاه فخذ الجبل واخنتق حتى تستريح .

وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من أسد وغطفان^(٢) تباطؤوا عن الإسلام ، وقالوا نخاف أن لا ينصر محمد فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود فلا يمironنا^(٣) ولا يؤوننا ، فنزلت هذه الآية ذماً لهم على هذا الظن ، واستعجأهم ما^(٤) قد وعدهم^(٥) الله^(٦) .

ولابن زيد طريق آخر في تفسير هذه الآية ، وهو أن جعل السماء في قوله : ﴿فَلْيَمْدُدْ سَبَبٌ إِلَى السَّمَاءِ﴾ السماء المعروفة ، وقال : معناه : من كان يظن^(٧) أن لن ينصر الله نبيه ، ويكأيد^(٨)ه في أمره ، فليقطع ذلك من أصله من حيث يأتيه ، فإن

(١) مهمل في (أ) .

(٢) أسد : قبيلة عظيمة ، تنسب إلى أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وهذه ذات بطون كثيرة .

انظر : جهمرة أنساب العرب لابن حزم ١١ ، ٤٧٩ ، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي ٤٧ ، ٤٨ ، ومعجم قبائل العرب لكحالة ٢١ / ١ .

وغطفان : بطن عظيم متسع كثير الأفخاذ ، وهم بنو غطفان بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

انظر : الجهمرة ٢٤٨ ، ونهاية الأرب ٣٤٨ ، ومعجم قبائل العرب لكحالة ٣ / ٨٨٨ ، ٨٨٩ .

(٣) يمironنا : يعني : يجلبوا لنا الطعام . لسان العرب (مير) ٥ / ١٨٨ .

(٤) في (ظ) : (بها) .

(٥) في (أ) : (وعده) .

(٦) ذكره الطبري ١٧ / ١٢٨ من غير سند ، وذكره ابن الجوزي ٥ / ٤١٢ عن مقاتل . وهو في تفسير مقاتل ٢ / ٢١١ أ .

(٧) في (أ) : (نظر) ، وهو خطأ .

(٨) في (أ) : (لكأيد) .

أصله في السماء ، فذلك قوله : ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾ عن النبي ﷺ الوحي الذي يأتيه من الله ، فليُنظر هل يقدر على إذهاب^(١) غيظه بهذا الفعل ؟^(٢) .

وهذا التفسير لا يوافق معنى قوله : ﴿مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾^(٣) ؛ لأن من ظن ذلك لا يقال له : إن كنت تظن أنه غير منصور فاقطع النصر عنه . ولو كان أول الكلام : من يغيظه أن ينصره الله ، أو ما أشبه هذا ؛ حجج^(٤) تفسير ابن زيد ، وليس في أوائل الآية^(٥) : من أراد أن يكايده ، أو يقطع النصر عنه ، أو شيء من هذا المعنى الذي بنى ابن زيد تفسير باقي الآية عليه .

هذا الذي ذكرنا كله على قول من يقول : الهاء في ﴿يَنْصُرُهُ﴾ كناية عن النبي ﷺ .

ومذهب مجاهد والضحاك^(٦) : أن الهاء كناية عن (من) في قوله : ﴿مَنْ كَانَتْ﴾ .

(١) في (أ) : (ذهاب) .

(٢) ذكر عنه بهذا اللفظ الثعلبي في الكشف والبيان ٤٨/٣ ب .

وقد رواه الطبري ١٧/١٢٦ ، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ١٦/٦ بنحوه .

(٣) في (أ) : (ينصر الله) ، وهو خطأ .

(٤) في (أ) : (أصح) ، وهو خطأ .

(٥) في (ظ) و(د) و(ع) : (أوآخر) .

(٦) يظهر أن الواحدي اعتمد في نسبة هذا القول على الطبري ، فقد قال الطبري في تفسيره ١٧/١٢٧ ، وقال آخرون : الهاء في (ينصره) من ذكر (من) . . . ثم قال الطبري : ذكر من قال ذلك . ثم ذكر الطبري آثاراً عن مجاهد وغيره ، ثم قال ١٧٥/١٢٨ : حدث عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ : بحبل ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ يعني : سماء البيت . اهـ .

والنص كما ترى ليس فيه ما يدل على أن الضحاك يرى أن الهاء عائدة إلى (من) .

وقد جاء عن الضحاك ما يخالف ما نسب إليه ، فقد روى عبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر المنثور ١٦/٦ عنه في الآية قال : من كان يظن أن لن ينصره الله محمداً ، فليجعل جبلاً في سماء بيته ، فليختنق به ، فليُنظر هل يغيظ ذلك إلا نفسه ؟ .

قال مجاهد : ﴿مَنْ كَانَتْ يَطْنُ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ ؛ أَنْ لَنْ يَرْزُقَهُ اللَّهُ ^(١) .

وهذا القول هو اختيار أبي عبيدة ، قال : ﴿أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ ؛ أَنْ لَنْ يَرْزُقَهُ ^(٢) .
قال : ووقف علينا رجل من بني أبي بكر ^(٣) بن كلاب فقال : من ينصرني نصره
الله . أي من يعطيني أعطاه الله . وأنشد للراعي :

أبوك الذي أجدى عليَّ بَنَصْرِهِ فأنصت عني بعده كُلَّ قائل ^(٤)
وأصل هذا من قولهم : نصرت السماء أرض كذا ، إذا سَقَتْهَا ^(٥) .

(١) رواه الطبري ١٧/١٢٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/١٥ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر .

(٢) في (د) و(ع) : ﴿أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ﴾ أَنْ لَنْ يَرْزُقَهُ .

(٣) في المطبوع من المجاز ٢/٤٦ : بني بكر ، وأشار المحقق إلى أنه في نسخة : بني أبي بكر . وما ذكره الواحدي هنا من قوله : (ابن كلاب) ليس في المجاز لأبي عبيدة ، فيحتمل أن يكون السائل من بني أبي بكر كما وقع في إحدى نسخ المجاز ، وكما نسب الواحدي إلى بني أبي بكر بن كلاب ، وهو كما قال ابن الأثير في تهذيب الأنساب ١/١٧٠ نسبة إلى أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، واسمه عبيد ، ينسب إليه كثير . اهـ .

ويحتمل أن يكون السائل من بني بكر كما وقع في بعض نسخ المجاز وهو كما قال ابن الأثير (١٧٠٨) : نسبة إلى بكر بن وائل ، أبو بكر بن عبدمناة من كنانة بن خزيمة ، أو بكر بن عوف بن النخع .
وقد وقع عند ابن الجوزي ٥/٤ ، والرازي ٢٣/١٧ ، وأبي حيان ٣/٣٥٧ ، والشنقيطي ٥/٥١ : من بني بكر .

(٤) البيت أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢٥/٤٦ ، ٤٧ .

وهو في ديوانه ٢٠٩ من أبيات يمدح بها يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وفيه (فأسكت) في موضع (فأنصت) . والاشتقاق لابن دريد ١١٠ وفيه : (فأسكت) .

وهو من غير نسبة في تهذيب اللغة للأزهري ١٢/١٥٥ ، واللسان ٢/٩٩ ، وتاج العروس (نصت) ١٢٣/٥ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (نصر) ١٢/١٦٠ ، والصحاح ٢/٨٢٩ ، ولسان العرب ٥/٢١١ .

قال أبو عبيد: نُصِرَت البلاد، فهي منصورة. ونُصِرَ القوم، إذا غِيثُوا^(١). وأنشد^(٢):

من كان أخطاه الربيع فإنَّما نُصِرَ الحجاز بغيث عبدالواحد^(٣)
قال ابن قتيبة على هذا القول: كأنه يريد من كان قانطاً من رزق الله ورحمته
فليفعل ذلك الذي ذكره^(٤) من الاختناق، ولينظر هل يذهب كيده - أي حيلته -
غيظه لتأخر الرزق عنه؟^(٥).

وقوله: ﴿مَا يَغِيْظُ﴾؛ يعني حنقه أن لا يرزق. وهذا ذم على سوء الظن بالله.
وفي قوله: ﴿ثُمَّ لَيَقَطَّعْ﴾ قراءة ثان: كسر اللام وتسكينها^(٦).

والأصل^(٧) الكسر عند الابتداء، فإذا تقدمها الواو والفاء أو (ثم)^(٨) فمن
أسكن مع الفاء^(٩) والواو؛ فلأنهما^(١٠) يصيران كشيء من الكلمة نفسها؛ لأن

(١) هكذا في النسخ جميعها واللسان لابن منظور ٢١١/٥. وفي المطبوع من تهذيب الأزهري: (أعيثوا).

(٢) في (أ): (وأنشد الشاعر فقال).

(٣) قول أبي عبيد وإنشاده في تهذيب اللغة للأزهري ١٢/١٥٩، ١٦٠ منسوباً إليه. والبيت لابن ميادة
يمدح عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك. وهو في ديوانه ١١٢، والوحشيات (الحماسة الصغرى)
لأبي تمام ٢٧٠، وفيه: (يجود) في موضع (يغيث). ومن غير نسبة في تهذيب اللغة للأزهري (نصر)
١٢/١٦٠، والمخصص لابن سيده ٩/١٢١، واللسان (نصر) ٥/٢١١.

(٤) في (أ): (ذكر).

(٥) مشكل القرآن لابن قتيبة ٣٦٠. وليس فيه: الذي ذكره من الاختناق.

(٦) قرأ أبو عمرو، وابن عامر، وورش عن نافع: (ثم ليقطع) بكسر اللام، وقرأ الباقر بسكون اللام:
(ثم ليقطع). السبعة ٤٣٤، ٤٣٥، والتبصرة ٢٦٥، والتيسير ١٥٦، والإقناع ٢/٧٠٥.

(٧) في (ظ) و(د) و(ع): (فالأصل).

(٨) في (أ): (وثم)، والمثبت من باقي النسخ هو الموافق لما في الحجة.

(٩) في (أ): (مع الواو والفاء).

(١٠) في (ظ): (فإنهما)، وهو خطأ.

كل واحد منهما لا ينفرد بنفسه . فسكن اللام ، كما ذكرنا في من سكن (وهي) (فهي)^{(١)(٢)} . وأما (ثم) فإنه ينفصل بنفسه ويسكت عليه ، فليس في هذا كالفاء والواو [ولهذا لم يسكن أبو عمرو بعد (ثم) . ومن سكن بعده شبه الميم من (ثم) بالواو والفاء]^(٣) وجعله كقولهم : (أراك)^(٤) منتفخاً . وعلى هذا قول العجاج :

فَبَاتَ مُنْتَضِباً وَمَا تَكَرَّدَسَا^{(٥)(٦)}

-
- (١) في (أ) : (وفي) ، وهو خطأ .
 (٢) في الحجة للفراسي ٢٧٠ / ٥ : وقبل ذلك قولهم : ﴿وَهِيَ﴾ [هود : ٤٢] ، ﴿فَهِيَ كَالْحَجَارَةِ﴾ [البقرة : ٧٤] .
 (٣) ساقط من (ظ) و(د) و(ع) .
 (٤) في (أ) و(د) : (اذك) ، وفي (ظ) و(ع) : (اداك) ، والتصويب من الحجة ٢٧٠ / ٥ .
 (٥) في (أ) : (بكردشا) .
 (٦) هذا الشطر من الرجز للعجاج بهذه الرواية (منتصباً) في الحجة للفراسي ٤٠٨ / ١ ، ٢٧٠ / ٥ ، والخصائص لابن جني ٣٣٨ / ٢ ، وفي اللسان (نصب) ٧٥٨ / ١ من غير نسبة .
 وروايته في ديوان العجاج ١٣٠ ، وتهذيب اللغة (كردس) ٤٢٣ / ١٠ ، واللسان (كردس) ١٩٥ / ٦ : (فبات منتصباً وما تكردسا) . ولا شاهد فيه على هذه الرواية . وهو يصف فيها حمراً وحشياً ، وبعده :
 إذا أحس نبأة توجساً
 قال الأصمعي في شرحه لديوان العجاج ١٣٠ : (قوله (منتصباً) أي منتصباً . والمكردس : الذي قد رمى بنفسه .

وهذا مما تقدم الكلام فيه . ومن قرأ بعض هذا بالسكون وبعضه بالحركة^(١) من : ﴿ثُمَّ لَيَقَطَّعْ﴾ ، ﴿ثُمَّ لَيَقْضُوا﴾ ، ﴿وَلْيُؤْفُوا﴾ ، ﴿وَلْيَطَوْفُوا﴾ [الحج : ٢٩] ، فإنه أخذ بالوجهين لاجتماعهما في الجواز^(٢) .

١٦ . وقوله : ﴿وَكَذَلِكَ﴾ ؛ أي ومثل ذلك . يعني ما تقدم من آيات القرآن^(٣) . وإن شئت قلت : وهكذا . وهو مذهب مقاتل بن سليمان^(٤) . ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ ؛ أنزلنا القرآن .

﴿أَيَّتِ يَبْتَنِي﴾ . قال ابن عباس : يريد لأهل التوحيد . ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ ؛ أي وأنزلنا إليك أن الله يهدي . قال ابن عباس : يعني^(٥) يرشد إلى دينه ﴿مَنْ يُرِيدُ﴾ .

وهذا الآية دليل على أن ملاك الهدى والضلالة منوط بالإرادة تكديماً للقدرية .

(١) قرأ بعض هذا بالسكون وبعضه بالحركة : أبو عمرو ، وابن عامر في غير رواية ابن ذكوان ، وورش عن نافع ، وابن كثير في رواية قبل .

فقرأ أبو عمرو ، وابن عامر ، وورش عن نافع : (ثم ليقطع) و(ثم ليقضوا) بكسر اللام ، ووافقهم في (ليقضوا) وحدها ابن كثير في رواية قبل .

ووافق هؤلاء المتقدمون بقية القراء في قراءة (وليوفوا) و(وليطوفوا) بإسكان اللام . أما رواية ابن ذكوان عن ابن كثير فبالكسر في المواطن الأربعة .

السبعة ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، والمبسوط لابن مهران ٢٥٧ ، والتبصرة ٢١٥ ، والتيسير ١٥٦ ، والنشر ٣٢٦/٢ .

(٢) من قوله : (والأصل) إلى هنا هذا كلام الفارسي في الحجة ٥/٢٦٩ ، ٢٧٠ مع تصرف . انظر : علل القراءات للأزهري ٢/٤٢٠ ، ٤٢١ ، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٢/٧٣ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٧٣ ، ٤٧٤ .

(٣) انظر : البغوي ٥/٣٧١ ، وزاد المسير لابن الجوزي ٥/٤١٤ ، ٤١٥ .

(٤) تفسير مقاتل ٢/٢١ أ .

(٥) في (ظ) : (يريد) .

١٧. قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ الآية . تقدم الكلام في تفسير هؤلاء الفرق المذكورة^(١) إلى قوله : ﴿ وَالْمَجُوسَ ﴾ .

قال الأزهري : والمجوس معرب ، أصله : منج كُوش ، وكان رجلاً صغير الأذنين ، هو أول من دان بدين المجوس ، ودعاهم إلى المجوسية ، فعربته^(٢) العرب فقالت : مجوس ، وربما تركت العرب صرف مجوس تشبيهاً بالقبيلة وذلك أنه اجتمع فيه التأنيث والعجمة ، ومنه قوله^(٣) :

كَنَارِ مَجُوسٍ تَسْتَعْرِ اسْتِعَارَا

(١) انظر : البسيط ١/ ٧٥٦ ، ٥٧ ، ب أزهرية .

(٢) في (ظ) و(د) و(ع) : (فعربت) .

(٣) هذا عجز بيت أنشده الأزهري في تهذيب اللغة ١٠ / ٦٠٢ من غير نسبة وهو للتوأم الإشكري ، أجاز به شعراً قاله امرؤ القيس ، وكان امرؤ القيس قد نازع التوأم وقال له : إن كنت شاعراً فملط (التمليط : أن يقول الشاعر نصف بيت ويتمه الشاعر الآخر . القاموس المحيط (ملط) ٢ / ٣٨٧) أنصاف ما أقول وأجزها ، فقال التوأم : نعم ، فقال امرؤ القيس :

أصاح أريك برقاً هب وهنا

ويروى :

أحار ترى بُريقاً هب وهنا

فقال التوأم :

كَنَارِ مَجُوسٍ تَسْتَعْرِ اسْتِعَارَا

وهذا البيت مع الخبر في ديوان امرئ القيس ١٧٤ من رواية الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء ، وفي لسان العرب (مجس) ٦ / ٢١٣ ، وتاج العروس للزبيدي (ملط) ٢٠ / ١٢٣ .

ونسب سيبويه في الكتاب ٣ / ٢٥٤ ، والجوهري في الصحاح (مجس) ٣ / ٩٧٧ البيت لامرئ القيس . وهو من غير نسبة في كتاب ما ينصرف وما لا ينصرف للزجاج ٨٢ ، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ٢ / ١٣٩ ، وتاج العروس للزبيدي (مجس) ١٦ / ٤٩٦ .

وقد تمجّس الرجل إذا دان^(١) بدين المجوس ، وتَجَسَّ غَيْرُهُ إذا علّمه دين المجوسية^(٢) .

وقال غير الأزهري : المجوس ، يقال : إنهم سموا بذلك لأن الميم جعلت بدلاً من النون ، كان يقال لهم النجوس^(٣) لنجاستهم وتدينهم باستعمال النجاسة ، وقد تعتقب الميم النون مثل الغيم^(٤) والغين والأيم والأين^(٥) .
والقول ما ذكره الأزهري .

قوله : ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ ؛ يعني مشركي العرب .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ .
قال أبو إسحاق : خبر (إن) الأولى جملة الكلام مع (إن) الثانية^(٦) .

يعني قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ﴾ .

(١) في (أ) : (كان) ، وهو خطأ .

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (مجس) ١٠ / ٦٠١ ، ٦٠٢ .

انظر : الصحاح للجوهري (مجس) ٣ / ٩٧٧ ، ولسان العرب (مجس) ٦ / ٢١٣-٢١٥ .

(٣) في (ظ) و(ع) و(د) : (المجوس) ، وهو خطأ .

(٤) في (أ) : (الغنم والغنن) ، وهو خطأ .

(٥) لم أجد من ذكر هذا القول في ما وقفت عليه من المصادر اللغوية . وقد ذكره باختصار السمين الحلبي في الدر المصون ٨ / ٢٤٥ ولم ينسبه لأحد . والغيم والغين : السحاب . والأيم والأين : الحية .

انظر : الإبدال والمعاقبة والنظائر للزجاج ١٠٠ ، والإبدال لأبي الطيب اللغوي ٢ / ٤٢٣ ، ٤٣٤ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٤١٧ .

قال الفرّاء : وربما قالت العرب : إن أخاك إن الدين عليه لكثير . فيجعلون (إن) في خبره . وأنشد :

إن الخليفة إن الله سرّبله . . . البيت^(١)

وهذا كما ذكرنا^(٢) في قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف : ٣٠] .

قال الفرّاء : وإنما جاز هذا لأن الاسمين قد اختلفا ، فحسن رفض الأول وجعل الثاني كأنه هو المبتدأ ، فحسن لاختلاف اسمي^(٣) (إن) ، ولا يجوز : إنك إنك^(٤) قائم ، ولا : إن أباك إنه قائم ؛ لاتفاق الاسمين^(٥) .

(١) كلام الفرّاء وإنشاده في معاني القرآن له ٢/ ٢١٨ . والبيت لجريير من قصيدة يمدح بها عبدالعزيز بن عبد الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وتتمته :
سرّبال ملك به تُرْجى الخواتيم

وهو في ديوانه ٢/ ٦٧٢ وروايته فيه : يكفي الخليفة أن الله سرّبله ، ولا شاهد فيه على ذلك .
وخزانة الأدب ١٠/ ٣٦٤-٣٦٨ وعجزه عنده :

لباس ملك به تُرْجى الخواتيم

قال البغدادي ١٠/ ٣٦٤ : سرّبله : ألبسه ، يتعدى لمفعولين أولهما ضمير الخليفة ، والثاني اللباس بمعنى الثوب . . . وتُرْجى - بالزاي والجيم - والإرجاء : السوق . والخواتيم : جمع خاتام لغة في الخاتم . يريد إن سلاطين الآفاق يرسلون إليهم خواتمهم خوفاً منه ، فيضاف ملكهم إلى ملكه . ويروى (ترجى) بالراء المهملة من الرجاء . وهذه الرواية أكثر من الأولى .

(٢) في (ع) : (ذكره) ، وهو خطأ .

(٣) في (أ) : (إسم) .

(٤) إنك (الثانية) : ساقطة من (ظ) .

(٥) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢١٨ مع تصرف واختلاف في العبارة .

قال الزَّجَّاج : وليس بين البصريين خلاف في أن (إن)^(١) تدخل على كل ابتداء وخبر ، تقول : إن زيدا إنه قائم^(٢) .

فأجاز أبو إسحاق ما استقبحه الفراء ولم يجزه .

وقال صاحب النظم : لما قال ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ وما تبع ذلك^(٣) من الكلام وطال صارت (إن) كأنها مُلغاة لتباعدھا عن خبرھا^(٤) فأعاد^(٥) ذكرھا عند الجواب ؛ ليعلم أن الجواب متصل بالابتداء توكيداً للشرح . قال : ويجوز أن يكون إنما وجب أن يقدم ذكر الله - عز وجل - في مبتدأ الخبر^(٦) على نظم : إن الله يفصل^(٧) يوم القيامة بين الذين آمنوا والذين هادوا . فلما قدم ذكرهم في الابتداء أعاد ذكر اسمه بالتقديم ليدل على أن وضع مبتدأه^(٨) على هذا النظم .

معنى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ ﴾ . قال ابن عباس : يقضي بينهم يوم القيامة .

وفسر الزَّجَّاج هذا الفصل والقضاء بين هؤلاء الفرق بإدخال المؤمنين الجنة والآخرين النار ، واحتج بقوله بعد هذا : ﴿ فَأَلَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ ﴾ . وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ من أعمال هؤلاء الفرق .

(١) (إن) : ساقطة من (ظ) .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤١٨/٣ .

(٣) (ذلك) : ساقطة من (ظ) و(د) و(ع) .

(٤) في (أ) : (حيزها) .

(٥) في (أ) : (وأعاد) .

(٦) في (أ) : (الخير) . وهو تصحيف .

(٧) في (ظ) زيادة (بينهم) بعد قوله : (يفصل) .

(٨) في (أ) : (مبتدأ به) .

قال ابن عباس : شهيد على ما في قلوبهم عالم به . وقال أهل المعاني : إن الله - عز وجل - يفصل بين الخصوم في الدين يوم القيامة بما يضطر إلى العلم بصحة الصحيح فيبيض وجه المحق ويسود وجه المبطل^(١) .

ومعنى الشهيد : العليم بما شاهده ، والله - عز وجل - يعلم كل شيء قبل أن يكون بأنه علام الغيوب .

١٨ . قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ ألم تعلم ؛ لأن المراد الرؤية بالقلب والفعل . وقد ذكرنا هذا في قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا ﴾ [البقرة : ٢٤٣] الآية .

وقوله : ﴿ يَسْجُدْ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ ﴾ قال الفراء : يعني أهل السموات ، ﴿ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ قال : يعني كل خلق [من الجبال ومن الجن وأشباه ذلك]^(٢) .

وقوله : ﴿ وَالشَّمْسُ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَالذَّوَابُّ ﴾ وصف الله - تعالى - هذه الأشياء كلها^(٣) بالسجود ، واختلفوا في معنى سجود هذه الأشياء ، والصحيح أن المراد بسجودها خضوعها وذلتها وانقيادها لمولائها في ما^(٤) يريد منها^(٥) . وهذا القول هو اختيار الزجاج والنحاس .

قال الزجاج : السجود هاهنا الخضوع لله ، وهو طاعة مما خلق الله من الحيوان والموات ، فالسجود هاهنا سجود طاعة . واحتج بقوله تعالى : ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت : ١١]^(٦) .

(١) انظر : القرطبي ٢٣ / ١٢ فقد ذكر هذا القول مختصراً بمعناه ، وصدره بقول : قيل .

(٢) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢١٩ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٤) في (أ) : (ب) .

(٥) بل الصحيح ما قاله الأزهرى في تهذيب اللغة ٤ / ٣٤٠ بعد ذكره لهذه الآية : فسجود هذه المخلوقات عبادة منها لخالقها لا نفقها عنها كما لا نفقه تسييحها . اهـ .

(٦) معاني القرآن ٣ / ٤١٨ .

وقال النحاس : هذا القول صحيحٌ ، فكل شيء منقاد لله - عز وجل - على ما خلقه ، وعلى ما رزقه ، وعلى ما أصحه وعلى ما أسقمه ، وليس هذا سجود العبادة^(١) .

وقال قوم : إن السجود من هذه الأشياء التي هو موات ومن الحيوان الذي لا يعقل إنما هو أثر الصنعة فيها والتسخير والتصوير الذي يدعو العارفين إلى السجود لله عز وجل^(٢) .

وهذا القول ؛ كالأول لأن تسخيرها وأثر الصنعة فيها لخضوعها وذلتها لخالقها ، ويدل على أن غير العاقل يوصف بسجود الخضوع قول الشاعر^(٣) :

ترى الأكَمَ فيها سُجَّداً لِلْحَوَافِرِ

(١) من قوله : وقال قوم . . إلى قوله : أثر الصنعة فيها . منقول عن معاني القرآن للزجاج ٤١٨ / ٣ .

ومن قوله : والتسخير . . إلخ منقول عن الكشف والبيان للثعلبي ٤٩ / ٣ أ .

(٢) القطع والاثتناف للنحاس ٤٨٩ .

(٣) هذا عجز بيت لزيد الخيل ، وصدره :

بجيش تَضَلُّ البُلُق في حَجَراته

وهو في ديوانه ٦٦ ، وتأويل مشكل القرآن ٣٢٢ ، والمعاني الكبير ٨٩٠ / ٢ كلاهما لابن قتيبة ، والطبري ٢٤٢ / ٢ ، والكامل للمبرّد ٢٠١ / ٢ ، والرواية عندهم : (منه) في موضع (فيها) .

وهو من غير نسبة في معاني القرآن للزجاج ٤١٨ / ٣ ، والأضداد لابن الأنباري ٢٩٥ ، والصاح للجوهري (سجد) ٤٨٣ / ٢ ، واللسان (سجد) ٢٠٦ / ٣ . والرواية عندهما : فيها .

والبلق : جمع بلقاء ، والبلقاء : هي الفرس التي يكون فيها بلق يعني : سواد وبياض . أو البلقاء : الفرس التي ارتفع التحجيل فيها إلى الفخذين . و(حجراته) : نواحيه . والأكَم : جمع أكمة ، وهي التل أو الموضع يكون أشد ارتفاعاً مما حوله .

انظر : لسان العرب (بلق) ٢٥ / ١٠ ، و(حجر) ١٦٨ / ٤ ، والقاموس المحيط ٢١٤ / ٣ ، ٧٥ / ٤ .

قال ابن قتيبة في المعاني الكبير ٨٩ / ٢ : يقول : إذا ضلت البلق فيه مع شهرتها فلم تعرف غيرها أخرى أن تضل ، يصف كثرة الجيش ، ويريد أن الأكَم قد خشعت من وقع الحوافر .

أي خشعت من وطى الخوافر عليها . هذا الذي ذكرنا مذهب أرباب المعاني^(١) .

وقال مجاهد : سجود الجهاد وكل شيء سوى المؤمنين تحول ظلالها كما قال : ﴿وَوَلَّيْنَاهُم بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾ [الرعد : ١٥]^(٢) .

قال أهل المعاني : كأنه يجعل ذلك لما فيه من العبرة بتصريف الشمس في دورها عليه سجوداً^(٣) .

وقال أبو العالية : ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع لله ساجداً حين يغيب ، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فيرجع إلى مطلعته^(٤) .

وعلى هذا ، فكل شيء مما خلقه^(٥) الله - تعالى - يسجد لله حقيقة السجود ، ويدل عليه قوله عز وجل : ﴿وَإِنْ مِنْهَا لَمَّا يَحِطُّ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة : ٧٤] وقوله : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ [الأنبياء : ٧٩] إلا أننا لا نعلم كيفية ذلك ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء : ٤٤] .

(١) نسب الثعلبي في الكشف والبيان ٤٩ / ٣ أ هذا القول لأرباب الحقائق .

(٢) ذكره عن مجاهد الثعلبي ٤٩ / ٣ أ وينحوه رواه الطبري ١٧ / ١٣٠ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٧ / ٦ ونسبه أيضاً لعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) ذكره الطوسي في التبيان ٢٦٨ / ٧ ، والجشمي في التهذيب ١٧١ / ٦ ب من غير نسبة لأحد .

(٤) ذكره الثعلبي ٤٩ / ٣ أ ، ورواه الطبري ١٧ / ١٣٠ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٨ / ٦ ونسبه أيضاً لعبد بن حميد وابن المنذر .

(٥) في (ظ) و(د) و(ع) : (خلق) .

وقال أرباب الأصول : الجمادات لا تعقل ولا تميز فإن حدثت لها حالة^(١) في التمييز فذلك^(٢) بأن الله - تعالى - يحدث لها في تلك الحالة عقلاً وتميزاً ، وإلا فالتمييز منها محال ما دامت على حقيقة صنعتها الأولى .

قوله تعالى : ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ يعني المؤمنين الذين يسجدون لله تعالى .
﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ بكفره وهو مع ذلك يسجد لله ظله ، قاله مجاهد^(٣) .
فعلى هذا ، قوله : ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ من جملة الساجدين .

قال قوم : تم الكلام في وصف الساجدين عند قول : ﴿وَالَّذَوَّابُ﴾ ، ثم ابتدأ فقال : ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾^(٤) .

روى ابن الأنباري عن ابن عباس أنه قال : وكثير من الناس في الجنة^(٥) .

وقال في رواية عطاء : وكثير من الناس يوحده وليس كلهم ، وكثير حق عليه العذاب ممن لا يوحده^(٦) .

وعلى هذا يصح الوقف على ﴿الَّذَوَّابُ﴾ ، ثم ابتدأ بذكر فريقين الجنة والنار والإيمان والكفر .

(١) في (ظ) و(د) و(ع) : (حال) .

(٢) في (ظ) و(د) و(ع) : (فذاك) .

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ٤٩ / ٣ أ عن مجاهد بنصه . وقد رواه الطبري ١٧ / ١٣٠ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٧ / ٦ ، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر .

(٤) انظر : المكتفى في الوقف والابتداء للداني ٣٩٣ .

(٥) رواه ابن الأنباري في كتابه إيضاح الوقف والابتداء ٨٧٢ / ٢ . وذكره القرطبي ٢٤ / ١٢ عن ابن عباس من رواية ابن الأنباري . وذكره أبو عمرو الداني في كتابه المكتفى في الوقف والابتداء ٣٩٣ عن ابن عباس .

(٦) ذكره الرازي ٢٣ / ٢٠ من رواية عطاء ، عن ابن عباس .

وقال آخرون : التهام عند قوله : ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ ، وانقطع ذكر الساجدين ثم ابتداء فقال : ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ أي بإبائه وامتناعه من السجود ، وهؤلاء غير داخلين في جملة الساجدين^(١) .

قال الفرّاء : قوله ﴿حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ يدل على أن المعنى : وكثير أبي السجود ؛ لأنه لا يحق عليه العذاب إلا بتركه السجود^(٢) .

وهذا القول هو اختيار نافع والكسائي وأبي حاتم^(٣) ، وهو أن الوقف على ﴿النَّاسِ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿وَمَن يُّهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ، مِّنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ . قال الفرّاء : يريد من يُشَقِّهِ الله فما له من مُسْعِد^(٤) . وكذا روي عن ابن عباس^(٥) .

وقال في رواية عطاء : ﴿وَمَن يُّهِنِ اللَّهُ﴾ يريد^(٦) : من تهاون بعبادة الله^(٧) .

يعني أن تهاونه بعبادة الله [من إهانة الله]^(٨) إياه وطرده ، ﴿فَمَا لَهُ، مِّنْ مُّكْرِمٍ﴾ يريد أن مصيره إلى النار وليس إلى الكرامة كما يُكْرَم أولياؤه^(٩) .

(١) انظر : إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ٧٨٢/٢ ، والقطع والائتناف للنحاس ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ومنار الهدى في بيان الوقف والابتداء للأشموني ٢٥٥ .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢/٢١٩ .

(٣) ذكره عنهم النحاس في القطع والائتناف ٤٨٨ .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٢/٢١٩ .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٢٠٧ .

(٦) (يريد) : ساقطة من (ظ) ، وفي (د) و(ع) : (يريد : ومن يهن الله) من تهاون .

(٧) ذكره عنه القرطبي ١٧/٢٤ .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٩) قال الطبري ١٧/١٣٠ : ﴿فَمَا لَهُ، مِّنْ مُّكْرِمٍ﴾ بالسعادة يسعده بها .

وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ ؛ أي في خلقه من الإهانة والكرامة والشقاء والسعادة .

١٩ . وقوله تعالى : ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ يعني : الفرق الخمسة الكافرة والمؤمنين ، وهم الذين ذكروا في قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية . فالخصم : اسم للواحد وللجميع ، فقوله ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ كالفئتين ، لذلك قال : ﴿خَصْمَانِ﴾ لأنها جمعان . قاله الزَّجَّاجُ^(١) .

وزاد الفرَّاء : وليسا برجلين ، ولو قيل : اختصما كان صواباً ، ومثله : ﴿وَلِنْ طَافِقَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَنَلُوا﴾ [الحجرات : ٩] يذهب إلى الجمع ، ولو قيل : اقتتلتا لجاز^(٢) .

وذكرنا معنى الاختصام عند قوله : ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾ [النساء : ١٠٥] .

وقوله : ﴿فِي رَبِّهِمْ﴾ ؛ أي في دين ربهم .

قال الكلبي : وذلك أن اليهود والنصارى قالوا نحن أولى بالله منكم يا معشر المسلمين ؛ لأن نبينا قبل نبيكم وديننا قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم . فقال المسلمون : بل نحن أولى وأحق بالله ، آمنا بكتابنا ونبينا ونبيكم ، وكفرتكم أنتم بنبينا حسداً . فكان هذا خصومتهم في ربهم^(٣) .

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤١٩/٣

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢٢٠/١ .

(٣) روى الطبري ١٧/١٣٢ عن عاصم والكلبي أنها قالا : أهل الشرك والإسلام حين اختصموا أيهم أفضل . وذكر الثعلبي في الكشف والبيان ٣/٤٩ أن الكلبي قال : هم المؤمنون والكافرون .

هذا قول مجاهد والحسن^(١)، وابن عباس في رواية عطاء^(٢)، وأكثر المفسرين^(٣)، واختيار الزجاج^(٤) والفرّاء^(٥)، وقالوا: الخصمان هم المؤمنون والكافرون.

وروي عن أبي ذر وعلي - رضي الله عنهما - أنهما قالوا: نزلت هذه الآية في الذين بارزوا يوم بدر من الفريقين، وكان من المسلمين حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث^(٦)، ومن الكفار عتبة وابنه الوليد وشيبة ابنا ربيعة^(٧)، وأقسم أبو ذر أن هذه الآية نزلت في هؤلاء الستة^(٨).

-
- (١) رواه الطبري ١٣٢/١٧ عن مجاهد والحسن قالوا: هم المؤمنون والكافرون.
- (٢) لم أجد من ذكره من رواية عطاء، لكن رواه الطبري ١٣٢/١٧ من رواية العوفي بنحو ما ذكره الواحدي هنا عن الكلبي. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٠/٦ وعزاه لابن جرير وابن مردويه.
- (٣) انظر: الطبري ١٣٢/١٧، والكشف والبيان ٤٩/٣، والدر المنثور ٢٠/٦.
- (٤) انظر: معاني القرآن ٤١٩/٣ فقد ذكر نحو رواية الكلبي.
- (٥) انظر: معاني القرآن للفرّاء ٢/٢١٩، فقد ذكره نحو رواية الكلبي.
- (٦) هو عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، القرشي، المطلبي. أحد السابقين الأولين. أسلم قديماً، وكان مع النبي ﷺ بمكة، ثم هاجر، وشهد بدرًا وبارز فيها وأصيب في المبارزة، فاحتمل وبه رمق، ثم توفي بالصفراء - قرية بين المدينة وينبع - في العشر الأخير من رمضان سنة اثنين من الهجرة رضي الله عنه. وكان ابن ثلاث وستين سنة.
- طبقات ابن سعد ٣/٥٠، والاستيعاب ٣/١٠٢٠، وأسد الغابة ٣/٣٥٦، وسير أعلام النبلاء ١/٢٥٦، والإصابة ٢/٤٤٢.
- (٧) هو شيبة بن ربيعة بن عبد شمس، أحد زعماء قريش في الجاهلية، أدرك الإسلام ولم يسلم، وناصبه العداء، قتله حمزة - رضي الله عنه - يوم بدر بعد مبارزته.
- السيرة النبوية لابن هشام ٢/٣٥٦، والبداءة والنهاية ٣/٢٧٧، والأعلام للزركلي ٣/١٨١.
- (٨) روى البخاري في كتاب التفسير، سورة الحج، باب ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَيْبِهِمْ﴾ ٨/٤٤٣، ومسلم في كتاب التفسير، باب في قوله تعالى ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَيْبِهِمْ﴾ ٤/٢٣٢٣ عن أبي ذر - رضي الله عنه - أنه كان يقسم قسماً إن هذه الآية ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَيْبِهِمْ﴾ نزلت في حمزة وصاحبه وعتبة وصاحبيه يوم برزوا في بدر.
- وروى البخاري في كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل ٧/٢٩٧، والنسائي في تفسيره ٢/٨٥ عن علي - رضي الله عنه - قال: فينا نزلت هذه الآية ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَيْبِهِمْ﴾.

والظاهر هو الأول للإشارة بقوله : ﴿هَذَانِ﴾ إلى الفئتين المذكورتين في قول :
﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية (١) .

وروي عن عكرمة أنه قال : الخصمان هما الجنة والنار (٢) . وهذا ليس بالقوي ولا المرضي (٣) .

ثم بين الله - تعالى - حال الفريقين فقال : ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ . قال ابن عباس : يعني أهل الخمسة الأديان (٤) .

﴿قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ قَارٍ﴾ . قال الأزهري : أي (٥) : خيطت وسويت وجعلت لبوساً لهم (٦) .

قال ابن عباس : يريد حين صاروا إلى جهنم لبسوا المقطعات ؛ مقطعات النيران (٧) .

(١) واختاره الطبري ١٧/ ١٣٣ . قال ابن كثير ٣/ ٢١٢ : وقول مجاهد وعطاء أن المراد بهذه الكافرون والمؤمنون يشمل الأقوال كلها ، ويتنظم فيه قصة بدر وغيرها ، فإن المؤمنين يريدون نصره دين الله عز وجل ، والكافرون يريدون إطفاء نور إيمان وخذلان الحق وظهور الباطل ، وهو اختيار ابن جرير وهم حسن ، ولهذا قال فالذين كفروا . . . اهـ .

(٢) رواه الطبري ١٧/ ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٣) قال الألوسي في روح المعاني ١٧/ ١٣٤ : وأما ما قيل من أن المراد بهذين الخصمين الجنة والنار فلا ينبغي أن يختلف في عدم قبوله خصمان أو يتطحن فيه كبشان .

(٤) ذكره القرطبي ١٢/ ٢٦ بمعناه من غير نسبة .

(٥) (أي) : ساقط من (ظ) و(د) و(ع) .

(٦) تهذيب اللغة للأزهري (قطع) ١/ ١٨٨ .

(٧) ذكره عنه بمعناه ابن الجوزي ٥/ ٤١٧ ، وذكره البغوي ٨/ ٣٧٤ وصدره بقوله : وقال بعضهم . وذكره القرطبي ١٢/ ٢٦ من غير نسبة .

قال شمر: المقطعات من الثياب كل ثوب يقطع ثم يخاط^(١).

وهذا القول هو الصحيح في تفسير المقطعات^(٢).

قال أبو إسحاق: وجاء في التفسير أن الثياب التي من (نار)^(٣) من نحاس قد أذيب^(٤). وهذا الذي ذكره هو قول سعيد بن جبير^(٥).

وقوله: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾. الحميم^(٦) الماء الحار. وأحمَّ نفسه إذا غسلها بالماء الحار، ومثله استحجم إذا اغتسل بالحميم. [والحمام مشتق من الحميم. والمحم: الإناء الذي يسخن فيه الماء.]^(٧) والحميم عند ابن الأعرابي من الأضداد يكون الماء الحار والبارد^(٨).

(١) قول شمر في تهذيب اللغة للأزهري (قطع) ١/ ١٨٨، ١٨٩.

(٢) قول أبو حيان ٦/ ٣٦ والظاهر أن هذا المقطع من النار.

(٣) في (أ): (من النار)، والمثبت من باقي النسخ وهو الموافق لما في المعاني.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤١٩.

(٥) رواه الطبري ١٧/ ١٣٣، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢١ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٦) (الحميم): زيادة من (ظ) و(د) و(ع).

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ).

(٨) تهذيب اللغة للأزهري (حم) ٤/ ١٥ وبعضه عن الليث، وبعضه عن الأصمعي. والقاتل: والحميم عن ابن الأعرابي... هو الأزهري.

انظر: العين (حم) ٣/ ٣٣، والأضداد لابن الأنباري ١٣٨، والصحاح للجوهري (حم) ٥/ ١٩٠٥، ولسان العرب (حم) ١٢/ ١٥٣، ١٥٤.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْحَمِيمَ لِيَصُبُّ عَلَى رُؤُوسِهِمْ فَيَنْفَذُ^(١) الْجَمْعَةَ ، حتى يخلص إلى جوفه ، فيسلت^(٢) ما في جوفه ، حتى يبلغ^(٣) قدميه ، وهو الصهر ، ثم يعاد كما كان»^(٤) .

وقال ابن عباس : لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لأذابها^(٥) .

والذي ذكر في الخبر هو معنى

٢٠ . قوله : ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ .

قال الليث : الصهر : إذابة الشحم ، والصهارة ما ذاب منه ، ويقال صهرته فاصطهر ، ويقال للحرباء^(٦) إذا تلاً لأظهرها^(٧) من شدة الحر قد صهره الحر واصطهر الحرباء^(٨) .

(١) ينفذ : أي يخرق ويحوز . الفائق في غريب الحديث للزمخشري ٢/٢٩٦ ، وغريب الحديث لابن الجوزي ٢/٤٢٤ .

(٢) فيسلت : أي يقطع ويستأصل . لسان العرب (سلت) ٢/٤٥ .

(٣) في (ظ) و(ع) و(د) : زيادة (إلى) .

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢/٣٧٤ والترمذي في أبواب صفة جهنم ، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار ٧/٣٠٢ ، ٣٠٣ ، والطبري في تفسيره ١٧/١٣٣ ، ١٣٤ ، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ٣/٢١٢ ، والحاكم في مستدركه ٢/٣٨٧ ، وأبو نعيم في الحلية ٨/١٨٢ ، ١٨٣ من طريق أبي السمح ، عن أبي حجر ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، به . قال الألباني في تخريج أحاديث مشكاة المصابيح ٣/١٥٨١ . وإسناده ضعيف .

(٥) ذكره عنه الزمخشري في الكشاف ٩/٣ ، والرازي في تفسيره ٢٣/٢٢ .

(٦) في (أ) : (للحوباء) ، وهو خطأ .

والحرباء : دويبة ذات قوائم أربع ، دقيقة الرأس ، مخططة الظهر ، تستقبل الشمس بنهارها . قال له الأزهرى في تهذيب اللغة (حرب) ٥/٢٤ .

(٧) في تهذيب اللغة : (ظهره) . ولعله أصوب لأن الحرباء ذكر أم حبين ، انظر : الأزهرى .

(٨) تهذيب اللغة للأزهري (صهر) ٦/١٠٩ نقلاً عن الليث . وهو في العين (صهر) ٣/٤١٢ . مع اختلاف يسير جداً ، وفيه : إذا تلاً لأظهره .

وقال ابن السكيت : يقال صهرته الشمس إذا اشتد وقعها عليه^(١) .

وأنشد أبو عبيدة^(٢) وغيره^(٣) لابن أحر^(٤) :

تَرْوِي^(٥) لَقَى أُلْقَى فِي صَفْصَفٍ تَصْهَرُهُ الشَّمْسُ فَمَا يَنْصَهَرُ^(٦)

وقال أبو زيد في قوله : ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ هو الإحراق ، صَهَرْتُهُ بالنار^(٧) أَصْهَرَهُ أَنْضَجَهُ^(٨) .

(١) تهذيب اللغة للأزهري (صهر) ١٠٩/٦ عن ابن السكيت .

(٢) مجاز القرآن ٤٨/٢ .

(٣) الطبري ١٣٤/١٧ . والنعلبي في الكشف والبيان ٤٩/٣ ب .

(٤) في (ظ) و(د) و(ع) : (ابن الأحر) .

(٥) في النسخ جميعها : (تردي) ، والتصويب من مجاز القرآن والطبري ، وغيرهما .

(٦) البيت أنشده أبو عبيدة لابن أحر في مجاز القرآن ٤٨/٢ .

وهو في ديوان ابن أحر ٦٨ ، والأضداد لابن الأنباري ١٦٥ ، ومقاييس اللغة لابن فارس (لقى)

٥/٢٦١ وعنده : (تؤوي) في موضع (تروي) ، والصحاح للجوهري (صهر) ٧١٧/٢ ، (روى)

٦/٢٣٦٤ ، ولسان العرب (صهر) ٤٧٢/٤ ، ومن غير نسبة في الطبري ١٣٤/١٧ .

وهو من أبيات له يصف فيها فرخ قطاة . وقوله : (تروي) : تسقي ، قال أبو عبيدة : تصير له

راوية . . . كما رواية القوم عليهم . اهـ . (لقى) قال ابن الأنباري : اللقى : الشيء الملقى لا يلتفت

إليه ، فشبه الفرخ به . اهـ .

و(صفصف) : الصفصف المستوي من الأرض . قاله الفيروزآبادي ١٦٣/٣ .

(تصهره الشمس فما ينصهر) قال الجوهري : أي تذيبه الشمس فيصبر على ذلك .

(٧) في (ظ) : (النار) .

(٨) في (أ) : (نضجته) ، وفي تهذيب اللغة : (أنضجته) .

(٩) قول أبي زيد في تهذيب اللغة للأزهري (صهر) ١٠٩/٦ .

ونحو هذا قال الكسائي في تفسير الصهر : إنه الإحراق والإنضاج^(١) . قال قتادة : يُذاب^(٢) بذلك الحميم ما في بطونهم^(٣) .

وهذا عبارة الفراء^(٤) ، وهو معنى الحديث الذي ذكرنا . وهو قول مجاهد^(٥) . ولفظ ابن عباس في رواية نافع بن الأزرق^(٦) . وقال ابن عباس في رواية عطاء : ينضج .

وذكر^(٧) الأزهري عن أهل التفسير : يُغلي به ما في بطونهم حتى يخرج من أديبارهم^(٨) .

وهذا هو اختيار الرّجّاج^(٩) . وهو من قولهم صهرته الشمس ، إذا اشتد وقعها عليه .

فمعنى ﴿يُصْهَرُ﴾ : يُنضج ، ويُحرق ، ويُذاب ، ويُغلى . كل هذا صحيح مروي . والمعنى : أن أمعاءهم وشحومهم تذاب وتحرق بهذا الحميم ، وتنشوي جلودهم فتساقط من حره^(١٠) .

(١) لم أقف عليه .

(٢) في (أ) : (بدأت) ، وهو خطأ .

(٣) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٣٤ / ٢ ، والطبري ١٧ / ١٣٥ .

(٤) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٢٠ .

(٥) رواه الطبري ١٧ / ١٣٤ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٢٢ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٦) روى ابن الأنباري والطبري في مسائله كما في الدر المنثور ٦ / ٢٢ عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق سأله عن قوله (يصهر) قال : يذاب .

(٧) في (أ) : (وذكرنا) ، وهو خطأ .

(٨) تهذيب اللغة للأزهري ٦ / ١٠٩ .

(٩) انظر : معاني القرآن للرّجّاج ٣ / ٤١٩ .

(١٠) انظر : الكشف والبيان للثعلبي ٣ / ٤٩ ب .

٢١. وقوله : ﴿وَلَهُمْ مَقْعٌ مِّنْ حَدِيدٍ﴾ . قال الليث : المقمعة : شبه الجرز^(١) من الحديد والعمد يضرب بها الرأس وجمعها المقامع^{(٢)(٣)} . وأنشد^(٤) :

ويمشي معد حوله بالمقامع

وأصله من قولهم : قمعت رأسه إذا ضربته ضرباً عنيفاً .

قال أبو عبيد : يقال : قمعت الرجل وأقمعته ، بمعنى واحد^(٥) .

قال الضحاك في قوله^(٦) : ﴿وَلَهُمْ مَقْعٌ مِّنْ حَدِيدٍ﴾ : هي المطارق^(٧) .

وقال ابن عباس : يريد أن زبانية جهنم تقمعهم بمقامع الحديد يضربونهم بها كلما أرادوا أن يخرجوا منها^(٨) .

-
- (١) في (أ) : (الجوز) ، وفي (ظ) : (الحر) ، وفي (د) : (الحرز) ، وفي (ع) : (الحرر) ، وفي تهذيب اللغة ٢٩٣/٧ : الجرزة ، والصواب ما أثبتنا .
- والجرز (بالضم ، وبضمتين) كما قال الزبيدي في تاج العروس ٥٢/١٥ قال الأزهري في تهذيب اللغة (جرز) ٦٩/١٠ هو عمود من حديد .
- ونقل الأزهري عن الليث قال : والجرز من السلاح ، والجميع : الجرزة .
- (٢) في (أ) : (مقامع) ، والمثبت من باقي النسخ والعين والتهذيب .
- (٣) قول الليث في العين ١٨٩/١ ، وهو في تهذيب اللغة للأزهري (قمع) ٢٩٣/١ من غير نسبة .
- (٤) هذا الشطر أنشده الليث في العين (قمع) ١٨٥/١ ولم ينسبه لأحد .
- وذكره الفيروزآبادي في بصائر ذوي التمييز ٢٩٧/٤ نقلاً عن الليث ، ولم ينسبه .
- وفي المطبوع من البصائر : وتمشي معد .
- (٥) قول أبي عبيد في تهذيب اللغة للأزهري (قمع) ٢٩١/١ .
- (٦) في النسخ جميعها : (قولهم) .
- (٧) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٦٦/١٣ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٢/٦ وعزاه لابن أبي شيبة
- وعبد بن حميد وابن أبي حاتم .
- (٨) (منها) : ساقطة من (أ) .

وقال الحسن : إن^(١) النار ترميهم بلهبها ، إذا كانوا في أعلاها ضربوا بمقامع فهووا فيها سبعين خريفاً ، فإذا انتهوا إلى أسفلها ضربهم زفير لهبها فلا يستقرون ساعة^(٢) .

٢٢. فذلك قوله : ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ﴾ ؛ يعني : كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذي أخذ بأنفاسهم ، حتى ليس لها مخرج ردوا إليها بالمقامع .

قال المفسرون : إن جهنم لتجيش^(٣) بهم ، فتلقيهم إلى أعلاها ، فيريدون الخروج ، فيردهم الخزان فيها^(٤) . وهذا كما قال الحسن .

ويقول لهم الخزنة : ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ . والحريق : الاسم من الاحتراق . قال أبو إسحاق : وهذا لأحد الخصمين .

٢٣. وقال في الخصم الذين هم المؤمنون : ﴿إِنَّكَ اللَّهُ يَدْخُلُ الذِّبْنَ أَمْثُورًا﴾^(٥) وهي مفسرة في سورة الكهف إلى قوله : ﴿وَلَوْلُؤَا﴾ وهو ما يستخرج من البحر من جوف الصدف ، واللؤلؤ^(٦) كباره ، والمرجان صغاره . ويجوز فيه تخفيف الهمزتين^(٧) ويجوز تخفيف إحداهما وتحقيق الثانية^(٨) .

(١) في (ظ) و(د) و(ع) : (من) ، وهو خطأ .

(٢) ذكره عنه ابن الجوزي ٤١٧/٥ ، وذكره الزمخشري في الكشاف ٩/٣ والرازي ٢٢/٢٣ إلى قوله : سبعين خريفاً .

(٣) تجيش : أي تغلي وترتفع ، لسان العرب (جيش) ٢٧٧/٦ .

(٤) انظر : الطبري ١٧/١٣٥ ، والكشف والبيان للثعلبي ٤٩/٣ ب .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤١٩/٣ .

(٦) في (ظ) و(د) و(ع) : (فاللؤلؤ) .

(٧) في (ظ) و(د) و(ع) : (الهمزة) .

(٨) انظر : الحجة للفارسي ٢٦٨/٥ ، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٧٣/٢ .

فقد ذكرا ذلك . قال ابن خالويه : والأصل الهمز .

والمعنى : أنهم يخلون أساور من ذهب ومن لؤلؤ . أي منهما ؛ بأن يُرصع اللؤلؤ في الذهب . وقرأ ﴿وَلَوْلُؤًا﴾ بالنصب^(١) على : ويخلون لؤلؤاً . ويجوز أن يحمل على موضع الجار والمجرور ؛ لأن موضعها نصب ، ألا ترى أن معنى ﴿يُكَلِّتُ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾ [يخلون فيها أساور]^(٢) . فحمله على الموضع^(٣) .

وقوله : ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ يعني أنهم يلبسون في الجنة ثياب^(٤) الإبريسم^(٥) ، وهو الذي حرم لبسه في الدنيا على الرجال . قال رسول الله ﷺ : «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة»^(٦) .

٢٤ . قوله تعالى : ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ ؛ أي أرشدوا إلى الطيب من القول .

- = قال ابن خالويه : العربية تحتمل همزتها ، وترك الهمز فيها ، وهمز إحداهما ذلك كله جائز ، والأصل الهمز ، وتركه تخفيف بالواو .
- (١) قرأ نافع وعاصم ﴿وَلَوْلُؤًا﴾ بالنصب ، وقرأ الباقون (ولؤلؤ) بالخفض .
- السبعة ٤٣٥ ، والتبصرة ٢٦٦ ، والتيسير ١٥٧ .
- (٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .
- (٣) من قوله : (والمعنى) : أنهم يخلون أساور . إلى هنا نقلاً عن الحجة للفارسي ٢٦٨/٥ مع اختلاف يسير .
- انظر : إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٧٣/٢ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٧٤ .
- (٤) في (أ) : (لباب) ، وهو خطأ .
- (٥) الإبريسم : نوع من الحرير . القاموس المحيط ٧٩/٤ .
- (٦) رواه البخاري في كتاب اللباس ، باب لبس الحرير للرجال ١٠/٢٨٤ ، ومسلم في كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم استعمال . . . والحرير على الرجل . . . ٣/١٦٤١ ، ١٦٤٢ من حديث ابن الزبير : سمعت عمر يقول : قال النبي ﷺ . . . فذكره .
- ورواه البخاري في الموطن السابق ، ومسلم في الكتاب والباب السابقين ٣/١٦٤٥ من حديث أنس رضي الله عنه .

قال ابن عباس : يريد لا إله إلا الله والحمد لله^(١) . وزاد ابن زيد : والله أكبر^(٢) .

وقال السدي : إلى القرآن^(٣) .

﴿وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ إلى الإسلام ، وهو دين الله وطريقه^(٤) . والحميد : المحمود في أفعاله^(٥) .

٢٥ . قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ . قال الفراء : رد يفعلون على فعلوا^(٦) ؛ لأن المعنى : أن الصد منهم كالدائم فاختر له يفعلون ، كأنك قلت : إن الذين كفروا^(٧) من شأنهم الصد ، ومثله قوله : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ﴾ [الرعد : ٢٨] قال : وإن شئت^(٨)

(١) ذكره عنه ابن الجوزي ٤١٨/٥ ، والقرطبي ٣٠/١٢ ، وأبو حيان ٣٦١/٦ . وذكره البغوي عنه ٣٧٦/٥ من دون قوله الحمد لله . وذكره الرازي ٢٢/٢٣ عنه من رواية عطاء : هو قولهم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ﴾ .

(٢) رواه الطبري ١٣٦/١٧ ، وذكره الثعلبي ٥٠/٣ . أ .

(٣) ذكره عنه البغوي ٣٧٦/٥ ، وابن الجوزي ٤١٨/٥ . والرازي ٢٢/٢٣ ، وأبو حيان ٣٦١/٩ بنفس عبارة الواحدي .

قال أبو حيان ٣٦١/٦ : والطيب من القول إن كانت الهداية في الدنيا فهو قول لا إله إلا الله والأقوال الطبية من الأذكار وغيرها ، ويكون الصراط طريق الإسلام ، وإن كان إخباراً عما يقع منهم في الآخرة فهو قولهم : (الحمد لله الذي صدقنا وعده) وما أشبه ذلك من محاورة أهل الجنة .

(٤) انظر : الطبري ١٣٦/١٧ ، فعلى هذا القول ، معنى صراط الحميد ؛ أي طريق الله - تعالى - الذي دعا عباده إليه .

(٥) والحميد : اسم من أسماء الله . واستظهر هذا القول أبو حيان ٣٦١/٦ .

وقال ابن عطية ٢٥٣/١٠ ، بعد ذكره للقول الأول : ويحتمل أنه يريد بالحميد الطريق نفسها ، فأضاف إليه على حد إضافته في قوله تعالى : ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ [يوسف : ١٠٩] . اهـ .

(٦) أي عطف (يصدون) على (كفروا) .

(٧) عند الفراء ٢/٢٢١ : إن الذين كفروا [و] من شأنهم الصد . زيادة واو .

(٨) في (أ) : (إن شئت) .

قلت : رد^(١) يفعلون على فعلوا ، لأن معناه كما لو احدى فلو قيل : إن الذين كفروا وصدوا ، لم يكن فيه ما يسأل عنه^(٢) .

وهذا معنى قول الكسائي : إن الذين كفروا ويصدون ، ولم يقل وصدوا ، وهي هيئة^(٣) ، يعني أنه بمعنى الماضي .

ونحو هذا قال الزَّجَّاج : لفظ المستقبل عطف به^(٤) على الماضي ، لأن معنى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الذين هم كفرون ، وكأنه قال : إن الكافرين والصادين^(٥) .

فهؤلاء جعلوا لفظ المستقبل هاهنا بمنزلة الماضي .

قال أبو علي : المعنى عندي أن الذين كفروا وصدوا [فلما كان المعطوف عليه ماضياً دل على أن المراد بالمضارع أيضاً الماضي ، ويقوي هذا قوله : ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [محمد : ١] . قال : ويجوز أن يكون المضارع على بابه كأنه قال : إن الذين كفروا في ما مضى وهم الآن يصدون مع ما تقدم من كفرهم . والأول كأنه أقوى . والإرادة بمثال المضارع الماضي مذهب سيويه ؛ لأنه قال^(٦) : ويقع يفعل في موضع فعل في بعض المواضع وأنشد الشاعر^(٧) فقال :

ولقد أمرُّ على اللئيم يسبني فمضيتُ ثمَّتَ قلتُ : لا يعنيني^(٨)

(١) (رد) : ساقطة من (ظ) .

(٢) معاني القرآن للقرّاء ٢/ ٢٢٠ ، ٢٢١ مع اختلاف .

(٣) (هيئة) : مهملة في (ظ) و(د) و(ع) .

(٤) في (ظ) و(د) : (به عطف) .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٠ .

(٦) الكتاب ٣/ ٢٤ .

(٧) في (أ) : (وأنشد) ، والمثبت من باقي النسخ .

(٨) البيت أنشده سيويه في الكتاب ٣/ ٢٤ منسوباً لرجل مولد من بني سلول ، وكذلك في المقاصد

النحوية للعين ٤/ ٥٨ وفيه : وأعف ثم أقول ما . . . وتحصيل عين الذهب للشتمري ١/ ٤١٦ . =

على معنى : ولقد مررت . انتهت الحكاية عن أبي علي ^(١) .

وذكرنا هذا وبيانه عند قوله : ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيْطَانُ﴾ الآية [البقرة: ١٠٢] .

قوله تعالى : ﴿وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَنكِفُ فِيهِ﴾ .
[قال أبو إسحاق : ﴿جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ﴾ ^(٢) وقف التمام ، ومعنى ﴿جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ﴾
كما قال : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٩٦] ، ويكون ﴿سَوَاءً الْعَنكِفُ فِيهِ
وَالْبَادِ﴾ رفعا على الابتداء والخبر ^(٣) .

وهذا معنى قول الفراء : جعل الفعل -يعني جعلناه- واقعا على الهاء واللام
التي في الناس ، ثم استأنف وقال : ﴿سَوَاءً الْعَنكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ .

قال : ومن شأن العرب أن يستأنفوا بسواء ^(٤) إذا جاءت بعد حرف قد تم به
الكلام ، فيقولون : مررت برجل سواء عنده الخير والشر . والخفض جائز . وإنما
اختاروا الرفع لأن سواء بمعنى واحد . ولو قلت : مررت على رجل واحد عنده
الخير والشر لرفعت ^(٥) .

= ونسبه الأصمعي في الأصمعيات ١٢٦ لشمس بن عمرو الحنفي ، وروايته فيها : (مررت) في موضع
(أمر) ، ولا شاهد فيهما على هذه الرواية .

والبيت بلا نسبة في معاني القرآن للأخفش ١/ ٣٢٣ ، والطبري ٢/ ٣٥١ وروايته فيه : فمضيت عنه
وقلت : لا يعنيني ، والخصائص لابن جني ٣/ ٣٣٠ . انظر : الخزانة ١/ ٣٥٧ .

(١) لم أجده بنصه . انظر : الحجة ٣/ ٣٥ .

(٢) ما ين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٢٠ .

(٤) في (أ) : (السواء) ، وهو خطأ .

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٢٢ . والعبارة الأخيرة فيه : لأن سواء في مذهب واحد ، كأنك قلت :
مررت على رجل واحد عند الخير والشر . وليس فيه لرفعت .

قال أبو علي : قوله : ﴿جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ﴾ ؛ أي مستقراً ومنسكاً^(١) ومتعبداً . والمعنى على أنه نصبه لهم منسكاً ومتعبداً^(٢) كما قال : ﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ ، وقوله : ﴿سَوَاءٌ أَلْعَكِفُ﴾ رفع على أنه خبر ابتداء مقدم ، المعنى : العاكف والبادي فيه سواء . ومن نصب فقال (سواء^(٣)) أعمل المصدر عمل^(٤) اسم الفاعل فرفع (العاكف)^(٥) [به كما يرفع بمستواه لو قال : مستوياً فيه العاكف والباد . فرفع العاكف]^(٦) بمستوى كذلك يرفعه بسواء . والأكثر الرفع في نحو هذا وأن لا تجعل هذا النحو من المصدر بمنزلة اسم الفاعل في الإعمال . ووجه إعماله أن المصدر قد يقام مقام اسم الفاعل في الصفة في نحو : رجل عدل . فيصير عدل كعادل^(٧) .

قال المفسرون في قوله : ﴿الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ﴾ : خلقناه وبنيناه^(٨) للناس كلهم لم يخص به منهم بعضاً دون بعض^(٩) .

-
- (١) في (أ) : (أو منسكاً) .
 (٢) في (أ) : كررت جملة : (والمعنى أنه نصب لهم منسكاً ومتعبداً) .
 (٣) قرأ حفص عن عاصم : ﴿سَوَاءٌ﴾ نصباً ، وقرأ الباقر (سواء) رفعاً . السبعة ٤٣٥ ، والتبصرة ٢٦٦ ، والتيسير ١٥٧ .
 (٤) في (ظ) و(ع) : (على) ، وهو خطأ .
 (٥) في الحجة ٥ / ٢٧١ : (رفع العاكف فيه كما يرفع) .
 (٦) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .
 (٧) الحجة لأبي علي الفارسي ٥ / ٢٧٠-٢٧٢ . مع اختلاف يسير وتقديم وتأخير انظر : علل القراءات للأزهري ٢ / ٤٢٣ ، وإعراب القراءات وعللها لابن خالويه ٢ / ٧٤ .
 وذكر مكي بن أبي طالب وأبو شامة وجهاً آخر في قراءة النصب ، قال أبو شامة : ويجوز أن يكون حالاً من الهاء في ﴿جَعَلْنَاهُ﴾ ، و﴿لِلنَّاسِ﴾ هو المفعول الثاني ؛ أي جعلناه لهم في حال استواء العاكف والبادي فيه .
 الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي ٢ / ١١٨ ، وإبراز المعاني لأبي شامة ٦٠٤ .
 (٨) هكذا في النسخ جميعها . وفي الكشف والبيان للثعلبي : (جـ ٣٥٠) المنقول منه النص ، والبسيط ٣ / ٢٦٥ : (بنيناه) .
 (٩) الكشف والبيان للثعلبي ٣ / ٥٠ ، أنظر : الطبري ١٧ / ١٣٧ .

﴿سَوَاءٌ أَلْعَكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ . قال ابن عباس : يريد الحاضر ، والبادي : الذي يأتيه من البلاد ، هم فيه سواء^(١) .

وقال سفيان : العاكف فيه المقيم ، والبادي : الذي يتتابه^(٢) .

[وقال قتادة : العاكف أهله ، والبادي غيرهم^(٣) .

وقال السدي : العاكف المقيم فيه من أهل البلد ، والبادي الذي يتتابه^(٤) من غير أهله .

وقال عطاء : العاكف أهل مكة ، والبادي من أتاه من أرض غربة^(٥) .

وقال الفرّاء : العاكف من كان من أهل مكة ، والبادي من نزع إليه بحج أو عمرة^(٦) .

وقال الزّجاج : العاكف المقيم بها ، والبادي النازع إليها من أي بلد كان^(٧) .

وقال ابن قتيبة : البادي الطارئ من البدو^(٨) .

(١) روى ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٦/ ٢٤ عن ابن عباس : (العاكف) أهل مكة (والباد) من كان من غير أهلها .

(٢) انظر : المحرر لابن عطية ١٠/ ٢٥٦ عن سفيان الثوري .

(٣) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٣٤ ، والطبري ١٧/ ١٣٧ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٥) رواه الطبري ١٧/ ١٣٨ بمعناه .

(٦) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢٢١ .

(٧) معاني القرآن للزّجاج ٣/ ٤٢١ .

(٨) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٩١ .

ومعنى البادي : النازع إليه من غربة . من قولهم : قد بدا القوم ؛ إذا خرجوا من الحضر إلى الصحراء . والمسافر باد وهو خلاف الحاضر^(١) .

واختلفوا في أن العاكف والباد في إيش^(٢) يستويان ؟ .

فذهب^(٣) الأكثرون إلى أنها يستويان في سكنى مكة والنزول بها ، فليس أحدهما بأحق بالمنزل يكون فيه من الآخر .

وقال عبدالرحمن بن سابط : العاكف فيه ومن يجئ من الحجاج والمعتمرين سواء في المنازل غير أن لا يخرج أحد من بيته^(٤) .

وهذا قول ابن عباس ، وقتادة ، وسعيد بن جبير ، وابن زيد ، وأبي صالح^(٥) .

ومن مذهب هؤلاء : أن كراء دور مكة وبيعها حرام لقوله تعالى : ﴿سَوَاءٌ أَلْعَنَكُفُ فِيهِ وَالْبَادُ﴾ فجعل الطارئ كالمقيم فيه ، فليس أحد أحق بمنزلة من أحد إلا أن يكون سبق إلى منزل .

قال أبو علي : واستواء العاكف والبادي فيه دلالة على أن^(٦) أرض الحرم لا تملك ، ولو ملك لم يستويا فيه ، وصار العاكف فيها^(٧) أولى بها من البادي

(١) انظر : لسان العرب (بدا) ٦٧/١٤ .

(٢) غير منقوطة في (أ) . ومعنى إيش : أي شيء .

(٣) في (ظ) : (فذكر) .

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٧٩/٤ ، ٨٠ ، ورواه الطبري ١٣٧/١٧ بنحوه .

(٥) روى الطبري ١٣٧/١٧ هذا القول عن هؤلاء جميعاً .

وذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٥٠/٣ أعنهم سوى قتادة .

(٦) (أن) : ساقطة من (ظ) و(د) .

(٧) في (ظ) : (فيه) .

لحق ملكه ، ولكن سبيلها كسبيل المساجد الذي من سبق إليها كان أولى [بالمكان لسبقه ، وسبيل المباح الذي من سبق إليه كان أولى] ^(١) به ^(٢) .

وهذا مذهب ابن عمر ، قال : سواء أكلت مُحَرَّمًا أو كراء دار مكة ^(٣) .

وعلى قول هؤلاء ، المسجد الحرام في هذه الآية معناه الحرم كله كقوله : ﴿الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لِنِئَامٍ مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الإسراء: ١٠] وقد مر .

وقال آخرون ^(٤) : معنى ﴿سَوَاءَ أَلَعَكُفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ في تفضيله وتعظيم حرمة وإقامة المناسك به ^(٥) .

وهو مذهب مجاهد ^(٦) والحسن ^(٧) ، وقول من أجاز بيع ^(٨) دور مكة .

وعلى قول هؤلاء ، المراد بالمسجد الحرام عين المسجد الذي يصلى فيه اليوم .

قال إسماعيل بن إسحاق القاضي : فظاهر القرآن يدل على أن المسجد الذي يكون فيه قضاء النسك وقضاء الصلاة ، وكان المشركون يمنعون المسلمين عن الصلاة في المسجد الحرام والطواف فيه ، ويدعون أنهم أربابه وولاته ^(٩) ، وفي هذا نزل قوله تعالى : ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ الآية [التوبة: ١٩] .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٢) الحجة لأبي علي الفارسي ٢٧١ / ٥ .

(٣) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان : (ج٣ ل ٥٠ أ) .

(٤) في (ظ) : (وقال آخرون) مكررة مرتين .

(٥) (به) : ساقطة من (أ) .

(٦) رواه الطبري ١٣٧ / ١٠ ، ١٣٨ .

(٧) لم أقف عليه .

(٨) (بيع) : ساقطة من (ظ) و(د) و(ع) .

(٩) في (أ) : (وولاته) .

فأما المنازل فلم تزل^(١) لأهل مكة الدور والمساكن ، غير أن المواساة تجب في أيام الموسم .

وجرت في هذه المسألة مناظرة بين الشافعي وإسحاق الحنظلي -رحمهما الله- بمكة^(٢) ، وكان إسحاق^(٣) لا يرخص في كراء بيوت مكة ، فاحتج الشافعي عليه بقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ [الحج : ٤٠] فنسب الديار إلى مالكيها ، وقال النبي ﷺ يوم فتح مكة : «من أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن»^(٤) وقال ﷺ : «وهل ترك لنا عقيل من رباع ؟»^(٥) .

-
- (١) في (ط) و(د) و(ع) : (يزل) غير منقوط أوله .
- (٢) انظر خبر هذه المناظرة مفصلاً في : آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم ١٨٠ ، ١٨١ ، ومناقب الشافعي للبيهقي ١/ ٢١٣-٢١٥ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٢/ ٨٩ ، ٩٠ .
- (٣) في (ظ) و(د) : (أبو إسحاق) ، وهو خطأ .
- (٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٢٩٢ ، ومسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير ، باب فتح مكة ٣/ ١٤٠٨ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
- (٥) رواه البخاري في كتاب الحج ، باب توريث دور مكة وبيعها وشرائها ٣/ ٤٥٠ ، ومسلم في كتاب الحج ، باب النزول بمكة للحاج وتوريث دورها ٢/ ٩٨٤ من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما . والربع : الدار . الصحاح للجوهري (ربع) ٣/ ١٢١١ .

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ يُظْلَمِ نُذْقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ . جميع أهل المعاني قالوا في (بالحداد) زيادة^(١)، معناه: ومن يُرِدْ فيه إلحاداً بظلم، وهو قول الفرّاء^(٢)، والأخفش^(٣)، والمبرد^(٤)، والزّجاج^(٥).

(١) قال ابن العربي في أحكام القرآن ٣/ ١٢٧٦: تكلم الناس في دخول الباء هاهنا، فمنهم من قال: إنها زائدة. وهذا مما لا يحتاج إليه في سبيل العربية، لأن حمل المعنى على الفعل أولى من حمله على الحرف، فيقال المعنى: ومن يهيم فيه بميل يكون ذلك الميل ظلماً، لأن الإلحاد هو الميل في اللغة، إلا أنه قد صار في عرف الشريعة ميلاً مذموماً، فرفع الله الإشكال، وبين أن الميل بالظلم هو المراد هنا. وقال أبو حيان في البحر المحيط ٦/ ٣٦٣ بعد ذكره لقول من قال: إن الباء زائدة: والأولى أن تُضمّن (يرد) معنى (يتلبس) فيتعدى بالباء.

وقال ابن كثير ٣/ ٢١٤: والأجود أنه ضمن الفعل هاهنا معنى (يهيم)، ولذا عداه بالباء فقال ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ﴾؛ أي يهيم فيه بأمر فظيع من المعاصي الكبار ﴿يُظْلَمِ﴾ أي عامداً قاصداً أنه ظلم ليس بمتأول.

(٢) انظر: معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢٢٣.

(٣) انظر: معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٣٦.

(٤) في نسبة هذا القول للمبرد والزّجاج نظر.

فإن أبا جعفر النحاس في كتابه معاني القرآن ٤/ ٣٩٥ بعد أن حكى عن الأخفش القول بأن الباء زائدة قال: وهذا عند أبي العباس خطأ؛ لأنه لا يزداد شيء لغير معنى. والقول عنده أن يريد ما يدل على الإرادة، فالمعنى: ومن إرادته بأن يلحد بظلم كما قال الشاعر:

أريدُ لأنسى ذكرها فكأنّما تمثّل لي ليلي بكل سبيل

وأما الزّجاج فقد قال في كتابه معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٢١: وقال أهل اللغة: إن معنى الباء الطرح. المعنى: ومن يرد فيه إلحاداً بظلم وأنشدوا:

ثم ذكر الزّجاج بيتين من الشعر. ثم قال: والذي يذهب إليه أصحابنا أن الباء ليست بملغاة، المعنى عندهم: ومن إرادته فيه بأن يلحد بظلم، وهو مثل قوله: أريد لأنسى ذكرها. البيت.

(٥) المرجع السابق.

قال الفراء : سمعت أعرابياً من ربيعة^(١) وسألته عن شيء فقال : أرجو بذلك^(٢) . يريد أرجو ذلك^(٣) قال : ودخلت الباء في ﴿بِالْحَكَمِ﴾ لأن تأويله : ومن يرد بأن^(٤) يلحد فيه . ودخول الباء في (أن) أسهل منه في الإلحاد ؛ لأن (أن) تُضم^(٥) الخافض^(٦) معها كثيراً ، فاجتمعت^(٧) [دخول الخافض وخروجه ؛ لأن الإعراب لا يتبين فيها وقل]^(٨) دخولها في المصادر لتبين الإعراب^(٩) فيها وأنشد^(١٠) :

ألا هل أتاها والحوادثُ جمة بأنَّ أمراً القيسِ بن تَمْلِكَ بيقرا^(١١)

- (١) ربيعة اسم لقبائل كثيرة . ولم يتميز لي المراد بها هنا . انظر : الباب لابن الأثير ١٥ / ٢ ، ١٦ ، ومعجم قبائل العرب لكحالة ٢ / ٤٢٠-٤٢٦ .
- (٢) في النسخ جميعها : بذلك . وأثبتنا ما في كتاب الفراء ٢ / ٢٢٣ .
- (٣) في (ظ) و(د) و(ع) : (بذلك) ، وهو خطأ .
- (٤) في (ظ) : (أن) .
- (٥) في (د) و(ع) : (يضم) ، وهو خطأ .
- (٦) عند الفراء في المعاني ٢ / ٢٢٣ : (الخوافض) ، وكذا الطبري ١٧ / ١٣٩ حيث نقل نص الفراء من غير تصريح باسمه .
- (٧) عند الفراء في المعاني : (فاحتملت) ، وكذا الطبري ١٧ / ١٣٩ حيث نقل نص الفراء من غير تصريح باسمه .
- (٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .
- (٩) عن الفراء في المعاني : (لتبين الخفض والرفع فيها) .
- (١٠) في (أ) زيادة : (الشاعر) ، بعد قوله : (وأنشد) . والأولى حذفها .
- (١١) البيت أنشده الفراء ٢ / ٢٢٢ لامرئ القيس ، وهو في ديوانه ٣٩٢ من رواية السكري وغيره ، والطبري ١٧ / ١٣٩ ، والصحاح للجوهري (بقر) ٢ / ٥٩٥ ، ولسان العرب (بقر) ٤ / ٧٥ ، وخزانة الأدب ٩ / ٥٢٤-٥٢٧ .

وهذا البيت من قصيدة طويلة قالها بعد أن ذهب إلى الروم مستنجداً بقصر للأخذ بثأر أبيه . قال البغدادي في الخزانة ٩ / ٥٢٦ : قوله : (ألا هل أتاها) الضمير لحبيبتة ، وقوله : (والحوادث جمة) ؛ أي كثيرة ، جملة اعتراضية بين الفعل وفاعله . . . ، وفائدة الاعتراض : الإخبار بأن هجرته عن بلاده حادثة من الحوادث ، والعرب تتمدح بالإقامة في البدو . . . وتملك بفتح المثناة الفوقية : اسم امرأة . . فمنهم - يعني من الشراح - من قال : أمه تملك ، ومنهم من قال : جدته ، ويحتمل أن تكون جدته من =

فأدخل الباء على (أن) وهي في موضع رفع^(١) .

وقال المبرّد: قال آخرون: إنها يحمل هذا على مصدره . والمعنى: من كانت إرادته واقعة بالإلحاد^(٢)، فدخلت الباء للمصدر .

وأنشد الزّجاج^(٣) على هذا المذهب قول كثير:

أريد لأنسى ذكرها . . . البيت

قال: والمعنى: إرادتي لهذا، ومعنى الإلحاد في اللغة: العدول عن القصد^(٤) .
وذكرنا ذلك في سورة النحل^(٥) .

واختلفوا في المراد بالإلحاد بالظلم المتوعد عليه بالعذاب الأليم، فقال مجاهد وقتادة: هو الشرك وعبادة غير الله^(٦) .

قبل أمه أو أمهاتها . والله أعلم . اهـ .

و(بيقرا): قيل: يَبْقُرُ الرجل ببقرة، إذا هاجر من أرض إلى أرض، وقيل: يَبْقُرُ الرجل، أقام بالخضر وترك قومه بالبادية . وقيل: يبقّر الرجل، إذا خرج من الشام إلى العراق .

الصحاح للجوهري ٥٩٥/٢، ولسان العرب ٧٥/٤ .

(١) معاني القرآن للفراء ٢/٢٢٢، ٢٢٣ .

(٢) في (ظ) و(د) و(ع): (على الإلحاد) .

(٣) البيت أنشده الزّجاج في معاني القرآن ٣/٤٢١ من غير نسبة، وهو بتمامه:

أريدُ لأنسى ذكرها فكأنما تمثّل لي ليل بكل سبيل

وهو في ديوان كثير ١٠٨، والكامل للمبرّد ٣/٩٧، وأما القالي ٢/٦٣، ولسان العرب (رود)

١٨٨/٣، والمقاصد النحوية للعيني ٢/٢٤٩، وخزانة الأدب ١٠/٣٢٩ .

(٤) معاني القرآن للزّجاج ٣/٤٢١ .

(٥) عند قوله تعالى: ﴿لَسَاثُ أَلَّذِي يُلْجِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبُ﴾ [النحل: ١٠٣] .

(٦) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/٥٠ ب عنهما . ورواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/٣٤، والطبري

١٧/١٤٠ عن قتادة .

وهو قول عطاء^(١)، وهو قول حبيب بن أبي ثابت، والكلبي.

وذكر هو سبب نزوله قال^(٢): نزل في عبدالله بن خطل^(٣) حين قتل الأنصاري، وارتد وهرب إلى مكة^(٤)، فنزل فيه ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاكِ﴾ يعني يميل عن الإسلام، ثم يظلم، فيدخل الحرم بشرك^(٥).

(١) رواه سعيد بن منصور في تفسيره: (ل ١٥٥ ب) من طريق حبيب بن أبي ثابت، عنه قال: القتل والشرك. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٩/٦ وعزاه لسعيد وعبد بن حميد وابن المنذر. وقال النحاس في معاني القرآن ٣٩٤/٤: وروى هشيم، عن الحجاج، عن عطاء ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاكِ﴾ قال: من عبد غير الله عز وجل. وقد تقدم أن الرواية عن عطاء هي من طريقه. وجاء عنه تفسير آخر، فروى الطبري ١٤١/١٧ عنه قال: هم المحتكرون الطعام بمكة.

(٢) في (ظ): (وقال).

(٣) هو عبدالله بن هلال بن خطل، وقيل: غالب بن هلال بن خطل، اسم خطل: عبد بن مناف، من بني تيم بن فهر بن غالب، كان اسمه عبد العزى فأسلم فسمي عبدالله، ثم أن النبي ﷺ بعثه مصداقاً، وبعث معه رجلاً من الأنصار، وكان له مولى مسلم فغضب عليه غضبة، فقتله، ثم ارتد مشركاً، وكان له قيتان تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ والمسلمين، فلهذا أهدر النبي ﷺ دمه، فقتل وهو معلق بأستار الكعبة يوم فتح مكة، واشترك في قتله أبو برزة الأسلمي وسعيد بن حريث المخزومي. السيرة النبوية لابن هشام ٢٩/٤، والكامل في التاريخ لابن الأثير ١٦٩/٢، والبداية والنهاية ٢٩٧/٤، وفتح الباري لابن حجر ٦١/٤.

(٤) المصادر السابقة.

(٥) ذكره الرازي ٢٣/٢٥ عن مقاتل. وقد روى ابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير ٣/٢١٥ من طريق ابن لهيعة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال في قوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاكِ﴾: (نزلت في عبدالله بن أنيس أن رسول الله ﷺ بعثه مع رجلين أحدهما مهاجر والآخر من الأنصار، فافتخروا في الأنساب، فغضب عبدالله بن أنيس، فقتل الأنصاري ثم ارتد عن الإسلام، ثم هرب إلى مكة، فنزل فيه. ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاكِ يَطْلُرُ﴾ وسنده ضعيف، لضعف ابن لهيعة.

وقال آخرون : هو كل شيء كان منهياً عنه ، حتى قال ابن مسعود : لو أن رجلاً بـ (عدن أبين)^(١) همَّ أن^(٢) يعمل بسيئة عند البيت أذاقه الله عذاباً أليماً^(٣) . وقال الضحاك : إن الرجل ليهم بالخطيئة بمكة وهو بأرض أخرى ، فتكتب عليه ولم يعلمها^(٤) .

وهذا قول السدي^(٥) ، وابن زيد^(٦) ، ومجاهد في رواية عثمان بن الأسود^(٧) .

(١) في (أ) : (بعدان أبين) ، وهو خطأ . و(عدن أبين) مدينة مشهورة على ساحل بحر اليمن ، ويقال لها (عدن أبين) للتمييز بينها وبين (عدن لاعة) في بلاد حجة باليمن .

انظر : معجم البلدان لياقوت ٦/ ١٢٦ ، ١٢٧ ، ومراسد الاطلاع للبغدادى ٢/ ٩٢٣ ، ومعجم المدن والقبائل اليمنية للمقحفي ٢٧٩ .

(٢) (أن) : ساقطة من (ظ) و(د) و(ع) .

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ٦/ ٦٥ ، وإسحاق بن راهويه في مسنده كما في المطالب العالية لابن حجر ٥١٥ ، وإتحاف المهرة للبوصيري : (ج ٣ ل ٩٠ ب) ، والبزار في مسنده كما في كشف الأستار للهيتمي ٣/ ٦٠ ، والطبري في تفسيره ١٧/ ١٤١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير ٣/ ٢١٤ ، ٢١٥ ، والحاكم في مستدركه ٢/ ٣٨٧ ، ٣٨٨ .

قال ابن كثير في تفسيره ٣/ ٢١٥ بعد أن ذكر سند ابن أبي حاتم ورواية الإمام أحمد : هذا الإسناد صحيح على شرط البخاري ، ووقفه أشبه من رفعه .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٧٠ : رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ، ورجال أحمد رجال الصحيح . وقال ابن حجر في المطالب العالية ٣/ ٣٥٢ والمسندة ٥١٥ : قوي الإسناد .

وقال البوصيري في إتحاف المهرة ٣/ ٩٠ ب بعد ذكره لرواية إسحاق : هذا إسناد موقوف صحيح .

(٤) رواه الطبري ١٧/ ١٤١ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٩ وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر .

(٥) انظر : الطبري ١٧/ ١٤٠ ، ١٤١ .

(٦) في الطبري ١٧/ ١٤١ عنه قال : الإلحاد : الظلم في الحرم .

(٧) روى عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٤ عن الثوري ، وسعيد بن منصور في تفسيره : (ل ٥٥ ب) عن ابن المبارك كلاهما يعني الثوري وابن المبارك عن عثمان بن الأسود عن مجاهد قال : بيع الطعام بمكة إلحاد .

ورواه سعيد بن منصور (ل ٥٥ ب) عن إسماعيل بن زكريا عن عثمان بن الأسود عن مجاهد قال : احتكار الطعام بمكة إلحاد ، وليس الجالب كالمقيم .

وقال ابن عباس : هو استحلال ما حرم الله^(١) . وهذا قول ابن جريج^(٢) .

وقال في رواية عطاء : هو قتل ما نهى الله عنه من الصيد ، ودخول مكة بغير إحرام ، وأخذ حمام مكة ، وأشياء كثيرة لا يجوز للمحرم أن يفعلها^(٣) .

وعلى هذا القول ، هذا الإلحاد والظلم يختص باستحلال محظورات الإحرام وركوبها^(٤) .

وقوله : ﴿ نَذِقُهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ . قال أبو إسحاق^(٥) : هو خبر (إن) للمذكور في أول الآية . قال : والمعنى أن الكافرين والملحدين^(٦) في المسجد الحرام نذيقهم^(٧) من عذاب أليم . قال : ويجوز أن يكون محذوفاً فيكون المعنى : إن الذين هذه صفتهم هلكوا^(٨) .

(١) رواه الطبري ١٧ / ١٤٠ عنه من رواية العوفي .

(٢) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٣ / ٥٠ .

(٣) في (ظ) و(د) و(ع) : (لا يجوز أن يفعلها المحرم) .

(٤) قال الطبري ١٧ / ١٤١ : وأولى الأقوال : التي ذكرناها في تأويل ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود وابن عباس من أنه معني بالظلم في هذا الموضع : كل معصية لله ، وذلك ؛ لأن الله عم بقوله : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَايمِ يُظْلَمِ ﴾ ولم يُخصص به ظلم من دون ظلم في خبر ولا عقل ، فهو على عمومه .

وقال النحاس في معاني القرآن ٤ / ٣٩٤ : وأبين ما قيل فيه أن معنى ﴿ بِالْحَكَايمِ يُظْلَمِ ﴾ لكل معصية ؛ لأن الآية عامة . وقال أبو حيان في البحر ٦ / ٣٦٣ ، بعد ذكره للأقوال : والأولى حل هذه الأقوال على التمثيل لا على الحصر ، إذ الكلام يدل على العموم .

وقال ابن كثير ٣ / ٢١٥ : وهذا الآثار وإن دلت على أن هذه الأشياء من الإلحاد ولكن هو أعم من ذلك ، بل فيها تنبيه على ما هو أغلظ منها .

(٥) (إسحاق) : مكان بياض في (أ) . ثم (أ) بعد ذلك (وعلى هذا القول) وقد ضرب عليه الناسخ ، لأنه مكرر بسبب انتقال نظره إلى السطر الذي قبله .

(٦) (والملاحدين) : ساقطة من (ظ) و(د) و(ع) .

(٧) عند الزجاج : (نذيقهم) .

(٨) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٤٢٠ مع تصرف يسير .

والعرب ربما تحذف الخبر إيجازاً واختصاراً كما روي أن النبي ﷺ رأى
عبدالله بن عمر، فقال: «إن عبدالله»^(١). ولم يزد على هذا كأنه أراد: إن عبدالله
رجل صالح، أو ما أشبهه.

قال أبو إسحاق: والأول الوجه^{(٢)(٣)}.

٢٦. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ﴾. الكلام في (بوأنا)
قد سبق في مواضع منها قوله: ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٢١] وقوله:
﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبْوَأَ صِدْقٍ﴾ [يونس: ٩٣].

(١) رواه الطبراني كما في مجمع الزوائد ٢٤٦/٩ عن مجاهد قال: شهد ابن عمر -رحمه الله- الفتح وهو
ابن عشرين، ومعه فرس حرور ورمح ثقيل، فذهب ابن عمي يختلي لفرسه، فقال رسول الله ﷺ:
إن عبدالله.

قال الهيثمي في المجمع ٢٤٦/٩: ورجاله رجال الصحيح إلا أن مجاهداً أرسله.
تنبيه: وقع في المطبوع من مجمع الزوائد: (إن عبدالله رجل صالح) ولفظ (رجل صالح) زادها المعلق
على المجمع كما أنه هو على ذلك في الحاشية حيث قال: (رجل صالح) مستدركة من شذرات الذهب.
وهذا خطأ من المعلق، فإن حديث (إن عبدالله رجل صالح) بزيادة (رجل صالح) حديث آخر رواه
البخاري في صحيحه في كتاب التعبير، باب الاستبرق ودخول الجنة في المنام ٤٠٣/١٢ عن ابن عمر
-رضي الله عنهما- قال: رأيت في المنام كأن في يدي سرقه من حرير، لا أهوي بها إلى مكان في الجنة
إلا طارت بي إليه، فقصصتها على حفصة، فقصصتها حفصة على النبي ﷺ فقال: (إن أخاك رجل
صالح)، أو قال: (إن عبدالله رجل صالح). اهـ.

(٢) في (أ): (أوجه)، وهو خطأ.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤٢٠/٣.

وقوله : ﴿لَا تَرْهَيْمَ﴾ أدخل اللام ولم يدخلها في ﴿بَنَىٰ إِسْرَءِيلَ﴾^(١) . وذكر
الفرّاء فيه وجهين :

أحدهما : أن اللام دخلت^(٢) ؛ لأن المعنى : جعلنا^(٣) . [وكذلك^(٤) فسرّه
ابن عباس^(٥) .

قال أبو إسحاق : جعلنا^(٦) مكان البيت مُبَوًّا لإبراهيم^(٧) .

وقال مقاتل بن حيان : هيأنا^(٨) . وعلى هذا اللام من صلة معنى (بوأنا) لا من
صلة لفظه^(٩) .

الوجه الثاني^(١٠) : أن اللام صلة للتأكيد كقوله : ﴿رَدَفَ لَكُمْ﴾ [النمل : ٧٢]^(١١) .

وقال بعض أهل اللغة : تفسير ﴿بَوَّأْنَا﴾ هاهنا : بيّنا له مكان البيت ، يدل على
هذا ما ذكره السدي : أن الله لما أمره ببناء البيت لم يدر أين يبنى ، فبعث الله رجلاً

(١) في (أ) : (بوأنا بني إسرائيل) .

(٢) في (أ) زيادة : (على) بعد قوله : (دخلت) ، ولا معنى لها .

(٣) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢٢٣ .

(٤) في (أ) : (ولذلك) ، وهو خطأ .

(٥) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥١ أ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٢٢ .

(٨) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥١ أ .

(٩) في (ظ) و(د) و(ع) : (لفظ) .

(١٠) (الثاني) : ساقط من (ظ) و(د) و(ع) .

(١١) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢٢٣ ، وفيه : وإن شئت كان بمنزلة قوله : ﴿قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ﴾
معناه : ردفكم .

خجوجاً^(١)، فكنت له ما حول الكعبة عن الأساس الأول الذي كان البيت عليه قبل أن رفع^(٢) أيام الطوفان^(٣).

وقال الكلبي: بعث الله سحابة على قدر البيت في العرض والطول فيها رأسٌ يتكلم له لسان وعينان، فقامت بحيال^(٤) البيت، وقالت: يا إبراهيم، ابن على قدري. فذلك قوله: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾^(٥).

وقال بعض أهل المعاني: ﴿بَوَّأْنَا﴾ أصله من (باء) إذا رجع^(٦)، وتفسير ﴿بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ جعلنا مكان البيت له مبوأ يرجع إليه بعلامة، [وتلك العلامة]^(٧) ما ذكره السدي والكلبي.

قوله تعالى: ﴿أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا﴾ [قال الكلبي: لما فرغ إبراهيم من البيت، وطاف به أسبوعاً، أوحى الله إليه: أن يا إبراهيم، لا تشرك بي شيئاً]^(٨). وعلى هذا في الكلام محذوف وهو: وأوحينا إليه، أو: وعهدنا إليه.

-
- (١) عند الطبري: يقال لها ريس الخجوج. والخجوج: هي الريح الشديدة المرّ والمتوية في هبوبها. القاموس المحيط ١/ ١٨٤.
 - (٢) في النسخ جميعها: (رفع)، وفي الوسيط ٢/ ٢٦٦: (يرفع).
 - (٣) رواه الطبري ١٧/ ١٤٣ عنه من دون قوله: الذي مكان البيت. الطوفان.
 - وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣١ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل. والله أعلم بصحة ذلك فهو من الإسرائيليات.
 - (٤) بحيال: أي بإزاء. الصحاح للجوهري (حيل) ٤/ ١٦٧٩.
 - (٥) انظر: الدر المنثور ٦/ ٣٠. والله أعلم بصحة ذلك.
 - (٦) ذكر هذا المعنى الطوسي في التبيان ٧/ ٢٧٤، والجشمي في التهذيب ٦/ ١٧٣ من غير نسبة لأحد.
 - (٧) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).
 - (٨) ساقط من (ظ).

﴿أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا﴾ ؛ أي لا تعبد معي غيره . قال ابن عباس : وفي هذا رد على مشركي مكة ؛ لأنهم كانوا يدَّعون أنهم ^(١) على دين إبراهيم ، فأخبر الله - تعالى - أنهم قد كَذَّبُوا ؛ لأن إبراهيم كان موحدًا قد أوحى ^(٢) إليه : أن لا تشرك بالله شيئاً .

وقال المبرِّد : معنى لا تشرك بالله شيئاً : وحد الله كأنه قيل له ^(٣) : وحدني في هذا البيت .

قوله : ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي﴾ . قال قتادة : من الشرك وعبادة الأوثان ^(٤) .

وقال عبيد بن عمير : من الآفات والريب ^(٥) . وهذا مما سبق تفسيره في سورة البقرة ^(٦) .

قوله : ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾ يعني : المصلين ^(٧) الذين هم قيام في صلاتهم .

٢٧ . قوله تعالى : ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ . معنى التأذين : النداء والتصويت للإعلام ^(٨) وذكرنا ذلك عند قوله : ﴿فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾ [الأعراف : ٤٤] وقوله : ﴿ثُمَّ أَدْنِ أُذُنَ الْمُؤَذِّنِ أَيْتُهَا الْعِزُّ﴾ [يوسف : ٧٠] وقوله : ﴿وَأَذِّنْ مِنْ اللَّهِ﴾ [التوبة : ٣] .

(١) (أنهم) : ساقطة من (ظ) و(د) و(ع) .

(٢) في (ظ) : (وأوحى) .

(٣) (له) : ساقطة من (أ) .

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره ٣٤ / ٢ ، والطبري ١٧ / ١٤٣ .

(٥) رواه الطبري ١٧ / ١٤٣ .

(٦) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ [البقرة : ١٢٥] .

(٧) في (ظ) : (والمصلين) .

(٨) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (أذن) ١٧ / ١٨ ، والصحاح للجوهري ٥ / ٢٠٦٨ ، ولسان العرب ١٣ / ٩ - ١٢ .

قال جماعة المفسرين : لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قيل له : أذن^(١) في الناس بالحج . قال : يا رب وما يبلغ صوتي ؟ قال : أذن ، وعلي البلاغ . فصعد إبراهيم على أبي قبيس والمقام معه ، ثم صاح : يا أيها الناس ، إن الله يدعوكم إلى حج بيته الحرام ، ليشيكنكم به الجنة ، ويحيركم^(٢) من عذاب النار . نادى ما شاء الله من ذلك ، فأجابه من كان في أصلاب الرجال وأرحام النساء : لبيك اللهم لبيك . من^(٣) أجاب يومئذ حج على قدر الإجابة ، إن أجاب مرة فمرة ، وإن أجاب مرتين فمرتين على قدر ذلك . فذلك^(٤) قوله : ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾^(٥) .

هذا الذي ذكرنا هو^(٦) قول جماعة المفسرين إلّا الحسن ، فإنه قال : هذا الأمر بالتأذين للنبي ﷺ أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع ، ففعل ذلك حيث قال : يا أيها الناس ، كتب عليكم الحج^(٧) .

وإنما قال : ﴿يَأْتُوكَ﴾^(٨) وإن كانوا يأتون الكعبة ، لأن المنادي كان إبراهيم ، فمن أتى الكعبة حاجاً فكانه قد أتى إبراهيم عليه السلام ، لأنه مجيب نداءه . وفيه أيضاً تشريف لإبراهيم حين خوطب باللاتيان .

(١) في (أ) : (فأذن) .

(٢) في (ط) : (يخرجكم) ، وهو خطأ .

(٣) في (ط) : (فمن) .

(٤) (فذلك) : ساقطة من (أ) .

(٥) ذكر نحو هذا ابن كثير في تفسيره ٢١٦/٣ ثم قال : هذا مضمون ما ورد عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف والله أعلم . اهـ .

انظر : الطبري ١٧/١٤٤ ، ١٤٥ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣/٥١ أ ، والدر المنثور للسيوطي ٣٢-٣٥ .

(٦) (هو) : ساقطة من (ط) .

(٧) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/٥١ أو صدره بقوله : وزعم الحسن . اهـ .

وهذا القول المروي عن الحسن خلاف الظاهر .

(٨) (رجالاً) : في (أ) : (يأتوك رجالاً) .

ورجال : جمع راجل ، مثل : صَاحِبٍ وَصَحَابٍ ، وَقَائِمٍ ^(١) وَقِيَامٍ ^(٢) . وبُدئ بذكرهم تشریفاً لهم لزيادة تعبهـم .

وقوله : ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ ؛ أي وركبناً . والضمور : الهزال ، ومثله الضُّمْر ^(٣) ، ضَمْرٌ يَضْمُرُ ضُمُورًا ^(٤) .

قال ابن عباس : يريد الإبل وغيره ^(٥) . قال الكلبي : لا يدخل بعير ولا غيره الحرم إلّا وقد ضمـر .

وقوله : ﴿يَأْتِينَ﴾ جمع الفعل لمعنى ^(٦) كل ، ولو قال : يأتي ، على اللفظ صح ^(٧) .

قوله : ﴿مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ أي طريق بعيد . قاله الجميع ^(٨) .

وذكرنا الكلام في الفج عند قوله : ﴿فَجَاكَا سُبُلًا﴾ [الأنبياء : ٣١] . والعميق : البعيد . قال الليث : الفج المضرب البعيد ^(٩) .

(١) وقائم : ساقطة من (أ) .

(٢) من قوله : (ورجال) إلى هنا منقول عن معاني القرآن للزجاج ٤٢٢/٣ بنصه .

(٣) الضُّمْر : بالضم وبضمـتين . و(ضمـر) كنصر وكرم . قال الفيروزآبادي في القاموس المحيط (ضمـر) ٧٦/٢ .

(٤) تهذيب اللغة للأزهري (ضمـر) ٣٦/١٢ نقلاً عن الليث .

(٥) رواه الطبري ١٧/١٤٦ من دون قوله : (وغيره) .

(٦) في (ظ) : (بمعنى) .

(٧) (صح) : ساقطة من (أ) .

(٨) انظر : الطبري ١٧/١٤٦ ، وابن كثير ٣/٢١٦ ، والدر المشور ٦/٣٦ .

(٩) تهذيب اللغة للأزهري (عمق) ١/٢٩٠ نقلاً عن الليث . انظر : العين (عمق) ، و(معق) ١/١٨٦ ، ١٨٧ .

وقال غيره^(١): هو الشعب الواسع بين جبلين . قال^(٢) : ويقال : مَعِيقٌ وَعَمِيقٌ ، العميق في الطريق أكثر .

قال الفرّاء لغة أهل الحجاز عميق ، وبنو تميم تقول^(٣) : معيق^(٤) .

وتقول العرب^(٥) : بئر عميقة ومعيقة ، [وقد]^(٦) أعمقتها وأمعقتها ، وقد عُمِّقَتْ وَمُعِّقَتْ مَعَاقَةً ، وإنها لبعيدة العَمَقِ والمَعَقِ^(٧) . والأَمْعَاقُ والأَعْمَاقُ : أطراف المفازة البعيدة^(٨) . قال رؤبة^(٩) :

وقاتم الأعماق خاوي المخترق

٢٨ . قوله : ﴿لِيَشْهَدُوا﴾ ؛ أي ليحضرُوا مشاهد مكة ومشاعرها . يعني : الناس الذين ذكروا في قوله : ﴿يَأْتُوكَ﴾ .

-
- (١) القائل : وقال غيره هو الأزهري انظر : تهذيب اللغة ١ / ٢٩٠ .
 (٢) يعني الليث كما في تهذيب اللغة للأزهري (عمق) ١ / ٢٩٠ ، وانظر : العين ١ / ١٨٦ ، ١٨٧ .
 (٣) تقول : ساقطة من (ظ) .
 (٤) تهذيب اللغة للأزهري (عمق) ١ / ٢٩٠ ، وليس هذا النص موجوداً في معاني الفرّاء انظر : ٢ / ٢٢٤ .
 (٥) في (ظ) و(د) و(ع) : (والعرب تقول) .
 (٦) زيادة من تهذيب اللغة للأزهري ١٠ / ٢٩٠ .
 (٧) تهذيب اللغة للأزهري (عمق) ١ / ٢٩٠ غير منسوب لأحد .
 (٨) تهذيب اللغة للأزهري (عمق) ١ / ٢٩٠ منسوباً لليث . وهو في كتاب العين (عمق) ١ / ١٨٧ مع اختلاف يسير ، ومعه بيت رؤية كاملاً منسوباً إليه .
 (٩) هذا شطر من أرجوزة لرؤية في وصف مفازة ، وهو في ديوانه ١٠٤ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ / ٣٨٠ ، والطبري ١٥ / ٨٨ ، وتهذيب اللغة للأزهري (عمق) ١ / ٢٩٠ ، واللسان (عمق) ١٠ / ٢٧١ ، وخزانة الأدب ١٠ / ٢٥ ، ٢٦ .

قال البغداددي في الخزانة ١٠ / ٢٥ ، ٨١ / ١ : (وقاتم) مجرور بـ(رب) المحذوفة بعد الواو . وهو صفة لموصوف محذوف ؛ أي رب بلد قاتم . قال الأصمعي : القُتْمَةُ : العُبْرَةُ . وأسود قاتم ؛ أي رب بلد مُغْبَرٌ . والأعماق : جمع عمق بفتح العين : وضمها ، وهو ما بعد من أطراف المفاوز . والخواوي : الخالي . والمخترق بفتح الراء : مكان الاختراق ، من الخرق وهو الشق ، استعمل في قطع المفازة .

قوله : ﴿مَنْفَعَ لَهُمْ﴾ . قال ابن عباس في رواية أبي رزين : هي الأسواق^(١) .

وهو قول سعيد بن جبير والسدي : يعني التجارة^(٢) . واختيار ابن قتيبة^(٣) .

وعلى هذا ، المنافع تختص بمنافع الدنيا .

وقال في رواية عطاء : منافع لهم في الدنيا والآخرة^(٤) .

وهو قول مجاهد : يعني التجارة ، وما يرضي الله - سبحانه - من عمل الدنيا والآخرة^(٥) .

والمنافع - على هذا القول - شائعة في الأجر والتجارة^(٦) .

وقال العوفي ، وسعيد بن المسيب ، والباقر^(٧) : هي العفو والمغفرة^(٨) . فخصوا المنافع بمنافع الآخرة .

(١) ذكره الثعلبي ٥١ / ٣ أعنه من رواية أبي رزين . ورواه الطبري ١٧ / ١٤٦ عنه من رواية أبي رزين .

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٣٧ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم ، عن ابن عباس .

(٢) ذكره عن سعيد الثعلبي في الكشف والبيان ٣ / ٥١ ب ، ورواه عنه الطبري ١٧ / ١٤٦ .

وذكره عن السدي ابن الجوزي في زاد المسير ٥ / ٤٢٤ .

(٣) انظر : غريب القرآن لابن قتيبة ٢٩٢ .

(٤) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٦ / ٣٧ عنه ، وذكره ابن كثير ٣ / ٢١٦ عنه - رضي الله عنه - ولم يبين من رواه عنه .

(٥) رواه عبد الرزاق في تفسيره ٢ / ٣٦ ، والطبري ١٧ / ١٤٧ .

(٦) قال ابن الجوزي ٥ / ٤٢٥ : وهو أصح .

(٧) في (أ) : (النامر) .

(٨) ذكره عنهم الثعلبي جميعهم في الكشف والبيان ٣ / ٥١ ب . وعن الباقر رواه الطبري ١٧ / ١٤٧ .

وهذا القول اختيار أبي إسحاق ، قال : ليشهدوا ما ندبهم الله إليه مما فيه النفع لهم في آخرتهم^(١) .

قوله : ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : يريد أيام الحج ، وهي يوم عرفة والنحر وأيام التشريق^(٢) .

- (١) معاني القرآن للزجاج ٤٢٣/٣ ، قال الطبري رحمه الله في تفسيره ١٧/١٤٧ ، وأولى الأقوال بالصواب قول من قال : عني بذلك ليشهدوا منافع لهم من العمل الذي يرضى الله والتجارة ، وذلك أن الله عم لهم منافع ما يشهد له الموسم جميعه ويأتي له مكة أيام الموسم من منافع الدنيا والآخرة ، ولم يخص من ذلك شيئاً من منافعهم بخبر ولا عقل ، فذلك على العموم في المنافع التي وصفت .
- (٢) ذكره عن ابن عباس من رواية عطاء البغوي في تفسيره ٥/٣٧٨ . وذكره الرازي ٢٣/٢٩ عنه من رواية عطاء لكن ليس فيها ذكر يوم عرفة .

وهذه الرواية التي ذكرها الواحدي هنا عن ابن عباس ضعيفة .

وقد جاء عن ابن عباس روايات في المراد بالأيام المعلومات أصحها أن الأيام المعلومات هي أيام العشر . رواه البخاري عنه تعليقاً بصيغة الجزم في كتاب العيدين ، باب فضل العمل في أيام التشريق ٢/٤٥٧ ، ووصله ابن حجر في الفتح ٢/٤٥٨ ، وتغليق التعليق ٢/٣٧٧ من رواية عبد بن حميد في تفسيره من طريق عمرو بن دينار : سمعت ابن عباس . . . الأيام المعلومات أيام العشر .

ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٥/٢٢٨ من طريق هُشيم ، حدثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : المعلومات : العشر . وإسناده صحيح .

وذكره ابن كثير في تفسيره ٣/٢١٦ من رواية شعبة وهشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد عن ابن عباس . وذكر هذا القول عن ابن عباس السيوطي في الدر المنثور ١/٥٦٢ فقال : وأخرج القرطبي وعبد بن حميد والمروزي في العيدين وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب والضياء في المختاره من طرق ، عن ابن عباس قال : الأيام المعلومات أيام العشر ، والأيام المعدودات أيام التشريق .

وهذا القول اختيار أبي إسحاق^(١) . وقال الحسن وقتادة : الأيام المعلومات أيام عشر ذي الحجة ، والمعدودات أيام التشريق^(٢) .

وإنما قيل لهذه معدودات ؛ لأنها قليلة ، وقيل لتلك معلومات ؛ للحرص على علمها^(٣) بحسابها من أجل وقت الحج في آخرها^(٤) .

وقال مقاتل : المعلومات أيام التشريق^(٥) . وهذا قول القرظي ، لأنه جعل المعدودات والمعلومات واحدة^(٦) . والاختيار قول ابن عباس .

قال أبو إسحاق : لأن الذكر هاهنا يدل على التسمية على ما ينحر لقوله : ﴿عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾^(٧) .

(١) اختار أبو إسحاق الزَّجَّاج في كتابه معاني القرآن ٤٢٣/٣ أن الأيام المعلومات هي يوم النحر والأيام التي بعده ينحر فيها ، قال : لأن الذكر هاهنا يدل على التسمية على ما ينحر لقوله : ﴿عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ .

فلم يذكر الزَّجَّاج يوم عرفة ؛ لأن يوم عرفة ليس من أيام النحر ، فقول الواحدي : وهذا القول - يعني قول ابن عباس في رواية عطاء - اختيار أبي إسحاق . خطأ .

(٢) رواه عن قتادة عبدالرزاق في تفسيره ٣٧/٢ ، والطبري ١٤٨/١٧ . وذكره عن الحسن الزمخشري ١١/٣ ، وابن الجوزي ٤٢٥/٥ ، وابن كثير ٢١٦/٣ . وهذا القول هو أصح الروايات عن ابن عباس كما قدمنا . وهو قول أكثر المفسرين كما قال الثعلبي في الكشف والبيان ٥١/٣ ب .

وقال ابن كثير في تفسيره ٢١٦/٣ بعد ذكره هذا القول عن ابن عباس : وروى مثله عن أبي موسى الأشعري ، ومجاهد ، وقتادة ، وعطاء ، وسعيد بن جبير ، والحسن والضحاك ، وعطاء الخراساني ، وإبراهيم النخعي ، وهو مذهب الشافعي ، والمشهور عن أحمد بن حنبل . اهـ .

(٣) في (أ) : (عملها) ، وهو خطأ .

(٤) هذا قول الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان ٥١/٣ ب .

(٥) الكشف والبيان للثعلبي ٥١/٣ ب .

(٦) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٥١/٣ ب .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤٢٣/٣ .

[يعني أن هذه الأيام يجب أن تختص بأيام الذبح ، لأن قوله : ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾^(١) المراد به التسمية عند الذبح .

قال قتادة : كان^(٢) يقال : إذا ذبحت نسيكتك فقل : بسم الله والله أكبر ، اللهم منك عن فلان^(٣) . ونحو هذا ذكر الكلبي .

وأول وقت الذبح يوم النحر إذا طلعت الشمس ، ومضى من اليوم مقدار صلاة رسول الله ﷺ ، فمن ذبح قبل هذا لم يحتسب من الضحايا ، وآخر أيام الذبح إذا غربت الشمس يوم الثالث عشر ، فهي أربعة أيام ، والليالي في خلال هذه الأيام وقت^(٤) ذبح^(٥) .

ومن فسر المعلومات بالعشر من ذي الحجة قال : لما كان يقع هذا النوع من الذكر في آخر يوم منها جاز أن يوصف الذكر بأنه فيها كلها ، لأن هذا اليوم وهو اليوم العاشر من جملة العشر فالذكر واقع في العشر ، والعشر ليس تخلو من هذا الذكر .

قوله : ﴿عَلَى مَا رَزَقَهُمْ﴾ ؛ أي على ذبح ما رزقهم من بهيمة الأنعام .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٢) (كان) : ساقطة من (أ) .

(٣) ذكره عنه السيوطي في الدر المنثور ٣٧/٦ وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم .

(٤) في (ظ) : (للذبح) .

(٥) انظر : الأم ١٨٧/٢ ، والحاوي الكبير للسماوردي ٣٧٨/٤ ، والمغني لابن قدامة ٣٠٠/٥ ، ٣٠١ ، وروضة الطالبين للنووي ١٩٩/٣ ، ٢٠٠ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٤-٤٢/١٢ .

قال ابن عباس : يريد البدن من الإبل والبقر والضأن والمعز ، كل ذلك يريدون بها الله عز وجل .

﴿بِهَيْمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ هي الأنعام ، وذكرنا الكلام في هذا مستقصى في أول سورة المائدة .

وفي هذا دليل على أن الضحايا والهدايا مختصة بالأنعام ، وتفسيرها ما ذكره ابن عباس ، وذكرناه في مواضع ^(١) .

قوله تعالى : ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ قال ابن عباس : أجاز الله - تعالى - الأكل مما أهديت ، وأما الكفارة فلا يأكل منها أصحابها .

قال أبو إسحاق : ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ . ليس بأمر لازم ، من شاء أكل من أضحيته ومن شاء لم يأكل ، وإنما هو إباحة كما قال : ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢] ، وإنما قال : ﴿فَاصْطَادُوا﴾ ؛ لأنه قد كان حظر عليهم الصيد وهم محرمون ، فأباح لهم الصيد ، وكذلك هذا الأمر هاهنا بعد حظرهم كان ^(٢) على أنفسهم أكل الأضاحي ، لأن أهل الجاهلية كانوا إذا نحرُوا لم يستحلوا أن يأكلوا من نسائكهم شيئاً ، فأعلم الله - عز وجل - أن ذلك جائز ^(٣) .

هذا معنى قول ابن عباس : أجاز الله الأكل مما أهديت . وقوله ^(٤) : (أما الكفارة فلا يأكل منها أصحابها) : كل هدي كان صاحبه متطوعاً به جاز له الأكل ، فأما إذا كان كفارة وجبراً لنقصان نسك أو ترك نسك ، فلا يجوز له أن يأكل منه ،

(١) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦] .

(٢) (كان) : ليست عند الزجاج ، وهي في النسخ جميعها .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤٢٣/٣ .

(٤) يعني ابن عباس .

وذلك مثل دم القران والتمتع^(١) ، لأنه وجب بترك أحد الميقاتين ، وكذلك دم الإساءة ؛ لأنه وجب بسبب مجاوزة الميقات وكذلك دم^(٢) القلم والحلق وسائر المحظورات^(٣) ، وإنما أكل رسول الله ﷺ من لحم هديه^(٤) ، لأنه أفرد الحج فلم يجب عليه في حجه دم^(٥) .

والذي ذكرنا في قوله : ﴿ فَكُلُوا ﴾ أنه أمر بإباحة ، هو قول جميع المفسرين^(٦) .

(١) هذا مذهب الشافعي . وذهب جمهور العلماء إلى جواز الأكل من دم القران والتمتع ، لأن النبي ﷺ أكل من هديه وكان قارناً ، وأزواج النبي ﷺ تمتعن معه في حجة الوداع ، وأدخلت عائشة الحج على العمرة فصارت قارنة ، ثم ذبح عنهن النبي ﷺ البقرة ، فأكلن من لحمها . انظر : تفصيل ذلك في صحيح البخاري كتاب الحج ، باب ما يأكل من البدن ٣/ ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، وأحكام القران للجصاص ٣/ ٢٣٦ ، والمغني لابن قدامة ٥/ ٤٤٤-٤٤٦ .

(٢) في (ظ) : (دم) .

(٣) انظر : الأم ٢/ ١٨٤ ، وأحكام القران للجصاص ٣/ ٣٣٧ ، والحاوي ٤/ ١٨٧ ، والمغني ٥/ ٤٤٤-٤٤٦ ، وروضة الطالبين ٣/ ٢٢١ ، ٢٢٢ ، والجامع لأحكام القران للقرطبي ١٢/ ٤٤ .

(٤) روى مسلم في صحيحه في كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ ٢/ ٨٩٢ من حديث جابر - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر ، فطبخت ، فأكلنا من لحمها وشرابا من مرقها .

(٥) الصواب أن النبي ﷺ كان قارناً للأحاديث الصحيحة الصريحة ، ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه في كتاب الحج ، باب جواز التحلل بالإحصار وجواز القران ٢/ ٩٠٤ عن ابن عمر أنه أوجب حجاً مع عمرته ، وطاف لهما طوافاً واحداً ، ثم قال : هكذا فعل رسول الله ﷺ . انظر بسط القول في هذا الأمر وتحقيقه في : زاد المعاد لابن القيم ٢/ ١٠٧-١٢٢ .

(٦) انظر : أحكام القران للجصاص ٣/ ٢٣٥ .

قال إبراهيم ومجاهد : إن شاء أكل ، وإن شاء لم يأكل . وكان أهل الجاهلية إذا نحرروا لم يستحلوا أكل ذبائحهم^(١) .

قوله : ﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ . قال ابن عباس : البائس : الذي ظهر بؤسه في ثيابه ووجهه ، وبان البؤس عليه . والفقير الذي لم يظهر بؤسه ، وثيابه نقية ، ووجهه وجه غني^(٢) .

وهذا الذي ذكره يوجب الفرق بينهما ، وحينئذ فيجب أن يكون (والفقير) بواو العطف ، وإذا ذكر معه^(٣) بغير حرف العطف فهو من صفة البائس .

والبائس : الذي ناله^(٤) بؤس ، وهو شدة الفقر . يقال : قد بؤس وبئس ، إذا صار ذا بؤس . ذكر ذلك الزجاج^(٥) .

وروي عن ابن عباس : أنه فسر البائس هاهنا بالزمن^(٦) .

(١) رواه سعيد بن منصور في تفسيره : ل ١٥٦ ب ، والطبري ١٧ / ١٤٨ عن إبراهيم من دون قوله : (وكان أهل)

وذكره ابن كثير في تفسيره ٣ / ٢١٧ عن إبراهيم بنحو ما ذكره الواحدي مع تقديم وتأخير .
وذكره عنه السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٣٧ بلفظ كان المشركون لا يأكلون ذبائح نسائهم ، فأنزل الله (فكلوا . . . فرخص للمسلمين ، فمن شاء . . .)

وعزه لعبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم . وعن مجاهد رواه الطبري ١٧ / ١٤٨ من دون قوله : وكان المشركون .

(٢) ذكره عنه الرازي ٢٣ / ٢٩ .

(٣) (معه) : ساقطة من (ظ) و(د) و(ع) .

(٤) (أ) : (يناله) .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٤٢٣ .

(٦) رواه الطبري ١٧ / ١٤٨ من رواية العوفي عنه .

وقال عطاء ومجاهد : هو الذي يسألك^(١) ويمد إليك يده^(٢) .

قال أصحابنا : من أهدى أو ضحى فحسن أن يأكل النصف ويتصدق بالنصف لقوله : ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا﴾ . فتقسم الأضحية على هذين الأمرين^(٣) ، ومنهم من قال : يقسمها أثلاثاً لما روى أن النبي ﷺ قال : «إنما نهيتكم عن أكل لحوم الأضاحي لأجل الدافة التي دفت ، ألا فكلوا»^(٤) وادخروا^(٥) وائتجروا^(٦) أي اطلبوا الأجر بالإطعام . فيقسمها أثلاثاً على الأوامر الثلاثة^(٧) .

الدافة الجماعة التي^(٨) يدفون ؛ أي يسIRON سيراً ليس بالشديد^(٩) . ولعل قوماً وردوا على رسول الله ﷺ ، فنهى أصحاب الضحايا عن أكلها لتشبع الواردة^(١٠) .

(١) في (أ) : (يسأل) .

(٢) رواه الطبري ١٧/ ١٤٩ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٨ . وعزاه لعبد بن حميد .

(٣) انظر : الحاوي الكبير للماوردي ٤/ ٣٨٠ ، وروضة الطالبين للنووي ٣/ ٢٢٣ .

(٤) في (ظ) و(د) و(ع) : (كلوا) .

(٥) في (أ) : (فادخروا) .

(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده ٦/ ٥١ ، ومسلم في صحيحه في كتاب الأضاحي ٣/ ١٥٦١ ، وأبو داود في سننه في كتاب الأضاحي باب حبس لحوم الأضاحي ٨/ ٧ ، ٨ ، والنسائي في سننه في كتاب الضحايا ، باب الادخار من الضحايا ٧/ ٢٣٥ من حديث عائشة - رضي الله عنها - باللفظ المذكور هنا ، لكن في روايتهم (وتصدقوا) بدل (وائتجروا) .

وقد وردت هذه اللفظة في الحديث الذي رواه أبو داود في سننه في كتاب الأضاحي ، باب حبس لحوم الأضاحي ٨/ ٩ من حديث نبیة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : إنا كنا نهيناكم عن لحومها أن تأكلوها فوق ثلاث لكي تسعكم ، فقد جاء الله بالسعة ، فكلوا وادخروا وائتجروا .

(٧) انظر : الحاوي الكبير ٤/ ٣٨٠ ، وروضة الطالبين ٣/ ٢٢٣ .

(٨) (التي) : ساقطة من (ظ) و(د) و(ع) .

(٩) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (دف) ١٤/ ٧٢ من رواية أبي عبيد ، عن أبي عمرو .

(١٠) في حديث عائشة الذي تقدم تخريجه : (دف أهل أبيات من أهل البادية خُضرة الأضحى زمن رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : «ادخروا ثلاثاً ثم تصدقوا بما بقي» الحديث .

٢٩. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾. قال أبو إسحاق: أهل اللغة لا يعرفون التفث إلا من التفسير^(١).

وقال النضر: التفث: النسك من مناسك الحج، رجل تَفَثَ؛ أي مُغْبِرٌ^(٢) شعث، لم يدهن ولم يستحد^(٣).

قال الأزهري: لم يفسر أحد من اللغويين التفث كما فسر ابن شميل، جعل التفث الشعث، وجعل قضاء إذهاب الشعث بالحلل وما أشبهه^(٤).

وقال ابن الأعرابي في قوله: ﴿ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾: قال: قضاء حوائجهم من الحلل والتنظيف^(٥).

وقال المبرّد: التفث هاهنا فضول الشعر والأظفار من شعر الإبطين والعانة، وأصل التفث في كلام العرب: كل قاذورة تلحق الإنسان فيجب عليه نقضها. ﴿لَيَقْضُوا﴾؛ أي ليحكموا^(٦) الأمر فيه^(٧).

هذا كلام أهل اللغة في التفث، والأمر على ما قاله الرّجّاج، وليس له أصل في اللغة يسند إليه، وإنما عرف ذلك من التفسير. ويشبه أن يكون الأمر على ما ذكره المبرّد من^(٨) أن التفث معناه في اللغة: الوسخ والقذارة من طول الشعر والأظفار.

(١) معاني القرآن للرّجّاج ٤/ ٤٢٣.

(٢) في (أ): (مغير).

(٣) قول النضر بن شميل في تهذيب اللغة للأزهري (تفث) ١٤/ ٢٦٦.

(٤) تهذيب اللغة للأزهري (تفث) ١٤/ ٢٦٦.

(٥) قول ابن الأعرابي في تهذيب اللغة للأزهري (تفث) ٤/ ٢٦٧.

(٦) في (أ): (فيحكموا).

(٧) ذكره الرازي ٢٣/ ٣٠ عن المبرّد.

(٨) (من): ساقطة من (أ).

والقلم والحلق من أعمال الحج ، ثم سمي أعمال الحج كلها التفت . يدل^(١) على هذا ما روي عن عكرمة أنه قال : التفت : الشعر والظفر^(٢) . يعني ما طال منها .

قال ابن عباس في رواية عطاء : يريد الذبح ، وحلق الرأس والشعر كله ، وقص الأظفار^(٣) .

وقال في رواية الوالبي : هو وضع الإحرام بحلق الرأس ، وقص الأظفار ، ولبس الثياب ، ونحوها^(٤) .

وقال في رواية عكرمة : قضاء النسك كله^(٥) .

(١) في (ظ) : (ويدل) .

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥١ ب . ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٤/ ٨٤ ، والطبري ١٧/ ١٤٩ .

(٣) روى سعيد بن منصور في تفسيره ١٥٦ أ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٤/ ٨٥ ، والطبري في تفسيره ١٧/ ١٤٩ ، والأزهري في تهذيب اللغة ١٤/ ٢٦٦ من طريق عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال في التفت : حلق الرأس ، والأخذ من العارضين ، ونف الإبط ، وحلق العانة ، والموقف بعرفة ، والسعي بين الصفا والمروة ، رمي الجمار ، وقص الأظفار ، وقص الشارب ، والذبح . هذه رواية سعيد بن منصور وليس في رواية ابن أبي شيبة ذكر الموقف بعرفة أو السعي ، ورواية الطبري نحو رواية سعيد ، ورواية الأزهري نحو رواية ابن أبي شيبة .

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥١ ب من رواية الوالبي . ورواه الطبري ١٧/ ١٥٠ من رواية الوالبي ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٠ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) ذكره ابن الجوزي ٥/ ٤٢٦ وابن كثير في تفسيره ٣/ ٢١٧ من رواية عكرمة ، عنه .

وهو قول ابن عمر^(١)، ومجاهد^(٢)، والقرظي^(٣) أنه مناسك الحج : من الوقوف والطواف ، والسعي ، ورمي الجمار ، وأخذ الشارب ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وقص الأظفار .

قال أبو إسحاق : كأنه الخروج من الإحرام إلى الإحلال^(٤) .

قال أصحابنا : ذكر الله - تعالى - النحر في الآية الأولى في قوله : ﴿ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي آيَاتِهِ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾ ثم عقب ذلك بقضاء التفث ؛ فدل على أن ترتيب أفعال يوم النحر : أن يبدأ الحاج بنحر الهدي بعد رمي الجمار ثم بالحلق ، وهذا من طريق الندب بالسنة لا من طريق الوجوب^(٥) .

وأفعال يوم النحر أربعة : الرمي ، والنحر ، والحلق ، والطواف ، وهو طواف الفرض . ويسعى بين الصفا والمروة إن لم يكن سعى على إثر طواف القدوم ، وإن كان قد سعى يحسب له ذلك^(٦) من فرض حجه ؛ لأن السعي يجوز أن يتقدم على الوقوف بعرفة ، ولكن لا يصح سعي إلا في إثر طواف^(٧) . وطواف الفرض لا يصح إلا بعد الوقوف بعرفة . وتقديم أفعال يوم النحر بعضها على بعض يجوز^(٨) ،

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٨٥ / ٤ ، والطبري ١٧ / ١٤٩ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٣٩ وعزه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٨٥ / ٤ ، والطبري ١٧ / ١٤٩ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٤٠ وعزه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٨٥ / ٤ ، والطبري ١٧ / ١٤٩ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٤٠ وعزه لابن أبي شيبة .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٤٢٤ .

(٥) انظر : الحاوي ٤ / ١٨٦ ، والمغني ٥ / ٣٢٠ ، وروضة الطالبين ٣ / ١٠٢ .

(٦) (ذلك) : ساقطة من (أ) .

(٧) انظر : الحاوي ٤ / ١٥٧ ، والمغني ٥ / ٢٤٠ ، وروضة الطالبين ٣ / ٩٠ .

(٨) وهذا قول جمهور العلماء . وقال أبو حنيفة : إن قدم الحلق على الرمي أو على النحر فعليه دم . والحديث الآتي ذكره دليل عليه .

انظر : الأم ٢ / ١٨٣ ، والحاوي ٤ / ١٨٦ ، ١٨٧ ، والمغني ٥ / ٣٢٠ ، وروضة الطالبين ٣ / ١٠٢ .

وما^(١) سئل رسول الله ﷺ [يوم النحر]^(٢) عن شيء^(٣) قدم أو أخر إلا قال : «افعل ولا حرج»^(٤).

والقراءة في تسكين لام ﴿لَيَقْضُوا﴾ وتحريكها ذكرنا وجهها عند قوله : ﴿ثُمَّ لَيَقْطَعَنَّ﴾^(٥).

وقوله : ﴿وَلْيُؤْفُوا نَذْرَهُمْ﴾ . قال ابن عباس : هو نحر ما نذروا من البدن^(٦) . وقال مجاهد : يعني نذر الحج والهدي ، وما نذر الإنسان من شيء يكون في الحج^(٧) . والمعنى : وليؤفوا بها^(٨) نذروا لله من هدي وبدنة وغير ذلك .

وقال بعضهم : يعني الذين نذروا أعمال البر في أيام حجهم أمرهم الله بالوفاء بها^(٩) . وربما ينذر الرجل أن يتصدق إن رزقه الله لقاء الكعبة^(١٠) . وإن كان على الرجل نذور مطلقة لا يتقيد بأهل بلدة^(١١) مخصوصة فالأفضل^(١٢) أن يتصدق

(١) في (د) و(ع) : (ومما) ، وهو خطأ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .

(٣) في (ظ) : (عن شيء يوم النحر) ، تقديم وتأخير .

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الحج ، باب الفتيا على الدابة عند الجمرة ٣/ ٥٦٩ ، ومسلم في صحيحه في كتاب الحج ، باب من حلق قبل النحر أو نحر قبل الرمي ٢/ ٩٤٨ من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

(٥) في (أ) : (ثم ليقضوا) ، وهو خطأ .

(٦) رواه الطبري ١٧/ ١٥٠ من رواية علي بن أبي طلحة ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٠ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٧) رواه الطبري ١٧/ ٤٠ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٠ مختصراً ، وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٨) في (أ) : (مما) .

(٩) ذكره ابن الجوزي ٥/ ٤٢٧ من غير نسبة لأحد .

(١٠) يعني رؤية الكعبة .

(١١) في (ظ) و(د) و(ع) : (بلد) .

(١٢) في (أ) : (والأفضل) .

ويهدي إلى الكعبة وأهلها ، فذلك قوله : ﴿وَلْيُؤْفُوا نَذُورَهُمْ﴾ ؛ أي وليتموها بقضائها ، ولذلك لم يقل بنذورهم كما قال : ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١] وقال : ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ﴾ [الفتح: ١٠] لأن المراد به الإتمام . والإتمام لا يقتضي الجارة .

قوله : ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ ؛ يعني الطواف الواجب ، ويسمى ^(١) طواف الإفاضة ، لأنه يكون بعد الإفاضة من عرفات ، ويسمى طواف الزيارة لأنه يزور البيت ^(٢) بعد الوقوف ^(٣) . ويكون هذا الطواف في يوم النحر أو بعده .

قال عطاء عن ابن عباس : إن كانت معك امرأة فإذا رميت ^(٤) جمرة العقبة وزرت البيت حلت لك ، وإن لم ^(٥) تكن معك امرأة فلا ^(٦) عليك أن تزور البيت حتى تفرغ من جميع أيام الجمار . يعني بالزيارة الطواف .

(١) في (أ) : (وسمي) .

(٢) في (أ) : (إليها) ، وهو خطأ .

(٣) في (أ) : (الطواف) ، وهو خطأ .

(٤) في (ط) : (فارميت) ، وهو خطأ .

(٥) (لم) : ساقطة من (ظ) .

(٦) في (د) و(ع) : (ولا) .

قال أصحابنا : الآية تدل على وجوب الطواف بالبيت . فلو طاف فدخل^(١)
الحجر أو مشى على جدار الحجر لم يحسب طوافه ؛ لأنه طاف في البيت^(٢) ، وذلك
أن الحجر من البيت^(٣) .

وقوله ﴿الْعَتِيقُ﴾ روى^(٤) ابن الزبير قال : قال رسول الله ﷺ : «إِنَّمَا سَمِيَ
الله^(٥) البيت العتيق ؛ لأن الله أعتقه من الجابرة ، فلم يظهر عليه جبار قط»^(٦) .
وهذا قول مجاهد وقتادة وابن عباس والكلبي^(٧) ، قالوا : أعتق من الجابرة ،
فلم يسلط عليه جبار أراد دخوله ، ولكن يذل له ويتواضع .

(١) في (ظ) : (ودخل) ، وفي (د) و(ع) : (أو دخل) .

(٢) في (ظ) : (بالبيت) .

(٣) انظر : الأم ٢/ ١٥٠ ، ١٥١ ، والحاوي الكبير للمأوردي ٤/ ١٤٩ ، وروضة الطالبين للنووي ٣/ ٨٠ ،
٨١ .

(٤) في (أ) : (وروى) .

(٥) في (د) و(ع) : (إنما سمي البيت العتيق) .

(٦) رواه البخاري في التاريخ الكبير ١/ ٢٠١ ، والترمذي في سننه في كتاب التفسير ، سورة الحج ٩/ ١٤ ،
والبزار في مسنده كما في كشف الأستار ٢/ ٤٥ ، والطبري في تفسيره ١٧/ ١٥١ ، ١٥٢ ، والحاكم
في مستدركه ٢/ ٣٨٩ ، والواحدي في الوسيط ٣/ ٢٦٨ ، ٢٦٩ كلهم من طريق عبد الله بن صالح
كاتب الليث ، عن الليث ، عن ابن خالد بن مسافر ، عن الزهري ، عن ابن عروة بن الزبير ، عن
عبد الله بن الزبير ، به .

وضعه الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٢٩٦ ، بعبد الله بن صالح كاتب الليث .

وضعه هذا الحديث الألباني كما في ضعيف الجامع ٢/ ٢١٠ .

(٧) ذكره عن مجاهد وقتادة وابن عباس الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥١ ب . وعن مجاهد رواه عبد الرزاق
في تفسيره ٢/ ٣٧ ، والطبري ١٧/ ١٥١ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤١ وعزاه لابن أبي شيبة
وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم . وعن قتادة رواه الطبري ١٧/ ١٥١ . وعن
ابن عباس رواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٦/ ٤١ .

وهذا القول أكثر ما جاء في التفسير^(١). وقال سفيان بن عيينة : سمي بذلك لأنه لم يملك قط^(٢). هو قول مجاهد في رواية عبيد المكتب^(٣) قال : ليس لأحد فيه شيء^(٤).

فعلى هذا ، يُسمى العتيق ؛ لأنه لم يدعه أحد من الناس .

قال الزَّجَّاج : وقيل ﴿الْبَيْتُ الْعَتِيقُ﴾ الذي أعتق من الغرق أيام الطوفان^(٥) ، ودليل هذا القول : ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ [الحج : ٢٦] ، وهذا دليل أن البيت رفع وبقي مكانه^(٦).

وعلى هذه الأقوال العتيق بمعنى : المعتق .

يقال : أعتقت المملوك فهو معتق وعَتِيقٌ^(٧) . فالبيت^(٨) مُعتَقٌ من الجابرة ومن ملك الناس ومن الغرق .

(١) انظر : الطبري ١٧ / ١٥١ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣ / ٥١ ب .

(٢) ذكره عن ابن عيينة الثعلبي في الكشف والبيان : (ج٣ ل ٥٢ أ) . والبغوي ٥ / ٣٨٢ ، وابن الجوزي ٤٢٨ / ٥ .

(٣) هو عبيد بن مهران المكتب ، الكوفي ، مولى لبني ضَبَّة . روى عن مجاهد والشعبي وغيرهما . وهو ثقة قليل الحديث .

طبقات ابن سعد ٦ / ٣٤٠ ، والكشاف للذهبي ٢ / ٢٣٩ ، وتهذيب التهذيب ٧ / ٧٤ ، وتقريب التهذيب ١ / ٥٤٥ .

(٤) ذكره الثعلبي ٣ / ٥٢ أ .

ورواه عبد الرزاق في تفسيره ٢ / ٣٧ ، وقد تصحف فيه المكتب إلى المكتري ، والطبري ١٧ / ١٥١ عن مجاهد من رواية عبيد المكتب .

(٥) وهو قول سعيد بن جبير وعكرمة . انظر : ابن كثير ٣ / ٢١٨ ، والدر المنثور ٦ / ٤١ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣ / ٤٢٤ .

(٧) هذا قول الزَّجَّاج بنصه ٣ / ٤٢٤ .

(٨) في (أ) : (قال فالبيت) .

وقال الحسن : ﴿الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ : البيت القديم ^(١) .

وهو قول ابن زيد ^(٢) ، ودليل هذا التأويل قوله : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ الآية [آل عمران : ٩٦] . وعلى هذا القول : ﴿الْعَتِيقِ﴾ : فعيل من عتق يعتق إذا صار عتيقاً قديماً ^(٣) . وقول من قال إن العتيق : بمعنى الكريم من قولهم : فرس عتيق ليس بشيء ؛ لأن معنى العتيق في الخيل : السابق ، يقال عتقت الفرس إذا سبقت الخيل فنجت ^{(٤)(٥)} .

وليس يحسن هذا المعنى في البيت .

٣٠ . قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ﴾ قال أبو إسحاق : موضع (ذلك) رفع . المعنى : الأمر ذلك ^(٦) .

يعني ما ذكر من أعمال الحج .

وقوله : ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ﴾ . قال الليث : الحرمة ما لا يحل انتهاكه ، وتقول : فلان له حرمة ؛ أي تحرم منا لصحبة ^(٧) أو حق ^(٨) .

وقال الزَّجَّاج : الحرمة : ما وجب القيام به ، وحرمة التفريط فيه ^(٩) .

(١) ذكره عنه الزَّجَّاج ٣ / ٤٢٤ . وذكره السيوطي بمعناه في الدر المنثور ٦ / ٤١ وعزاه لابن أبي حاتم .

(٢) رواه الطبري ١٧ / ١٥١ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (عتق) ١ / ٢١٠ ، والصاحح للجوهري ٤ / ١٢٥٠ .

(٤) (فنجت) : ساقطة من (أ) .

(٥) تهذيب اللغة للأزهري ١ / ٢١٠ من رواية أبي عبيد عن الأصمعي .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣ / ٤٢٤ .

(٧) في (ظ) و(د) و(ع) : (الصحبة) ، وهو خطأ . وعند الأزهري : تحرم بنا بصحبة أو بحق .

(٨) تهذيب اللغة للأزهري (حرم) ٥ / ٤٤ نقلاً عن الليث ، وهو في العين ٣ / ٢٢٣ وفيه : بصحبة وبحق .

(٩) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣ / ٤٢٤ .

وأما معنى الحرمات هاهنا ، فقال عطاء : هي معاصي الله ^(١) .

وعلى هذا الحرمات : هي ما نهى عنها ، ومنع من الوقوع فيها وانتهاكها ، وتعظيم حرمة الله ترك ما حرمه الله .

وقال مجاهد : الحرمه مكة والحج والعمرة ، وما نهى الله عنه من معاصيه ^(٢) .

فتراد مجاهد المناسك والمأمور بقيامها ، وقد جمع في هذا القول المأمور به والمنهي عنه [فالمأمور به من مناسك الحج حرم التفريط فيه] ^(٣) والمنهي عنه من المعاصي حرم ملابستها فهي كلها حرمة .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : يريد فرائض الله عز وجل ، وسننه ^(٤) .

وهذا القول هو أجمع الأقوال ؛ لأنه يجمع المأمور به والمنهي عنه .

وكثير من أهل التأويل اختاروا في معنى الحرمات هاهنا أنها المناسك ، لدلالة ما يتصل بها من الآيات عليه ، فقال أبو إسحاق : ﴿ حُرِّمَتْ أَلْفُ اللَّهِ ﴾ : الحج والعمرة وسائر المناسك . ثم قال : وكل ما فرضه الله فهو من حرمة الله ^(٥) .

يعني أن تفسير الحرمات في هذه الآية ما ذكر ، ويجوز أن يسمى الفرائض كلها حرمة الله ؛ لأنها مما يحرم التفريط فيها .

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٤ / ٦ عنه ، وعزاه لعبد بن حميد .

(٢) رواه الطبري ١٧ / ١٥٣ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٤ / ٦ وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٤) ذكره القرطبي ١٢ / ٥٤ من غير نسبة .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٤٢٤ .

وقال ابن قتيبة : يعني رمي^(١) الجمار ، والوقوف بجمع ، وأشبه ذلك ، وهي شعائر الله^(٢) .

وهذه كلها^(٣) من المناسك . وعلى هذا تعظيم المناسك : القيام بها .

وخص ابن زيد الحرمات بما يقع عليه اسم الحرام ، فقال : الحرمات هي خمس : البيت الحرام ، والبلد الحرام ، والشهر الحرام ، والمسجد الحرام ، والإحرام^{(٤)(٥)} .

ويدل على هذا التأويل قوله تعالى : ﴿وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ﴾ [البقرة: ١٩٤] وقد مر .

وقوله : ﴿فَهُوَ﴾ ؛ أي التعظيم . والفعل يدل على المصدر ، فكنى عنه^(٦) .
وقوله : ﴿خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ ؛ يعني في الآخرة .

وقال ابن عباس : فإن ذلك زيادة له في طاعة الله والمخافة منه .

وقوله : ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآَنَعُمُ﴾ ؛ يعني : الإبل والبقر والغنم ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ ؛ أي تحريمه يعني في سورة المائدة من الميتة والمنخقة . الآية^(٧) .

(١) (رمي) : ساقطة من (ظ) .

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٩٢ .

(٣) في (ظ) و(د) و(ع) : (وهذا كله) .

(٤) (والإحرام) : ساقطة من (أ) .

(٥) رواه الطبري ١٧/ ١٥٣ وليس في روايته : هي خمس ، والإحرام ، وكذا ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥٢ أ بمثل رواية الطبري .

وذكره البغوي ٥/ ٣٨٣ بمثل رواية الواحدي من دون قوله : هي خمس . وذكره أبو حيان في البحر ٦/ ٣٦٦ بمثل رواية الواحدي لكن بدل الإحرام : المحرم حتى يحل .

(٦) انظر : البحر المحيط لأبي حيان ٦/ ٣٦٦ .

(٧) وهي الآية الثالثة من سورة المائدة .

قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ . الرجس : الشيء القذر .
 وكل قذر رجس^(١) . وذكرنا الكلام فيه عند قوله : ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾
 [المائدة : ٩٠] وقوله : ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

والأوثان : جمع وثن . قال شمر : الأوثان عند العرب : كل تمثال من خشب
 أو حجارة أو ذهب أو فضة أو نحاس ونحوها ، وكانت العرب تنصبها وتعبدوها ،
 وكانت النصارى تنصب الصليب وتعظمه ، وهو كالتمثال ، ولذلك سماه الأعشى
 وثناً ، فقال :

تطوف^(٢) العفاة بأبوابه كطوف النصارى ببيت الوثن^(٣)

أراد بالوثن : الصليب . وسمى رسول الله ﷺ الصليب وثناً كما سماه
 الأعشى^(٤) ، وهو ما روي أن عدي بن حاتم قال : قدمت على النبي ﷺ ، وفي
 عنقي صليب من ذهب ، فقال : «ألق هذا الوثن عنك»^(٥) أراد به الصليب^(٦) .

(١) تهذيب اللغة للأزهري (رجس) ٥٨١ / ١٠ .

(٢) في (ظ) و(ع) : (تطوف) : وفي (د) : (يطوف) وفي (أ) : (بطوف) ، وفي تهذيب اللغة (تطوف) .

(٣) البيت في ديوانه ٢١ من قصيدة يمدح بها قيس بن معد يكرب ، والأضداد لابن الأنباري ٨٨ ، وتهذيب
 اللغة للأزهري (عفا) ٢٢٤ / ٣ ، و(وثن) ١٤٤ / ١٥ ، واللسان (وثن) ٤٤٣ / ١٣ . والعفاة : جمع
 عاف ومعطف ، وهو كل من جاءك يطلب فضلاً أو رزقاً . تهذيب اللغة للأزهري (عفا) ٢٢٤ / ٣ .

(٤) قوله : وسمى . . الأعشى . هذا من كلام الواحدي . أما شمر فإنه بعد أن فسر الوثن في البيت
 بالصليب قال : وقال عدي بن حاتم : قدمت .

(٥) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير ١٠٦ / ٧ ، والترمذي في جامعه في كتاب التفسير ، سورة براءة
 ٤٩٢ / ٨ ، والطبري في تفسيره (شاعر) ٢١٠ / ١٤ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٤٢ / ٤ ب ، والطبراني
 في الكبير ٩٢ / ١٧ ، والبيهقي في سننه ١١٦ / ١٠ .

وقد حسن هذا الحديث أبو العباس بن تيمية في كتابه الإيذان ٦٤ ، وحسنه الألباني في كتاب غاية المرام
 في تخريج أحاديث الحلال والحرام ١٩ ، ٢٠ .

(٦) قول شمر في تهذيب اللغة للأزهري (وثن) ١٤٤ / ١٥ .

واشتقاق هذا اللفظ من قولهم : وَثَنَ الشيء ، إذا قام في مكانه وثبت .
والواثن : الشيء المقيم الراكد في مكانه . قال رؤبة :

على أخلاء الصِّفاء الوُثْنُ^(١)

[يعني الدوم^(٢) على العهد]^(٣)(٤) .

فسمى الصنم وثناً ، لأنه ينصب ويركز في مكان فلا يبرح عنه . والمعنى :
كونوا على جانب من الأوثان فإنها رجس .

قال ابن عباس : يريد عبادة الأوثان^(٥) . وعلى هذا ، فالرجس عبادة الأوثان ،
لأنها سبب الرجس ، وهو المأثم في قول الكلبي^(٦) .

وقال عطاء عن ابن عباس : الرجس : العذاب^(٧) . وهو قول ابن زيد^(٨) .

(١) هذا الشطر من الرجز لرؤبة أنشده الأزهري في تهذيب اللغة ١٠ / ١٤٥ في سياق كلام نقله عن

الليث ، ثم قال الأزهري : قال الليث : يروى بالثاء والتاء .

قال الأزهري : المعروف : وَثَنَ يَتَنُّ وَتَوْنَا ، بالتاء . . ولم أسمع (وثن) بهذا المعنى لغير الليث ، ولا
أدري أحفظه عن العرب أم لا ؟ اهـ .

وهذا الشطر في لسان العرب (وتن) و(وثن) ١٣ / ٤٤٢ . وهو في ديوان رؤبة ١٦٣ ضمن أرجوزة
يمدح بها بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، وروايته في الديوان (الوُتْن) .

(٢) (الدوم) : ساقط من (د) و(ع) .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٤) من قوله : الواثن : الشيء . . إلى هنا . نقلاً عن تهذيب اللغة للأزهري (وثن) ١٥ / ١٤٥ وهو منسوب
فيه إلى الليث .

(٥) روى الطبراني ١٧ / ١٥٤ من طريق العوفي ، عن ابن عباس قال : فاجتنبوا طاعة الشيطان في عبادة
الأوثان .

(٦) ذكره عنه البغوي في تفسيره ٣ / ١٨٧ .

(٧) ذكره البغوي ٣ / ١٨٧ ، وابن الجوزي ٣ / ١٢١ عن عطاء .

(٨) رواه عنه الطبري (شاعر) ١٢ / ١١١ .

وقال الزَّجَّاج : الرجس : اللعنة في الدنيا ، والعذاب في الآخرة^(١) .

وهذه الأقوال ذكروها في قوله : ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ﴾
[الأنعام: ١٢٥] .

قال الأخفش في هذه الآية : المعنى : فاجتنبوا الرجس الذي يكون منها . أي عبادتها^(٢) .

وعلى هذا سميت عبادتها رجساً ؛ لأنها تؤدي^(٣) إلى الرجس الذي هو اللعنة والعذاب . وعلى قول الكلبي هي رجس ؛ لأنها مآثم .

وقال أبو إسحاق : (من) هاهنا تخلص^(٤) جنس من أجناس^(٥) ، المعنى : فاجتنبوا الرجس الذي هو وثن^(٦) .

وهذا قول أكثر أهل التأويل جعلوا (من) هاهنا تبييناً للجنس . وعلى هذا ، الرجس : الوثن ، سمي رجساً كما سمي عبادتها^(٧) رجساً في القول الأول . وليس الرجس في هذه الآية من القذارة والاستقذار في شيء .

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢ / ٢٩٠ .

(٢) معاني القرآن للأخفش ٢ / ٦٣٨ .

(٣) في (أ) : (لا تؤدي) ، وهو خطأ .

(٤) عند الزَّجَّاج في معانيه : (لتخلص) .

(٥) هو أن تذكر شيئاً تحته أجناس ، والمراد أحدها ، فإذا أردت واحداً منها بيته ، كهذه الآية . فلو اقتصر على الرجس لم يعلم المراد ، فلما صرح بذكر الأوثان علم أنها المراد من جنس الرجس . وقرنت بـ(من) للبيان .

انظر : شرح المفصل لابن يعيش ٨ / ١٢ ، ومغني اللبيب لابن هشام ١ / ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، والبرهان للزركشي ٤ / ٤١٧ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣ / ٤٢٥ .

(٧) في (أ) : (عادتها) .

وقال المبرد: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ والأوثان كلها رجس، وتأويله والله أعلم: فاجتنبوا الرجس^(١) المضاف إلى هذا الاسم، كما قال - عز وجل - في وصف أصحاب نبيه ﷺ ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩] وكلهم مؤمن، ولكن تأويله - والله أعلم - المضافين إلى هذا الوصف. قال: ومن ذلك قول سيبيويه في أول كتابه: هذا باب علم ما الكلم من العربية^(٢)؛ أي ما الكلم المضاف إلى هذه اللغة التي يقال لها العربية؛ لأن الكلم بعضها، كما أن الرجس ليس بعض الأوثان. انتهى كلامه^(٣).

وهذا هو معنى ما ذكره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾. الزور^(٤): الباطل والكذب^(٥).

واختلفوا في معنى قول الزور هاهنا فذهب قوم إلى أنه الشرك بالله. وهو أن أهل الجاهلية كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريك^(٦) هو لك^(٧)، يريدون الصنم.

(١) (الرجس): ساقط من (أ).

(٢) الكتاب لسيبيويه ١٢/١.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) (الزور): ساقطة من (أ). ومكانها: (حنفاء لله).

(٥) تهذيب اللغة للأزهري ٢٣٨/١٣ نقلاً عن ابن السكيت.

(٦) هكذا في النسخ جميعها. وفي (السيط)، وعند الثعلبي: إلا شريكاً.

(٧) هذا قول مقاتل بن حيان رواه عنه ابن أبي حاتم في (تفسيره) كما في الدر المنثور للسيوطي ٤٥/٦.

وقال عطاء عن ابن عباس : يريد قولهم : الملائكة بنات الله . وروى خريم بن فاتك^(١) : أن النبي ﷺ قام خطيباً ، فقال : « عدلت شهادة الزور بالشرك بالله » . مرتين ، ثم قرأ هذه الآية^(٢) . يريد أنه قد جمع في النهي بين عبادة الوثن وشهادة الزور^(٣) .

وهذا قول عبدالله بن مسعود^(٤) ، ووائل بن ربيعة^(٥) .

(١) هو خُريم بن فَاتِك بن الأُخْرَم ويقال : خريم بن الأُخْرَم بن شداد بن عمرو بن فاتك الأسدي أسد خزمة ، أبو أيمن ، ويقال : أبو يحيى . له صحبة . قيل : إنه شهد بدراً ، وقيل : لم يشهدا وإنما شهد الحديبية ، وقيل : إنما أسلم يوم الفتح ، توفي في عهد معاوية .

طبقات ابن سعد ٦/٣٨ ، والاستيعاب ٢/٤٦ ، وأسد الغابة ٢/١١٢ ، والإصابة ١/٤٢٣ .
(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ٤/٣٢١ ، وأبو داود في سننه في كتاب القضاء ، باب في شهادة الزور ١٠/٧ ، وابن ماجه في سننه في كتاب الأحكام ، شهادة الزور ٢/٥٠ كلهم من طريق سفين بن زياد العصفري ، عن أبيه ، عن حبيب بن النعمان ، عن خريم بن فاتك : أن النبي ﷺ صلى الصبح ، فلما انصرف قام قائماً فقال : . الحديث . وليس في رواية الإمام أحمد تكرار القول . وعند أبي داود وابن ماجه : ثلاث مرات .

ورواه الطبري ١٧/١٥٤ مختصراً . ورواه الطبراني في الكبير ٤/٢٠٩ بمثل رواية أبي داود وابن ماجه .

قال الزيلعي في كتابه تخريج أحاديث الكشاف ٢/٣٨٣ ، ٣٨٤ : قال ابن القطان في كتابه الوهم والإيهام : حديث خريم - تصحف في المطبوع إلى خزيم بن فاتك - لا يصح ؛ لأنه من رواية زياد العصفري وهو مجهول ، عن حبي بن النعمان الأسدي ولا يعرف بغير هذا ولا يعرف حاله . اهـ . وضعفه أيضاً الألباني في تعليقه على كتاب الإيمان لأبي عبيد ١٠٠ ، وأعله بالجهالة والاضطراب .

(٣) قال أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه الإيمان ١٠٠ معلقاً على الحديث والآية : نهى الله عنهما معاً في مكان واحد ، فهما في النهي متساويان ، وفي الأوزار والمأثم متفاوتان .

(٤) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٨/٩٣٢٧ ، وابن أبي شعبة في مصنفه ٧/٢٥٧ ، والطبري في تفسيره ١٧/١٥٤ ، والطبراني في الكبير ٩/١١٤ .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/٢٠١ : وإسناده حسن .

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/٤٥ وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والطبراني والخراطي في مكارم الأخلاق ، والبيهقي .

(٥) وائل بن ربيعة ، روى عن ابن مسعود ، يُعد في الكوفيين ، روى عنه المسيب بن رافع وشمر بن عطية . =

وذكر أبو إسحاق قولاً آخر ، فقال : الآية تدل على أنهم نُهوا أن يُحرّموا ما حرم أصحاب الأوثان نحو قولهم : ﴿ مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَفْئِكِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَيَّ أَزْوَاجِنَا ﴾ [الأنعام : ١٣٩] ، ونحو تحريمهم ^(١) البحيرة والسائبة ^(٢) ، فأعلمهم الله - عز وجل - أن الأنعام محللة إلا ما حرم منها ، ونهاهم الله عن قول الزور وهو أن يقولوا : هذا حلال وهذا حرام ليفتروا على الله كذباً ^{(٣)(٤)} .

٣١ . وقوله : ﴿ حُنَفَاءَ ﴾ . قال ابن عباس : يريد موحدين . وهذا كقول من قال : مسلمين مستقيمين على الدين ^(٥) . والحنيف : المائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام ^(٦) .

= هذا مجموع ما قاله عنه ابن سعد في طبقاته ٦ / ٢٠٤ ، والبخاري في التاريخ الكبير ٨ / ١٧٦٠ ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٩ / ٤٣ ، وابن حبان في الثقات ٥ / ٤٩٥ . وروى هذا الأثر عنه سعيد بن منصور في تفسيره : ل ١٥٦ أ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٧ / ٢٥٩ ، والطبري في تفسيره ١٧ / ١٥٤ .

- (١) تصحفت في المطبوع من معاني الرّجّاج إلى : نحرهم .
- (٢) البحيرة : هي الناقاة التي كان أهل الجاهلية يشقون في أذنّها شقاً ، والبحر في كلام العرب : الشق . والسائبة : هي المسبية المخلاة . وكان أهل الجاهلية يفعل ذلك أحدهم ببعض مواشيه ، فيحرم الإنفاع به على نفسه ، أو يجعله لبعض أهله . وبين أهل التفسير خلاف في صفة البحيرة والسائبة ، وكيفية عمل أهل الجاهلية فيها ، والسبب الذي من أجله كانوا يفعلون ذلك . انظر : تفسير الطبري ١١ / ١١٦ - ١٣٤ ، وتهذيب اللغة للأزهري (بحر) ٥ / ٣٧ ، ٣٨ ، (سيب) ١٣ / ٩٩ ، وتفسير ابن كثير ٢ / ١٠٧ ، ١٠٨ .
- (٣) في (أ) : (الكذب) ، والمثبت من باقي النسخ هو الموافق لما في معاني الرّجّاج .
- (٤) معاني القرآن للرّجّاج ٣ / ٤٢٥ . قال النحاس في معاني القرآن ٤ / ٤٦ بعد ذكره للأقوال في معنى الزور : والمعاني متقاربة ، وكل كذب وزور ، وأعظم ذلك الشرك . ثم قال : والذي يوجب حقيقة المعنى . فذكر قول أبي إسحاق من غير نسبة .
- (٥) ذكر الماوردي في النكت ٤ / ٢٣ عن الضحاك قال : مسلمين لله .
- (٦) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (حنف) ٥ / ١١٠ .

وهذا القول اختيار الزَّجَّاج ؛ لأنه قال : تأويله : مسلمين لا يميلون إلى دين غير ^(١) الإسلام ^(٢) .

وقال مجاهد : ﴿ حُنْفَاءٌ ﴾ ^(٣) متبعين ^(٤) . والحنفية عند مجاهد اتباع الحق . وقال السدي والحسن : حَجَّاجاً ^(٥) .

والحنفية عند العرب حج البيت ^(٦) . وذكرنا الكلام في هذا عند قوله : ﴿ بَلْ مَلَّةٌ إِذْ هُمْ حَنِيفًا ﴾ [البقرة: ١٣٥] .

قوله : ﴿ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾ . قال الكلبي : غير مشركين بالله في التلبية ، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يشركون في تليبتهم بقولهم ^(٧) : إلا شريك هو لك .

(١) (دين) : زيادة من (أ) .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤٢٥ / ٣ .

(٣) في (أ) : (حنيفاً) ، وهو خطأ .

(٤) رواه الطبري (شاکر) ١٠٧ / ٣ ، عند قوله : ﴿ بَلْ مَلَّةٌ إِذْ هُمْ حَنِيفًا ﴾ [البقرة: ١٣٥] .

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٦ / ٦ وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) روى ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٩٦ / ١ ، ٣٩٧ عن ابن عباس في قوله : ﴿ حَنِيفًا ﴾ يقول : حاجاً . ثم قال ابن أبي حاتم : وروى الحسن ، والضحاك ، وعطية ، والسدي ، نحو ذلك .

وروى الطبري في تفسيره ٣ / ١٠٤ ، ١٠٦ عن كثير بن زياد قال : سألت الحسن عن الحنفية قال : هو حج هذا البيت .

وروى الأزهري في تهذيب اللغة ١١٠ / ٥ بإسناده عن مرزوق قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : ﴿ حُنْفَاءٌ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾ قال : حجاجاً . وكذلك قال السدي قال : حنفاء : حجاجاً .

(٦) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (حنف) ١١٠ / ٥ ، ولسان العرب (حنف) ٥٧ / ٩ .

(٧) في (ظ) : (يقولون) .

وقال عبدالله بن القاسم^(١) مولى أبي بكر رضي الله عنه : كان الناس يحجون وهم مشركون ، وكانوا يُسمون الحنفاء ، لأن العرب تسمي الحاج : الحنيف ، فلما أسلموا نزلت ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾^(٢) .

أي كما أنهم كانوا حنفاء مشركين فأنتم حنفاء غير مشركين بالله .

ثم ضرب لمن أشرك مثلاً ، فقال : ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾ [أي سقط]^(٣) ﴿مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾ . يقال : خَطِفَ يَخْطِفُ ، إذا أخذ بسرعة^(٤) . وَخَطِفَ يَخْطِفُ أيضاً^(٥) . وذكرنا الكلام فيه عند قوله : ﴿يَخْطِفُ أَبْصَرُهُمْ﴾ [البقرة : ٢٠] .

وقرأ نافع (فتخطفه الطير) بالتشديد^(٦) . وإنما هو فتتخطفه فحذف تاء التفعّل^(٧) ، وكلتا القراءتين حكاية حال تكون^(٨) . قال ابن عباس : يريد تخطف لحمه .

(١) هو عبدالله بن القاسم ، التيمي ، البصري ، مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه . رأى عمر ، وروى عن جابر وابن عباس وغيرهما . وثقه ابن حبان ، وقال ابن القطان : مجهول . وقال ابن حجر : مقبول . التاريخ الكبير للبخاري ١٧٣ / ٥ ، والثقات لابن حبان ٤٦ / ٥ ، والكاشف للذهبي ١١٨ / ٢ ، وتهذيب التهذيب ٣٥٩ / ٥ ، وتقريب التهذيب ٤٤١ / ١ .

(٢) رواه الطبري (شاکر) ١٠٦ / ٣ بنحوه . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٥ / ٦ بنحوه وعزاه لابن أبي حاتم .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤٢٥ / ٣ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (خطف) ٧ / ٢٤١ - ٢٤٣ .

(٦) السبعة ٤٣٦ ، والبصرة ٢٦٦ ، والتيسير ١٥٧ . وقرأ الباقر بإسكان الحاء وتخفيف الطاء .

(٧) هكذا في (أ) ، وهو الموافق لما في الحجة للفارسي . وفي (ظ) : (الفعل) ، وفي (د) و(ع) : (التفعيل) .

(٨) هذا كلام أبي علي الفارسي في الحجة ٢٧٦ / ٥ .

وقال أبو منصور الأزهري في علل القراءات ٢ / ٤٢٤ : من قرأ (فتخطفه) والأصل (فتتخطفه) فأدغم التاء في الطاء ، وألقت حركة التاء على الحاء ففتحت . وبنحوه قال ابن خالويه في إعراب القراءات السبع وعللها ٧٧ / ٢ .

انظر أيضاً : حجة القراءات لابن زنجلة ٤٧٦ ، والكشف لمكي ابن أبي طالب ١١٩ / ٢ .

وقوله: ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ﴾؛ أي تسقطه. يقال: هوى إذا سقط من أعلى إلى أسفل^(١). وقد مر^(٢).

قوله: ﴿فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾. قال ابن عباس وغيره: بعيد^(٣).

والسحق: البُعد. يقال: سحقاً له وبعداً، وأسحقه الله سحقاً، وإنه لسحيق: بعيد^(٤). والفعل منه^(٥) سَحَقَ يَسْحَقُ^(٦).

قال قتادة: هذا مثل ضربه الله لمن أشرك به^(٧) في بعده من الهدى وهلاكه^(٨).

وذكر أهل المعاني قول قتادة، فقال الزَّجَّاج: هذا مثل ضربه الله للكافر في بعده من الحق، فأعلم أن بُعد من أشرك به من الحق كبعد من خر من السماء، فذهبت به الطير أو هوت به الريح في مكان بعيد^(٩). ونحو هذا قال ابن قتيبة^(١٠).

وقال غيره: شبه حال المشرك^(١١) بحال الهاوي من السماء في أنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقطه الريح، فهو هالك لا محالة إما باستلاب الطير

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (هوى) ٤٨٨/٦.

(٢) انظر: البسيط عند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَحِلِّلْ عَلَيْهِ عَصِيٍّ فَقَدْ هَوَى﴾ [طه: ٨١].

(٣) انظر: الطبري ١٧/١٥٥، والدر المنثور ٦/٤٦.

(٤) تهذيب اللغة للأزهري (سحق) ٤/٢٤ عن الليث مع اختلاف يسير. انظر: العين (سحق) ٣/٣٧.

(٥) في (أ): (به).

(٦) قال الفيروزآبادي في القاموس المحيط ٣/٢٤٤: والسحق، بالضم وبضميتين: البعد، وقد سَحَقَ ككرم وعلم، سَحَقاً بالضم.

(٧) (به): ساقطة من (ظ).

(٨) رواه عبد الرزاق في تفسيره ٢/٣٨، والطبري ١٧/١٥٥، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/٤٦.

وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٩) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/٤٢٥.

(١٠) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ٢٩٣.

(١١) في (أ) و(د) و(ع): (الشرك).

لحمه ، وإما بسقوطه في المكان السحيق ، كذلك الكافر لا يملك لنفسه شيئاً ولا دفع ضر يوم القيامة حتى يقع في النار ، فهو هالك لا محالة^(١) .

وقال أبو علي الفارسي : المعنى في هذا^(٢) أنه قبول به قوله : ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالْطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ﴾ [البقرة: ٢٥٦] فكما كان المؤمن في إيمانه متمسكاً بالعروة الوثقى^(٣) ، كان المشرك بعكس ذلك فلم يتمسك لكفره^(٤) وشركه بشيء يتعلق به ، ولم يتمسك بما له فيه أمان من الخُرُور ونجاة من الهوي واختطاف الطير له ، كالمؤمن المتمسك بإيمانه فصار كمن خر من السماء ، فهوت به الريح ، فلم يكن له في شيء من ذلك مُتعلق ولا معتصم فيكون له ثبات^(٥) .

٣٢ . قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ﴾ ؛ أي الأمر ذلك ، كما قلنا في قوله : ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظِمَ حُرْمَتَ اللَّهِ﴾ ذكره المبرّد عن سيبويه في هذه الآية^(٦) .

قوله : ﴿وَمَنْ يُعِظِمَ شَعِيرَ اللَّهِ﴾ . قال مجاهد في رواية الحكم وابن أبي نجيح يعني استعظام البدن ، واستسماها ، واستحسانها^(٧) .

(١) ذكر الثعلبي في الكشف والبيان ٥٢/٣ أنحو هذا المعنى باختصار ، ونسبه إلى أهل المعاني . وذكره

البغوي ٥/٣٨٤ إلى قوله : المكان السحيق . ولم ينسبه لأحد .

(٢) في (ظ) : (هذه) . وفي (ع) : (ذلك) .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) و(د) و(ع) .

(٤) في (ظ) : (مكفره) . وفي (د) و(ع) : (بكفره) .

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي ٢٧٦/٥ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ، القسم الأول من الجزء الرابع ٢٩٥ من رواية الحكم ، ولكن ليس فيها : واستسماها .

ورواه عبد بن حميد في تفسيره كما في تغليق التعليق لابن حجر ٨٧/٣ ، والطبري ١٥٦/١٧ من طريق ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، به .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : يريد الهدى إذا أشعر وقلد ، ثم نحر حتى يسيل دمه ، ثم وقف في موقف عرفة .

فعلى هذا ، يعني بتعظيم شعائر الله : استعظام الهدايا والضحايا .

والشعائر : جمع شعيرة ، وهي البدن يقال : أشعر الرجل بدنته ، إذا جعل عليها علامة ليعلم أنه أوجبها بدنة^(١) وهو مذهب الشافعي^(٢) - رحمه الله - في الإبل والبقر بجرح سنامها من الجانب الأيمن وهي مستقبل القبلة كما فعل رسول الله ﷺ . وأما الغنم فإنها ضعيفة لا تحمل الإشعار . والشعيرة بمعنى المشعرة ، وذكرنا الكلام في هذا عند قوله : ﴿ إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوََةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٥٨] .

وعلى هذا القول ، المهدي مندوب إلى طلب الأسمن والأعظم من الهدايا لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُعْظِمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ ومن الشعائر التي أريد بها الضحايا قول الكميت :

نَقْتُلُهُمْ جَيْلاً فَجَيْلاً نَرَاهُمْ شَعَائِرَ قُرْبَانٍ بِهِمْ يُتَقَرَّبُ^(٣)

وهذا القول اختيار الزجاج ؛ لأنه قال : والذي يعني به هاهنا البدن^(٤) .

(١) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (شعر) ١/٤١٧ ، والصحاح للجوهري ٢/٦٩٨ ، ولسان العرب ٤/٤١٣ .

(٢) انظر : الأم ٢/١٨٣ ، والحاوي الكبير ٤/٣٧٢ ، ٣٧٣ ، وروضة الطالبين ٣/١٨٩ .

(٣) البيت في هاشميات الكميت ٦٧ ، بمثل الرواية هنا . وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/١٤٦ منسوباً للكميت ، وفيه : تراهم . . . بها يتقرب . وهو في تهذيب اللغة للأزهري (شعر) ١/٤١٨ ، واللسان (شعر) ٤/٤١٤ ، وتاج العروس للزبيدي (شعر) ١٢/١٩٠ من إنشاد أبي عبيدة وبمثل روايته ، من غير نسبة للكميت .

قال أبو رياش القيسي في شرحه لهاشميات الكميت ٦٧ : جَيْلاً فَجَيْلاً : جيشاً وخلقاً بعد خلق .

يقول : نجعل قتل الخوارج قرينة إلى الله كما تقرب الشعائر إلى الله .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/٤٢٦ .

وقوله : ﴿فَإِنَّهَا﴾ . قال الفرّاء : يريد : فإن الفعل كما قال : ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٥٣] ومن بعده جائز . ولو قيل : فإنه من تقوى القلوب كان جائزاً . هذا كلامه ^(١) .

وليس بقوي ولا ظاهر هاهنا ، والصحيح أن المعنى : فإن تعظيمها ، فحذف المضاف لدلالة ﴿يُعْظَمُ﴾ على التعظيم كما قال : ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتُ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾ [الحج: ٣٠] فكنى عن التعظيم لما دل يعظم عليه ، كذلك هاهنا حذف التعظيم لما كان يعظم يدل عليه ، والمعنى : فإن ^(٢) اتخاذ البدن من أعظمها وأسمئها من تقوى القلوب .

قال ابن عباس : يريد من التقوى الذي اتقاه المتقون .

وأضاف التقوى إلى القلوب لأن حقيقة التقوى تقوى القلوب ^(٣) ، كما روي في الحديث أن النبي ﷺ قال : «التقوى هاهنا» وأشار إلى صدره ^(٤) .

٣٣ . قوله تعالى : ﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ ؛ أي في الشعائر ﴿مَنْفَعٌ﴾ ؛ أكثر أهل التفسير على أن المراد بهذا : أن ^(٥) في الهدايا منافع لصاحبها إلى أن يسميها هدياً ويشعرها ، فله منافع رسلها ^(٦) ونسلها وأصوافها وأوبارها وركوب

(١) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٢٥ .

(٢) (فإن) : ساقطة من (ظ) .

(٣) انظر : القرطبي ١٢ / ٥٦ .

(٤) هذا قطعة من حديث رواه الإمام أحمد في مسنده ٢ / ٢٧٧ ، ومسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة ، باب تحريم ظلم المسلم ٤ / ١٩٨٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) (أن) : ساقطة من (أ) .

(٦) رسلها : أي لبئها . لسان العرب (رسل) ١١ / ٢٨٢ .

ظهورها^(١) ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو أن يسميها هدياً فتقطع المنافع بعد ذلك .

وهذا قول مجاهد ، وعطاء ، والضحاك ، وقتادة ، ورواية مقسم عن ابن عباس ، والكلبي^(٢) ، قال : تُحلب وتركب إلى أن تُقلد وتُسمَّى .

وهؤلاء لا يرون الانتفاع بلبنها ولا بوبرها ولا بظهرها بعد أن سُميت هدياً ، ويقولون : لا ينتفع بها غير أهل الله^(٣) ، إلا عند الضرورة المخوف معها الموت .

وروى ابن أبي نجيح ، عن عطاء بن أبي رباح في قوله : ﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ ؛ أي في الهدايا منافع ، قال : هو ركوبها وشرب لبنها إن احتاج ، ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى أن تنحر^(٤) .

وهذا مذهب الشافعي^(٥) رحمه الله ، وعنده أن المَهْدِي لو ركب هديه ركوباً غير فادح^(٦) فلا بأس ، لما روي أن النبي ﷺ مر برجل يسوق بدنة ، فأمره بركوبها ،

(١) في (أ) : (ظهرها) .

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٥٢ / ٣ عنهم جميعاً إلا الكلبي .

ورواه الطبري في تفسيره ١٥٧ / ١٧ ، ١٥٨ عنهم إلا الكلبي .

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٦ / ٦ عن مجاهد ، وعزاه لابن أبي شبة وعبد بن حميد وابن جرير . وابن أبي حاتم .

ورواه سعيد بن منصور في تفسيره : ل ١٥٦ أ عن عطاء والضحاك ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٦ / ٦ عنهما ، وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) يعني : فقراء الحرم .

(٤) رواه الطبري ١٥٨ / ١٧ عن عطاء من طريق ابن أبي نجيح إلى قوله : إن احتاج .

أما قوله : ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى أن تنحر ، فرواه الطبري ١٥٨ / ١٧ من رواية ابن جريج قال : قال عطاء : فذكره .

(٥) انظر : الأم ١٨٣ / ٢ ، والحاوي للماوردي ٣٧٦ / ٤ ، ٣٧٧ ، وفتح الباري ٥٣٧ / ٣ .

(٦) غير فادح : غير مثقل . لسان العرب (فدح) ٥٤٠ / ٢ .

وقال : « اركبها » . فقال : إنها هدي . فقال : « اركبها » . فقال : « اركبها ويحك »^(١) .

وله أن يحلب لبنها ، والآية تدل على هذا ؛ لأن قوله : ﴿ لَكُمْ فِيهَا ﴾ ؛ أي في الشعائر ، فالكناية عنها ، ولا تسمى شعائر قبل إيجابها وتسميتها^(٢) . وهذا يدل على إباحة الانتفاع بها وهي تسمى شعائر^(٣) .

وعلى هذا القول ، المراد بالأجل المسمى : نحرها وذبحها .

وقوله : ﴿ ثُمَّ مَحْلُهَا ﴾ ؛ أي حيث يحل [نحرها] . وذكرنا هذا عند قوله : ﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ﴾ [البقرة : ١٦٩] .

وقوله : ﴿ إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ ؛ يعني عند البيت العتيق . وهو [٤] الحرم كله ، قال رسول الله ﷺ : « كُلُّ فِجَاجٍ مَكَّةَ مَنْحَرٌ وَمَذْبَحٌ ، وَكُلُّ فِجَاجٍ مِنِّي مَنْحَرٌ وَمَذْبَحٌ »^(٥) .

(١) رواه بنحوه الإمام أحمد في مسنده ٢٧٥ / ٣ من حديث أنس رضي الله عنه ، لكن فيه (بدنه) بدل قوله : (هدي) .

ورواه بنحوه البخاري في صحيحه في كتاب الحج ، باب ركوب البدن ٥٣٦ / ٣ ، ومسلم في كتاب الحج ، باب جواز ركوب البدنة المهداة لمن احتاج إليها ٩٦٠ / ٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، لكن عندهما (بدنة) بدل (هدي) و(ويلك) بدل (ويحك) .

(٢) في (أ) : (تسميتها) ، وهو خطأ .

(٣) انظر : الأم ١٨٣ / ٢ ، والحاوي للماوردي ٣٧٦ / ٤ ، وأحكام القرآن للكيال الهراسي ٢٨٢ / ٣ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥٦ / ١٢ ، ٥٧ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٥) رواه أبو داود في سننه في كتاب الحج ، باب الصلاة بجمع ٤١٣ / ٥ ، وابن ماجه في سننه في كتاب المناسك ، باب الذبح ١٨٦ / ٢ من حديث جابر - رضي الله عنه - مرفوعاً ، بلفظ : (كل عرفة موقف ، وكل منى منحَر ، وكل المزدلفة موقف ، وكل فجاج مكة طريق ومنحر) .

وحسن هذا الحديث الزيلعي في نصب الراية ١٦٢ / ٣ . ومعنى فجاج : جمع فج وهو الطريق الواسع بين الجبلين . الصحاح للجوهري (فجاج) ٣٣٢ / ١ .

وكثير من المفسرين يقولون : عني بالبيت العتيق : الحرم كله ؛ لأن الحرم كله منحصر^(١) .

وهذا وَهْمٌ لا يعبر عن الحرم بالبيت العتيق ولا يفهم ذلك منه ؛ لأن البيت اسم للبنية المعروفة ، فلا يقع على الحرم كله .

واحتج من قال بهذا بقول : ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨] يعني الحرم كله .

وهذا لا يُشبهه قوله : ﴿الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ ؛ لأن الحرم كله مسجد ، على معنى أنه يجوز الصلاة فيه^(٢) كما روي في الحديث : «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا»^(٣) .

فسماها كلها مسجداً على المعنى الذي ذكرنا . والبيت لا يقع على الحرم كله ، لو كان الأمر على ما قالوا القليل : ثم محلها البيت العتيق ، أي الحرم ، فلما قيل ﴿إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾^(٤) دل على أن المعنى : عند البيت وما يقرب منه ؛ لأن (إلى) تضم الشيء إلى الشيء ، وتقربه منه^(٥) .

(١) انظر : الطبري ١٧ / ١٦٠ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣ / ٥٢ ب .

(٢) (فيه) : ساقطة من (أ) .

(٣) هذا قطعة من حديث رواه البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة ، باب قول النبي ﷺ «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا» ١ / ٥٣٣ ومسلم في صحيحه في كتاب المساجد ، ومواضع الصلاة ١ / ٣٧ من حديث جابر رضي الله عنه ، وأوله : «أَعْطَيْتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي» .

(٤) (العتيق) : زيادة من (أ) .

(٥) انظر : الأزهية في معاني الحروف ٢٨٢ ، ورفض المباني ١٦٩ ، والجنى الداني ٣٨٥ ، ٣٨٦ .

هذا الذي ذكرنا كله على قول من يقول الشعائر : الهدايا .

وقال آخرون : الشعائر المناسك^(١) كلها ، ومشاهد^(٢) مكة . وهي المعالم التي أمر الله بالقيام بها ، وندب إليها منها : عرفة ، والجمار ، والصفاء والمروة ، والمشعر الحرام .

وهذا قول ابن زيد^(٣) ، ورواية أبي رزين عن ابن عباس^(٤) .

وعلى هذا ، معنى تعظيم الشعائر : توقيرها ، وترك الاستهانة بها .

قوله : ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ ؛ أي بالتجارة والأسواق ، قال ابن عباس : لم يذكر منافع إلا للدنيا^(٥) ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى أن يخرج من مكة^(٦) .

وقيل : ﴿مَنَافِعُ﴾ بالأجر والثواب لإقامة المناسك وتعظيم الشعائر ، ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى انقضاء أيام الحج^(٧) .

وقوله : ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا﴾ المحل^(٨) على هذا القول مصدر أضيف إلى المفعول أي الحل من هذه الأعمال إلى البيت العتيق ، وهو الطواف به بعد قضاء المناسك .

(١) في (ع) : (الهدايك) .

(٢) في (ظ) : (أي مشاهد) .

(٣) رواه الطبري ١٧ / ١٥٦ - ١٥٩ .

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣ / ٥٢ ب من رواية أبي رزين ، عن ابن عباس .

(٥) في (أ) : (الدنيا) .

(٦) رواه الطبري ١٧ / ١٥٩ عنه من طريق أبي رزين إلى قوله : للدنيا . وذكر باقيه الثعلبي في الكشف والبيان ٣ / ٥٢ ب عنه من رواية أبي رزين .

(٧) الكشف والبيان للثعلبي ٣ / ٥٢ ب وصدره بقوله : وقال بعضهم .

(٨) (المحل) : ساقط من (ظ) و(د) و(ع) .

﴿إِلَى﴾ هاهنا صلة لفعل محذوف ، وهو القصد أو الحج . والمعنى : ثم محلكم أيها المحرمون حجكم وقصدكم ﴿إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ بالزيارة والطواف .

وهذا معنى قول محمد بن أبي^(١) موسى^(٢) : محل المناسك الطواف بالبيت^(٣) .

٣٤ . قوله تعالى : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ ؛ أي جماعة مؤمنة . يعني من الذين سلفوا وتقدموا ﴿جَعَلْنَا مَنَسَكًا﴾ المنسك هاهنا : المصدر من نَسَكَ يَنْسُكُ ، إذا ذبح القربان^(٤)^(٥) . وذكرنا معنى النسك في سورة البقرة^(٦) . قال مجاهد في قوله : ﴿مَنَسَكًا﴾ : يريد إهراقه الدماء^(٧) .

وقال عكرمة^(٨) ، وقتادة^(٩) ، ومقاتل بن حيان : يعني ذبحاً .

-
- (١) (أبي) : ساقطة من (ظ) .
- (٢) محمد بن أبي موسى . روى عن زياد الأنصاري عن أبي بن كعب ، وروى عنه داود ابن أبي هند . وهو مجهول .
- انظر : التاريخ الكبير للبخاري ٢٣٦ / ١ ، وتهذيب التهذيب ٤٨٣ / ٩ .
- (٣) رواه الطبري ١٧ / ١٦٠ من طريق داود بن أبي هند ، عنه . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٤٧ ، وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .
- (٤) في (أ) : (القرآن) ، وهو خطأ .
- (٥) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (نسك) ١٠ / ٧٤ .
- (٦) عند قوله تعالى : ﴿وَأَرْنَا مَنَاسِكَكُمْ﴾ [البقرة : ١٢٨] .
- (٧) رواه الطبري ١٧ / ١٦١ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٤٧ وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .
- (٨) رواه سفيان الثوري في تفسيره ٢١٣ عن أبيه ، عن عكرمة بلفظ : ذبائحهم ذابحوها . وذكره النحاس في معاني القرآن ٤ / ٤٠٩ من رواية سفيان ، بلفظ : ذبحاً . وبمثل لفظ النحاس ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٤٧ وعزاه لابن أبي حاتم .
- (٩) ذكر الماوردي في النكت والعيون ٤ / ٢٤ ، والقرطبي ١٢ / ٥٨ عن قتادة أنه قال : ﴿مَنَسَكًا﴾ حجاً .

وقراءة العامة بفتح السين ، وقرأ حمزة والكسائي بكسرهما^(١) .

قال أبو علي^(٢) : الفتح أولى ؛ لأنه لا يخلو من أن يكون مصدراً أو مكاناً ، وكلاهما مفتوح العين إذا كان الفعل على : فَعَلَ يَفْعُلُ ، نحو : قَتَلَ يَقْتُلُ مَقْتَلًا ، وهذا مَقْتُلُهُ . ووجه الكسر : أنه قد يجيء اسم المكان على المَفْعِل من هذا النحو ، نحو : المَطْلَع من طَلَعَ يَطْلُعُ ، والمسجد من سجد يسجد ، فيمكن أن يكون هذا مما شذَّ عن قياس الجمهور ، فجاء اسم المكان على غير القياس ، ولا يقدم على هذا إلا بالسمع ، ولعل الكسائي سمع ذلك . هذا كلامه^(٣) .

والذي يدل على أن الكسائي سمع ذلك أنه قال في كتابه^(٤) : (منسكاً) ، و(منسكا) لغتان ، كل^(٥) قد قرئ بها^(٦) .

وقال عطاء عن ابن عباس : ﴿مَنَسَكًا﴾ يريد شريعة . يعني الذبح ؛ لأنه من جملة ما شرع .

(١) السبعة ٤٣٦ ، والتبصرة ٢٦٦ ، والتيسير ١٥٧ ، والإقناع لابن الباذش ٦٠٧ / ٢ .

(٢) في (أ) : (أبو الفتح) سقطت لفظة (على) ، فتحرفت الكلمة إلى (أبو الفتح) .

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي ٢٧٨ / ٥ ، وقوله : (الفتح أولى) لا وجه له ، لأن القراءة سنة متبعة . وقوله : (ولعل الكسائي سمع ذلك) ذكره نحوه السمين الحلبي في الدر المصون ٢٧٤ / ٨ عن ابن عطية ، ثم تعقبه بقوله : وهذا الكلام منه غير مرضي ، كيف يقول : ويشبه أن يكون الكسائي سمعه . الكسائي يقول : قرأت به فيكيف يحتاج إلى سماع مع تمسكه بأقوى الساعات ، وهو روايته لذلك قرأناً متواتراً ؟ انظر : علل القراءات للأزهري ٤٢٤ / ٢ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٧٧ ، والكشف لمكي ابن أبي طالب ١١٩ / ٢ .

(٤) لعله ذكره في كتاب معاني القرآن له ، وهو مفقود .

(٥) (كل) : زيادة من (أ) .

(٦) انظر : إعراب القراءات وعللها لابن خالويه ٧٧ / ٢ .

وقال الكلبي : عيداً^(١) .

يعني وقتاً للذبح . فعلى هذا ، المنسك اسم لزمان الذبح .

قال^(٢) أبو إسحاق : المنسك في هذا الموضع يدل على معنى النحر ، فكأنه قال : لكل أمة أن تتقرب بأن تذبح الذبائح لله . ويدل على ذلك قوله : ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ المعنى : ليذكروا اسم الله على نحر ما رزقهم من بهيمة الأنعام^(٣) .

وخص بهيمة الأنعام ؛ لأنَّ البهيمة من غير الأنعام لا يحل ذبحها وأكلها كالخيل والبغال والحمير^(٤) ، فالبهيمة من الأنعام هي التي يجوز أن تُذبح في المناسك .

في هذه الآية دليل على أنَّ الذبائح ليست من خصائص هذه الأمة بل كانت لكل أمة ، وعلى أنَّ الضحايا لم تزل من الأنعام ، وأنَّ التسمية على الذبح كانت مشروعة .

قوله تعالى : ﴿فَالْهَكَرُ إِلَهُ وَحْدٌ﴾ . قال أبو إسحاق : أي لا ينبغي أن تذكروا على ذبائحكم^(٥) إلا الله وحده^(٦) .

(١) ذكره عنه الماوردي ٢٥ / ٤ .

(٢) في (أ) بعد قوله قال : (فومله) ، وليست في باقي النسخ ، ولا معنى لها .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤٢٦ / ٣ .

(٤) الطبري ١٦٠ / ١٧ ، والكشف والبيان للثعلبي ٥٢ / ٣ ب .

(٥) في (أ) : (ذبائحهم) .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٤٢٧ / ٣ .

وقوله ﴿أَسْلُمُوا﴾ ؛ أي انقادوا وأطيعوا . وقال ابن عباس : أخلصوا^(١) .

وقوله : ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ . قال ابن عباس ، وقتادة ، والضحاك : المتواضعين^(٢) . وقال مجاهد : المطمئنين إلى الله سبحانه^(٣) . وقال الأخفش : الخاشعين^(٤) . وقال ابن جرير : الخاضعين^(٥) .

قال الزَّجَّاج : اشتقاقه من الْخَبْتُ^(٦) ، وهو المنخفض من الأرض . فكل محبت^(٧) متواضع^(٨) . وذكرنا معنى الإخبات عند قوله : ﴿وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود : ٢٣] .

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٨/٦ عن مقاتل بن حيان ، وعزاه لابن أبي حاتم .

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٥٢/٣ ب عن ابن عباس وقتادة .

ورواه عبد الرزاق في تفسيره ٣٨/٢ والطبري ١٦١/١٧ عن قتادة .

ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٥٨٠/١٣ عن الضحاك ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٦ عنه وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) ذكره عنه بهذا اللفظ الثعلبي في الكشف والبيان ٥٢/٣ ب .

ورواه الطبري ١٦١/١٧ مقتصرأ على أدلة . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٨/٦ بمثل رواية الطبري : وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٥٢/٣ ب . ولم أجده في كتابه معاني القرآن .

(٥) قوله في تفسيره ١٦١/١٧ بأطول من هذا حيث قال : الخاضعين لله بالطاعة ، المذعنين له بالعبودية ، المنبيين إليه بالتوبة .

(٦) في (أ) : (الخبث ، محبت) ، وهو خطأ .

(٧) في (أ) : (الخبث ، محبت) ، وهو خطأ .

(٨) معاني القرآن ٤٢٧/٣ . مع اختلاف يسير .

٣٥. قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ . قال ابن عباس : يريد : خافت .

قال مقاتل بن حيان : ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ عندما يخوفون^(١) .

وهذا على أنهم إنما توجل قلوبهم إذا خوفوا بالله ، ليس^(٢) أنهم يخافونه حتى لا يرجونه .

وقوله : ﴿وَالضَّالِّينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾ يعني من البلاء والمصائب في طاعة الله . قاله ابن عباس ومقاتل^(٣) .

﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾ في أوقاتها ، يؤدونها كما استحفظهم الله .

قال أبو إسحاق في قوله : ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾ : القراءة بالخفض وإسقاط النون ، والخفض على الإضافة . [ويجوز : والمقيمون الصلاة^(٥) ، إلا أنه بخلاف

(١) ذكره عنه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٩ وعزاه لابن أبي حاتم .

(٢) في (أ) : (وليس) .

(٣) ذكره عن مقاتل السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٩ وعزاه لابن أبي حاتم .

(٤) ساقط من (أ) .

(٥) هذه القراءة مروية عن ابن مسعود . الشواذ لابن خالويه ٩٥ .

انظر : تعليل القراءات الشواذ للعكبري ٢٦٧ .

المصحف^(١). ويجوز أيضاً على بعد : والمقيمي الصلاة^(٢)، على حذف النون ونصب الصلاة لطول الاسم^(٣)، وأنشد سيبويه^(٤) :

والحافظو عورة العشيرة لا
يأتيهم من ورائهم وكف

(١) ساقط من (ظ) .

(٢) هذه قراءة ابن أبي إسحاق والحسن ، ورويت عن أبي عمرو .

الشواذ لابن خالويه ٩٥ ، والمحتسب لابن جني ٨٠ / ٢ .

(٣) قال أبو الفتح عثمان بن جني في المحتسب ٨٠ / ٢ : أراد (المقيمين) فحذف النون تخفيفاً ، لا لتعاقبهما الإضافة .

وقال العكبري في تعليل القراءات الشواذ ٢٦٧ : والنون محذوفة للتخفيف لطول الكلمة ، مثل قولهم : الحافظو

(٤) ذكر الزَّجَّاج في معاني القرآن ٤٢٧ / ٣ إنشاد سيبويه لهذا البيت ، لكن في المعاني (نظف) في موضع (وكف) .

والبيت أنشده سيبويه في الكتاب ١ / ١٨٥ ، ونسبه لرجل من الأنصار وروايته فيه :
والحافظو . . . من ورائنا نظف .

وهو في شرح شواهد الإيضاح للقيسي ١٢٧ ، وخزانة الأدب ٢٧٢ / ٤ وفيه : من ورائنا نظف ، ٢٧٩-٢٧٥ وفيه : من ورائنا و(كف) منسوباً لعمر بن امرئ القيس الخزرجي ، وفي الاقتضاب للبطلوسي ٣ / ٢٠٧ منسوباً لقيس بن الخطيم ، وهو في ديوان قيس ١١٥ ، وفي لسان العرب (وكف) ٩ / ٣٦٣ منسوباً لعمر بن امرئ القيس أو قيس بن الخطيم .

ومن غير نسبة في الإيضاح العضدي للفارسي ١٧٥ ، وتهذيب اللغة للأزهري (وكف) ١٠ / ٣٩٣ .
قال البطلوسي في الاقتضاب ٣ / ٢٠٧ : العورة المكان الذي نخاف منه العدو . والوكف هاهنا العيب ، ويروى : نظف وهو نحو الوكف . يقول : نحن نحفظ عورة عشيرتنا فلا يأتيهم من ورائنا شيء يعاوب به من بيع ثغرهم وقلة رعايته ، هذا على رواية من روى من ورائنا ، ومن روى من ورائهم أخرج الضمير مخرج الغيبة على لفظ الألف واللام ؛ لأن معنى (الحافظو العشيرة) نحن الذين يحفظون عورة العشيرة ، كما تقول : أنا الذي قام ، فيخرج الضمير مخرج الغيبة وإن كنت تعني نفسك ، لأن معناه : أنا الرجل الذي قام ، وقد يقولون : أنا الذي قمت ، فعلى هذا رواية من روى : من ورائنا . اهـ .

انظر : الخزانة ٤ / ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

وزعم أنه شاذ . انتهت الحكاية عن أبي إسحاق^(١) .

ويحتاج هاهنا إلى أن نذكر طرفاً^(٢) من شرح باب الإضافة مع الألف واللام .

قال أبو علي في كتاب الإيضاح : إذا ألحقت الألف واللام اسم الفاعل قلت : هذا الضارب زيداً ، ولا يجوز إضافة الضارب إلى زيد . فإن ثبت^(٣) قلت : الضاربان زيداً ، فإن حذفت النون قلت : الضارباً زيد ، وكذلك الجميع ، وقد يجوز إذا حذفت النون من اسم الفاعل في الاثنين والجميع إذا ألحقته^(٤) الألف واللام أن تنصب فتقول : الضاربو زيداً ، وهكذا أنشدوا :

الحافظو عورة العشيرة

قال : والأكثر الجر كما قال تعالى : ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾ . هذا كلامه^(٥) .

ومعنى الضارب زيداً ؛ أي الذي ضرب زيداً ، ولا تجوز الإضافة في هذا ، ويجوز في التثنية والجمع^(٦) نحو : الضارباً زيد والضاربو زيد ، وذلك لأنّ زيداً في التثنية والجمع يعاقب نون التثنية والجمع ، والنون قد تكون مع الألف واللام ، وزيد في الضارب زيد لا يعاقب تنويناً ؛ لأنه لا يكون التنوين مع الألف واللام ، فلا يكون في الإضافة فائدة ، وذلك أن الغرض في الإضافة اللفظية أن يحذف التنوين ، فيحصل في اللفظ اختصار وتخفيف بسقوط التنوين ، ويعاقبه المفعول المنصوب فينجر^(٧) لقيامه مقام التنوين في اللفظ ،

(١) معاني القرآن للزجاج ٤٢٧ / ٣ .

(٢) العبارة في (ظ) : (ويحتاج إلى أن يذكر هاهنا طرفاً) .

(٣) في (أ) : (نسيت) ، وهو خطأ .

(٤) في (ظ) : (ألحقتهما) ، وفي باقي النسخ : (لحقته) ، والتصويب من كتاب الإيضاح .

(٥) الإيضاح العضدي لأبي علي الفارسي ١٧٥ / ١ .

(٦) في (ظ) و(د) و(ع) : (الجميع) .

(٧) في (أ) : (فيجر) .

وليس في الضارب تنوين فيحذف لذلك ، فإذا قلت : (الضارب زيد) كنت قد عدلت عن الأصل الذي هو النصب لغير غرض لفظي ولا حقيقي ، وفي التثنية والجمع جاز الإضافة في اللفظ وعلى هذا قوله عز وجل : ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾ ، كما قال : الفاتحو باب الأمير المبهم ، وأما من قال الضارباً زيداً والضاربو زيداً فإنه لم^(١) يحذف النون لأجل الإضافة ، ولكنه يحذفه لطول الاسم ، ولا يجعل لحذفه تأثيراً^(٢) في الحكم ، ويبقى النصب على أصله كالبيت الذي أنشده سيويوه ، والأصل^(٣) في حذف النون لامتداد الاسم في بيت الكتاب^(٤) :

أبني كليب إن^(٥) عمي اللذا قتل الملوكة وفككا الأغلالا

-
- (١) موضع (لم) بياض في (ظ) .
 (٢) تأثيراً ليست واضحة في (ظ) .
 (٣) في (ظ) : (أصل) .
 (٤) البيت في الكتاب ١٨٦/١ منسوباً للأخطل .
 وهو في ديوانه ٣٨٧ ، و٤٤ ، وسر صناعة الإعراب ٥٣٦/٢ وأمالى ابن الشجري ٣٠٦/٢ ، وشرح المفصل لابن يعيش ١٥٤/٣ ، والمقاصد النحوية للعيني ٣٢٤/١ ، وخزانة الأدب ٦/٦ ، ٧ .
 قال البغدادي في الخزانة ٧/٦ :
 البيت من قصيدة للأخطل يفتخر بقومه ويهجو جريراً . والألف للنداء . وبنو كليب ابن يربوع : رهط جرير . فخر الأخطل على جرير بمن اشتهر من قومه من بني تغلب وساد كعمرو بن كلثوم التغلبي قاتل عمرو بن هند ملك العرب ، وعُظم أبي حنش قاتل شرحبيل بن عمرو بن حجر ، وغيرهما من سادات تغلب . والأغلال جمع غل وهو طوق من حديد يجعل في عنق الأسير ، . . . أي إن عمّيه يفكان الغل من عنق الأسراء ، وينجونهم من أسر أعدائهم قسراً . اهـ .
 قال السكري في شرح ديوان الأخطل ١٠٨/١ ، ١٠٩ ، أحد عمّيه أبو حنش عصم بن النعمان قاتل شرحبيل بن الحارث بن عمرو آكل المارار يوم الكلاب الأول ، والآخر دوكس بن الفدوكس بن مالك بن جشم .
 انظر الخلاف في أسماء عميه في : الخزانة ٨/٦ ، ٩ .
 (٥) (إن) : ساقطة من (أ) .

أراد اللذان فحذف النون لطول الاسم بالصلة ، إذ قد اجتمع الذي والفعل والفاعل والمفعول ؛ لأن ما يتعلق بالموصول كله واصل في جملته ، وجار مجرى الجزء^(١) من الاسم ، ألا ترى أن تقديمه ممتنع ، والأحسن إذا حذفت النون الكسر ، لأجل أن النون إذا حذفت وجب أن يكون له أثر في اللفظ ، وإذا قصد النصب وجب أن تبقى النون لفظاً ، غير أن الذي ينصب مع الحذف لا يعتد بالحذف^(٢) حرصاً على إبقاء لفظ^(٣) النصب .

هذا الذي ذكرنا شرح ما ذكره أبو إسحاق مجملًا وهو مذهب البصريين^(٤) .

وقال الفرّاء : إنّما جاز النصب مع حذف النون ، لأنّ العرب لا تقول في الواحد إلا بالنصب . فيقولون : هو الآخذ حقه ، ينصبون الحق ، لا يقولون إلّا ذلك ، والنون مفقودة ، فبنوا الاثنين والجميع على الواحد ، فنصبوا بحذف النون ، والوجه في الاثنين والجميع الخفض ؛ لأنّ نونهما قد تظهر إذا شئت وتحذف إذا شئت ، وهي في الواحد لا تظهر ، فلذلك نصبوا ، ولو خفض في الواحد لجاز ذلك ، ولم أسمع إلا في قولهم : الضّارب الرجل ، فإنّهم يخفضون الرجل وينصبونه ، فمن خفضه شبّهه بمذهب قولهم : مررت بالحسن الوجه ، فإذا أضأفوه إلى مكّنى قالوا : أنت^(٥) الضّاربُ ، وأنّما^(٦) الضّاربُ^(٧) ، وأنتم الضّاربوه . والهاء في القضاء عليها خفض في الواحد والاثنين والجمع ، ولو نويت بها النصب

(١) في (ظ) و(ع) : (الجرّ) .

(٢) في (أ) : (الحرف) .

(٣) في (أ) : (اللفظ) .

(٤) انظر : شرح المفصل لابن يعيش ١٢٢ / ٢ ، ١٢٣ ، والفوائد الضيائية للجامي ١٤ / ٢ .

(٥) (أنت) : ساقطة من (أ) .

(٦) في (ظ) و(د) و(ع) : (وأنتم) .

(٧) في (ظ) : (الضاربان) .

كان وجهاً . وكان ينبغي لمن نصب أن يقول : هو الضارب إياه ، ولم أسمع ذلك . هذا كلامه ^(١) .

وهو كما ذكرنا من مذهب البصريين إلا في إضافة الواحد ، فإنه يجوز ، وعندهم لا يجوز ذلك .

وقوله : ﴿وَمَنَّا زَقَنَهُمْ يَفْقُونَ﴾ . قال ابن عباس والكلبي : يريد يتصدقون من الواجب وغيره . وقال مقاتل : يؤدّون الزكاة في طاعة ربهم ^(٢) .

٣٦ . قوله تعالى : ﴿وَالْبُدْنَ﴾ . قال الزّجاج : البدن بتسكين الدال وضمها ، بدنة وبُدنٌ وبُدنٌ ، مثل قولك : ثمرةٌ وثمرةٌ وثمرةٌ قال : وإنما سميت بدنة لأنها تبطن ؛ أي تسمن ^(٣) .

وقال الليث وغيره : البدنة بالهاء تقع على الناقة والبقرة والبعير مما يجوز في الهدى والأضاحي ، ولا تقع على الشاة ، وسميت بدنة لعظمها ^(٤) .

(١) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢٢٦ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٢/ ٢٥ ب .

(٣) معاني القرآن للزّجاج ٣/ ٤٢٨ .

(٤) تهذيب اللغة للأزهري ١٤/ ١٤٤ نقلاً عن الليث وغيره .

قال ابن السكيت : يقال : بدن^(١) الرجل يبدن بَدْنًا وبدانة فهو بادن إذا ضخم ، وهو رجل بَدَنٌ إذا كان كبيراً ، وأنشد^(٢) :

أم^(٣) ما بكاء البدن الأشيب^(٤)

وقال ابن الأنباري : يجوز أن يكون سميت بدنة لعظمها وضخامتها .

ويجوز أن يكون سميت لسُنَّها ، رجل بدن إذا كان كبير السن ، وبدنت ؛ أي أسنت ، وبدنت ؛ أي سمتت وضخمت^(٥) .

والمفسرون يقولون في تفسير البدنة : إنَّها الإبل والبقر . وهو قول عطاء والسدي^(٦) .

(١) (بدن) : ساقطة من (ظ) و(د) و(ع) .

وبدن كبصر وكرم . قاله الفيروزآبادي في القاموس المحيط ٢٠٠ / ٤ .

(٢) البيت أنشده ابن السكيت في إصلاح المنطق ٣٣٠ للأسود بن يعفر ، وأوله :

هل لشباب فات من مَطْلَبٍ

هو في ديوان الأسود ٢١ وروايته فيه : (البائس) في موضع (البدن) ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ٢٦٥ ، وتهذيب اللغة للأزهري (بدن) ١٤ / ١٤٤ ، وفيه : (بقاء) في موضع (بكاء) ، ولسان العرب (بدن) ٤٨ / ١٣ .

قال البطليوسي في الاقتضاب ٣ / ٢٠٩ يقول : هل يمكن طلب الشباب الغائب واسترجاعه ، بل كيف يبكي الرجل الأشيب شوقاً إلى أحبته ؟ . وذلك لا يليق به .

(٣) في (أ) و(ظ) : (أما) .

(٤) قول ابن السكيت وإنشاده في تهذيب اللغة للأزهري ١٤ / ١٤٤ ، وهو في إصلاح المنطق ٣٣٠ .

(٥) لم أجد من ذكره عنه . انظر : تهذيب اللغة للأزهري (بدن) ١٤ / ١٤٤ ، والصاحح للجوهري ٥ / ٢٠٧٧ ، ولسان العرب ١٣ / ٤٨ ، ٤٩ .

(٦) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٣ / ٥٢ ب .

ورواه الطبري ١٧ / ١٦٣ عن عطاء بلفظ : البقرة والبعر .

وللمفسرين في البدن قول آخر وهو أنها الإبل خاصّة ، ذكره الماوردي ٤ / ٢٦ وعزاه للجمهور . وحكاها

القرطبي ١٢ / ٦١ عن ابن مسعود وعطاء والشافعي . وحكى القول الأول عن مالك وأبي حنيفة .

ثم قال القرطبي : والصحيح ما ذهب إليه الشافعي وعطاء ، لقوله - عليه السلام - في الحديث =

وقوله تعالى : ﴿جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعْتِيرِ اللَّهِ﴾ ؛ أي من أعلام دينه . والمعنى : جعلنا لكم فيها عبادة لله عز وجل ، من سوقها إلى البيت ، وتقليدها ، وإشعارها ، ونحرها ، والإطعام منها . ومضى الكلام في تفسير الشعائر ^(١) .

وقوله : ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ . قال ابن عباس : يريد في الدنيا والآخرة ^(٢) .

قال المفسرون : يعني النفع في الدنيا ، والأجر في العقبى ^(٣) .

وذكرنا هذا ^(٤) المعنى ^(٥) مستقصى عند قوله : ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنفَعٌ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلا أن المراد بتلك المنافع الدنيا لقوله : ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ، والمراد بالخير هاهنا خير الدنيا والآخرة ، كما ذكر ابن عباس .

الصحيح في يوم الجمعة : من راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة الحديث . فتفريقه - عليه السلام - بين البقرة والبدنة يدل على أن البقرة لا يقال لها بدنة . والله أعلم . وأيضاً قوله تعالى : ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ يدل على ذلك ، فإن الوصف خاص بالابل ، والبقرة يضجع ويدبح كالغنم . انتهى من القرطبي ٦١ / ١٢ .

والحديث الذي أشار إليه القرطبي : رواه البخاري في صحيحه في كتاب الجمعة ، باب فضل الجمعة ٣٦٦ / ٢ ، ومسلم في صحيحه في كتاب الجمعة ، باب الطيب والسواك يوم الجمعة ٥٨٢ / ٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وصحح ابن كثير ٢٢١ / ٣ أن البقرة يطلق عليها بدنة شرعاً .

ونقل ابن الجوزي ٤٣٢ / ٥ عن القاضي أبي يعلى أنه قال : البدنة اسم يختص بالإبل في اللغة ، والبقرة تقوم مقامها في الحكم ، لأن النبي ﷺ جعل البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة . اهـ .
والذي يظهر أن البدن في الآية هي الإبل للتعليل الذي ذكره القرطبي ، والبقرة تدخل في مسمى البدن من حيث اتحاد الحكم بينهما .

(١) في (ظ) : (الشعيرة) .

(٢) ذكره عنه الزمخشري في الكشاف ١٤ / ٣ ، وأبو حيان في البحر ٣٦٩ / ٦ .

وذكره القرطبي ٦١ / ١٢ من غير نسبة ، وصوبه .

(٣) الكشف والبيان : للتعليل ٥٢ / ٣ ب ، ٥٣ أ .

(٤) (هذا) : ساقطة من (أ) .

(٥) في (ع) : (الكلام) .

قوله تعالى : ﴿ فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ﴾ ؛ أي على نحرها ، لأنَّ السنة أن يذكر الله عند نحرها .

قال ابن عباس : هو أن يقول : بسم الله ، والله أكبر لا إله إلا الله ، اللهم منك ولك^(١) .

وقوله : ﴿ صَوَافَّ ﴾ جمع صَافَّة ، وهي فاعلة من الصَّف ، وهو جعل الأجسام يلي أحدها الآخر على منهاج واحد^(٢) .

قال ابن عباس في رواية ابن أبي مليكة : قياماً^(٣) .

وقال ابن عمر : قياماً مقيدة ، سنة محمد ﷺ^(٤) .

وقال مجاهد : الصَّواف : إذا عقلت^(٥) إحدى يديها وقامت على ثلاث^(٦) ، وتنحر كذلك^(٧) .

(١) هذا مجموع روايات رواها الطبري ١٧/ ١٦٤ من طريق أبي ظبيان ، عن ابن عباس .

(٢) انظر : لسان العرب (صنف) ٩/ ١٩٤ ، والقاموس المحيط ٣/ ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٣) رواه ابن أبي شبة في مصنفه ٨٣/ ٤ عنه من رواية ابن أبي مليكة .

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الحج ، باب نحر الإبل مقيدة ٣/ ٥٥٣ ومسلم في صحيحه في

كتاب الحج ، باب نحر البدن قياماً مقيدة ٢/ ٩٥٦ .

(٥) في (أ) : (علقت) .

(٦) في (أ) : (ثلاثة) .

(٧) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥٣ أ .

وفيه : إذا عقلت رجلها اليسرى وقامت . . . كذلك .

وبنحوه مختصراً رواه الطبري ١٧/ ١٦٤ .

وعلى هذا ، هي صواف ؛ لأنها قد صفت أيديها وأرجلها إذا وقفن على منهاج واحد ، كما روى ليث ، عن مجاهد قال^(١) : يسوى بين أوظافها^(٢) ^(٣) . يعني لئلا يتقدم بعضها على بعض فلا تكون صواف .

وفي هذا دليل على أنها تُنحر قائمة واقفة مصفوفة ، لأنها إن كانت باركة أو ماشية لا تكون صافة ، ولا يتصور الصف في البدنة الواحدة إلا أن يقال إنها إذا وقفت صفت يديها أو رجليها^(٤) إذا لم يعقل إحداها ، ولكن يتصور في البدن إذا وقفن فصففن أيديهن معقولة وغير معقولة ، والدليل على أنها تعقل إحدى يديها قراءة عبدالله : (صوافن)^(٥) وهي القائمة على ثلاث قوائم ، ونذكر تفسيرها عند قوله : ﴿الصَّافِنَتُ لِحْيَادُ﴾ [ص : ٣١] .

وقال أبو إسحاق في قوله : ﴿صَوَافٌ﴾ : أي قد صفت قوائمها^(٦) .

وقال أبو عبيدة : تصفُّ بين أيديها^(٧) .

وقال ابن قتيبة : أي قد صُفَّتْ أيديها^(٨) .

(١) (قال) : ساقطة من (ط) .

(٢) في (ظ) و(د) و(ع) : (أوظافها) . والصواب ما في (أ) . وأوظافها : جمع وظيف ، قال الجوهري في الصحاح (وظف) ١٤٣٩ / ٤ ، الوظيف : مستدق الذراع والساق من الخيل والإبل ونحوها .

(٣) رواه الطبري ١٦٤ / ١٧ من رواية ليث ، عن مجاهد .

(٤) في (ظ) و(د) و(ع) : (رجليها أو يديها) .

(٥) انظر : الطبري ١٦٥ / ١٧ ، وإعراب القرآن للنحاس ٩٩ / ٣ ، والشواذ لابن خالوية ٩٥ ، والمحاسب لابن جني ٨١ / ٢ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٤٢٨ / ٣ .

(٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٥٠ / ٢ .

(٨) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٩٣ .

- وقال ابن عباس في رواية أبي ظبيان في قوله : ﴿صَوَافَّ﴾ قال : معقولة^(١) .
- ونحوه قال عطاء ، والفراء^(٢) . وهو معنى وليس بتفسير ، وذلك أنها إذا عقلت إحدى يديها وقفت فصفت يدها مع يد التي إلى جنبها .
- وكثير من الصحابة قرؤوا (صوافي)^(٣) على معنى : خالصة لله ، جمع صافية ؛ أي لا يشركوا في التسمية على^(٤) نحرها أحداً . وإلى هذا ذهب كثير من المفسرين^(٥) . ويدل من الآية على أنها تُنحر قياماً .
- قوله تعالى : ﴿فَإِذَا وَجِئَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا﴾ . قال أبو عبيدة^(٦) ، والزجاج^(٧) ، وجميع أهل اللغة^(٨) : سقطت إلى الأرض .
- يقال : وجب الحائط يجب وَجَبَةً إذا سقط ، وسمعت له وَجَبَةً ؛ أي وقعة ، ووجب الشمس إذا وقعت للغروب في المغرب ، ووجب الشيء إذا [وقع لازماً ،
-
- (١) رواه الطبري ١٧/ ١٦٤ ، والبيهقي في السنن ٥/ ٢٣٧ من طريق أبي ظبيان .
- (٢) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٢٦ .
- (٣) رويت هذه القراءة عن أبي بن كعب وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما . ونسبت إلى الحسن ومجاهد وزيد بن أسلم وسليمان التيمي وجماعة .
- (٤) انظر : الطبري ١٧/ ١٦٣ ، والشواذ لابن خالويه ٩٥ ، والمحتسب لابن جني ٢/ ٨١ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٥٣ ، والبحر المحيط ٦/ ٣٦٩ .
- (٥) في (ظ) و(د) و(ع) : (إلى) .
- (٦) وهو مروى عن الحسن وطاووس والزهري وابن زيد . انظر : الطبري ١٧/ ١٦٥ ، وابن كثير ٣/ ٢٢٢ .
- (٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٥١ .
- (٨) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٢٨ .
- (٨) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (وجب) ١١/ ٢٢٢ ، ولسان العرب (وجب) ١/ ٧٩٤ .

ووجب القلب وجيباً إذا^(١) وقع وتحرك باضطراب^(٢)، وأنشدوا لأوس بن حجر يرثي^(٣) :

ألم تكسفِ الشمسُ والبدرُ والكواكبُ للجبلِ الواجبِ^(٤)
وقال الكميّ :

ألم ترني لقيتُ ضياءَ^(٥) أنسٍ بخيفٍ مني ولم تجبِ الجنوبُ^(٦)^(٧)
وقال آخر :

حلفتُ برَبِّ مكةَ والهدايا غداةَ النحرِ واجبةَ الجنوبِ^(٨)
قال ابن عباس ومجاهد، والضحاك : خرت لجنوبها^(٩).

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (د) و(ع) .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٢٨ ، وتهذيب اللغة للأزهري (وجب) ١١/ ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ولسان العرب (وجب) ١/ ٧٩٤ .

(٣) يرثي) : ساقطة من (أ) .

(٤) البيت في ديوانه ١٠ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٥١ ، والطبري ١٧/ ١٦٦ ، والتعازي والمراثي للمبرد ٣٣ ، وسمط اللالئ ٤٦٦ . وهو من أبيات يرثي بها فضالة بن كعدة ، وبعده :

لفقد فضالة لا تستوي الـ فُقد ولا خُلّة الذّاهب
(٥) في (أ) : (طلباً) ، وهو خطأ .

(٦) في (و) و(ع) : (الجبوب) ، وهو خطأ .

(٧) هذا البيت والذي بعده أثبتهما المعلق على مجاز القرآن ٢/ ٥١ في الهامش ، وذكر أنها كتبا في حاشية نسخة منسولين للكميت .

واعتمد جامع ديوان الكميّ على هذه الحاشية فأورد الأول في ديوانه ١/ ٨١ ، والثاني في ١/ ١٢٥ وأحال على حاشية المجاز .

(٨) في (د) و(ع) : (الجبوب) ، وهو خطأ .

(٩) ذكره عن ابن عباس السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٥٣ بلفظ : سقطت على جنبها . وعزاه لابن أبي حاتم . ورواه الطبري ١٧/ ١٦٦ عن مجاهد بلفظ سقطت على الأرض .

وذلك عند نزف دمها وخروج الروح منها ، ولذلك قال ابن زيد في تفسيرها :
 فإذا ماتت^(١) . لأنها تقف ما دامت الروح تبقى فيها ، فإذا سقطت إلى الأرض
 فذلك حين تهدأ^(٢) وتسكن حركتها ، وهو وقت الأكل منها ، ولذلك عقَّب الله
 - تعالى - هذه الحالة بالأمر بالأكل منها فقال : ﴿ فَكُلُّوا مِنْهَا ﴾ وهذا يدل على أنه لا
 ينبغي للمرء أن يعجل فيقطع منها لياكل قبل أن يتم نحرها ، ولكن يصبر حتى
 تسكن حركتها وكذلك السلخ يُبتدأ بعد السكون ، وهذا معنى قول عمر رضي
 الله عنه : لا تعجلوا الأنفس أن تزهق^{(٣)(٤)} . ولهذا أيضاً نُهي عن النَّخَع^(٥) ، وهو
 أن يقطع الحلقوم والمريء بعد الذبح وفري الأوداج^(٦) ، وذلك غير جائز ؛ لأنه
 زيادة جراحة بعد تمام الذبح . ومعنى النخع : قطع النخاع ، وهو العرق الذي في
 الفقار^(٧) .

وذكرنا وجه هذا الأمر في ما تقدم من هذه السورة .

-
- (١) رواه الطبري ١٦٦/١٧ .
 (٢) في (أ) : (يهدى) ، وهو خطأ .
 (٣) في (ظ) : (قبل أن تزهق) .
 (٤) رواه الثوري في جامعه كما في تفسير ابن كثير ٢٢/٣ ، ومسند عمر بن الخطاب له أيضاً ٣٣٥/١ ،
 والبيهقي في السنن الكبرى ٢٧٨/٩ عن عمر رضي الله عنه ، به .
 ورواه عنه عبد الرزاق في المصنف ٤/٤٩٥ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٥/٢٩٢-٢٩٣ عنه بلفظ :
 وذَر ، وعند ابن أبي شيبة : وأقَرُوا الأنفس حتى تزهق .
 (٥) روى البخاري في صحيحه كتاب الذبائح والصيد - باب النحر والذبح ٩/٦٤٠ تعليقا عن نافع أن
 ابن عمر نهى عن النَّخَع .
 انظر : تهذيب اللغة للأزهري ١/١٦٧ ففيه : وفي الحديث : ألا لا تنخعوا الذبيحة حتى تجب .
 ومثله في الفائق في غريب الحديث للزمخشري ٣/٤١٤ ، وغريب الحديث لابن الجوزي ٢/٣٩٨ . ولم
 أجد هذا الحديث .
 (٦) الأوداج : جمع ودج ، والعنق ، وهما ودجان . الصحاح للجوهري (ودج) ١/٣٤٧ .
 (٧) انظر : تهذيب اللغة (نخع) ١/٦٧ ، والصحاح للجوهري ٣/١٢٨٨ ، والقاموس المحيط ٣/٨٧ .
 والفقار : جمع فقرة بالكسر وفقرة وفقارة بفتحها وهو ما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى
 العجب . لسان العرب (فقر) ٥/٦١ ، والقاموس المحيط ٢/١١١ .

قوله تعالى : ﴿وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ القانع في الآية بمعنيين :

أحدهما : أنه من القُنُوع بمعنى المسألة . يقال : قنع ^(١) يقنع قنوعاً ، إذا سأل .

والقانع : السائل . ومنه الحديث في ذكر من لا تجوز شهادته : «ولا شهادة القانع مع أهل البيت» ^(٢) .

قال أبو عبيد ^(٣) : هو الرجل يكون مع القوم يطلب فضلهم ويسأل معروفهم ، وأنشد ^(٤) :

لِمَالِ الْمَرْءِ يُصْلِحْهُ فَيَغْنِي مَفَاقِرُهُ أَعْفُ مِنَ الْقُنُوعِ
أَيُّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ ^(٥) .

(١) كمنع . قاله الفيروزآبادي في القاموس ٧٦ / ٣ .

(٢) هذا طرف حديث رواه أبو عبيد في غريب الحديث ١٥٦ / ٢ ، والترمذي في جامعه كتاب الشهادات ٥٨٠ ، ٥٨١ ، والدراقطني في سننه ٤ / ٢٤٤ ، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠ / ٢٠٢ من حديث عائشة - رضي الله عنها - مرفوعاً .

قال الترمذي بعد روايته للحديث : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث يزيد بن زياد الشامي ، ويزيد يضعف في الحديث .

وَضَعَفَ هذا الحديث (بيزيد) الدار قطني والبيهقي .

(٣) في (ظ) و(د) و(ع) : (أبو عبيدة) ، وهو خطأ .

(٤) البيت أنشده أبو عبيد في غريب الحديث للشَّخَّاح ١٥٦ / ٢ .

وهو في ديوانه ٥٦ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ٥١ ، والمعاني الكبير لابن قتيبة ١ / ٤٨٩ - ٤٩٩ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٣ / ٤٢٨ ، والطبري ١٧ / ٦٨ ، والأضداد لابن الأنباري ٦٦ ، ٦٧ .

(٥) قول أبي عبيد وإنشاده في تهذيب اللغة للأزهري (قنع) ١ / ٥٩ وغريب الحديث لأبي عبيد ١٥٦ / ٢ لكن فيه : هو الرجل يكون مع الرجل يطلب فضله ويسأل معروفه .

وهو في غريب الحديث لأبي عبيد ١٥٦ / ٢ ، والكلام مفسر فيه مثل ما نقله الأزهري عنه .

ومن هذا قول لبيد :

وإِعْطَائِي الْمَوْلَى عَلَى حِينِ فَقْرِهِ إِذَا قَالَ أَبْصِرْ خَلَّتِي وَقُنُوعِي^(١)
 المعنى الثاني : أن القانع الذي لا يسأل وهو من القناعة . يقال : قَنَعَ يَقْنَعُ
 قَنَاعَةً وَقَنَعًا^(٢) وَقُنْعَانًا^(٣) ، إذا رضي بما قُسم له وترك المسألة والتعرض^(٤) .

قال ابن السكيت : ومن العرب من أجاز القُنُوعَ بمعنى القناعة ، وكلام
 العرب الجيد هو الأول^(٥) .

قال أبو زيد : قال بعضهم : القانع : السائل ، وقال بعضهم : المتعفف كلُّ
 يصلح^(٦) . فذكر الوجهين .

وكقول أبي زيد ذكر أبو عبيدة^(٧) والزَّجَّاج^(٨) الوجهين .

- (١) البيت في ديوانه ٧١ ، وفيه : (خشوعي) في موضع (قنوعي) .
 وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة ٥٢ / ٢ ، والطبري ١٧٠ / ١٧ بمثل الرواية هنا .
 قال الطوسي في شرحه لديوان لبيد ٧١ : لمولى : ابن العم . الخلة : الحاجة . خلّتي وقنوعي : الاستكانة
 وسوء الحالة .
- (٢) (قنعا) : ساقطة من (أ) .
- (٣) في (ظ) : (وقناعا) ، وفي (د) و(ع) : (وقناعا) .
- (٤) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (قنع) ٢٥٩ / ١ ، والصحاح للجوهري ١٢٧٣ / ٣ ، ولسان العرب
 ٢٩٨ / ٨ .
- (٥) قول ابن السكيت في تهذيب اللغة للأزهري (قنع) ٢٥٩ / ١ .
- (٦) قول أبي زيد في تهذيب اللغة للأزهري (قنع) ٢٥٩ / ١ .
- (٧) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٥٢ ، ٥١ / ٢ .
- (٨) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤٢٨ / ٣ .

وأما المعتر : فقال الأزهري : قال أهل اللغة : المعتر : الذي يُطِيف بك يطلب ما عندك سألَكَ أو سكت عن السؤال^(١) .

وقال ابن الأعرابي : عررت^(٢) فلاناً واعتررتَه وعروته^(٣) واعتريته^(٤) ، إذا أتيته تطلب معرفته^(٥) .

ونحو هذا قال أبو عبيدة^(٦) ، وأنشد لحسان :

لعمرك ما المعترُّ يأتي بيوتنا لنمنعه بالضايِعِ المتهضمِ^(٧)
فحصل من هذا أن القانع يجوز أن يكون السائل وغير السائل ، وكذا المعتر ، إلا أنه لا ينفك من تعرض ونوع طلب .

وعلى هذين الوجهين كلام المفسرين . منهم من يقول : القانع : الذي يسأل والمعتر الذي يأتيك بالسلام ويريك وجهه ولا يسأل ، وهذا قول ابن عباس في

(١) تهذيب اللغة للأزهري (عرّ) ٩٩ / ١ .

(٢) في المطبوع من تهذيب اللغة ٩٩ / ١ : (عروت) .

(٣) في المطبوع من تهذيب اللغة ٩٩ / ٣ : (وعررتَه) .

(٤) في (د) و(ع) : (واعتروته) .

(٥) قول ابن الأعرابي في تهذيب اللغة للأزهري (عرّ) ٩٩ / ١ .

(٦) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٥١ / ٢ .

(٧) البيت أنشده أبو عبيدة لحسان في مجاز القرآن ٥٢ / ٢ ، وروايته عنده :

لعمرك ما المعترُّ يأتي بلادنا لنمنعه.....

رواية عطاء^(١)، وزيد بن أسلم^(٢)، وابنه^(٣)، وسعيد بن جبير^(٤)، والكلبي^(٥)،
والحسن^(٦)، وبكر بن عبدالله .

ومنهم من يقول بعكس هذا فيقول : القانع : المتعفف الجالس في بيته ،
والمعتز : السائل الذي يعتريك ويسأل .

وهو قول ابن عباس في رواية الوالبي^(٧)، وعكرمة ، وقتادة^(٨)، وإبراهيم ،
ومجاهد^(٩)، قالوا : القانع الذي يقنع ويجلس ، والمعتز الذي يعتريك ويسأل .

وروي عن ابن عباس قول ثالث وهو : أن كلاهما الذي لا يسأل ، وهو رواية
العوفي عنه ، قال : القانع الذي يرضى بما عنده ولا يسأل ، والمعتز الذي يتعرض
لك ولا يسألك^(١٠) .

(١) ذكر السيوطي في الدر المنثور ٥٥ / ٦ هذا القول عن ابن عباس من غير ذكر من رواه عنه ، وعزاه
لابن المنذر .

وذكر هذا القول عن ابن عباس النحاس في معاني القرآن ٤ / ١٣ . وذكره ابن الجوزي وعزاه
لابن المنذر .

وذكر هذا القول عن ابن عباس النحاس في معاني القرآن ٤ / ١٣ . وذكره ابن الجوزي ٥ / ٤٣٣
وقال : رواه بكر بن عبدالله عن ابن عباس .
وذكره ابن كثير في تفسيره ٣ / ٢٢ .

(٢) وقوله ذكره عنه بنحوه الثعلبي في الكشف ٣ / ٥٣ أ . ورواه الطبري ١٧ / ١٦٩ بنحوه .

(٣) ذكره عنه بنحوه الثعلبي في الكشف والبيان ٣ / ٥٣ أ .

(٤) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢ / ٣٨ ، والطبري ١٧ / ١٦٨ ، والبيهقي في سننه ٩ / ٢٩٤ .

(٥) ذكره الثعلبي ٣ / ٥٣ أ ، والطبري ١٧ / ١٦٨ .

(٦) رواه سعيد بن منصور في تفسيره : (ل ١٥٦ ب) ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٤ / ٧٢ ، والطبري
١٧ / ١٦٨ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٩ / ٢٩٤ .

(٧) ذكره الثعلبي ٣ / ٥٣ أ من رواية الوالبي . ورواه الطبري ١٧ / ١٦٧ .

(٨) رواه الطبري ١٧ / ١٦٧ عن عكرمة ، وقتادة .

(٩) رواه الطبري ١٧ / ١٦٨ ، والبيهقي في السنن ٩ / ٢٩٤ .

(١٠) ذكره الثعلبي ٣ / ٥٣ أ من رواية العوفي . ورواه الطبري ١٧ / ١٦٧ .

ونحو هذا روى ليث عن مجاهد قال : القانع جارك وإن كان موسراً ، والمعتز الذي يعتريك ولا يسألك^(١) . وهذا أيضاً رواية خفيف عنه^(٢) .

وعلى هذا إنما يُطعم القانع بأن يرسل إليه ، كما روى قابوس ، عن أبيه^(٣) ، عن ابن عباس قال : القانع من أرسلت إليه في بيته^(٤) .

والمستحب للمُهدي أن يطلب القانع والمعتز ، فيعطيها جميعاً ، قياماً بالأمر وامثالاً له .

قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ ﴾ . كذلك ؛ أي مثل ما وصفنا من نحرها قياماً ، والإطعام منها ﴿ سَخَّرَهَا لَكُمْ ﴾ نعمة منا عليكم لتتمكنوا من نحرها على الوجه المسنون .

-
- (١) رواه الطبري ١٦٧/١٧ من رواية ليث عنه .
- (٢) روى ابن أبي شيبة في مصنفه ٧٢/٤ ، والطبري ١٦٧/١٧ من طريق خفيف ، عن مجاهد قال : القانع أهل مكة ، والمعتز الذي يعتريك فيسألك .
- (٣) هو أبو ضبيان حصين بن جندب .
- (٤) رواه البيهقي في السنن الكبرى ٢٩٤/٩ من طريق قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس بلفظ : القانع بما أرسلت . . . وهذا الأثر ضعيف لضعف قابوس .
- وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥٤/٦ ، ٥٥ ، بمثل لفظ البيهقي ، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في سننه .
- واختار الطبري ١٧٠/١٧ أن القانع السائل ، والمعتز هو الذي يأتيك معترّاً بك لتعطيه وتطعمه ، وعلّل ذلك بقوله : لأنه لو كان المعني بالقانع في هذا الموضع الكتفى بما عنده والمستغني به لقبل : وأطعموا القانع والسائل ، ولم يقل ﴿ وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَزَّ ﴾ وفي اتباع ذلك قوله : ﴿ وَالْمُعْتَزَّ ﴾ الدليل الواضح على أن القانع معني به السائل
- وقال النحاس في معاني القرآن ٤/١٣ عن القول بأن القانع هو السائل والمعتز الذي يتعرض لك ولا يسألك : إنه أحسن ما قيل في هذا وهو الصحيح في اللغة .
- واستظهر هذا القول الشنقيطي في أضواء البيان ٦٩٥/٥ .

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد لكي تطيعوني . وشكر الله طاعة له واعتراف بإنعامه .

٣٧ . قوله تعالى : ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ . قال الكلبي : كان أهل الجاهلية إذا نحرروا البدن نضحوا دماءها حول البيت قربة إلى الله ، فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك ، فأُنزل الله هذه الآية ^(١) .

وقال الزَّجَّاج : كانوا إذا ذبحوا لَطَّخُوا البيت بالدم ^(٢) .

والمعنى : لن يصل إلى الله اللحوم ولا الدماء ؛ أي لن يتقرب إليه بها .

وقال مقاتل بن حَيَّان : لن يُرفع إلى الله لحومها ولا دماؤها ، ولكن يرفع إلى الله منكم الأعمال الصالحة والتقوى ^(٣) .

والمعنى لن يتقبل الله اللحوم ولا الدماء ، ولكن يتقبل التقوى فيها وفي غيرها بإيجاب الثواب عليها .

وقيل : لن يبلغ رضا الله لحومها ولا دماؤها ، ولكن يبلغه التقوى منكم ^(٤) .

(١) ذكر السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٥٥ ، ٥٦ نحوه عن ابن عباس ، وعزاه لابن المنذر وابن مردويه .

وذكر ابن الجوزي ٥/ ٤٣٤ نحوه من رواية أبي صالح ، عن ابن عباس .

وذكر ابن كثير في تفسيره ٣/ ٢٢٥ نحوه من رواية ابن أبي حاتم عن ابن جريج .

ولم يثبت في سبب نزول هذه الآية شيء صحيح .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٩ .

(٣) ذكره عنه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٥٦ ، وعزاه لابن أبي حاتم .

(٤) ذكر هذا القول الطوسي في التبيان ٧/ ٢٨٤ ، والحاكم الجشمي في التهذيب ٦/ ١٧٩ ب ، ولم ينسبها

لأحد .

وقال الأزهري : لن يصل إلى الله ما يُنيلكم به ثوابه غير التقوى ، دون اللحوم والدماء^(١) .

قوله : ﴿وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾ . قال ابن عباس : يريد النيات .

وقال إبراهيم : التقوى ما أُريد به وجهه^(٢) .

وقال أبو إسحاق : أعلم الله أن الذي يصل إليه تقواه وطاعته في ما يأمر به^(٣) .

وحقيقة معنى هذا الكلام يعود إلى القبول . وذلك أنَّ^(٤) ما يقبله الإنسان يقال : قد ناله ووصل إليه . فخاطب الله - تعالى - الخلق كعادتهم في مخاطبتهم . والمعنى لن يقبل الله اللحوم ولا الدماء إذا كانت من غير تقوى الله ، وإنما يقبل منكم ما تتقونه به . وهذا دليل على أن شيئاً من العبادات لا يصح إلا بالنية ، وهو أن ينوي بها التقرب إلى الله وأداء^(٥) أمره واتباع عقابه .

وقوله : ﴿كَذَلِكَ سَخَرَهَا لَكُمْ﴾ تقدم تفسيره قبيل .

(١) تهذيب اللغة للأزهري ١٥ / ٣٧٢ من دون قوله : من دون اللحوم والدماء .

(٢) رواه الطبري ١٧ / ١٧٠ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٥٦ ، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم بلفظ : ما التمس به وجه الله تعالى .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٤٢٩ .

(٤) (أن) : ساقطة من (د) و(ع) .

(٥) في (أ) و(ع) : (وإذا) ، وهو خطأ .

﴿لِتَكْبِرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُكُمْ﴾ . قال ابن عباس : يريد على ما بين لكم وأرشدكم لمعالم^(١) دينه^(٢) ومناسك حجه . وهو أن يقول : الله أكبر على ما هدانا^(٣) . ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ . قال : يريد الموحدين^(٤)^(٥) .

٣٨ . قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ . قال المفسرون : يعني غائلة المشركين^(٦) .

وقال أبو إسحاق : هذا يدل على النصر من عنده ؛ أي فإذا فعلتم هذا وخالفتم الجاهلية في ما يفعلونه في نحرهم وإشراكهم بالله ، فإن الله يدفع عن حزبه^(٧) .

وَقُرئ : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ﴾^(٨) . من دافع . وهو بمعنى دفع ، وإن كان من المفاعلة ، مثل : طارقت النعل ، وعاقبت اللص ، وعافاه الله^(٩) .

(١) في (أ) : (إلى دينه) .

(٢) في (د) و(ع) : (دينكم) .

(٣) ذكره البغوي ٣٨٨/٥ من غير نسبة .

(٤) في (أ) : (المحدين) .

(٥) ذكره عنه البغوي ٣٨٨/٥ ، وأبو حيان في البحر ٣٧٠/٦ .

(٦) الطبري ١٧١/١٧ ، والتعلبي ٥٣/٣ ب .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٤٢٩/٣ .

(٨) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو (يدفع) بغير ألف . وقرأ الباقر (يدافع) بالألف .

السبعة ٤٣٧ ، والتبصرة ٢٦٦ ، والتيسير ١٥٧ .

(٩) الحجة للفارسي ٢٧٩/٥ مع اختلاف يسير .

انظر : علل القراءات للأزهري ٤٢٥/٢ ، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٧٩/٢ ،

والكشف لمكي ابن أبي طالب ١٢٠/٢ .

وذكر ابن زنجلة في حجة القراءات ٤٧٨ وجهاً آخر في توجيه قراءة (يدافع) فقال : وحجتهم أن

(يدافع) عن مرات متواليات . اهـ .

وبينه مكي في الكشف ١٥/٢ بقوله : وقد تكون (فاعل) للتكرير ؛ أي يدفع عنهم مرة بعد مرة .

قال الأخفش : أكثر الكلام «إن الله يدفع» بغير ألف . قال : ويقولون دفع الله عنك . قال : ودافع عربية إلا أن الأولى ^(١) أكثر ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ . قال ابن عباس : يريد : خانوا الله ، وجعلوا معه شريكاً ، وكفروا نعمه ^(٣) .

وقال أبو إسحاق : إن من ذكر غير اسم الله ، وتقرب إلى الأصنام بذبيحة ؛ فهو خوان كفور ^(٤) .

وقال أهل التفسير : كل خوان في أمانة الله ، كفور لنعمته ^(٥) ^(٦) .

٣٩ . وقوله : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ . قال ابن عباس في ما روى عنه سعيد بن جبير ^(٧) ، وقتادة ^(٨) ، والزهري ^(٩) : هذه أول آية نزلت في القتال . وقال سعيد بن جبير : لما أخرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر : أخرجوا نبيهم ، ليهلكن .

(١) في الحجة : (الأول) .

(٢) قول الأخفش في الحجة للفارسي ٢٧٩ / ٥ . ولم أجده في معاني القرآن للأخفش .

(٣) ذكره عنه البغوي ٣٨٨ / ٥ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤٢٩ / ٣ .

(٥) في (ط) و(د) و(ع) : (لنعمه) ، وعند الثعلبي : (بنعمته) .

(٦) هذا قول الثعلبي في الكشف والبيان ٥٣ / ٣ أ .

(٧) رواه عبد الرزاق في تفسيره ٣٩ / ٢ ، والإمام أحمد في مسنده ٢٦١ / ٣ ، ٢٦٢ ، والنسائي في التفسير

٨٨ / ٢ ، والطبري في تفسيره ١٧ / ١٧٢ ، والحاكم في مستدركه ٦٦ / ٢ ، كلهم من طريق سفيان

الثوري ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . قال أحمد شاكر في

تعليقه على المسند ٢٦١ / ٣ إسناده صحيح .

(٨) رواه عنه عبد الرزاق في تفسيره ٣٩ / ٢ ، والطبري ١٧٣ / ١٧ .

(٩) رواه عنه النسائي في تفسيره ٨٩ / ٢ ، ٩٠ .

فنزلت هذه الآية . قال أبو بكر : فعرفت أنه سيكون قتال^(١) .

قال المفسرون : كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ ، فلا يزالون يجيئون من بين مضروب ومشجوج ، ويشكون ذلك فيقول لهم النبي ﷺ : «اصبروا فإنني لم أؤمر بالقتال» ، حتى هاجر فأنزل الله هذه الآية^(٢) .

وروى ابن أبي نجيج ، عن مجاهد في هذه الآية قال : ناس مؤمنون مهاجرون خرجوا من مكة إلى المدينة ، وكانوا يمنعون ، فأدركهم كفار قريش ، فأذن الله للمؤمنين بقتال الكفار^(٣) .

وعلى هذا القول ، الآية نازلة في قوم مخصوصين بأعيانهم . والقول الأول عليه أهل التفسير .

(١) رواه الترمذي في جامعه في كتاب التفسير ، باب ومن سورة الحج ١٥ / ٩ من رواية سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . ثم قال : وقد رواه غير واحد عن سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير مرسلًا وليس فيه عن ابن عباس .

(٢) ذكره الثعلبي ٥٣ / ٣ ب بنصه .
قال الزيلعي في كتابه تحريج أحاديث الكشاف ٣٨٨ / ٢ بعد ذكره لما ساقه الزمخشري ، وهو مثل الرواية هنا : غريب جداً ، وعزاه للواحد في الوسيط . وقال ابن حجر في الكافي لم أجده هكذا . ثم قال : وهو متنع من أحاديث أقربها ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق بكير بن معروف ، عن مقاتل بن حيان في قوله : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ ، وذلك أن مشركي مكة كانوا يؤذون المسلمين بمكة ، فأستأذوا النبي ﷺ في قتلهم بمكة فنهاهم ؛ ليمتنح بذلك النبي ﷺ عن ذلك ، فلما خرج النبي ﷺ إلى المدينة أنزل عليه ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ . وذكر الطبري عن الضحاك : أن الصحابة - رضي الله عنهم - استأذوا رسول الله ﷺ في قتال الكفار إذا ذؤهم واشتطوا عليهم بمكة قبل الهجرة غيلة وسراً ، فأنزل الله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ ، فلما هاجروا أطلق لهم قتلهم وقتلهم ، فقال : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ﴾ الآية .

(٣) رواه الطبري ١٧٣ / ١٧ عنه من رواية ابن أبي نجيج ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥٧ / ٦ وعزاه لابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل .

قال مقاتل بن حيان : إن مشركي مكة كانوا يؤذون المسلمين بمكة ، فاستأذنوا النبي ﷺ في قتالهم ، فنهاهم فلما خرج إلى المدينة أنزل عليه بالمدينة هذه الآية ، وهي أول آية نزلت عليهم^(١) في القتال^(٢) .

و قرئ (أذن) بفتح الألف وبضمها^(٣) . فمن فتح الألف بنى الفعل للفاعل لما تقدم^(٤) من ذكر الله تعالى^(٥) . وقوله : ﴿لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ﴾ في موضع نصب . ومن ضم الألف بنى الفعل للمفعول به ، والمعنى على أن الله - سبحانه وتعالى - أذن لهم في القتال ، والجار والمجرور في موضع رفع لإسناد الفعل المبني للمفعول إليهم . والمأذون لهم في القتال أصحاب رسول الله ﷺ^(٦) .

وقوله : «يقاتِلون» ؛ أي الذين يقاتلون عدوهم الظالمين لهم بإخراجهم عن ديارهم . وهم المؤمنون .

-
- (١) (عليهم) : ساقطة من (ط) ، وفي (د) و(ع) : (نزلت في القتال عليهم) .
 (٢) تقدم في كلام ابن حجر أن ابن أبي حاتم أخرجه عنه .
 (٣) قرأ ابن كثير ، وحمة ، والكسائي ، وابن عامر : (أذن) مفتوحة الألف ، وقرأ الباقون بضمها . السبعة ٤٣٧ ، والتبصرة ٢٦٦ ، والتيسير ١٥٧ ، والإقناع ٧٠٦ / ٢ .
 (٤) في (ظ) : (علي ما تقدم) ، وفي الحجة للفرسي : (فلما تقدم) .
 (٥) يعني أنه قرب من قوله قبلها : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ ، فأسندوا الفعل إلى الله لتقدم اسمه ، وأن الفعل قرب منه . قاله ابن زنجلة في حجة القراءات ٤٧٨ .
 (٦) من قوله : من فتح الألف إلى هنا . هذا كلام أبي علي في الحجة ٢٨٠ / ٥ ، ٢٨١ مع تقديم وتأخير . انظر : علل القراءات للأزهري ٤٢٦ / ٢ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٧٨ ، والكشف لمكي ابن أبي طالب ١٢٠ / ٢ .

وقرئ ﴿يُقْتَلُونَ﴾ بفتح التاء^(١)؛ أي الذين يقاتلهم المشركون ، وهم المؤمنون ، ويقوي هذه القراءة أن الفعل الذي بعده مسند إلى المفعول به وهو قوله : ﴿ظَلِمُوا﴾^(٢) .

وفي الآية محذوف يدل على ظاهر الكلام .

قال الفرّاء^(٣) والزّجاج^(٤) : المعنى : أذن لهم أن يقاتلوا .

وقال أبو علي : المعنى فيه : أذن للذين يقاتلون بالقتال . قال^(٥) : وحذف مثل هذه من الكلام للدلالة^(٦) عليه حسن كثير^(٧) .

وقوله : ﴿بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا﴾ . قال المبرد : أي من أجل أنّهم ظلموا .

وقال أبو إسحاق : بسبب ما ظلموا^(٨) .

(١) قرأ نافع ، وحفص عن عاصم ، وابن عامر : ﴿يُقْتَلُونَ﴾ بفتح التاء ، وقرأ الباقون بكسر التاء .

السبعة ٤٣٧ ، والتبصرة ٢٦٦ ، والتيسير ١٥٧ ، والإقناع ٧٠٦/٢ .

(٢) من قوله : الذين يقاتلون عدوهم . . . إلى هنا . هذا كلام أبي علي في الحجة ٢٨٠/٥ ، ٢٨١ مع تقديم وتأخير . انظر : حجة القراءات لابن زنجلة ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، والكشف لمكي بن أبي طالب ١٢١/٢ .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢٢٧/٢ .

(٤) معاني القرآن للزّجاج ٤٣٠/٣ .

(٥) قال : ساقطة من (ظ) .

(٦) في (ظ) : بالدلالة) .

(٧) الحجة لأبي علي الفارسي ٢٨١/٥ .

(٨) معاني القرآن للزّجاج ٤٣٠/٣ .

قال ابن عباس : اعتدوا عليهم وظاهروا عليهم وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم .

قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ . قال مقاتل : يعني نصر أصحاب النبي ﷺ فنصرهم عليهم ^(١) .

وقال أبو إسحاق : هذا وعد من الله بالنصر ^(٢) .

٤٠ . قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ . [الذين] في موضع خفض ، المعنى : أذن للذين أخرجوا من ديارهم ^(٣) ^(٤) .

(١) تفسير مقاتل ٢/ ٢٦٦ أ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٣٠ بنحوه .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) و(د) و(ع) .

(٤) هذا كلام الزجاج في معاني القرآن ٣/ ٤٣٠ .

ويكون (الذين) في موضع خفض ؛ لأنه بدل من (الذين) الأولى ، أو صفة له .

وجوز أبو البقاء في الإملاء ٢/ ١٤٥ أن يكون (الذين) في موضع نصب بأعني ، أو في موضع رفع على إضمار مبتدأ تقديره : هم الذين .

وتبعه في ذلك أبو حيان ٦/ ٣٧٤ ، والسمين الحلبي ٨/ ٢٨٢ .

انظر أيضاً : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٠٠ ، والبيان في غريب إعراب القرآن للأنباري ٢/ ١٧٦ ، ١٧٧ .

قوله تعالى : ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ . قال الفراء^(١) ، والزجاج^(٢) : أي لم يخرجوا إلا بأن وحدوا الله ، فأخرجتهم^(٣) عبدة الأوثان لتوحيدهم . وعلى هذا ، (لم يخرجوا) مضمرة في الآية ، ودل عليه ذكر الإخراج في أول الآية والاستثناء المذكور^(٤) .

وقال سيبويه : هذا من الاستثناء المنقطع ، المعنى : لكن بأن يقولوا ربنا الله^(٥) . والمعنى : ولكن أخرجوهم بتوحيدهم .

وذكر الفراء هذا القول أيضاً ، فقال : وإن شئت جعلت (أن) مستثناة كما قال : ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِهِ الْأَعْلَى﴾ [الليل : ٢٠]^(٦) .

وحكى المبرّد عن بعضهم قولاً آخر ، وهو : أن المعنى أخرجوا من ديارهم بأن جعل الحق في إخراجهم ؛ أي الذين استحقوا به الإخراج قولهم : ربنا الله ،

(١) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٢٧ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٤٣٠ .

(٣) في (ظ) : (فأخرجهم) .

(٤) وعلى قول الفراء والزجاج يكون الاستثناء في قوله : ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا﴾ متصلاً ، ويكون ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ في محل جر على البدل .

وتبع الفراء والزجاج في هذا الزمخشري ٣ / ١٦ فقال : أي لغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الإقرار والتمكين لا موجب الإفراج والتيسير . ومثله ﴿هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ [المائدة : ٥٩] .

وذكر أبو حيان ٦ / ٣٧٤ قول الزجاج والزمخشري وتعقبها بقوله : وما أجزاه من البدل لا يجوز ؛ لأن البدل لا يكون إلا إذا سبقه نفي أو نهي أو استفهام في معنى النفي . . . وأما إذا كان الكلام موجباً أو أمراً ؛ فلا يجوز البدل . . . ولوقلت في غير القرآن : أخرج الناس من ديارهم إلا بأن يقولوا لا إلا الله ، لم يكن كلاماً .

انظر : الدر المصون ٨ / ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، وفتح القدير للشوكاني ٣ / ٤٥٧ .

(٥) الكتاب لسيبويه ٢ / ٣٢٥ .

(٦) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٢٧ .

كما تقول : ما غضبت عليَّ إلَّا أَنِّي منصفٌ ؛ أي جعلت سبب غضبك إنصافي ؛ أي عدواناً وظلماً^(١) . هذا كلامه^(٢) .

وعلى هذا الاستثناء متصل ، واستثنى التوحيد من الباطل لضرب من المبالغة كقول النابغة :

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفَهم بهنَّ فلول^(٣) من قِراعِ الكتائبِ^(٤)

فاستثنى ما ليس بعيب من جملة العيب ، وهو ضرب من المبالغة في الكلام ، والمعنى على أنهم لا يعابون إلَّا بما ليس بعيب ، كذلك هؤلاء ما أخرجوا من ديارهم إلَّا بما لا يوجب الإخراج .

وقوله : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ ، وقرئ : « ولولا دفاع الله »^(٥) .

ومضى الكلام في هذا في الآية السابقة .

(١) في (ظ) و(د) و(ع) : (ظلماً وعدواناً) .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) في (ظ) : (كلول) .

(٤) البيت في ديوانه ٤٤ ، والكتاب ٣٢٦/٢ ، والمعاني الكبير لابن قتيبة ٣٦٠/١ ، والكمال للمبرد

١/٥١ ، وجمع الهوامع للسيوطي ١/١٣٢ ، وشرح أبيات مغني اللبيب للبغدادى ٣/١٦ .

قال البغدادى ٣/١٩ : وهو من قصيدة يمدح بها عمرو بن الحارث الأصغر من ملوك الشام الغسانيين ، ويقال لهم : بنو جفنة .

قال السيرافي في شرح أبيات سيويه ٢/٥١ : يمدح آل جفنة الغسانيين . والفلول : جمع فل ، وهو الثلم الذي يكون في السيف . والمعنى : أنهم يغزون كثيراً ويضاربون الأقران ، فسيوفهم قد تفللت . والقراع والمقارعة : المضاربة بالسيوف . وقوله : ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم مفللة هو بمنزلة ليس فيهم عيب على وجه ؛ لأنه إذا كان تفليل سيوفهم هو عيبهم ، وهذا المعنى يمدح به ، فلا عيب فيه على وجه . وهذا يقوله الناس على طريقة المبالغة في المدح .

(٥) قرأ نافع : (ولولا دفاع الله) بالألف وكسر الدال ، وقرأ الباقون : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ ﴾ بغير ألف وفتح الدال .

السبعة ٤٣٧ ، والمبسوط لابن مهران ٢٥٨ .

قال أبو علي : ويجوز أن يكون الدفاع من دفع ، كالكتاب من كتب ، ولا يراد به مصدر فاعل ، ولكن مصدر الثلاثة مثل : الكتاب والقيام والغياث^(١)^(٢) .

وقوله : ﴿هَلَمَّتْ﴾ . الهدم : مصدر هدمت البناء ، إذا نقضته . يقال : هدمته فانهدم . والهدم : المهذوم^(٣) .

وقرى (هدمت) بالتخفيف والتشديد^(٤) . فالتخفيف يكون للكثير والقليل ، يدلّك على ذلك أنّك تقول : ضربت زيدا ضربة ، وضربته ألف ضربة . فاللفظ في الكثرة والقلة على حال واحدة . والتشديد يختص به الكثير^(٥) .

وقوله : ﴿صَوِّعُ﴾ جمع صومعة ، وهي مُتَعَبَّدُ الراهب .

قال الأزهري : الصومعة من البناء ، سميت صومعة لتلطيف أعلاها . يقال : صَمَّعَ الثريدة ، إذا رفع رأسها وحدده^(٦) ، وكذلك صنعها^(٧) . وسُميت الثريدة ، إذا سويت كذلك ، صومعة . ومن هذا يقال : رجل أصمع إذا كان حادّ الفطنة^(٨) .

(١) في الحجة : (العتاب) .

(٢) الحجة : للفارسي ٢٧٨/٥ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (هدم) ٢٢٢/٦ ، والصحاح : للجوهري ٢٠٥٧/٥ ، ولسان العرب ٦٠٣/١٢ .

(٤) قرأ ابن كثير ، ونافع : (هدمت) بتخفيف الدال ، وقرأ الباقر ﴿هَلَمَّتْ﴾ بشديد الدال .

السبعة ٤٣٨ ، والتبصرة ٢٦٧ ، والتيسير ١٥٧ ، والإقناع ٧٠٦/٢ .

(٥) من قوله : فالتخفيف يكون . . . إلى هنا هذا كلام أبي علي الفارسي في الحجة ٢٧٩/٥ . انظر : إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٧٨/٢ ، والكشف لمكي بن أبي طالب ١٢١/٢ .

(٦) في (ظ) و(د) و(ع) : (وحده) ، وفي (أ) : (وحده) ، وهو الموافق لما في تهذيب اللغة .

(٧) في (أ) و(ع) : (وصعسها) مهملة ، وفي (ظ) : (وصعبها) ، وفي (د) : (وصعنبها) ، وهو الموافق لما في تهذيب اللغة .

(٨) تهذيب اللغة للأزهري (صمغ) ٦١/٢ ، وقوله : ومن هذا يقال : رجل . . . في ٦٠/٢ .

قال مجاهد ، والضحاك^(١) : يعني صوامع الرهبان .

وقال قتادة : الصوامع للصائبين^(٢) .

وقال مقاتل بن حيان : هي البيوت التي على الطرق^(٣) .

وقوله : ﴿وَبِيعٌ﴾ [جمع بَيْعَة]^(٤) ، وهي كنيسة النصارى في قول أهل اللغة^(٥) والمفسرين^(٦) .

وقوله : ﴿وَصَلَوَاتٌ﴾ . قال أبو إسحاق وأبو العباس^(٧) . هي كنائس اليهود ، وهي بالعبرانية صلوتا^(٨) .

(١) ذكره الثعلبي ٥٣/٣ ب عنهما . ورواه الطبري ١٧٥/١٧ عنهما .

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/٦٠ وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي حاتم .

(٢) ذكره عنه الثعلبي ٥٣/٣ ب .

ورواه عبد الرزاق في تفسيره ٣٩/٢ ، والطبري ١٧٦/١٧ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/٦٠ وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره ٢٢٦/٣ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (بيع) ٢٣٩/٣ ، والصاحح للجوهري ١١٨٩/٣ .

(٦) هذا قول أبي العالية وقتادة والضحاك ومقاتل بن حيان وخصيف وغيرهم . قال ابن كثير ٢٢٦/٣ :

وقيل : (بيع) كنائس اليهود ، حكاه ابن جرير ١٧٦/١٧ والثعلبي ٥٣/٣ ب عن مجاهد وابن زيد .

وأما في اللغة فإن ابن منظور قال في لسان العرب (بيع) ٢٦/٨ : والبيعة - بالكسر - كنيسة النصارى ، وقيل : كنيسة اليهود .

(٧) قول أبي إسحاق في كتابه معاني القرآن . وقول أبي العباس - ثعلب - في تهذيب اللغة للأزهري (صلى) ٢٣٩/١٢ .

(٨) في (أ) : (صلاتا) ، وهو خطأ .

وهذا قول ابن عباس ، وقتادة ، والضحاك^(١) ، ومقاتل^(٢) .

وقوله : ﴿وَمَسْجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ ؛ يعني مساجد المسلمين من أمة محمد ﷺ في قول ابن عباس وغيره^(٣) .

وأما معنى الآية ، فقال أبو إسحاق : تأويل هذا : لولا أن الله دفع بعض الناس ببعض الهدم في كل شريعة نبي^(٤) المكان الذي يصلى فيه ، فكان لولا الدفع لهدم في زمن موسى عليه السلام الكنائس التي كان يصلى فيها في شريعته ، وفي زمن عيسى^(٥) عليه السلام الصوامع والبيع ، وفي زمن محمد ﷺ المساجد^(٦) .

وقال الأزهرى : أخبر الله - جل ثناؤه - أنه لولا دفعه الناس^(٧) عن الفساد ببعض الناس لهدمت متعبدات كل فريق من أهل دينه وطاعته في كل زمان . فبدأ

(١) ذكره الثعلبي ٥٣/٣ ب عن ابن عباس والضحاك وقتادة .

وعن ابن عباس رواه الطبري ١٧٦/١٧ من طريق العوفي بلفظ : (الكنائس) .

وليس فيه تقييدها باليهود ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥٩/٦ عن ابن عباس بلفظ : (كنائس

اليهود) . وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير .

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥٩/٦ عن ابن عباس رواية أن الصلوات : كنائس النصارى . وعزاه

لعبد بن حميد وابن أبي حاتم .

وعن قتادة رواه عبدالرزاق في تفسيره ٣٩/٢ ، والطبري ١٧٦/١٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور

٦٠/٦ وعزاه لعبدالرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم .

وعن الضحاك رواه الطبري ١٧٦/١٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦٠/٦ وعزاه لابن أبي حاتم .

(٢) تفسير مقاتل ٢٦/٢ أ .

وفي الصلوات قول آخر أنها مساجد للمسلمين وأهل الكتاب . رواه الطبري ١٧٧/١٧ وغيره عن

مجاهد وابن زيد .

(٣) ذكره عن ابن عباس السيوطي في الدر المنثور ٥٩/٦ وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم .

(٤) في المعاني : لهدم في شريعة كل نبي .

(٥) (عيسى) : ساقطة من (أ) .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٤٣١/٣ .

(٧) في (ظ) : (للناس) .

بذكر البيع لأن صلوات من تقدّم من أنبياء بني إسرائيل وأصحابهم^(١) كانت فيها قبل نزول القرآن ، وأحدثت المساجد وسمّيت بهذا الاسم بعدهم . فبدأ -جلّ ثناؤه- بذكر الأقدم ، وأخّر ذكر الأحدث^(٢) .

وهذا مذهب أكثر أهل التأويل في هذه الآية .

وقال ابن زيد : الصّلوات : صلوات أهل الإسلام تنقطع إذا دخل عليهم العدو^(٣) .

وقال الأخفش : وعلى هذا ، فالصلوات لا تهدم ، ولكن يحمل على فعل آخر كأنه قال : وتركت صلوات^(٤) .

وقال أبو عبيدة : إنّما يعني مواضع الصلوات^(٥) .

والقول هو الأول .

وقال الحسن : يدفع عن هدم^(٦) مصليات أهل الذمة بالمؤمنين^(٧) .

(١) في تهذيب اللغة : وأهمهم ، الفرقان .

(٢) تهذيب اللغة للأزهري ٢٣٩ / ٣ .

قال ابن كثير ٢٢٦ / ٣ : وقال بعض العلماء : هذا ترق من الأقل إلى الأكثر إلى أن انتهى إلى المساجد ، وهي أكثر عماراً وأكثر عبادة وهم ذوو القصد الصحيح .

(٣) رواه الطبري ١٧ / ١٧٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٦٠ وعزاه لابن أبي حاتم .

(٤) معاني القرآن للأخفش ٢ / ٦٣٦ .

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ٥٢ وعبارته : مجازه مصليات .

(٦) في (أ) : (هم) .

(٧) ذكره عنه الثعلبي ٣ / ٥٤ أ .

وعلى هذا القول ، لا يحتاج إلى التفسير^(١) الذي ذكرنا في القول الأول ، غير أن الأول^(٢) أولى ؛ لأنهم قبل أن صاروا أهل الذمة حين كانوا على الحق كانت متعباتهم مدفوعاً عنها ، وأيضاً فإنه يلزم أن يبدأ بذكر المساجد لفضلها ، إذ بطلت البيع والكنائس في الإسلام .

وقوله : ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ، أي ينصر^(٣) دينه وشريعته ونبيه .

قال ابن عباس : يريد ينصر محمداً ﷺ .

قال مقاتل : وقد فعل ، نصر محمداً^(٤) ونصر أهل دينه^(٥) .

وقال أبو إسحاق : أي من أقام شريعة من شرائعه نصر على إقامة ذلك^(٦) .

وهذا وعد من الله بنصر من ينصر دينه وشريعته .

وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ . قال ابن عباس : على خلقه ، ﴿عَزِيزٌ﴾ منيع في سلطانه وقدرته^(٧) .

(١) في (د) و(ع) : (تفسير) .

(٢) في (أ) : (الأولى) ، وهو خطأ .

(٣) في (أ) : (لينصر) .

(٤) في (أ) : (محمد) ، وهو خطأ .

(٥) تفسير مقاتل ٢٦/٣ أ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٤٣١/٣ .

(٧) انظر : الطبري ١٧/١٧٨ ، وابن كثير ٢٢٦/٣ .

وقال مقاتل : ﴿عَزِيزٌ﴾ في انتقامه من عدوه^(١) .

٤١ . قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ﴾ . ذهب بعض النحويين^(٢) إلى أن هذا بدل من قوله : ﴿لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ﴾ كل هذا من وصف قوم واحد^(٣) .

وعلى هذا ، ذكر الله - تعالى - المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم ، ثم ذكر أنه كان ينصر في كل زمان أهل دينه ، ويدفع عنهم بالغزاة ، ولولا ذلك لغلب عدوهم حتى تخرب^(٤) متعبداتهم ، وكذا يفعل بهذه الأمة ، ينصرهم حتى يأمنا في مساجدهم وديارهم ، ثم عاد إلى وصفهم فقال : ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ﴾ .

وقال أبو إسحاق : ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ﴾ : من صفة ناصريه^(٥) . يعني قوله : ﴿مَنْ يَنْصُرُهُمْ﴾ . وعلى هذا هو في محل نصب^(٦) . ومعنى ﴿مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ نصرناهم على عدوهم حتى يتمكنوا من البلاد غير مقهورين .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٢/ ٢٦ أ

(٢) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٠١ .

(٣) وعلى هذا القول فـ(الذين) في موضع خفض .

انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٠١ ، والإملاء للعكبري ٢/ ١٤٥ ، والبيان في إعراب غريب القرآن للأنباري ٢/ ١٧٧ .

(٤) في (ظ) : (تخرب) ، وفي (د) : (بحرب) ، وفي (ع) : (نحرب) .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٣١ .

(٦) انظر : إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٠١ ، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٤٩٤ ، والبيان في غريب إعراب القرآن للأنباري ٢/ ١٧٧ .

وذكر أبو البقاء العكبري في الإملاء ٢/ ١٤٥ أن إعراب : ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ﴾ مثل إعراب ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا﴾ واستظهره أبو حيان ٦/ ٣٧٦ ، وجوّز ذلك السمين ٨/ ٢٨٦ ، وقال : ويزيد هذا عليه يعني : ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ﴾ بأن يجوز أن يكون بدلاً من ﴿مَنْ يَنْصُرُهُمْ﴾ ذكره الزجاج ؛ أي لينصرن الله الذين إن مكناهم في الأرض .

وقوله: ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ .
قال ابن عباس : يريد المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان^(١) .

وقال قتادة : هم أصحاب محمد ﷺ^(٢) .

ونحو هذا قال مقاتل^(٣) .

وقال محمد بن كعب : هم الولاة^(٤) .

وقال أبو العالية : هم هذه الأمة^(٥) . وهذا قول الحسن^(٦) . وعكرمة : أهل الصلوات الخمس^(٧) .

وهذه الآية تدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ إذ قرنا بالصلاة والزكاة .

وقوله : ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ كقوله : ﴿وَالِلَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة : ٢١٠] .
والمعنى : أنه يبطل كل ملك سوى ملكه ، فتصير الأمور إليه بلا منازع ولا مددع .

(١) ذكره عنه القرطبي ٧٣ / ١٢ ، وأبو حيان في البحر ٣٧٦ / ٦ .

(٢) ذكره عنه الثعلبي ٥٤ / ٣ أ .

(٣) انظر : تفسيره ٢٦ / ٣ أ .

(٤) ذكره عنه السيوطي في الدر المنثور ٦٠ / ٦ وعزاه لابن أبي حاتم .

(٥) ذكره عنه الثعلبي ٥٤ / ٣ أ .

وذكر السيوطي في الدر المنثور ٦٠ / ٦ عنه أنه قال : أصحاب محمد ﷺ ، وكذا ذكره ابن كثير ٢٢٦ / ٣ .

(٦) ذكره عنه الثعلبي ٥٤ / ٣ أ ، والنحاس في معاني القرآن ٤١٩ / ٤ .

(٧) ذكره عنه الثعلبي ٥٤ / ٣ أ .

٤٢-٤٤. ثم عَزَّى نبيه ﷺ عن تكذيبهم إياه ، وخوف مخالفه بذكر من كَذَّب نبيه فأهلك^(١) بقوله : ﴿وَلَنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ إلى قوله : ﴿وَكُذِّبَ مُوسَى﴾ [قال بعض أهل المعاني . إنما قال : ﴿وَكُذِّبَ مُوسَى﴾]^(٢) ولم يقل : وقوم موسى كما ذكر^(٣) قوم غيره من الأنبياء ؛ لأن قوم موسى كانوا بني إسرائيل وهم آمنوا به ، وإنما كَذَّبَهُ فرعون وقومه ، وغيره من الأنبياء كَذَّبَهُ قومه الذين كانوا من نسبه^(٤) .

وقوله : ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ؛ أي أخرت العقوبة عنهم وأمهلتهم^(٥) .

يقال : أملى الله لفلان في العمر ، إذا أخر عنه أجله^(٦) . وأصل هذا من المَلَّوِينَ^(٧) .

وذكرنا هذا عند قوله : ﴿وَأَهْجُرْني مَلِيًّا﴾ [مريم : ٤٦] .

وقوله : ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ ؛ أي بالعذاب .

(١) في (ظ) : (وأهلك) .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ط) .

(٣) في (أ) : (ذكره) .

(٤) ذكر القرطبي ١٢/٧٣ وأبو حيان ٦/٣٧٦ هذا المعنى ، ولم ينسباه لأحد .

(٥) انظر : الطبري ١٧/١٧٩ ، والتعلبي ٣/٥٤ أ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (ملا) ١٥/٤٠٥ ، والصحاح للجوهري (ملا) ٦/٢٤٩٧ .

(٧) المَلَّوَان : الليل والنهار ، أو طرفاهما . انظر : الصحاح للجوهري (ملا) ٦/٢٤٩ ، ولسان العرب لابن

منظور (ملا) ١٥/٢٩١ .

قال ابن عباس : يريد : فعذبته^(١) .

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ استفهام معناه التقرير ، والنكير اسم من الإنكار .
يقول : كيف أنكرت عليهم بالعقوبة . ألم أبدلهم بالنعمة نقمة ، وبالكثرة^(٢) قلة ،
وبالحياة هلاكاً ، وبالعمارة خراباً؟^(٣) .

وقال أبو إسحاق : أي ثم أخذتهم ، فأنكرت أبلغ إنكار^(٤) .

٤٥ . ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾^(٥) ؛ أي وكم من قرية . ومعنى وكم من قرية :
عدد كثير^(٦) . يعني القرى المهلكة بظلم أهلها حين كذبوا نبيهم .
وذكرنا الكلام في «كأين» في سورة آل عمران^(٧) .

وقوله^(٨) : «أهلكتها» وقرئ «أهلكتناها»^(٩) . والاختيار التاء لقوله :
﴿فَأَمْلَيْتُ﴾ ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾^(١٠) . ومن قرأ بالنون ذهب إلى أمثاله مما ذكر بلفظ

(١) في (أ) : (تعذيبهم) .

(٢) في (ظ) : (والكثرة) .

(٣) هذا كلام الطبري ١٧٩ / ١٧ مع تصرف .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٤٣١ .

(٥) في (أ) و(ظ) و(د) : (وكأين) ، وهو خطأ .

(٦) هذا من كلام الزجاج . انظر : معاني القرآن ٣ / ٤٣١ .

(٧) عند قوله تعالى : ﴿وَكَايِّنْ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رَيْثُُونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران : ١٤٦] .

(٨) (وقوله) : ليست في (أ) .

(٩) قرأ أبو عمرو : (أهلكتها) بالتاء مضمومة من غير ألف على لفظ التوحيد ، وقرأ الباقر : (أهلكتناها)
بالنون بلفظ الجمع .

انظر : السبعة ٤٣٨ ، والتبصرة ٢٦٧ ، والتيسير ١٥٧ .

(١٠) قال مكي في الكشف ٢ / ١٢١ ، ١٢٢ : وحجة من قرأ بالتاء أنه حملة على لفظ التوحيد الذي أتى
بالتاء قبله وهو قوله : (فأملت للكافرين ثم أخذتهم) ، وحملة أيضاً على لفظ التوحيد بعده في قوله :
﴿وَكَايِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ [الحج : ٤٨] فكان حمل
الكلام على ما قبله وما بعده أحسن وأليق .

الجمع كقوله : ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ [الأنبياء: ١١] ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ [الأعراف: ٤] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ﴾ [يونس: ١٣]^(١).

وقوله : ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ ؛ أي أهلها ظالمون بالكذيب والكفر ، ﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ . مضى تفسيره مستقصى في سورة البقرة^(٢) .

وقوله : ﴿وَيَثِرُ﴾ ذكر الفراء في كسره ثلاثة أوجه :

أحدها : العطف على العروش^(٣) .

والثاني : الإتيان كقراءة من قرأ (وحوِر عين) [الواقعة: ٢٢] بالخفض .

الثالث : العطف على ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾^(٤) .

وهذا هو المختار^(٥) ، والأولان خلف^(٦) ؛ لأن المعنى وكم من بئر معطلة وقصر مشيد تركوها بعد إهلاكهم^(٧) .

(١) هذا كلام أبي علي في الحجة ٥ / ٢٨١ ، ٢٨٢ مع تصرف . قال مكي في الكشف ٢ / ١٢٢ : وحجة من قرأ بلفظ الجمع أنه أفخم ، وفيه معنى التعظيم ، وبه جاء القرآن في مواضع . انظر : حجة القراءات لابن زنجلة ٤٨٠ .

(٢) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿أَوَكَلِّدِي مَكْرَ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] .

(٣) قال أبو حيّان ٦ / ٣٧٧ : وجعل ﴿وَيَثِرُ مُعْطَلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ﴾ معطوفين على ﴿عُرُوشِهَا﴾ جهل بالفصاحة . وقال السمين الحلبي ٨ / ٢٨٧ عن هذا القول ، وليس بشيء . وكذا قال الألوسي ١٧ / ١٦٦ .

(٤) انظر كلام الفراء في : معاني القرآن ٢ / ٢٢٨ .

(٥) وقال عنه السمين الحلبي ٨ / ٢٨٧ : وهذا هو الوجه . انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣ / ١٠٢ ، والبحر المحيط ٦ / ٣٧٧ .

(٦) أي خطأ . قال الجوهري : الخلف : الرديء من القول . يقال سكت ألفاً وتكلم خلفاً ؛ أي سكت عن ألف كلمة ثم تكلم بخطأ . الصحاح (خلف) ٤ / ١٣٥٤ .

(٧) في (ط) و(د) و(ع) : (هلاكلهم) .

قوله تعالى : ﴿مُعْطَلَةٌ﴾ ؛ أي متروكة من العمل والاستقاء . ومعنى التعطيل : الترك من العمل . قال الليث : وإذا^(١) ترك الثغر بلا حام يحميه فقد عطل ، وبئر معطلة : لا يستقى منها ، ولا ينتفع بها^(٢) .

قال المبرّد : والمعطل : المتروك على هيئته ، وأصله مأخوذ من العطل ، وهو : الجسم . وكأنها متروكة كما هي^(٣) .

قل ابن عباس : يريد : بئر لا يستقى منها^(٤) .

قوله : ﴿وَقَصْرِ مَشِيدٍ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه بمعنى المشيد ، وهو المطول^(٥) المرفوع ، وذكرنا ذلك في قوله : ﴿بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾ [النساء : ٧٨] . وهو قول قتادة ، والضحاك ، ومقاتل^(٦) .

(١) في (أ) : (فإذا) ، وفي (د) و(ع) : (إذا) ، والمثبت من (ظ) وهو الموافق لما في تهذيب اللغة .

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (عطل) ١٦٦ / ٢ نقلاً عن الليث .

وفي العين (عطل) ٩ / ٢ : وبئر معطلة ؛ أي لا تورّد ولا يستقى منها .

(٣) لم أجد من ذكره عنه .

(٤) روى الطبري ١٧ / ١٨٠ عن ابن عباس ﴿وَبِئْرٍ مُّعْطَلَةٍ﴾ قال : التي قد تركت . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٦١ وعزاه لابن جرير وابن المنذر .

(٥) في (أ) : (المطول) ، وهو خطأ .

(٦) ذكره الثعلبي ٣ / ٥٤ عنهم جميعاً .

وعن قتادة رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢ / ٤٠ ، والطبري ١٧ / ١٨١ بلفظ : كان أهله شيدوه وحصنوه .

وعن الضحاك رواه الطبري ١٧ / ١٨١ بلفظ : طويل .

وهو في تفسير مقاتل ٢ / ٢٦ ب .

والثاني : أنه المجصص يقال : شاده يشيده ، إذا بناه بالشيد وهو الحص والنورة^(١) وأنشد أبو عبيدة^(٢) لعدي بن زيد :

شاده مرمراً وجلله كلساً فللطير في ذراه وكور^(٣)

وقال أبو إسحاق : أصل الشيد : الحص والنورة ، وكل ما بني بهما أو بأحدهما فهو مَشِيد^(٤) بفتح الميم وكسر الشين .

(١) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (شاد) ١١ / ٣٩٤ ، والصاحح للجوهري (شيد) ٢ / ٤٩٥ ، ولسان العرب (شيد) ٣ / ٢٤ .

والنورة بالضم : الهناء ، وهو من الحجر يُحرق ويسوى منه الكلس . لسان العرب (نور) ٥ / ٢٤٤ ، وتاج العروس للزبيدي (نور) ١٤ / ٣٠٦ .

(٢) في (د) و(ع) : (أبو عبيد) ، والصواب ما في (أ) و(ظ) .

(٣) البيت أنشده أبو عبيدة لعدي بن زيد في كتابه مجاز القرآن ٢ / ٥٣ .

وهو في ديوان عدي بن زيد ٨٨ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ١٣ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٢٩٤ ، والكمال ١ / ٩٠ ، والطبري ١٧ / ١٨٢ ، والجمهرة لابن دريد (كلس) ٣ / ٤٥ ، ولسان العرب (كلس) ٦ / ١٩٧ . والرواية عندهم : جلله ، إلا الديوان والجمهرة فإن الرواية فيها : خلله ، ثم قال ابن دريد بعد روايته للبيت :

هكذا رواه الأصمعي بالخاء معجمة ، وقال : ليس جلله - بالجيم - بشيء ، وروى غيره بالجيم ، وقال الأصمعي : إنما هو خلله ؛ أي صير الكلس في خلل الحجارة ، وكان يضحك من هذا ويقول : متى رأوا حصناً مصهرجاً .

المرمر : الرخام . الصاحح للجوهري (مرمر) ٢ / ٨١٤ .

والكلس بالكسر : ما طلي به حائط أو باطن قصر شبه الحص من غير آجر ، وقيل هو الصاروج يعني النورة وأخلاطها التي تطل بها النزل ، فارسي معرب ، أو مثل الصاروج .

انظر : لسان العرب (كلس) ٦ / ١٩٧ ، و(صرح) ٢ / ٣١٠ ، وتاج العروس للزبيدي (كلس) ١٦ / ٤٤٨ .

(ذراه) : أعلاه . الصاحح للجوهري (ذرا) ٦ / ٢٣٤٥ .

كور : جمع وكر ، وهو العش . لسان العرب (وكر) ٥ / ٢٩٢ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٤٣٢ . وقوله : بفتح الميم وكسر الشين ، هذا من كلام الواحدي .

وهذا قول عطاء ، وعكرمة ، وأبي صالح ، والسَّدي ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وأكثر المفسرين^(١) .

ومن المفسرين من يخصص البئر المذكورة في هذه الآية وهو قول الضحاك ، والسدي قالوا : كانت هذه البئر باليمن^(٢) .

وليس بالوجه .

٤٦ . ثم حثَّ على الاعتبار بحال من مضى من الأمم المكذبة فقال : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ قال ابن عباس : يريد : أفلم يسر قومك في أرض الشام وأرض اليمن ﴿ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ ؛ أي يعلمون بها مدلول ما يرون من العبر .

(والمعنى : أفلم يسيروا فيعقلوا بقلوبهم ما نزل بمن كذب قبلهم . والتأويل : فتكون لهم قلوبٌ عاقلة [عامة ؛ لأن قوله :] ^(٣) ﴿ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ صفة للنكرة ، وقبل

(١) ذكره الثعلبي ٥٤ / ٣ عن عطاء وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير .

ورواه عن هؤلاء الأربعة الطبري ١٧ / ١٨٠ ، ١٨١ .

ورواه عن عطاء وعكرمة عبدالرزاق في تفسيره ٣٩ / ٢ .

ولم أجده من ذكره عن أبي صالح والسدي .

قال ابن كثير ٢٢٧ / ٣ بعد ذكره للأقوال : والأقوال متقاربة ، ولا منافاة بينهما ، فإنه لم يحمل أهله شدة بنائه ولا ارتفاعه ولا إحكامه ولا حصانته عن حلول بأس الله بهم كما قال تعالى : ﴿ أَتَيْنَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسَيَّدَةٍ ﴾ [النساء : ٧٨] .

وقال العلامة عبدالرحمن بن سعدي في تيسير الكريم الرحمن ٣ / ٣٢٧ ، ٣٢٨ : وكم من قصر تعب عليه أهله ، فشيدوه ورفعوه وحصنوه وزخرفوه ، فحين جاءهم الأمر لم يغن عنهم شيئاً ، وأصبح خالياً من أهله .

(٢) ذكره الثعلبي ٥٤ / ٣ عن الضحاك . وذكر فيها قصة .

وذكره القرطبي ١٢ / ٧٥ عن الضحاك وغيره ، وساق عنه قصة طويلها في خبر هذه البئر وأصحابها . والله أعلم بصحة هذا الخبر .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

أن يسيروا لهم قلوب ولكن غير عاقلة ، فإذا ساروا واعتبروا كانت لهم قلوب عاقلة^(١) وعلى هذا النحو قوله : ﴿أَوْ أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ .

قال ابن عباس : يريد من يسمع فلم يجب فلم يسمع .

يعني أنهم غير سامعين إذا صموا عن دعائك ، أفلا يسيرون فيسمعوا^(٢) أخبار الأمم المكذبة فيعتبروا ؟

قال ابن قتيبة في هذه الآية والتي قبلها : وهل شيء أبلغ في العظة والعبرة من هذه الآية ؟ لأن الله - تعالى - أراد^(٣) : أفلم يسيروا في الأرض ، فينظروا إلى آثار قوم أهلكهم الله بالعتو ، وأبادهم بالمعصية ، فيروا من تلك الآثار بيوتاً خاوية قد سقطت على عروشها ، وبئراً لشرب أهلها قد عطلت^{(٤)(٥)} ، وقصراً بناه ملكها^(٦) بالشيد قد خلا من السكن وتداعى بالخراب ؛ فيتعظوا بذلك ، ويخافوا من عقوبة الله وبأسه ، مثل الذي^(٧) نزل بهم ؟ ونحو هذا قوله : ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَنِّدُهُمْ﴾ [الأحقاف : ٢٥] . انتهى كلامه^(٨) .

ثم ذكر الله - تعالى - أنَّ^(٩) أبصارهم الظاهرة لم تعم عن النظر ، وإنما عميت أبصار^(١٠) قلوبهم ، فقال : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٢) في (أ) : (فيسمعون) ، وهو خطأ .

(٣) (أراد) : موضعه بياض في (ظ) .

(٤) في (أ) : (غلطت) ، وهو خطأ .

(٥) العبارة عند ابن قتيبة : وبئراً كانت لشرب أهلها قد عطل رشاًؤها وغار معيها ، وقصراً .

(٦) عند ابن قتيبة : (ملكه) .

(٧) (الذي) : ساقطة من (أ) .

(٨) مشكل القرآن لابن قتيبة ١٠ .

(٩) (أن) : ساقطة من (أ) .

(١٠) (أبصار) : ساقطة من (أ) .

قال الفراء : الهاء هاء عماد يوفي^(١) بها (إِنَّ) ويجوز مكانها (إِنَّه) ، وكذلك هي في قراءة عبدالله^(٢) .

وقال غيره : هي إضمار على شريطة التفسير . والمعنى : فلان الأبصار لا تعمى . ويجوز أن تكون الهاء لإضمار القصة . وذكرنا هذه الأقوال مشروحة في تفسير قوله : ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنبياء: ٩٧] .

وقوله : ﴿الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ . ذكر الفراء وأبو إسحاق^(٣) : أن هذا من التوكيد الذي تزيده العرب في الكلام ، كقوله : ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦] . وقوله : ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧] وقوله : ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨] . والتوكيد جار في الكلام مبالغ في الإفهام .

وقال غيرهما : هذا التوكيد فائدته أنه يمنع من ذهاب الوهم إلى غير معنى القلب المعروف ، لأنه قد يذهب إلى أن فيه اشتراكاً كقلب النحلة ، فإذا^(٤) أكد كان أنفى للبس بتجويز الاشتراك .

٤٧ . قوله تعالى : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ . قال ابن عباس : كانوا يقولون للنبي ﷺ : ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ، فأنزل الله هذه الآية^(٥) .

(١) عند الفراء : تُوفَى .

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٢٨ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٢٨ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٣٢ .

(٤) في (أ) : (وإذا) .

(٥) في تنوير المقباس ٢٠٩ : (استعجله النصر بن الحارث قبل أجله . وذكر الثعلبي ٣/ ٥٤ ب ، والبعوي ٥/ ٣٩١ ، والقرطبي ١٢/ ٨٨ أنها نزلت في النصر بن الحارث . ذكروا ذلك من غير سند ولا نسبة لأحد .

قال القرطبي : وقيل نزلت في أبي جهل بن هشام .

وما ذكر جميعه لا يثبت بمثله سبب في نزول الآية ، والله أعلم .

والمعنى : يسألونك أن تأتي بعذابهم عاجلاً غير مؤخر .

وقوله : ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ ؛ أي في أن ينزل بهم العذاب^(١) في الدنيا .
قاله الفقهاء^(٢) .

وقال ابن عباس : يريد بهذا يوم بدر^(٣) .

قوله تعالى : ﴿وَلَا يَكُ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ قال مجاهد وعكرمة وابن زيد : هو من أيام الآخرة^(٤) .

ويدل على هذا ما روي في الحديث : «أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم : خمسمائة عام»^(٥) .

وعلى هذا معنى الآية أنهم يستعجلون بالعذاب^(٦) وإنَّ يوماً من أيام عذابهم في الآخرة ألف سنة .

قال الفقهاء : ففي هذه الآية وعد لهم بالعذاب في الدنيا والآخرة^(٧) .

(١) في (د) و(ع) : (في نزول العذاب بهم) .

(٢) معاني القرآن للفقهاء ٢/ ٢٢٩ .

(٣) ذكر هذا القول الثعلبي ٥٤٣ ب ولم ينسبه لأحد .

(٤) ذكره الثعلبي ٣/ ٥٤ ب عن مجاهد وعكرمة ، ورواه عنهما الطبري في تفسيره ١٧/ ١٨٣ . وذكره البغوي ٥/ ٣٩٢ عن ابن زيد .

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٣٤٣ ، والترمذي في جامعه ، أبواب الزهد باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم ٧/ ٢١-٢٣ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
قال المنذري : ورواه محتج بهم في الصحيح .

وقال ابن القيم في حادي الأرواح ١١٠ : ورجال إسناده احتج بهم مسلم في صحيحه .

(٦) في النسخ جميعها : (يستعجلون العذاب إنَّ) . والتصويب من الوسيط للواحد ٣/ ٢٧٥ .

(٧) معاني القرآن للفقهاء ٢/ ٢٢٩ بمعناه .

وقال^(١) أبو إسحاق : الذي تدل عليه الآية^(٢) أنهم استعجلوا العذاب ، فأعلم الله أنه لا يفوته شيء ، وأن يوماً عنده وألف سنة في قدرته واحد ، ولا فرق بين وقوع ما يستعجلون به^(٣) من العذاب وتأخره في القدرة ، إلا أن الله تفضل بالإمهال ، فالفرق بين التأخير والتقديم تفضل الله بالنظر^{(٤)(٥)} .

وهذا الذي ذكره معنى قول ابن عباس في رواية عطاء^(٦) .

والمعنى : إن يوماً عنده في الإمهال وألف سنة سواء ؛ لأنه قادرٌ عليهم متى شاء^(٧) أخذهم . وقد كشف أبو إسحاق عن هذا بأبلغ بيان^(٨) .

وذكر وجه ثالث^(٩) في تفسير هذه الآية وهو : أن المعنى : وإن يوماً عند ربك من أيام عذابهم في الآخرة كألف سنة في الثقل والاستطالة ، فكيف يستعجلون بالعذاب لولا جهالتهم .

وهذا الوجه لأصحاب المعاني ، ذكره الأخفش وغيره^(١٠) .

(١) في (أ) : (قال) .

(٢) في (ظ) : (الآخرة) ، وهو خطأ .

(٣) (به) : ساقطة من (أ) .

(٤) في (أ) : (بالنظر) .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤٣٣ / ٣ مع اختلاف يسير .

(٦) ذكر البغوي ٣٩٢ / ٥ أن هذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء .

(٧) في (أ) : (متى ما شاء) .

(٨) (بيان) : ساقطة من (ظ) .

(٩) هكذا في (ظ) و(د) و(ع) . وفي (أ) : (وذكر وجهاً ثالثاً ، فيعود على أبي إسحاق .

والصواب ما أثبتنا ؛ لأن أبا إسحاق لم يذكر هذا الوجه ، ولقول الواحد بعد ذلك : وهذا الوجه

لأصحاب المعاني

(١٠) انظر : معاني القرآن للأخفش ٦٣٨ / ٢ . وقد ذكر هذا الوجه الثعلبي ٥٤ / ٣ ب وعزاه لأهل المعاني .

قال أبو علي : وقد جاء في كلامهم وصف اليوم ذي الشدائد والجهد بالطول ،
وجاء وصف^(١) خلافه بالقصر . أنشد أبو زيد^(٢) :

تَطاوَلْتُ أَيَّامٌ مَعْنٍ بِنَا فَيَوْمٌ كَشْهَرِينَ إِذْ يُسْتَهْلُ^(٣)
وقال آخر :

يَطْوُلُ الْيَوْمُ لَا أَلْقَاكَ فِيهِ وَحَوْلُ^(٤) نَلْتَقِي فِيهِ^(٥) قَصِيرُ^(٦)
وقال جرير :

وَيَوْمٌ كَأَيَّامِ الْحُبَارَى لَهَوْتُهُ^{(٧)(٨)}

وهذا كما يقال : أَيَّامُ الْهُمُومِ طَوَالٌ ، وَأَيَّامُ السَّرُورِ قَصَارٌ^(٩) .
فهذه أوجه ثلاثة^(١٠) في تأويل هذه الآية .

وروي عن ابن عباس أنه قال في قوله : ﴿وَلَيْتَ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾ الآية : هو من
الأيَّام التي خلق الله فيها السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ^(١١) .

(١) في (ظ) : (وجه) ، وهو خطأ .

(٢) البيت ذكره أبو علي في الحجة ٢٨٣ / ٥ من إنشاد أبي زيد ومن غير نسبة لأحد ، ولم أهدأ لقائله .

(٣) في (أ) : (يسهل) .

(٤) في الحجة : (ويوم) .

(٥) في (ظ) و(د) و(ع) : (حول) .

(٦) البيت في الحجة ٢٨٣ / ٥ من غير نسبة لأحد .

(٧) هذا الشطر من البيت لم أجده في ديوانه ، وهو في الحجة ٢٨٣ / ٥ من غير نسبة .

وإبهام الحبارى يضرب به المثل ، فقال : أقصر من إبهام الحبارى . انظر : مجمع الأمثال للميداني
٥٣٦ / ٢ .

(٨) قول أبي علي ، والأبيات في الحجة ٢٨٣ / ٥ .

(٩) قوله : وهذا كما يقال هذا كلام الثعلبي في الكشف والبيان ٥٤ / ٣ ب .

(١٠) في (ظ) : (ثلاث) ، وهو خطأ .

(١١) رواه الطبري ١٧ / ١٧ ، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ٢٢٨ / ٣ .

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦٢ / ٦ وعزه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

وهذا لا يتوجّه في معنى الآية ؛ لأن تلك الأيام قد مضت ، إلّا أن يُحمل على أن^(١) المراد أن أيّام الآخرة بمقدار هذه المدة فيعود المعنى إلى القول الأول .

روى^(٢) ابن أبي مليكة أنّ ابن عباس سئل عن هذا وعن قوله^(٣) : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج : ٤] فقال : يومان ذكرهما الله - تعالى - في كتابه أكره أن أقول في كتاب الله ما لا^(٤) أعلم^(٥) .

وقرى (مما يعدّون) و(تعدّون)^(٦) . فمن قرأ بالياء فوجهه قوله : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ فيكون الكلام من وجه واحد ، ومن قرأ بالتاء فوجهه أنه أعمّ ، ألا ترى أنه يجوز أن يُعنى به المستعجلون وغيرهم من المسلمين^(٧) .

٤٨-٥١ . ثم أعلم الله أنه قد أخذ قومًا بعد الإملاء والتأخير ، فقال : ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَيْتُ لَهَا﴾ الآية ، وهي مفسرة في ما سبق قبيل . وما بعدها ظاهر التفسير إلى قوله : ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾ ؛ أي عملوا في إبطالها ﴿مُعْجِزِينَ﴾ ؛ قال ابن عباس : مشاقين معاندين مغالين^(٨) .

(١) (أن) : ساقطة من (ظ) .

(٢) في (ظ) : (وروى) .

(٣) في (ظ) : (وعن قوله يوم كان . . .) ، وفي (د) و(ع) : (وعن قوله كان مقداره . . .) .

(٤) في (ظ) : (مما لا أعلم) ، وفي (د) و(ع) : (بها لا أعلم) .

(٥) رواه عبدالرزاق ١٠٨/٢ ، والطبري ٧٢/٢٩ .

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥٣٧/٦ وعزاه لعبدالرزاق وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وابن الأثير في المصاحف ، والحاكم .

(٦) قرأ ابن كثير ، وحزة ، والكسائي : (مما يعدّون) بالياء . وقرأ الباقر بالتاء .

السبعة ٤٣٩ ، والتبصرة ٢٦٧ ، والتيسير ١٥٨ .

(٧) الحجة لأبي علي الفارسي ٢٨٣/٥ مع اختلاف يسير . انظر : حجة القراءات لابن زنجلة ٤٨٠ ، والكشف لمكي بن أبي طالب ١٢٢/٢ .

(٨) ذكره عنه الثعلبي ٥٤/٣ ب من دون قوله : معاندين .

ورواه الطبري ١٨٥/١٧ بلفظ : مشاقين .

وقال الأخفش : مسابقين^(١) .

ومعنى المعاجزة في اللغة : محاولة عجز المغالب^(٢) .

قال أبو أسحاق وأبو علي : ﴿مُعْجِزِينَ﴾ ؛ طائنين ومُقدِّرين أن يعجزونا^(٣) ، لأنهم ظنوا أن لا بعث ولا نشور ، وأنه لا جنة ولا نار^(٤) .

وهذا معنى قول قتادة : ظنوا أنهم يعجزون الله فلا يقدر عليهم ، ولن يعجزوه^(٥) . وهذا [في المعنى]^(٦) كقوله : ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفِهُنَا﴾ [العنكبوت : ٤] .

ومن قرأ (مُعْجِزِينَ)^(٧) فالمعنى أنهم كانوا يُعجزون من اتبع النبي ﷺ ؛ أي ينسبونهم إلى العجز ، كقولهم : جهلته وفسقته . وهذه قراءة مجاهد ، وزعم^(٨) في تفسير معجزين : مشبطين ؛ أي يشبطون الناس عن الإيثار بالنبي ﷺ^(٩) .

(١) ذكره عنه الثعلبي ٥٤٣ ب .

(٢) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (عجز) ١ / ٣٤٠ ، ولسان العرب ٥ / ٣٦٩ ، ٣٧٠ .

(٣) في (أ) : (يعجزونا) .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٤٣٣ ، والحجة للفراسي ٥ / ٢٨٤ .

(٥) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي ٥٤٣ ب . وقد رواه عبدالرزاق ٢ / ٤٠ ، والطبري ١٧ / ١٨٥ من دون قوله : فلا يقدر عليهم . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٦٤ وعزاه لعبدالرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .

(٧) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو : (معجّزين) بتشديد الجيم من غير ألف . وقرأ الباقر : ﴿مُعْجِزِينَ﴾ بألف بعد العين : وتخفيف الجيم . السبعة ٤٣٩ ، والتبصرة ٢٦٧ ، والتيسير ١٥٨ .

(٨) في الحجة : وزعموا أن مجاهداً فسر .

(٩) تفسير مجاهد رواه الطبري ١٧ / ١٧٨٦ : مبطين ؛ يبطنون الناس عن اتباع النبي ﷺ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٦٤ مثل لفظ الطبري وعزاه لابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(١٠) من قوله : وهذا في المعنى . . إلى هنا . هذا كلام أبي علي في الحجة ٥ / ٢٨٤ مع تصرف .

وعلى هذا ليس المراد بالتعجيز النسبة إلى العجز ، والمراد به طلب عجزهم^(١) وجعلهم عاجزين بالتثبيط وأسبابه ؛ كي يعجزوا فلا يؤمنوا .

ثم أخبر عن هؤلاء أنهم أصحاب النار بقوله : ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ .

٥٢ . قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ . الرسول : الذي أرسل إلى الخلق بإرسال جبريل إليه عياناً ، ومحاورته إيّاه^(٢) شفاهاً . والنبي : الذي^(٣) تكون نبوته إلهاماً أو مناماً . فكلُّ رسول نبيٌّ ، وليس كل نبي رسولاً^(٤) .

انظر أيضاً : في توجيه القراءة علل القراءات للأزهري ٢ / ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٨١ ، والكشف لمكي بن أبي طالب ٢ / ١٢٣ .

- (١) أي عجزهم الناس .
- (٢) في (أ) : (ومحاورته إيّاها) ، وهو خطأ .
- (٢) في (ظ) : (التي) .
- (٤) هذا كلام الثعلبي في الكشف والبيان ٣ / ٥٥ مع اختلاف يسير .

وقد اختلف في الفرق بين الرسول والنبي على أقوال :
أحدها : ما ذكره المؤلف .

الثاني : أن النبي الرسول هو من أنزل عليه كتاب وشرع مستقل يدعو الناس إليه ، والنبي المرسل - الذي هو غير الرسول - هو من لم ينزل عليه كتاب ، وإنما أوحى إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله ، كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يرسلون ويؤمنون بالعمل بما في التوراة كما قال تعالى : ﴿يَحْكُمُ بِهَا الَّذِينَ اسْلَمُوا﴾ [المائدة : ٤٤] .

الثالث : أن الرسول هو الذي أرسله الله تعالى ، وهو مأمور بدعوة الخلق وتبليغهم رسالات ربه ، والنبي هو المنبئ عن الله ، فالله ينبئه بالغيب ، وهو ينبي الناس بالغيب . وقريب من هذا القول قول من قال : النبي هو من أوحى إليه وحى ولم يؤمر بتبليغه ، والرسول هو النبي الذي أوحى إليه وأمر بتبليغ ما أوحى إليه .

وهذا الأخير أضعف الأقوال ، قال الشنقيطي ٥ / ٧٣٥ معللاً عدم صحة هذا القول : لأن قوله : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ الآية يدل على أن كلا منهما مرسل ، وأنها مع ذلك بينهما تغاير . انظر : النكت والعيون للماوردي ٤ / ٣٦ ، وتفسير الرازي ٢٣ / ٤٦ ، وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٧ / ١٨ ، وروح المعاني للألووسي ١٧ / ١٧٢ ، ١٧٣ ، وأضواء البيان للشنقيطي ٥ / ٧٣٥ .

وهذا معنى قول الفراء : الرسول : النبي المرسل ، والنبي : المحدث ^(١) الذي لم يرسل ^(٢) .

قوله : ﴿إِلَّا إِذَا تَمَنَّى﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء إلا إذا قرأ ^(٣) . وهذا معنى قول المفسرين : تلا ^(٤) . وقال مجاهد : إذا قال ^(٥) .

وذكرنا التَّمَنَّى بمعنى التلاوة والقراءة مستقصى بذكر الحجج ^(٦) في سورة البقرة عند قوله : ﴿إِلَّا آمَانِي﴾ [البقرة : ٧٨] .

قوله : ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ ؛ أي تلاوته .

قال المفسرون بألفاظ مختلفة ومعاني متفقة : إن رسول الله ﷺ كان حريصاً على إيمان قومه أشد الحرص ، فجلس يوماً في ناد من أنديةهم ^(٧) ، وقرأ عليهم سورة النجم ^(٨) ، فلما أتى على قوله : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ﴾ ^(٩) وَمَنُوءَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ﴿ [النجم : ١٩-٢٠] ألقى الشيطان في أمنيته حتى وصل به «تلك الغرائق العلى ، وإن شفاعتهن لترتجي» ثم قرأ السورة كلها حتى بلغ آخرها ، فسجد رسول الله ﷺ ، وسجد أصحابه معه ، وسجد المشركون لذكره ^(٩) آلهتهم ، وفرحوا بذلك ، وقالوا :

(١) المحدث : هو الملهم . لسان العرب (حدث) ١٣٤ / ٢ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٢٩ .

وقوله عن النبي أنه الذي لم يرسل يرده كما تقدم قوله : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ الآية .

(٣) روى البخاري في صحيحه ٤٣٨ / ٨ تعليقا ، والطبري في تفسيره ١٧ / ١٩٠ من طريق علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿إِذَا تَمَنَّى﴾ إذا حدث .

(٤) انظر : الطبري ١٧ / ١٩٠ ، والثعلبي ٣ / ٥٥ أ ، والدر المنثور ٦ / ٦٩ .

(٥) رواه الطبري ١٧ / ١٩٠ .

(٦) في النسخ جميعها : (الحج) ، والصواب ما أثبتناه .

(٧) في (أ) : (أيديهم) ، وهو خطأ .

(٨) في (د) و(ع) : (سورة والنجم) .

(٩) في (أ) : (لذكر) .

قد ذكر محمد ألهتنا بأحسن الذكر ، فأتاه^(١) جبريل عليه السلام ، وأخبره بما جرى من الغلط على لسانه ، وقال : معاذ الله أن أكون أقرأئك هذا . فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ ، فأنزل الله هذه الآية ، ونسخ ما ألقى الشيطان على لسانه ، فقال المشركون : قد ندم محمد على ما ذكر من منزلة ألهتنا عند الله ، وازدادوا شرّاً إلى ما كانوا عليه ، وأما المؤمنون فقالوا حين نسخ الاولى : آمنا بما قال محمد ﷺ ، وهذا قول ابن عباس^(٢) ،

(١) في (د) و(ع) : (فأتى) .

(٢) ورد هذا القول عن ابن عباس من طرق ، وكلها لا تخلو من مقال .

الطريق الأول : طريق سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، رواه أبو بكر البزار في مسنده كما في كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي ٧٢ / ٣ ، والطبراني في الكبير ٥٣ / ١٢ من طريق أمية بن خالد ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في ما أحسب ، أشك في الحديث : أن النبي ﷺ كان بمكة ، فقرأ سورة النجم حتى انتهى إلى قوله : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّكْتَ وَالْعُزَّىٰ ۖ وَمَوْدَةَ الثَّالِثَةِ ۖ الْآخِرَىٰ ﴾ فجري على لسانه . وفي رواية الطبراني : ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرائق العلى ، فذكره بنحوه مختصراً .

ثم قال البزار : لا نعلمه يروى بإسناد متصل يجوز ذكره إلا بهذا الإسناد ، وأمّية بن خالد ثقة مشهور ، وإنما يعرف هذا من حديث الكلبي عن أبي صالح ، عن ابن عباس . اهـ .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١١٥ / ٧ : رواه البزار والطبراني . . . ورجالهما رجال الصحيح . وذكره السيوطي في الدر ٦٥ / ٦ وزاد نسبته لابن مردويه ، وقال : بسند رجاله ثقات . وتعقب الألباني في نصب المجانيق ٦ قول السيوطي : بسند رجاله ثقات ، فقال ذلك يومه أنه ليس بمعلول ، وهذا خلاف الواقع ، فإنه معلول بتردد الراوي في وصله . اهـ .

وذكر ابن كثير في تفسيره ٢٢٩ / ٣ رواية البزار ، وقبل أن يسوقها قال : ولم أرها - يعني قصة الغرائق - مسندة من وجه صحيح . وجاءت هذه الرواية عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس من دون شك من الراوي في وصله ، رواها ابن مردويه في تفسيره كما في تخريج أحاديث الكشاف : للزليعي ٣٩٤ / ٢ ، من طريق أبي بكر محمد بن علي المقرئ البغدادي ، ثنا جعفر بن محمد الطيالسي ، ثنا إبراهيم بن محمد بن عرعة ، ثنا أبو عاصم النبيل ، ثنا عثمان بن الأسود ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ قرأ . فساق الحديث .

قال الألباني في نصب المجانيق ٨ ، ٩ : وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات ، وكلهم من رجال التهذيب إلا من دون ابن عرعة ، ليس فيهم من ينبغي النظر فيه غير أبي بكر محمد بن علي المقرئ البغدادي . وقد أورده الخطيب في تاريخ بغداد . . . ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ، فهو علة هذا الإسناد الموصول . ثم ذكر الألباني أن الصواب عن عثمان بن الأسود إنما هو عن سعيد بن جبير مرسلًا كما رواه الواحدي =

والسدي^(١)، ومجاهد^(٢)، وقتادة^(٣)، والزهري^(٤)،

في أسباب النزول ٢٥٦، ٢٥٧، خلافاً لرواية ابن مردويه عنه . ثم قال الألباني : وبالجمله ، فالحديث مرسل ، ولا يصح عن سعيد بن جبیر موصولاً بوجه من الوجوه . اهـ . وقد تقدّم كلام ابن كثير أنه لم ير هذه القصة مسنده من وجه صحيح .

الطريق الثاني : طريق العوفي ، عن ابن عباس : رواه من هذا الطريق الطبري ١٧ / ١٨٩ قال : حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فذكره بمعناه . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٦٦ من طريق العوفي ، عن ابن عباس ، وعزاه لابن جرير وابن مردويه . قال العلامة أحمد شاكر في تعليقه على الطبري ١ / ٢٦٣ عن هذا الإسناد : وهو إسناد مسلسل بالضعفاء . وقال الألباني : وهذا إسناد ضعيف جداً ، مسلسل بالضعفاء . نصب المجانيق ١٧ .

الطريق الثالث والرابع والخامس : رواه ابن مردويه كما في تخريج أحاديث الكشف ٢ / ٣٩٤ ، وفتح الباري ٨ / ٤٣٩ ، والدر المنثور للسيوطي ٦ / ٦٦ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، ومن طريق أبي بكر الهذلي وأيوب عن عكرمة عن ابن عباس ، ومن طريق سليمان التيمي عن حدثه عن ابن عباس رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قرأ سورة النجم . وساق الحديث .

قال ابن حجر في الفتح ٨ / ٤٣٩ بعد سوجه لهذه الطرق الثلاث ورواية سعيد بن جبیر المرسلة - وستأتي - وغيرها : وكلها سوى طريق سعيد بن جبیر إما ضعيف أو منقطع . وقال الألباني في نصب المجانيق ١٧ عن هذه الطرق الثلاث : وكلها ضعيفة .

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٦ / ٦٩ عن السدي قال : خرج النبي ﷺ إلى المسجد ليصلي ، فقرأ . . . وساق الحديث بمعناه ، وهو مرسل .

(٢) رواه عبد بن حميد كما في الدر المنثور ٦ / ٦٩ عنه ، مختصراً .

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره ٢ / ٤٠ ، والطبري ١٧ / ١٩١ .

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٨٦ وعزاه لابن أبي حاتم فقط .

قال الألباني في نصب المجانيق ١٢ وهو صحيح إلى قتادة ، ولكنه مرسل أو معضل .

(٤) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ٣ / ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، والدر المنثور للسيوطي ٦ / ٦٦ عن الزهري مطولاً .

قال الألباني في نصب المجانيق ٩ فهو مرسل ، بل معضل . اهـ .

ورواه الطبري ١٧ / ١٨٩ عن ابن شهاب ، حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فذكره مختصراً . وذكر ابن حجر في فتح الباري ٨ / ٤٣٩ هذه الرواية وذكر أنها مرسلة وأن رجال إسنادها على شرط الشيخين .

وقال السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٦٦ - بعد عزوه هذه الرواية لعبد بن حميد وابن جرير : مرسل =

والضحاك^(١)، وسعيد بن جبير^(٢)، ومحمد بن كعب^(٣) وغيرهم^(٤). وأما وجه

صحيح الإسناد .

قال الألباني في نصب المجانيق ٩ وإسناده إلى أبي بكر بن عبدالرحمن صحيح كما قال السيوطي تبعاً للحافظ ، لكن علته أنه مرسل .

(١) رواه الطبري ١٧/ ١٨٩ قال : حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ الآية : أن نبي الله ﷺ وهو بمكة ، فذكره بنحوه . قال الألباني في نصب المجانيق ١٥ : وهذا إسناد ضعيف منقطع مرسل .

(٢) رواه الطبري ١٧/ ١٨٨ ، وابن أبي حاتم وابن المنذر كما في فتح الباري ٨/ ٤٣٩ ، والدر المنثور ٦/ ٦٥ ، ٦٦ من طرق عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير . وقد صحح إسناده ابن حجر في الفتح ، والسيوطي في الدر المنثور ، وقال الألباني في نصب المجانيق ٥ وهو صحيح الإسناد إلى ابن جبير كما قال الحافظ . اهـ . ورواه الواحد في أسباب النزول ٢٥٧ من طريق يحيى القطان ، عن عثمان بن الأسود ، عن سعيد بن جبير ، بنحوه مختصراً .

(٣) رواه الطبري ١٧/ ١٨٧ ، ١٨٨ من طريق ابن إسحاق ، عن يزيد بن زياد المدني ، عن محمد بن كعب القرظي ، فذكره مطولاً .

قال الألباني في نصب المجانيق ١٢ : ويزيد هذا ثقة ، لكن الراوي عنه ابن إسحاق مدلس وقد عنعنه . اهـ .

وقد رواه الطبري ١٧/ ١٨٦ ، ١٨٧ من طريق أبي معشر ، عن محمد بن كعب ومحمد بن قيس قالوا . . . فذكره بنحوه .

قال الألباني ١١ : وأبو معشر ضعيف كما قال الحافظ في التقريب .

(٤) ورد هذا القول أيضاً عن أبي العالية ، وعروة بن الزبير . فأما قول أبي العالية فرواه الطبري ١٧/ ٤٣٩ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور : ٦/ ٦٨ ، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم ، وقال : بسند صحيح . وذكر ابن حجر في الفتح ٨/ ٤٣٩ أن رجال إسناده رجال الصحيحين .

وقال الألباني في نصب المجانيق ١١ : وإسناده صحيح إلى أبي العالية ، لكن علته الإرسال . ورواية عروة بن الزبير رواها الطبراني في المعجم الكبير ٩/ ٢٣ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٧٢ : فيه ابن طبيعة ، ولا يحتمل هذا من ابن طبيعة .

وهذه الرواية المعروفة بقصة الغرائق اختلف العلماء فيها ، وهم فريقان :

الفريق الأول : القائلون بثبوتها ؛ وهم على قولين :

القول الأول : أن الشيطان ألقى على لسان رسول الله ﷺ تلك الكلمات ، ثم إن الله أحكم آياته ودحر الشيطان ولقن نبيه حجته .

ومن صحت عنه الرواية عن قال بهذا القول من المفسرين : سعيد بن جبير وقتادة وأبي العالية . وبهذه القصة فسر هؤلاء آيات الحج .

وتبعهم في ذلك طائفة من المفسرين ذكروا هذه القصة في كتبهم ولم ينكروها ، وبها فُسِّروا الآيات ، منهم الطبري ، والثعلبي ، والواحدي ، والزمخشري .

وحكى الألوسي ١٧ / ١٧٨ هذا القول عن بعض المتأخرين ، فقال : وذهب إلى صحة القصة أيضاً خاتمة المتأخرين الشيخ إبراهيم الكوراني ثم المدني .

القول الثاني : أن هذه القصة ثابتة ، لكن فيها ما يستنكر وهو قوله : ألقى الشيطان على لسانه . . . فيتعين تأويله .

قال الألوسي ١٧ / ١٨٦ : وتوسَّط جمع في أمر هذه القصة فلم يثبتوها كما أثبتها الكوراني - عفا الله تعالى عنه - من أنه ﷺ نطق بما نطق عمداً معتقداً للتلبس أنه وحي حاملاً له على خلاف ظاهره ، ولم ينفوها بالكلية كما فعل أجلة أثبات وإليه أميل ، بل أثبتوها على وجه غير الوجه الذي أثبتة الكوراني ، واختلفوا فيه على أوجه .

ثم ذكر الألوسي هذه الأوجه ، وخلاصة ما ذكره وذكره قبله البغوي ٥ / ٩٤ ، والقاضي عياض في الشفا ٤ / ١٦٣ - ١٧٧ ، وابن حجر في الفتح ٨ / ٤٣٩ ، ٤٤٠ : قيل : جرى ذلك على لسانه ﷺ حين أغفى إغفاءً وهو لا يشعر . وقد ردَّ هذا القول القاضي عياض .

وقيل : لعل النبي ﷺ قاله أثناء تلاوته على تقدير التقرع والتوبيخ للكفار ، وأنه ليس من القرآن ، بل قاله بعد السكت ، ثم رجع إلى تلاوته .

وقيل : أن النبي ﷺ لما وصل إلى قوله ﴿ وَمَنْزُةً ثَلَاثَةَ الْأُخْرَى ﴾ خشي المشركون أن يأتي بعدها بشيء يذم أهلتهم به ، فبادروا إلى ذلك الكلام فخلطوه في تلاوة النبي ﷺ على عادتهم في قولهم : ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْقَوَافِيهِ ﴾ ونسب ذلك إلى الشيطان ، لأنه الحامل لهم على ذلك ، أو المراد بالشيطان شيطان الإنس ، وأن المشركين أشاعوا ذلك وأذاعوه وأن النبي ﷺ قاله ، فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه ، فسلاه الله بقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ ﴾ الآية ، وبين للناس الحق من ذلك الباطل .

وقيل : كان النبي ﷺ يرتل القرآن ، ارتصده الشيطان في سكتة من السكتات ، ونطق بتلك الكلمات محاكياً نغمته بحيث سمعه من دنا إليه فظننها من قوله وأشاعها .

وقال ابن حجر من هذا الوجه : إنه أحسن الوجوه . . . اهـ .

ولا يخفى أن هذه أوجه متكلفة تحتاج إلى دليل ، ولذا قال الألوسي عنها ٧ / ١٨٦ : وكلها عندي مما لا ينبغي أن يلتفت إليها .

ومن ذهب إلى هذا القول - يعني تصحيح القصة من تأويل ما يستنكر فيها - الحافظ ابن حجر ، وتبعه السيوطي ، والمناوي في الفتح الساموي ٢ / ٤٨٣ ، ٤٨٤ .

قال ابن حجر في فتح الباري ٨ / ٤٣٩ ، بعد أن ذكر روايات القصة عن ابن عباس وسعيد بن جبير : =

وكلها سوى طريق سعيد بن جبير - يعني المرسل - إما ضعيف وإما منقطع ، لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلاً ، مع أن لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما رجال الصحيح .

ثم ذكر الحفاظ ابن حجر رواية الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن ورواية أبي العالية ، ثم نقل كلاماً لأبي بكر بن العربي والقاضي عياش في إبطال هذه القصة ، ثم قال : وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد ؛ فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلاً ، وقد ذكرت أن تلاوته أسانيد منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بمثلها ممن يحتج بالمرسل ، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها بعضاً ، وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر .

وقد رد الألباني في كتابه نصب المجانيق ١٩ - ٢٤ على الحفاظ ابن حجر اعتماده في تصحيحه لهذه الرواية على كثرة الطرق عن ابن عباس ، إضافة إلى ما صح من المراسيل عن بعض التابعين ، وحاصل رده :

أولاً : أن قاعدة تقوية الحديث بكثرة الطرق ليست على إطلاقها ، كما نبه على ذلك غير واحد من علماء الحديث المحققين منهم الحفاظ أبو عمرو من الصلاح ، حيث بين أنه ليس كل ضعف في الحديث يزول بمجيئه من وجوه ، بل ذلك يتفاوت فمن ذلك ضعف لا يزول بنحو ذلك لقوة الضعف كالضعف الذي ينشأ من كون الراوي متهمًا بالكذب ، أو كون الحديث شاذًا .

قال الألباني ٢١ ومن هذا القبيل حديث ابن عباس في هذه القصة ، فإن طرقه كلها ضعيفة جداً ، فلا يتقوى بها أصلاً .

ثانياً : أن الحديث المرسل ، ولو كان المرسل ثقة ، لا يحتج به عند أئمة الحديث كما بينه ابن الصلاح واختاره الخطيب وابن حجر وغيرهم ، وسبب عدم احتجاج المحدثين بالمرسل من الحديث هو جهالة الواسطة التي روي عنها المرسل الحديث ، فقد يكون المحذوف صحابياً ، ويحتمل أن يكون تابعياً ، وعلى الاحتمال الثاني يحتمل أن يكون ضعيفاً ويحتمل أن يكون ثقة ، وعلى الاحتمال الثاني يحتمل أن يكون حمل على صحابي ويحتمل أن يكون حمل عن تابعي آخر ، وعلى الثاني يعود الاحتمال السابق ويتعدد . وأكثر ما وجد بالاستقراء من رواية بعض التابعين عن بعض ستة أو سبعة .

لكن بعض العلماء كالشافعي رحمه الله ، وإليه ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية قبل المرسل إذا اعتضد بمجيئه من وجه آخر بشرط أن يكون مُرسلة أخذ العلم عن غير رجال التابعي الأول ، وكان ذلك ليغلب على الظن أن المحذوف في أحد المرسلين هو غيره في المرسل الآخر .

قال الألباني ٢٣ : ومع أن التحقق من وجود هذا الشرط في كل مرسل من هذا النوع ليس بالأمر الهين ، فإنه لو تحققنا من وجوده ، فقد يرد إشكال آخر ، وهو أنه يحتمل أن يكون كل من الواسطتين أو أكثر ضعيفاً ، وعليه يحتمل أن يكون ضعفهم من النوع الذي ينجر بمثله الحديث . . . ويحتمل أن يكون من النوع الآخر الذي لا يقوى الحديث بكثرة طرقه . . . إلى أن قال ٢٤ : إننا لو ألقينا النظر على روايات هذه القصة ، ألفيناها كلها مرسلة ، حاشى حديث ابن عباس ، ولكن طرقه كلها واهية شديدة

الضعف لا تنجبر بها تلك المراسيل ، فينبغي النظر في هذه المراسيل ، وهي سبعة ، صحَّ إسناده أربعة منها ، وهي مرسل سعيد بن جبير وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث وأبي العالية ، ومرسل قتادة ، وهي مراسيل يرد عليها أحد الاحتمالين السابقين ؛ لأنهم من طبقة واحدة ؛ فوفاة سعيد بن جبير سنة ٩٠ هـ ، و قتادة سنة بضع عشرة ومائة ، والأول كوفي ، والثاني مدني ، والأخيران بصريان . فجائز أن يكون مصدرهم الذي أخذوا منه هذه القصة ورووها عنه واحداً لا غير ، وهو مجهول ، وجائز أن يكون جمعاً ولكنهم ضعفاء جميعاً . فمع هذه الاحتمالات لا يمكن أن تطمئن النفس لقبول حديثهم هذا ، لا سيما في مثل هذا الحدث العظيم الذي يمسُّ المقام الكريم ، فلا جرم تتابع العلماء على إنكارها ، بل التنديد بطلانها . اهـ .

الفريق الثاني : القائلون بطلانها .

وهؤلاء قالوا : هذه الرواية معلولة بالضعف والإرسال ، فليس في روايتها ما يصلح للاحتجاج ، ثم إن مما يؤكد ضعفها وبطلانها ما في متنها من النكارة مما لا يليق بمقام النبوة والرسالة ، فقد جاء في تلك الروايات أن الشيطان تكلم على لسان النبي ﷺ بتلك الكلمات التي تمدح آلهة المشركين . وهذا الأمر قد دل الكتاب والسنة والنظر على بطلانه .

فأما القرآن فدل على بطلانه من جهتين :

الجهة الأولى : دلالة آيات القرآن على وجه العموم على بطلان هذا القول ، فقد قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤١-٤٢] ، وقال تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن نَّزَّلُ الشَّيْطَانُ ۝ تَزَّلُ كُلُّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٢٢١-٢٢٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَطُغِي عَنْ أَمْرِئِكَ ۝ إِنَّا هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ٤-٣] .

فهذه الآيات وغيرها دالة على بطلان القول بإلقاء الشيطان على لسان النبي ﷺ تلك المقالة .

وقال الشنقيطي رحمه الله - في أضواء البيان ٥ / ٧٢٩ : قد دلت آيات قرآنية على بطلان هذا القول ، وهي الآيات الدالة على أن الله لم يجعل للشيطان سلطاناً على النبي ﷺ وإخوانه من الرسل وأتباعهم من المخلصين كقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل : ٩٩] ، وقوله : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الحجر : ٤٢] ... وعلى القول المزعوم أن الشيطان ألقى على لسانه ﷺ ذلك الكفر البواح ، فأى سلطان له أكبر من ذلك ؟ .

الثانية : أن سياق آيات النجم على وجه الخصوص يدل على بطلان هذا القول :

قال القاضي عياض ٤ / ١٥٣ ، ١٥٤ : هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام ، متناقض الأقسام ، ممتزج المدح بالذم ، متخاذل التأليف والنظم ، ولما كان النبسي ﷺ ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك ، وهذا مما لا يخفى على أدنى متأمل ، فكيف بمن رجع حلمه ، واتسع في باب البيان ومعرفة الكلام علمه ؟ .

وقد بين الشنقيطي ٧٢٩/٥ هذا الوجه بقوله : وهذا القول الذي زعمه كثير من المفسرين ، وهو أن الشيطان ألقى على لسان النبي ﷺ هذا الشرك الأكبر والكفر البواح ، الذي لا شك في بطلانه ، في نفس سياق آيات النجم التي تخللها إلقاء الشيطان المزعوم قرينة واضحة على بطلان هذا القول ؛ لأن النبي ﷺ قرأ بعد موضع الإلقاء المزعوم بقليل : ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ وليس من المعقول أن النبي ﷺ يسب آلهتهم هذا السب العظيم في سورة النجم متأخراً عن ذكره لها بخير المزعوم إلا وغضبوا ، ولم يسجدوا ؛ لأن العبرة بالكلام الأخير . اهـ .

وأما السنة فقد روى الدارمي ١٢٥/١ ، وأبو داود في العلم ، باب كتابة العلم ٧٩/١٠ عن عبدالله بن عمرو قال : كنت أكتب كل شيء سمعته من رسول الله ﷺ أريد حفظه ، فنهتني قريش وقالوا : أكتب كل شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضى ، فأمسكت عن الكتابة ، فذكرت ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فأوماً بأصبعه إلى فيه فقال : اكتب ، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق اهله .

ولا شك أن تلك الكلمات من أعظم الباطل المنافي للحق .

وأما النظر ، فقال ابن العربي في أحكام القرآن ١٣٠٠/٣ : النبي ﷺ إذا أرسل إليه الملك بوحيه ، فإنه يخلق له العلم به ، حتى يتحقق من أنه رسول من عنده ، ولولا ذلك ما صحت الرسالة ، ولا تبين النبوة ، فإن خلق الله له العلم به تميز عنده من غيره ، وثبت اليقين ، واستقام سبيل الدين ، ولو كان النبي ﷺ إذا شافهه الملك بالوحي لا يدري أملك هو أم إنسان ، أم صورة مخالفة لهذه الأجناس ، ألقى عليه كلاماً ، وبلغت إليه قولاً ، لم يصح له أن يقول : إنه من عند الله ، ولا ثبت عندنا أنه أمر الله ، فهذه سبيل متيقنة ، وحالة متحققة لا بد منها ، ولا خلاف في المنقول ولا في المعقول فيها ، ولو جاز للشيطان أن يمثّل فيها أو يتشبه بها ما أمناه على آية ، ولا عرفنا منه باطلاً من حقيقة ، فارتفع بهذا الفصل اللبس ، وصح اليقين في النفس .

وقال أيضاً ١٣٠١/٣ : إن قول الشيطان : تلك الغرائق العلى ، وإن شفاعتهن ترجيّ للنبي ﷺ قبله منه ، فالتبس عليه الشيطان بالملك ، واختلط عليه التوحيد بالكفر ، حتى لم يفرق بينهما .

وأنا من أدنى المؤمنين منزلة ، وأقلهم معرفة بما وفقني الله وآتاني من علمه ، لا يخفى علي وعليكم أن هذا كفر لا يجوز وروده من عند الله ، ولو قاله أحدٌ لكم لتبادر الكل إليه قبل التفكير بالإنكار والردع والتقريب والتشنيع ، فضلاً عن أن يجهل النبي ﷺ حال القول ، ويخفى عليه قوله ، ولا بتفطن لصفة الأصنام بأنها الغرائق العلى وإن شفاعتهن ترجيّ ، وقد علم علماً ضرورياً أنها جمادات لا تسمع ولا تبصر ، ولا تنطق ولا تضر ، ولا تنفع ولا تنصر ولا تشفع ، بهذا كان يأتيه جبريل الصباح والمساء ، وعليه انبنى التوحيد ، ولا يجوز نسخه . . فكيف يخفى هذا على الرسول ؟ .

ونذكر هنا بعض العلماء والمفسرين قديماً وحديثاً الذين ردوا هذه الرواية ، فمنهم :

— محمد بن إسحاق بن خزيمة . الإمام المعروف ، قال الرازي في تفسيره ٥٠/٢٣ :

=

روي عن محمد بن إسحاق بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة ؟ فقال : هذا وضع من الزنادقة . وصنف فيه كتاباً .

— ابن حزم ، فقد قال في الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤ / ٤٨ : وأما الحديث الذي فيه : وإنَّ الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى ، فكذب بحت موضوع ، لأنه لم يصح قط من طريق النقل .
— أبو بكر البيهقي صاحب كتاب السنن الكبرى وغيرها ، فقد نقل عنه الرازي في تفسيره ٢٣ / ٥٠ أنه قال : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل .

— أبو بكر ابن العربي في أحكام القرآن ٣ / ٣٠٠-٣٠٣ فقد ردّها في عشر مقامات .
— القاضي عياض في كتابه الشفا في حقوق المصطفى ٤ / ١٣٩-١٧٧ حيث بين بطلانها سنداً ، ثم شرع في بيان بطلانها متناً .
— الرازي في تفسيره ٢٣ / ٥٠-٥٤ ، فقد ذكر أنَّ القرآن والسنة والمعقول تدل على بطلانها ، ثم شرع في بيان بطلانها .

— القرطبي : في أحكام القرآن ١٢ / ٨٠-٨٥ .
— أبو حيان في البحر المحيط ٦ / ٣٨١ ، ٣٨٢ حيث قال : وذكر المفسرون في كتبهم ؛ ابن عطية والزخشي ، فمن قبلها ومن بعدها ما لا يجوز وقوعه من آحاد المؤمنين منسوباً إلى المعصوم صلوات الله عليه . ثم ذكر بعض أقوال العلماء في ردّه ووجوب اطراحه ، ثم قال : ولذلك نزهت كتابي عن ذلك فيه . ثم ردّ ذلك بالقرآن والنظر .

— الحافظ ابن كثير ، فقد قال في تفسيره ٣ / ٢٢٩ : قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرائق ، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ، ظناً منهم أنَّ مشركي قريش قد أسلموا ، ولكنّها من طرق كلها مرسلّة ، ولم أرها مسندة من وجه صحيح .

— البضاوي ، فقد قال في تفسيره ٢ / ٩٦ : وهو مردود عند المحققين .
— وردها من شراح صحيح البخاري العين ؛ أي في كتابه عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري ١٩ / ٦٦ .

وردها أيضاً الشوكاني في فتح القدير ٣ / ٤٦٢ ، فقال : ولم يصح شيء من هذا ، ولا يثبت بوجه من الوجوه ، ومع عدم صحته ، بل بطلانه فقد دفعه المحققون بكتاب الله . ثم شرح في ردّه .
وعلى هذا القول ، فعننى نسخ ما يلقي الشيطان : إزالته وإبطاله ، وعدم تأثيره في المؤمنين الذين أتوا العلم ؛ لأنّ النسخ هنا هو النسخ اللغوي ، ومعناه : الإبطال والإزالة من قولهم : نسخت الشمس الظل ، ونسخت الريح الأثر .

ومعنى يحكم آياته : يتقنها بالإحكام ، فيظهر أنها وحي منزل منه بحق ، ولا يؤثر في ذلك محاولة الشيطان صد الناس عنها بإلقائه المذكور ، وما ذكره هنا من أنه يسلط الشيطان فيلقي في قراءة الرسول والنبي ، فتنة للناس ليظهر مؤمنهم من كافرهم بذلك الامتحان جاء موضحاً في آيات كثيرة =

قدمناها مراراً ، كقوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَكِيكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَفِيقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَرْذَابَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيَّانَا وَلَا يَرْثَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ ﴾ الآية [المدثر : ٣١] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْفِتْنَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ ﴾ الآية [البقرة : ١٤٣] ، وقوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الزُّبْيَانَ الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْفُرْعَانِ ﴾ [الإسراء : ٦٠] ؛ أي لأنها فتنة كما قال تعالى : ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴾ ١٢ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ١٣ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات : ٦٢-٦٤] . لأنه لما نزلت هذه الآية قالوا : ظهر كذب محمد ﷺ لأن الشجر لا ينبت في الموضع اليابس ، فكيف تنبت شجرة في أصل الجحيم إلى غير ذلك من الآيات .

وقد نقل العلامة القاسمي في محاسن التأويل ١٢/٤٦-٥٦ عن الشيخ محمد عبده مفتي مصر في هذه الآيات كلاماً جيداً ، وما قاله : لا يخفى على كل من يفهم اللغة العربية ، وقرأ شيئاً من القرآن ، أن قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ الآيات ، يحكي قدراً قدر المرسلين كافة ، لا يعدونه ولا يقفون دونه . ويصف شنشنة عرفت فيهم ، وفي أهمهم . فلو صح ما قال أولئك المفسرون لكان المعنى : أن الأنبياء والمرسلين جميعهم قد سلط الشيطان عليهم فخلط في الوحي المنزل إليهم ، ولكنه بعد هذا الخلط ينسخ الله كلام الشيطان ويحكم الله آياته إلخ ، وهذا من أقبح ما يتصور متصور في اختصاص الله - تعالى - لأنبيائه ، واختيارهم من خاصة أوليائه ! . . ذكر الله لنبية حالاً من أحوال الأنبياء والمرسلين قبله ، ليبين له سنته فيهم . وذلك بعد أن قال : ﴿ وَإِنْ يَكْذِبُونَكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴾ [الحج : ٤٢] إلى آخر الآيات ، ثم قال : ﴿ قُلْ يَتَّخِذُ النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ ١٩ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٢٠ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِرِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ٢١ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ . . . إلخ ، فالقصص السابق كان في تكذيب الأمم لأنبيائهم . ثم تبعه الأمر الإلهي بأن يقول النبي ﷺ لقومه : إنني لم أرسل إليكم إلا لأنذركم بعاقبة ما أنتم عليه ، ولأبشر المؤمنين بالنعيم . وأما الذين يسعون في الآيات والأدلة التي أقيمها على الهدى وطرق السعادة ، ليحوّلوا عنها الأنظار ويحبوها عن الأبصار ، ويفسدوا أثرها الذي أقيمت لأجله ، ويعاجزوا بذلك النبي ﷺ والمؤمنين ؛ أي يسابقونهم ليعجزوهم ويسكتوهم عن القول بذلك . ولك بلعهم بالالفاظ وتحويلها عن مقصد قائلها ، كما يقع عادة من أهل الجدل والمباحكة ، هؤلاء الضالون المضلون هم أصحاب الجحيم . وأعقب ذلك بما يفيد أن ما ابتلي به النبي ﷺ من المعاجزة في الآيات ، قد ابتلي به الأنبياء السابقون . فلم يبعث نبي في أمة إلا كان له خصوم يؤذونه بالتأويل والتحريف ، ويضادون أمانية ، ويحولون بينه وبين ما يبتغي ، بها يلقون في سبيله من العثرات .

فعلى هذا المعنى الذي يتفق مع ما لقيه الأنبياء جميعاً ، يجب أن تفسر الآية وذلك يكون على وجهين :

الأول : أن يكون (تمنى) بمعنى (قرأ) و(الأمنية) بمعنى (القراءة) وهو معنى قد يصح .

وقد ورد استعمال اللفظ فيه ؛ قال حسان بن ثابت في عثمان رضي الله عنها :

تمنى كتاب الله أول ليله
وأخيره لاقى هاماً المقادر
وقال آخر :

تمنى كتاب الله أول ليله
تمنى داود الزبور على رسل
غير أن الإلقاء لا يكون على المعنى الذي ذكره ، بل على المعنى المفهوم من قولك : (أُلقيتُ في حديث فلان) إذا أدخلت فيه ما ربما يحتمله لفظه ، ولا يكون قد أراده . أو نسبت إليه ما لم يقله تعللاً بأن ذلك الحديث يؤدي إليه . وذلك من عمل المعاجزين الذين ينصبون أنفسهم لمحاربة الحق ، يتبعون الشبهة ، ويسعون وراء الرية ، فالإلقاء بهذا المعنى دأبهم ، ونسبة الإلقاء إلى الشيطان ؛ لأنه مثير الشبهات بوساوسه ، مفسد القلوب بدسائسه ، وكل ما يصدر من أهل الضلال يصح أن ينسب إليه . ويكون المعنى : وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبيٍّ إلا إذا حدث قومهم عن ربه ، أو تلا وحياً أنزل إليه في هدى لهم ، قام في وجهه مشاغبون ، يحولون ما يتلوهم عليهم عن المراد منه . ويتقوّلون عليه ما لم يقله ، وينشرون ذلك بين الناس ، ليبعدوهم عنه ، ويعدلوا بهم عن سبيله ، ثم يحقّ الله الحق ويطلّ الباطل . وما زال الأنبياء يصبرون على ما كذبوا وأوذوا ، ويجاهدون في الحق ، ولا يعتدّون بتعجيز المعجزين ، ولا بهزء المستهزئين إلى أن يظهر الحق بالمجاهدة ، ويتنصر على الباطل بالمجادلة . فينسخ الله تلك الشبه ويحيتها من أصولها ، ويثبت آياته ويقررهما . وقد وضع الله هذه السنة في الناس لتمييز الخبيث من الطيب ، فيفتن الذين في قلوبهم مرض ، وهم ضعفاء العقول ، بتلك الشبه والوساوس ، فينطلقون وراءها . ويفتن بها القاسية قلوبهم من أهل العناد والمجاهدة ، فيتخذونها سنداً يعتمدون عليها في جدلهم . ثم يتمحص الحق عند الذين أتوا العلم ، ويخلص لهم بعد ورود كل شبهة عليه ، فيعلمون أن الحق من ربك فيصدقون به ، فتخبت وتثن له قلوبهم . والذين أتوا العلم هم الذين رزقوا قوة التمييز بين البرهان القاطع الذي يستقرّ بالعقل في قرارة اليقين . وبين المغالطات وضروب السفسطة التي تطيش بالفهم ، وتطير به مع الوهم ، وتأخذ بالعقل تارة ذات الشمال وأخرى ذات اليمين . وسواء أرجعت الضمير في (أنه الحق) إلى ما جاءت به الآيات المحكمات من الهدى الإلهي أو إلى القرآن ، وهو أجلها ، فالمعنى من الصحة على ما يراه أهل التمكن هؤلاء الذين أتوا العلم هم الذين آمنوا . وهم الذين هداهم الله إلى الصراط المستقيم ، ولم يجعل للوهم عليها سلطاناً ، فيحيد بهم عن ذلك النهج القويم . وأما الذين كفروا وهم ضعفاء العقول ومرضى القلوب ، أو أهل العناد وزعماء الباطل وقساة الطباع ، الذين لا تلبس أفئدتهم ولا تبش للحق قلوبهم ، فأولئك لا يزلون في ريب في الحق أو الكتاب . لا تستقر عقولهم عليه ، ولا يرجعون في متصرفات شؤونهم إليه . حتى تأتي ساعة هلاكهم بغتة ، فيلاقوا حسابهم عند ربهم ، أو إن امتد بهم الزمن ، ومآذهم الأجل ، فيصيبيهم عذاب يوم عقيم ؛ يوم حرب يسامون فيه سوء العذاب ؛ القتل أو الأسر ، ويقذفون إلى مطارح الذل وقرارات الشر ، فلا ينتج لهم من ذلك اليوم خير ولا بركة ، بل يسلبون ما كان لديهم ، ويساقون إلى مصارع الهلكة . وهذا هو العقم في أتم معانيه وأشأم درجاته . ما أقرب هذه الآيات من مغازيها ، إلى =

جواز هذا الغلط على رسول الله ﷺ فقال ابن عباس في رواية عطاء : إن شيطاناً يقال له الأبيض كان قد أتى النبي ﷺ في صورة جبريل وألقى في قراءة النبي ﷺ فإنهم^(١) الغرانة العلى وإن شفاعتهن لترتجى^(٢) .

قوله - تعالى - في سورة آل عمران : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران : ٧] ، وقد قال بعد ذلك : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ ضَعُفٌ النَّارِ﴾ [آل عمران : ١٠] ثم قال : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران : ١٢] إلخ الآيات .

وكان إحدى الطائفتين من القرآن شرح للأخرى . فالذين في قلوبهم زيغ هم الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم . والراسخون في العلم هم الذين أوتوا العلم ، وهؤلاء هم الذين يعلمون أنه الحق من ربهم . فيقولون آمنا به كل من عند ربنا ، فتخبث له قلوبهم ، وإن الله لهاديم إلى صراط مستقيم . وأولئك هم الذين يفتنون بالتأويل ، ويشغلون به (قال) وقيل بما يلقي إليهم الشيطان ، ويصرفهم عن رامي البيان ، ويميل بهم عن محجة الفرقان . وما يتكئون عليه من الأموال والأولاد ، لن يغني عنهم من الله شيئاً . فستوافيهم آجالهم ، وتستقبلهم الأنبياء مع أمهم ، وسبيل الحق مع الباطل من يوم أن رفع الله الإنسان إلى منزلة يميز فيها بين سعادته وشقائه ، وبين ما يحفظه وما يذهب ببقائه . وكما لا مدخل لقصة الغرائق في آيات آل عمران ، لا مدخل لها في آيات سورة الحج ، هذا هو الوجه الأول في تفسير آيات ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾ إلى آخرها ، على تقدير أن (تمنى) بمعنى (قرأ) وأن (الأمنية) بمعنى (القراءة) والله أعلم .

ثم ذكر الشيخ محمد عبده وجهاً ثانياً في تفسير الآيات مبنياً على أن التمني هو على معناه المعروف من الأمنية . واقتصرنا على الوجه الأول ؛ لأن عامة المفسرين على أن التمني هنا بمعنى القراءة .

(١) في (ظ) و(ع) : (وإنهن) .

(٢) ذكره الرازي ٥٣/٢٣ من رواية عطاء عن ابن عباس ، وذكره القرطبي ٨٤/١٢ عن ابن عباس ، وذكره البغوي ٥/٣٩٤ من غير نسبة .

وهذا قول لا يصح عن ابن عباس رضي الله عنه .

وقال السدي عن أصحابه : لما وقع من هذا ما وقع ، أنزل الله هذه الآية يطيب نفس محمد ويخبر^(١) أن الأنبياء قبله قد كانوا مثله ، ولم يبعث نبي^(٢) قط إلا تمنى^(٣) أن يؤمن قومه ولم^(٤) يتمن ذلك نبي قط إلا ألقى الشيطان عليه ما يرضي قومه^(٥) ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ﴾^(٦) .

وعلى هذا ﴿تَمَنَّى﴾ في قوله من الأمنية ، لا بمعنى قرأ ، ويكون المعنى إذا أحب شيئاً ألقى الشيطان في محبته .

وهذا دليل على جواز الخطأ والنسيان على الرسل ، ثم لا يقارئون على ذلك^(٧) .

وعلى ما قال ابن عباس ، إنما قاله الشيطان على لسان رسول الله ﷺ في أثناء قراءته ، وأوهم أنه من القرآن ، ولم يكن للنبي ﷺ إحساس بذلك ، بل كان فتنة

(١) في (أ) : (ويخبر) .

(٢) في (أ) و(ظ) : (نبياً) .

(٣) في (ع) : (يتمنى) .

(٤) (لم) : ساقطة من (أ) .

(٥) في النسخ جميعها : (قومه قوله : فينسخ . . .) بزيادة : (قوله) ، وهي زيادة يختل بها المعنى فحذفناها ، وهي ليست موجودة في الوسيط ٢٧٧/٣ .

(٦) لم أجد هذه الرواية عن السدي عن أصحابه . وقد ذكرها البغوي ٣٩٤/٥ عن ابن عباس بأخصر مما هنا .

والرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون في ما يخبرون به عن الله عز وجل ، وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة .

أما ما سوى ذلك ؛ فيجوز عليهم الخطأ والنسيان ، لكن لا يقارئون على ذلك . وعلى ذلك دل الكتاب والسنة .

انظر : فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٠/ ٢٩٠-٢٩٥ وما بعده .

(٧) حكى القرطبي ٨٦/٢١ هذا القول عن الثعلبي ، ثم قال : ولكن إننا يكون الغلط على حسب ما يغلط أحننا ، فأما أن يضاف إليه من قوهم : تلك الغرائق العلى فكذب على النبي ﷺ ؛ لأن فيه تعظيم الأصنام ، ولا يجوز ذلك على الأنبياء . اهـ .

من الله لعباده المؤمنين والمشركين ، وعلى هذا يدل قوله : ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً﴾ الآية^(١) .

قال أبو إسحاق : وذلك محنة من الله عز وجل ، وله أن يمتحن بما شاء^(٢) ، فألقى الشيطان على لسان النبي ﷺ شيئاً من صفة الأصنام فافتتن بذلك أهل الشقاق والنفاق ومن في قلبه مرض^(٣) .

وروي عن الحسن أنه قال في هذه الآية : أراد^(٤) بالغرانيق العلى الملائكة^(٥) .

وهذا غير مرضي من القول ؛ لأن الله - تعالى - قال : ﴿فَيَنْسُخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ [أن^(٦) يبطله ، وشفاعة الملائكة غير باطلة ، ثم وإن أخذ^(٧) بهذا^(٨) فليس يمنع هذا القول من أن يكون النبي ﷺ قد سمع منه ما ليس بقرآن^(٩) .

وذهب بعض المتأولين^(١٠) إلى أن «تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترجي» ليس بثناء على آلهة المشركين ولا مدح لها ، ولكن يكون التقدير فيه : تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترجي عندكم وفي ما تذهبون إليه ، لا أنها في الحقيقة كذلك ، كما قال : ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان : ٤٩] ؛ أي عند نفسك .

(١) قد تقدم بيان بطلان هذا القول .

(٢) في (د) و(ع) : (يشاء) .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٣٣ ، ٤٣٤ .

(٤) في (د) و(ع) : زيادة إنه قبل (أراد) .

(٥) ذكره عنه الماوردي ٤/ ٣٥ ، والقرطبي ١٢/ ٨٥ .

(٦) هكذا في النسخ جميعها ، ولعلها : أي .

(٧) ساقط من (ظ) .

(٨) في (ظ) : (فهذا) .

(٩) انظر : الثعلبي ٣/ ٥٥ أ ب .

(١٠) انظر : النكت والعيون للماوردي ٤/ ٣٥ ، والشفاء للقاضي عياض ٤/ ١٧٣ ، وفتح الباري لابن حجر

وهذا في البعد ، كما روي عن الحسن ؛ لأن هذا التأويل لا يمنع من سماع هذا عن النبي ﷺ في ما بين القرآن .

فإذا^(١) الصحيح في هذا أن يقال : إنه من السهو الذي لا يعرى منه بشر ، ثم لا يلبث أن ينبهه الله^(٢) عليه ، وإما أن يقال : إنه كان من الشيطان فتنة للناس كما ذكرنا .

وقوله : ﴿ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ [إن قلنا]^(٣) : إن الشيطان تكلم بهذا على لسانه فهو ظاهر ، وإن قلنا : إنه سها وغلط^(٤) ؛ فإن ذلك السهو من جهة الشيطان ووسوسته فهو من إلقائه . ومفعول ﴿ أَلْقَى ﴾ غير مذكور في اللفظ ؛ لأنه كان معلوماً للنبي ﷺ ولأصحابه حين نبه على غلظه ، ألا ترى أنه نقل نقلاً مستفيضاً ؟

وقوله : ﴿ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ﴾ ؛ أي يرفعه ويبطله بتنبيه النبي ﷺ على ذلك . ﴿ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ ﴾ ؛ ينسخ ما ليس منها .

﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بما أوحى إليه نبيه ، ﴿ حَكِيمٌ ﴾ في خلقه . قاله ابن عباس^(٥) .

(١) في (أ) : (فإذن) .

(٢) لفظ الجلالة ليس في (ظ) .

(٣) ساقط من (أ) .

(٤) في (د) و(ع) : (سهو وغلط) .

(٥) ذكره القرطبي ١٢ / ٨٦ من غير نسبة .

٥٣. قوله تعالى : ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ .
 هذه اللام تتعلق بقوله : ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾^(١) ؛ أي ليجعل الله
 ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض .

قال ابن عباس : شك ونفاق ، وذلك أنهم افتتنوا لما سمعوا ذلك ، ثم
 نسخ ورفع ، وازدادوا تحيراً ، وظنوا أن محمداً يقول الشيء من عند نفسه ثم
 يندم فيبطله ، وكذلك المشركون ازدادوا شراً وضلالة وتكذيباً^(٢) ، وهو قوله :
 ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ . قال ابن عباس : يريد المشركين ، وهم الذين لا تلين قلوبهم
 لأمر الله^(٣) .

وهذا صريح في أن الله - تعالى - أراد فتنتهم وضلالتهم^(٤) .

قوله : ﴿وَلَا يَكُ الظَّالِمِينَ﴾ . قال الكلبي : يعني أهل مكة .

﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ . قال ابن عباس : لفى اختلاف شديد^(٥) .

(١) في معلق اللام في قوله : ﴿لِيَجْعَلَ﴾ ثلاثة أوجه :

أحدها : ما ذكره المؤلف ، وهو أنها متعلقة بـ(ألقى) ، واستظهره الشنقيطي ٧٣٣ / ٥ .

الثاني : أنها متعلقة بـ(يحكم) ؛ أي يحكم الله آياته ليجعل . وهذا القول عزاه أبو حيان ٣٨٢ / ٦
 للحوفي ، واستظهره السمين الحلبي في الدر المصون ٢٩٨ / ٨ .

الثالث : أنها متعلقة بـ(ينسخ) وإليه ذهب ابن عطية ٣٠٨ / ١٠ .

(٢) ذكره البغوي ٣٩٥ / ٥ هذا القول إلى قوله : فيبطله . من غير نسبة لأحد .

انظر : النكت للماوردي ٣٦ / ٤ ، والبحر لأبي حيان ٣٨٢ / ٦ .

(٣) روى الطبري ١٩١ / ١٧ عن ابن جريج هذا القول مختصراً .

وذكر الماوردي ٣٦ / ٤ ، والبغوي ٣٩٥ / ٥ هذا القول من غير نسبة .

(٤) في (ظ) : (وضلالهم) .

(٥) ذكره البغوي ٣٩٥ / ٥ من غير نسبة لأحد .

وذكر الماوردي ٣٦ / ٦ في الآية وجهين : أحدهما : لفى ضلال بعيد . وعزاه للسدي ، والثاني : لفى
 فراق للحق بعيد إلى يوم القيامة . وعزاه ليحيى بن سلام .

وقال الزَّجَّاج : الشقاق غاية العداوة^(١) .

٥٤ . قوله تعالى : ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ . هذه اللام تتعلق بقوله : ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ في المعنى لقوله^(٢) : ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ يعني : نسخ ذلك وإبطاله ورفعته وإحكام الله آياته من الباطل حق من الله .

والمراد بالذين أوتوا العلم المؤمنون ، الذين أوتوا التوحيد والقرآن . قاله ابن عباس ، والكلبي ، وغيره^(٣) .

وقال السدي : صدقوا بما نسخ الله^(٤) . وهو معنى قوله : ﴿فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ .

وقوله : ﴿فَتُخَيِّتَ لَهُمْ قُلُوبَهُمْ﴾ . قال الكلبي : ترق^(٥) للقرآن قلوبهم .

ثم بين أنَّ^(٦) هذا^(٧) الإيذان والتصديق والإخبار إنما هو بلطف الله وهدايته إليهم فقال : ﴿وَلِإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ .

٥٥ . قوله تعالى : ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ . قال ابن عباس : يريد المشركين .

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣ / ٤٣٤ .

(٢) في (ظ) : (كقوله) .

(٣) ذكره هذا القول البغوي ٥ / ٣٩٥ ، وابن الجوزي ٥ / ٤٤٣ من غير نسبة لأحد .

(٤) ذكره عنه البغوي ٥ / ٣٩٥ ، وابن الجوزي ٥ / ٤٤٣ .

(٥) في (ظ) : (يرق القرآن) .

(٦) (أَنَّ) : ساقطة من (أ) .

(٧) في (ع) : (هذه) .

﴿فِي مَرِيحٍ مِّنْهُ﴾ . المرية والمرية بالكسر والضم لغتان^(١) معناها : الشك .
ومنه الامتراء والتماري^(٣) .

وقوله ﴿وَمِنْهُ﴾ ؛ أي مما ألقى الشيطان على لسان رسول الله ﷺ . يقولون : ما
باله ذكرها بخير ثم ارتد عنها ؟ قاله السدي عن أصحابه^(٤) .

وقال ابن جريج : من القرآن^(٥) .

﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾ ؛ يعني : القيامة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة . وهذا وعيد لهم
بالقيامة ، وهم لم يدركوها^(٦) في حياتهم ، ولكن الله - تعالى - أوعدهم ، وذكر أنهم
يترددون في حيرتهم^(٧) وشكهم إلى أن تفجأهم الساعة أو يقتلوا ، وهو قوله :
﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ .

(١) (لغتان) : ساقطة من (ظ) .

(٢) انظر : الصحاح للجوهري (مرا) ٩ / ٢٤٩١ ، ولسان العرب (مرا) ١٥ / ٢٧٧ .

(٣) قوله : (الشك ومنه الامتراء والتماري) في تهذيب اللغة (مري) ١٥ / ٢٨٥ منسوباً إلى الليث .

(٤) ذكره البغوي ٥ / ٣٩٧ ، والقرطبي ١٢ / ٨٧ من غير نسبة .

(٥) ذكره الثعلبي ٣ / ٥٥ ب ، ورواه الطبري ١٧ / ١٩٢ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٦٩ ، ٧٠
وعزاه لابن المنذر .

واختار هذا القول الطبري ١٧ / ١٩٢ ، ١٩٣ وقال : وذلك أن ذلك من ذكر قوله : ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ
أَوْتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أقرب منه من ذكر قوله : ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ والهاء من
قوله (أنه) أي من ذكر القرآن والحق الهاء في قوله : ﴿فِي مَرِيحٍ مِّنْهُ﴾ بالهاء من قوله : ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّكَ﴾ أولى من إلحاقها بها التي في قوله : ﴿مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ مع بعد ما بينها .

(٦) في (ظ) : (يذكروها) .

(٧) في (أ) : (حياتهم) .

قال أبو إسحاق : أصل [العقم]^(١) . العقم في الولادة . يقال : هذه امرأة عقيم ، كما قال الله عز وجل : ﴿عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات : ٢٩] ، وكذلك : رجل عقيم ، إذا كان لا يولد له^(٢) .

الأصمعي : يقال : عَقَامٌ وَعَقِيمٌ^(٣) مثل بَجَالٍ وَبَجِيلٍ^(٤) .

وجمعها : عَقْمٌ ، ويقال : عَقَمَتِ المرأة فهي معقومة وقد عقم الله رحمها وأعقمها^(٥) .

وروى عمرو^(٦) ، عن أبيه : عَقَمَتِ المرأة تَعْقُمُ عَقْمًا ، وَعَقَمَتِ تَعْقُمُ عَقْمًا ، وَعَقَمَتِ تَعْقُمُ عَقْمًا^(٧) ، وهي عقيم إذا كانت لا تحمل^(٨) .

وقال أبو العباس : عَقَمَتِ المرأة إذا لم تحمل ، وهي عقيم^(٩) .

(١) زيادة من معاني القرآن للزجاج .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤٣٤ / ٣ .

(٣) كسحاب وأمير . قاله الفيروزآبادي ١٥٢ / ٤ .

(٤) تهذيب اللغة للأزهري (عقم) ٢٨٨ / ١ من رواية أبي عبيد ، عن الأصمعي .

قال ابن منظور : رجل بجال وبجيل : يبجله الناس . وقيل : هو الشيخ الكبير العظيم السيد مع جمال ونبل . لسان العرب (بجل) ٤٤ / ١١ .

(٥) من قوله : (وجمعها . . .) إلى هنا ، هذا كلام أبي الهيثم كما في تهذيب اللغة للأزهري (عق) ٢٨٨ / ١ من دون قوله : وأعقمها .

(٦) هو عمرو بن إسحاق بن مرار ، الشيباني ، اللغوي .

(٧) كفرح ونصر وكرم . قاله الفيروزآبادي ١٥٢ / ٤ .

(٨) تهذيب اللغة للأزهري (عقم) ٢٨٩ / ١ من رواية عمرو عن أبيه .

(٩) لم أجد من ذكر هذا القول عن أبي العباس ثعلب ، ولا عن أبي العباس المبرد .

وأنشد أبو إسحاق^(١) :

عقم النساء فما يلدن شيهه
إن النساء بمثله عقم
وأصل هذا من العقم ، وهو القطع . ومنه يقال : المُلْك عقيم ؛ لأنه تقطع
فيه الأرحام بالقتل والعقوق . هذا قول أبي عمرو^(٢) .

وعلى هذا العقيم : التي قطعت ولادتها .

وقال أبو عبيد : العقم : الشَّد^(٣) . يقال للمرأة : معقومة الرحم كأنها
مشدودتها ، ومنه الحديث : «وتعقم أصلاب المنافقين فلا يقدرّون على
السجود»^(٤) ؛ أي تشد وتيس مفاصلهم .

(١) البيت أنشده أبو إسحاق الزَّجَّاج في معاني القرآن ٣/ ٤٣٤ ولم ينسبه لأحد .

ووقع في المطبوع : (عقيم) ، وهو خطأ .

والبيت ذكره أبو عمرو الشيباني في روايته لديوان أبي دهب الجهمي ٦٦ ، قال : حدثني موسى بن يعقوب
قال : أنشدني أبو دهب قوله في مدح رسول الله ﷺ ، ثم ساق أبياتاً ، ومنها هذا البيت .

ونسب البيت أيضاً لأبي دهب في عيون الأخبار لابن قتيبة ١/ ٢٧٩ ، ونسب قريش لأبي عبد الله المصعب
الزبيري ٣٣١ ، لكن عنده قالها في مدح عبد الله الأزرق بن عبد الرحمن بن الوليد بن عبد شمس ،
والحماسة لأبي تمام ٢٥٧ ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٤/ ٧٥ ، وقال : قالوا يمدح رسول الله ﷺ .
والبيت نسبه ابن منظور في لسان العرب (عقم) ١٢/ ٤١٢ لأبي دهب وروايته فيه نسبه في موضع (ما)
ثم قال : وقيل : هو للحزين الليثي .

(٢) قول أبي عمرو الشيباني في تهذيب اللغة للأزهري (عقم) ١/ ٢٨٩ .

انظر : لسان العرب (عقم) ١٢/ ٤١٣ .

(٣) في (أ) : (السد) .

(٤) هذا قطعة من حديث رواه أبو عبيد في كتابه غريب الحديث ٤/ ٧١ عن عبد الله ابن مسعود موقوفاً .
قال أبو عبيد : حدثني عبد الرحمن مهدي ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي الزعراء ، عن
عبد الله بن مسعود .

ورواه الطبري في تفسيره ٢٩/ ٣٩ من حديث عبد الرحمن ، به موقوفاً بلفظ : ويبقى المنافقون ظهورهم
طبق واحد كأنها فيها السَّفايد .

ورواه ابن أبي شبة في مصنفه ١٥/ ١٩١-١٩٥ ، والحاكم في مستدركه ٤/ ٥٩٨-٦٠٠ والطبراني في =

هذا هو الكلام في أصل العقيم في اللغة . ثم يقال : يوم عقيم للذي لا يأتي فيه خير . ويوم القيامة عقيم على الكفار ؛ لأنه لا يأتي لهم بخير كما يأتي للمؤمنين . والريح العقيم : التي لا تأتي بمطر ولا سحاب ولا تُلَقَّح ^(١) شجراً ^(٢) .
وأما التفسير ، فقال ابن عباس : يريد يوم بدر ^(٣) .

- الكبير ٩/٤١٣-٤١٦ من حديث سفيان به ، مطولاً جداً ، موقوفاً ، بمثل لفظ الطبري .
وقال الحاكم بعد إخرجه ٤/٦٠٠ هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .
وقال الذهبي متعباً قول الحاكم : قلت : ما احتج بأبي الزعراء . اهـ .
وهذا الخبر عن المنافقين رواه من وجه آخر عن ابن مسعود مرفوعاً إسحاق بن راهوية في مسنده كما في المطالب العالية لابن حجر ٤/٣٦٥-٣٦٧ ، والطبراني في الكبير ٩/٤١٦-٤٢١ ، والحاكم في مستدركه ٤/٥٩٠ ولفظ إسحاق : وتدمج أصلاب المنافقين ، فتكون عظماً واحداً ، كأنها صياصي البقر ، ويخرون على أقفيتهم .
قال ابن حجر في المطالب ٤/٣٦٧ بعد ذكره لرواية إسحاق : هذا إسناد صحيح متصل ، ورجاله ثقات .
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٣٤٣ : رواه كله الطبراني في طرق ، ورجال أحدهما رجال الصحيح غير أبي خالد الدالاني وهو ثقة .
وقال الذهبي في تلخيص المستدرک ٤/٥٩٢ ، ٥٩٣ ما أنكره حديثاً على جودة إسناده ، وأبو خالد -يعني الدالاني- شيعي منحرف . اهـ .
وذكر هذا الحديث السيوطي في الدر المنثور ٦/٢٥٧ وعزه لإسحاق بن راهوية وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا والطبراني والأجري في الشريعة ، والدارقطني في الرؤية ، والحاكم وابن مردويه والبيهقي في البعث .
(١) في (أ) : (الذي ، يلقح) .
(٢) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (عقم) ١/٢٨٨ ، والصحاح للجوهري ٥/١٩٨ ، ولسان العرب ١٢/٤١٣ .
(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/٧٠ وعزه لابن مردويه والضياء في المختارة .

وهو قول قتادة^(١)، ومجاهد^(٢)، والسدي^(٣)، وأبي بن كعب^(٤).

واختلفوا : لم سُمِّي يوم بدر عقيماً .

فقال ابن عباس : لأنَّه ليس ليوم بدر نظير من الأيام لا قبله ولا بعده ، لم تقاتل الملائكة مع نبيٍّ قط إلاَّ مع محمد ﷺ ، ولم تقاتل مع محمد إلا يوم بدر .

وعلى هذا سمي عقيماً ؛ لأنه لا نظير له في عِظَمِه بقتال الملائكة فيه ، فكأنَّ الدهر عقيم عن مثل ذلك اليوم .

وقال الكلبي : يوم عقيم لا فرج^(٥) فيه وهو يوم بدر .

وهذا اختيار الزَّجَّاج ، قال : اليوم العقيم هو الذي لا يأتي فيه خير كالريح العقيم^(٦) .

وقال ابن جريج : لأنهم لم يُنْظَرُوا فيه إلى الليل ، بل قتلوا قبل المساء^(٧) . وعلى هذا القول سُمِّي عقيماً لانقطاع أعمارهم وفناء آجالهم ، فلم يروا بعد ذلك اليوم ليلاً ولا نهاراً ، فكان ذلك اليوم عليهم يوماً لا ليل لهم بعده .

(١) رواه عنه عبد الرزاق في تفسيره ٤١/٢ ، والطبري ١٧/١٩٣ .

(٢) رواه الطبري ١٧/١٩٣ .

(٣) ذكره عنه ابن الجوزي ٤٤٤/٥ .

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره ٤١/٢ عن قتادة قال : بلغني أن أبي بن كعب كان يقول : أربع آيات أنزلت في بدر . هذه إحداهن يوم عقيم يوم بدر .

وهو منقطع . ورواه الطبري ١٧/١٩٣ من هذا الوجه مختصراً .

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/٧٠ وعزاه لابن مردويه .

(٥) في (أ) و(ظ) و(د) : (لا فرج) ، والمثبت من (ع) .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/٤٣٤ .

(٧) ذكره الثعلبي ٣/٥٥ بهذا اللفظ ، ورواه الطبري ١٧/١٩٣ .

وروي عن عكرمة والضحاك في قوله : ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ : إنه القيامة^(١) .
والوجه القول الأول^(٢) ؛ لأن ذكر القيامة قد تقدّم في قوله : ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ
السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ .

٥٧-٥٦ . قوله تعالى : ﴿الْمَلَأْتُ يَوْمَئِذٍ لَّهُ بِحَكْمٍ بَيْنَهُمْ﴾ ؛ يعني يوم القيامة
لله وحده يحكم بينهم بما ذكر من قوله : ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلى قوله :
﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ .

٥٨ . ثم ذكر فضل المهاجرين ، وقال : ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ .
قال الكلبي : من مكة إلى المدينة في طاعة الله .

﴿ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾ ؛ تسوية بين حالتهم من القتل أو الموت على الفراش .
ولهذا قال فضالة بن عبيد^(٣) ورأى جنازتين أحدهما قتيلا والآخر متوفى : ما أبالي
من أي حفرتيهما بعثت . وقرأ هذه الآية^(٤) .

(١) ذكره عنها الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥٥ ب . ورواه عنها الطبري ١٧/ ١٩٣ . وذكره السيوطي
في الدر المنثور ٦/ ٧٠ عن الضحاك ، وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم .

(٢) وهو اختيار الإمام الطبري ١٧/ ١٩٣ قال : وذلك أن الساعة هي يوم القيامة ، فإن كان اليوم العقيم
أيضاً هو يوم القيامة فإنها معناه ما قلنا من تكرير ذكر الساعة مرتين باختلاف الألفاظ ، وذلك لا معنى
له .

(٣) هو فضالة بن عبيد بن نافع بن قيس الأنصاري ، الأوسي . صاحب رسول الله ﷺ ، أسلم قديماً ،
وشهد أحداً وما بعدها ، وشهد بيعة الرضوان .

ولي الغزو لمعاوية ، ثم ولي له قضاء دمشق ، وكان ينوب عن معاوية في الإمرة إذا غاب . توفي سنة
٥٣هـ ، وقيل بعدها .

طبقات ابن سعد ٧/ ٤٠١ ، والاستيعاب ٣/ ١٢٦٢ ، وأسد الغابة ٤/ ١٨٢ ، وسير أعلام النبلاء
١١٣/ ٣ ، والبداية والنهاية ٨/ ٧٨ ، والإصابة ٣/ ٢٠١ .

(٤) رواه الطبري ١٧/ ١٩٤ ، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ٣/ ٢٣٢ ، عن فضالة .
وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٧١ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

قوله تعالى : ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ . قال ابن عباس : يريد لا انقطاع له^(١) .

وقال السدي : هو رزق الجنة^(٢) .

وقرئ قوله : ﴿ثُمَّ قُتِلُوا﴾ بالتخفيف والتشديد^(٣) . فالتخفيف يكون للكثير^(٤) والقليل ، والتشديد حسن ؛ لأنهم قد أكثر فيهم القتل في وجوه توجها إليها^(٥) .

٥٩ . قوله تعالى : ﴿لِيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ قال ابن عباس : يريد الجنة .

وقرئ : ﴿مُدْخَلًا﴾ بضم الميم وفتحها^(٦) ، فالضم^(٧) يجوز أن يراد به الإدخال ، ويكون المعنى أنهم إذا أدخلوا أكرموا ، فلم يكونوا كمن ذكر في قوله : ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [الفرقان : ٣٤] . ويجوز أن يعني به الموضع ، ويرضونه ؛ لأن لهم فيه ما تشتهي الأنفس وتلد الأعين ، فهو خلاف المدخل الذي قيل فيه : ﴿إِذِ الْأَعْلَىٰ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ [غافر : ٧١] الآية . والفتح يجوز أن

(١) ذكر البغوي ٣٩٦/٥ هذا القول ولم ينسبه لأحد .

(٢) انظر : الدر المنثور ٧١/٦ .

(٣) قرأ ابن عامر : (قتلوا) مشددة التاء ، وقرأ الباقر : (قتلوا) خفيفة التاء .

السبعة ٤٣٩ ، والمبسوط لابن مهران ٢٥٨ ، والنشر ٣٢٧/٢ .

(٤) في (د) و(ع) : (للكثرة) .

(٥) هذا كلام أبي علي في الحجة ٢٨٤/٥ . انظر : إعراب القراءات وعللها لابن خالويه ٨٣/٢ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٨١ .

(٦) قرأ نافع (مدخلا) بفتح الميم ، وقرأ الباقر بضمها .

السبعة ٤٣٩ ، والتبصرة ١٨٢ ، والتيسير ٩٥ ، والاقناع ٦٢٩/٢ .

(٧) في الحجة : المدخل يجوز أن يراد به الإدخال .

يكون الدخول^(١)، ويجوز أن يكون موضعه كالمدخل . ودلَّ ﴿لِيُدْخِلَنَّهُمْ﴾ على الدخول ؛ لأنَّهم إذا أدخلوا دخلوا ، فكأنه قال : لِيُدْخِلَنَّهُمْ فَيَدْخُلُونَ مَدْخَلًا^(٢) .

وقوله : ﴿وَلِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ . قال ابن عباس : عليم بنياتهم ، حلیم عن عقابهم^(٣) .

٦٠ . قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ﴾ . قال أبو إسحاق : ﴿ذَلِكَ﴾ في موضع رفع ، المعنى : الأمر ذلك ، أي^(٤) : الأمر ما قصصنا عليكم^(٥) .

ثم قال : ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ ؛ أي من جازى الظالم بمثل ما ظلمه . وسمي جزاء العقوبة عقوبة لاستواء الفعلين في جنس المكروه كقوله : ﴿وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى : ٤٠] ، فالأول سيئة والمجازاة عليها سميت سيئة بأنها وقعت إساءة بالمفعول به ، لأنه فعل [به]^(٦) ما يسوؤه^(٧) . وذكرنا هذا في قوله : ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة : ١٥] .

(١) في الحجة : وحجة من قال مدخلاً أن المدخل يجوز أن يكون الدخول .

(٢) الحجة لأبي علي الفارسي ٢٨٤ / ٥ ، ٢٨٥ مع تقديم وتأخير .

انظر : إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٨٣ / ٢ ، وحجة القراءات لابن زنجلة : ٤٨١ ، ٤٨٢ .

(٣) ذكره عنه القرطبي ٨٩ / ١٢ . وذكره ابن الجوزي ٤٤٦ / ٥ والبغوي ٣٩٧ / ٥ من غير نسبة .

(٤) (أي) : ساقطة من (أ) .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤٣٥ / ٣ .

وعلى هذا ، (ذلك) خبر مبتدأ مضمّر ، انظر : الإملاء للعكبري ١٤٦ / ٢ ، والدر المصون ٢٩٦ / ٨ .

(٦) زيادة من معاني الزجاج يستقيم بها المعنى .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٤٣٥ / ٣٠ مع اختلاف سير .

قال الحسن : ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ ؛ يعني : قاتل المشركين كما قاتلوه^(١) .

﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ ؛ أي ظلم بإخراجه من منزله .

قيل : إنها نزلت في قوم من المسلمين قاتلوا قسوماً من المشركين غير مبتدئين بالقتال بل دفعاً لهم عن أنفسهم ، ثم أخرجوا من ديارهم^(٢) .

قال الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ : يعني ما أتاه المشركون من البغي على المسلمين حين أخرجوا^(٣) إلى مفارقة أوطانهم^(٤) .

قوله : ﴿لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ يعني : هذا المظلوم الذي بغى عليه وعده الله النصر .

قال ابن جريج : يعني نصرته محمداً ﷺ وأصحابه^(٥) .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾ . قال ابن عباس : يريد عفا عن المؤمنين مساوئهم ، وغفر لهم ذنوبهم^(٦) .

وذكر مقاتل بن سليمان السَّبب في نزول هذه الآية وتفسيرها ، فقال : إِنَّ مشركي مكة لقوا المسلمين في ليلتين بقيتا من المحرم ، فقال بعضهم لبعض : إِنَّ أصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام فاحملوا عليهم ، فناشدهم

(١) ذكره عنه البغوي ٣٩٧/٥ .

(٢) انظر : التهذيب في التفسير للجشمي ١٨٦/٦ ب .

(٣) في (أ) : (حين أخرجوا) ، وفي (ظ) : (حتى أخرجوا) .

(٤) ذكره البغوي ٣٩٧/٥ من غير نسبة لأحد .

(٥) رواه الطبري ١٧/١٩٥ بمعناه .

(٦) ذكره البغوي ٣٩٧/٥ من غير نسبة .

المسلمون ألا يقاتلوهم في الشهر الحرام ، فأبى المشركون إلا القتال ، فبغوا على المسلمين ، فقاتلوهم وحملوا عليهم ، وثبت المسلمون ، فنصر الله المسلمين عليهم ، فوقع في أنفس المسلمين من القتال في الشهر الحرام فأنزل الله هذه الآية ^(١) .

فاللعمري بـ «من» ^(٢) في قوله : ﴿وَمَنْ عَاقَبَ﴾ المؤمنون ، جازوا الكفار وقاتلوهم كما قاتلوهم ، وبغيهم عليهم أنهم لم يرتدعوا ولم يكفوا عن القتال بمناشدتهم إياهم .

وقوله : ﴿إِنِ اللَّهُ لَعَفُوٌّ﴾ . قال مقاتل : عنهم ، ﴿غَفُورٌ﴾ لقتالهم في الشهر الحرام ^(٣) .

٦١ . قوله : ﴿ذَلِكَ﴾ ؛ أي ذلك النصر الذي أنصره من بُغي عليه بآتي القادر على ما أشاء ، فمن قدرته أنه : ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ الآية ^(٤) . ومن قدر على ذلك قدر على نصره من شاء . ومعنى ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ قد سبق في ما مضى .

قوله : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ . قال ابن عباس : ﴿سَمِيعٌ﴾ لدعاء محمد ومن معه من المؤمنين ، ﴿بَصِيرٌ﴾ بهم حيث جعل فيهم البر ^(٥) والتقوى والدين ^(٦) .

(١) تفسير مقاتل ٢٧/٢ ب . وهذا القول غير معتمد في سبب نزول هذه الآية ؛ لأن مقاتل بن سليمان كذّبوه . انظر : تقريب التهذيب ٢٧٢/٢ .

(٢) في (أ) : (مَن) .

(٣) تفسير مقاتل ٢٧/٢ ب .

(٤) تفسير الطبري ١٧/١٩٥ ، والثعلبي ٣/٥٦ أ .

(٥) في (د) و(ع) : (البر والفاجر) ، بزيادة (والفاجر) ، وهو خطأ .

(٦) ذكره ابن الجوزي ٥/٤٤٧ مختصراً من غير نسبة .

٦٢. قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ﴾ ؛ أي ذلك الذي فعل من نصر المؤمنين بأنه ^(١) ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ ؛ أي ذو الحق في قوله وفعله ، فدينه حق وعبادته حق ، كل ما يصدر عنه من أمر ونهي حق ، والمؤمنون الذين آمنوا به وصدقوا رسوله هم المحقون ؛ فيستحقون من الله النصر .

﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ ؛ أي الذي ليس بشيء ولا ينفع عبادته . قاله مقاتل ^(٢) .

﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ ؛ العلي على كل شيء بقدرته ، والعالى عن الأشباه والأشكال ^(٣) ﴿الْكَبِيرُ﴾ الذي كل شيء سواه يصغر مقداره .

٦٣. قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ الآية . حكى المبرد ^(٤) والزجاج ^(٥) عن سيبويه ^(٦) أنه سأل الخليل عن هذه الآية ورفع قوله : ﴿فَتَصْبِحُ﴾ وهو جواب الاستفهام بالفاء ووجهه نصب . فقال : هذا ليس بجواب لقوله : ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ، لأنه ^(٧) لو كان كذلك لكان التقدير : ألم تر فتصبح ، بل هذا واجب : ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنبيه ، وكأنه

(١) في (أ) : (وأنه) .

(٢) تفسير مقاتل ٢٧/٢ أ .

(٣) الحق أن العلي يتضمن ثلاثة أمور ، وهي علو الذات وعلو القدر وعلو القهر . وكلام المؤلف هنا جيدة منه عن إثبات علو الذات . انظر : بيان ذلك في قسم الدراسة عند الكلام على عقيدة المؤلف .

(٤) المقتضب ٢١/٢ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣/٤٣٦ .

(٦) انظر : الكتاب ٣/٣٦ .

(٧) في (أ) : (الآية) ، وهو خطأ .

في التقدير - والله أعلم - اسمع يا فلان : أنزل الله من السماء ماء فكان^(١)
كذا وكذا . وأنشد الخليل للتأبغة^(٢) :

فلا زال قبرٌ بين بصرى وجاسمٍ عليه من الوسميِّ سحٌّ ووابلٌ
فينبتُ حوذاناً وعوفاً مُنوراً سأتبعه من خيرٍ ما قال قائلٌ
[قال : لم يرد لا زال فينبت ، ولكنه لما دعا بالغيث]^(٣) قال : فينبت ؛ أي فهو
ينبت كأنه خبرٌ لقصة تكون عن هذا الغيث .

ونحو هذا قال الفرّاء في هذه الآية ، فقال : ﴿الْتَرَتَرَ﴾ معناه خبر ، كأنك
قلت في الكلام : اعلم أن الله يُنزل من السماء ماء فتصبح الأرض .

(١) في (أ) : (وكان) .

(٢) إنشاد الخليل ليبيي التأبغة في الكتاب ٣/ ٣٦ ورواية البيت الأول فيه :

ولا زال قبرٌ بين تُبْنَى وجاسمٍ عليه من الوسميِّ جَوْدٌ ووابلٌ
والبيتان في المقتضب للمبرد ٢/ ١٩ بمثل الرواية التي ساقها الواحدي ، ويظهر أنه نقل البيتين من
المبرد ؛ فقد قال قبل قليل : حكى المبرد . . .

وهما في ديوان التأبغة ١٢١ من قصيدة يرثي بها النعمان بن الحارث الغساني مع اختلاف ففيه :

سقى الغيث قبراً بين بصرى وجاسمٍ بغيث من الوسمي قطر ووابلٌ
وينبت . . .

قال الشنتمري في شرحه لديوان التأبغة ١٢١ ، ١٢٢ : بُصْرَى وجاسم هما موضعان بالشام ،
والوسمي : أول المطر ؛ لأنه يسم الأرض بالنبات ، . . .
والوابل : أشد المطر . وينبت حوذاناً : أي ينبت هذا المطر الذي دعا للقبر به ، والحوذان والعوف :
ضربان من النبات طيب الرائحة ، وقوله سأتبعه ؛ أي سأتى عليه بخير القول وأذكره بأجل الذكر .
اهـ .

والسَّحُّ : الصَّبُّ المتتابع . لسان العرب (سحج) ٢/ ٤٧٦ .

(٣) ساقطة من (ع) .

وهو مثل قول الشاعر^(١) :

ألم تسألِ الربعَ القديمَ فينطقُ^(٢)

قال الخليل : المعنى فهو مما ينطق^(٣) . هذا كلامهم .

وعند النحويين^(٤) يجوز الرفع في الجواب بالفاء على تقدير الاستئناف ، كقراءة من قرأ : (من ذا . . . فيضاعفهُ) [البقرة: ٢٤٥] بالرفع^(٥) ؛ أي فهو يضاعفه^(٦) وكما

(١) البيت أنشده الفراء في معاني القرآن ٢/ ٢٢٩ من غير نسبة ، وتتمته :

وهل تُخبرنك اليومَ ببداءِ سملقُ

وهو بلا نسبة في الكتاب ٣/ ٣٧ وفيه : (القواء) في موضع (القديم) ، والطبري ١٧/ ١٩٧ بمثل رواية الفراء . والبيت لجميل بن معمر ، وهو في ديوانه ١٤٤ ، وشرح أبيات سيبويه للسيرافي ٢/ ٢٠١ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٧/ ٣٦ ، ٣٧ ، وشرح شواهد المغني للسيوطي ١/ ٤٧٤ ، ولسان العرب (سملق) ١٠/ ١٦٤ ، وخزانة الأدب ٨/ ٥٢٤ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، وروايتهم جميعاً : القواء .

قال الشنمري في تحصيل عين الذهب ١/ ٤٢٢ : الشاهد فيه رفع ينطق على الاستئناف والقطع ، على معنى : فهو ينطق . . . والربيع المنزل . والقواء : القفر . وجعله ناطقاً للاعتبار بدروسه وتغيره . ثم حقق أنه لا يجيب ولا يخبر سائله لعدم القاطنين به . والبيداء : القفر . والسملق : التي لا شيء بها . اهـ .

وعند السيرافي ٢/ ٢٠١ : البيداء : الصحراء الواسعة .

قال البغدادى ٨/ ٥٢٨ : وقوله : (وهل تخبرنك) . . . إلخ ردّ على نفسه بأن مثله لا ينطق فيجيب .

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٢٩ .

(٣) قول الخليل في معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٤٦ .

وهو بنحوه في الكتاب ٣/ ٣٧ .

(٤) انظر : الكتاب ٣/ ٣١ ، وارتشاف الضرب لأبي حبان ٢/ ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٧/ ٣٦ ، ٣٧ .

(٥) قرأ أبو عمرو ، ونافع ، وحزة ، والكسائي : (فيضاعفه) بالالف ورفع الفاء .

وقرأ ابن كثير : (فيضعفهُ) بغير ألف وتشديد العين ، ورفع الفاء .

وقرأ ابن عامر : (فيضعفهُ) بغير ألف وتشديد العين ، ونصب الفاء .

وقرأ عاصم : ﴿فَيَضَعُهَا﴾ بالالف ونصب الفاء .

السبعة ١٨٤ ، ١٨٥ ، والتبصرة ١٦١ ، والتيسير ٨١ .

(٦) أو يكون معطوفاً على ﴿يُقْرِضُ اللَّهُ﴾ ، انظر : حجة القراءات لابن زنجلة ١٣٩ ، وإبراز المعاني لأبي شامة ٣٦٣ .

رفع في هذه الآيات . وذكرنا عند قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾ [البقرة : ٢٤٣] أن^(١) ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ تكون بمعنى التنبيه .

فحصل في هذه الآية وجهان : أحدهما : أن قوله : ﴿ فَتُصْبِحُ ﴾ ليس بجواب الاستفهام ؛ لأن هذا استفهام معناه التنبيه .

والثاني : أنه جواب الاستفهام بالرفع على ما ذكره النحويون .

قال ابن عباس وغيره : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ : يعني المطر^(٢) ﴿ فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ بالنبات^(٣) . ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ ﴾ بأرزاق عباده^(٤) .

وقال مقاتل : باستخراج النبات من الأرض^(٥) .

﴿ خَيْرٌ ﴾ . قال ابن عباس : خير بما في قلوب العباد من القنوط^(٦) ، يعني عند تأخر المطر .

وقال غيره : خير بما يحدث من ذلك الماء ومن ذلك النبات^{(٧)(٨)} .

(١) (أن) : ساقطة من (ظ) و(د) و(ع) .

(٢) ذكره ابن الجوزي ٤٤٧/٥ من غير نسبة لأحد .

(٣) ذكره البغوي ٣٩٧/٥ ، وابن الجوزي ٤٤٧/٥ من غير نسبة لأحد .

(٤) ذكره عنه الرازي ٦٢/٢٣ ، والقرطبي ٩٢/١٢ . وذكره البغوي ٣٩٧/٥ من غير نسبة .

(٥) تفسير مقاتل ٢٧/٢ ب .

(٦) ذكره عنه الرازي ٦٢/٢٣ ، والقرطبي ٩٢/١٢ .

(٧) في (أ) : (النبات) ، والمثبت من باقي النسخ هو الموافق لما عند الطبري .

(٨) هذا قول الطبري ١٧/١٩٦ .

٦٤. قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾. قال مقاتل: عبده وفي ملكه^(١).

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَفِيُّ﴾ عن عباده، ﴿الْحَكِيمُ﴾ إلى أوليائه وأهل طاعته. قاله ابن عباس.

٦٥. قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ﴾. قال ابن عباس: يريد البهائم التي تركب وتوكل^(٢).

قوله: ﴿وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ ﴿وَالْفُلْكَ﴾ بالنصب نسق على ﴿مَا﴾ و﴿تَجْرِي﴾ حال؛ أي وسخر لكم الفلك في حال جريها^(٣).

﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾. قال الزَّجَّاج: المعنى: كراهة^(٤) أن تقع، [وموضع «أن» نصب بـ(يمسك)، وهو مفعول له، المعنى: لكراهة أن تقع]^{(٥)(٦)}.

(١) تفسير مقاتل ٢٧/٢ ب.

(٢) ذكره البغوي ٣٩٨/٥، وابن الجوزي ٤٤٨/٥ من غير نسبة.

قال ابن كثير—رحمه الله—في تفسيره ٢٣٣/٣: أي من حيوان وجهاد وزروع وثمار كما قال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ [الجنانية: ١٣].

(٣) هذا قول الزَّجَّاج بنصّه في معاني القرآن ٤٣٧/٣.

وجوز أبو البقاء في الإملاء ١٤٦/٢ أن يكون انتصاب الفلك عطفاً على لفظ الجلالة على تقدير: وأن الفلك تجري في البحر، وتجري خبرٌ على هذا.

وتبع السمين الحلبي ٣٠٢/٨ أبا البقاء في هذا.

واستظهر أبو حيان ٣٨٧/٦ ما قاله الزَّجَّاج، واستبعد ما جوزه أبو البقاء، وقال: وهو إعراب بعيد عن الفصاحة.

(٤) في (أ): (كراهية)، والمثبت هو الموافق لما في كتاب الزَّجَّاج.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ).

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤٣٧/٣.

وقال مقاتل : لثلاث تقع ^(١) . وهذا على مذهب الكوفيين ^(٢) . وذكرنا الكلام في هذه المسألة في مواضع ^(٣) .

قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ . قال مقاتل : يعني لرفيق رحيم بهم في ما سخر لهم وحبس عنهم السماء فلا تقع عليهم فيهلكوا ^(٤) .

٦٦ . قوله : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ﴾ بعد أن كنتم نطفاً ميتة . ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند آجالكم .

﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للبعث والحساب والثواب والعقاب ^(٥) .

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ . قال ابن عباس : يعني جماعة من المشركين ^(٦) .

قال الكلبي : هو الكافر ^(٧) .

قال مقاتل : لكفور لنعم الله في حسن خلقه حين لا يوحده ^(٨) .

-
- (١) تفسير مقاتل ٢٧/٢ ب .
 (٢) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء : ٣١] .
 (٣) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ الْكُبْرَى﴾ [النساء : ١٧٦] .
 (٤) تفسير مقاتل ٢٧/٢ ب .
 (٥) الطبري ١٧/١٩٨ ، والثعلبي ٣/٥٦ أ .
 (٦) ذكر الرازي ٢٣/٦٣ والقرطبي ١٢/٩٨ وأبو حيان ٦/٣٨٧ عنه أنه قال : هو الأسود بن عبد الأسد وأبو جهل والعاص وأبي بن خلف .
 (٧) قال الرازي : والأولى تعميمه في جميع المنكرين . وقال أبو حيان بعد ذكره لقول ابن عباس : وهذا على طريق التمثيل .
 وقيل : هذا وصف للجنس ؛ لأن الغالب على الإنسان كفر النعم كما قال تعالى : ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ : ١٣] . انظر : القرطبي ١٢/٩٣ .
 (٨) ذكر الرازي ٢٣/٦٣ ، وأبو حيان ٦/٣٨٧ هذا القول عن ابن عباس .
 (٨) تفسير مقاتل ٢٨/٢ أ .

٦٧. قوله: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾؛ أي لكل قرن مضى ﴿جَعَلْنَا مَنَسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾. قال ابن عباس: يريد شريعة هم عاملون بها^(١).

وقال مقاتل وغيره: يعني ذبيحة في عيدهم هم ذابحوه^(٢).

وهذا مما^(٣) تقدم الكلام فيه في هذه السورة^(٤).

﴿فَلَا يَنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ﴾؛ يعني في أمر الذبائح.

قال الكلبي ومقاتل: نزلت في بديل بن ورقاء الخزاعي^(٥)، وبشر بن سفيان الخزاعي^(٦)، ويزيد بن خنيس وغيرهم من كفار قريش وخزاعة، خاصمووا النبي ﷺ والمؤمنين في أمر الذبيحة، فقالوا: ما قتل الله لكم أحق أن تأكلوه أو ما قتلتم أنتم بسكاكينهم؟^(٧).

(١) ذكره عنه البغوي ٣٩٨/٥. وروى عنه الطبري ١٧/١٩٨ من طريق الوالبي، قال: عيداً.

(٢) انظر: تفسير مقاتل ٢/٢٨ أ. وجاء نحوه عن عكرمة. انظر: الدر المنثور للسيوطي ٦/٧٣.

(٣) في (أ): (ما).

(٤) عند قوله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِّذِكْرِ أَسْمِ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٣٤].

(٥) هو بديل بن ورقاء بن عمرو بن ربيعة بن عبد العزى بن ربيعة الخزاعي، كتب إليه النبي ﷺ يدعوه إلى الإسلام، وأسلم قبل الفتح، وقيل يوم الفتح، وشهد حنيناً، واستعمله ﷺ على سبي هوازن، وسار مع النبي ﷺ إلى تبوك، وشهد حجة الوداع.

طبقات ابن سعد ٤/٢٩٤، والاستيعاب ١/١٥٠، وأسد الغابة ١/١٧٠، والإصابة ١/١٤٥.

(٦) هو بشر، قال ابن هشام: ويقال: بسر بن سفيان بن عمر بن عويمر الكعبي الخزاعي، كتب إليه النبي ﷺ، وأسلم سنة ست، وبعثه النبي ﷺ عيناً إلى قريش إلى مكة، وشهد الحديبية، وله ذكر في حديث الحديبية، وسكن مكة.

طبقات ابن سعد ٤/٤٥٨، والسيرة النبوية لابن هشام ٣/٣٥٦، والاستيعاب ١/١٦٦، والإصابة ١/١٥٣.

(٧) تفسير مقاتل ٢/٢٨ أ.

قال أبو إسحاق : معنى قوله : ﴿فَلَا يَنْزِعُ عَنْكَ﴾ لا تنازعهم ولا تجادلهم ، والدليل على ذلك قوله : ﴿وَلِنْ جَدُلُوكَ﴾ ، وكان هذا قبل القتال . فإن قيل ^(١) : فلم قيل : فلا ينازعك في الأمر وهم قد نازعوه ؟ فالمعنى : إن هذا نهى للنبي ﷺ عن منازعتهم كما تقول : لا يخاصمك فلان في هذا أبداً ، أي لا تخاصمه .

وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون إلا من اثنين ؛ لأنَّ المجادلة والمخاصمة لا تتم إلا باثنين ، فإذا ^(٢) قلت : لا يجادلئك فلان ، فهو بمنزلة لا تُجادلته . ولا يجوز هذا في قولك : لا يضربك فلان ، وأنت تريد لا تضربه . ولكن لو قلت : لا يضاربئك فلان ، لكان ^(٣) كقولك : لا تضاربين فلاناً . هذا كلام أبي إسحاق ^(٤) .

وقوله : ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ . قال مقاتل بن سليمان : يعني إلى معرفة ربك وهو التوحيد ^(٥) .

وقال ابن عباس : يريد قم بشرائع الحنيفية . والمعنى على هذا : ادع إلى الإيثار به وإعمال ما شرع من الشريعة .

قوله : ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى﴾ دين ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ . قال ابن عباس : لم يخلق ديناً أقوم ولا أفضل منه ولا أحب إلى الله عز وجل .

(١) في (أ) زيادة : (لهم) بعد قوله : (قيل) ، وهو خطأ .

(٢) في (أ) : (وإذا) .

(٣) (لكان) : ساقط من (ظ) .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤٣٧/٣ . مع اختلاف يسير .

وقيل معنى فلا ينازعك في الأمر : فلا تتأثر بمنازعتهم لك ، ولا يصرفك ذلك عما أنت عليه من الحق . وهذا كقوله : ﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ ءَايَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [القصص : ٨٧] . أشار

إليه ابن كثير ٣٣٤/٣ .

(٥) تفسير مقاتل ٢٨/٢ أ .

٦٨-٦٩. قوله : ﴿وَأِنْ جَدَلُوكَ﴾ . قال الكلبي : خاصموك في أمر الذبيحة^(١) .

وقال مقاتل : جادلوك في أمر الذبائح^(٢) . يعني هؤلاء النفر .

﴿فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد من تكذيبهم النبي ﷺ^(٣) .

وقال مقاتل : الله أعلم بما تعملون وما نعمل ، فذلك قوله : ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾^(٤) .

وعلى هذا ، في الآية محذوف حذف لدلالة الباقي عليه . والمعنى : أيضاً يحكم بيننا وبينكم . يعني : أنه عالم بأعمالنا فهو يحكم بيننا وبينكم يوم القيامة ﴿فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ؛ أي تذهبون فيه إلى خلاف ما نذهب . وهو معنى قول ابن عباس : يريد في خلافكم إياي^(٥) .

قال الكلبي ومقاتل : نسختها آية السيف^(٦) .

(١) ذكره ابن الجوزي ٤٤٩/٥ ولم ينسبه لأحد .

(٢) تفسير مقاتل ٢٨/٢ أ .

(٣) ذكره عنه القرطبي ٩٤/١٧ .

(٤) تفسير مقاتل ٢٨/٢ أ .

(٥) ذكره القرطبي ٩٤/١٢ من غير نسبة ، وفيه : (آياتي) بدل (إياي) .

(٦) تفسير مقاتل ٢٨/٢ أ .

انظر : الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة ٦٦ ، وناسخ القرآن العزيز ومنسوخه لابن البارزي ٤١ . والمراد بآية السيف هي قوله : ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة : ٥] .

وقيل : هي قوله : ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ [التوبة : ٣٦] . وقيل هما معاً .

انظر : الإتيان للسيوطي ٦٧/٢ ، وروح المعاني للألوسي ٥٠/١٠ .

والقول بالنسخ محل نظر ؛ لأنه لا دليل على النسخ ، ولا تعارض بينها وبين آية السيف .

وهذا النسخ الذي قال لا يرجع إلى الحكم ، لأنَّ الله يحكم يوم القيامة بين المحق والمبطل فيدخل المحق الجنة والمبطل النار ، ولكن النسخ يعود إلى النبي ﷺ لما أمر بالقتال كان يقاتل من خالفه ولم يصدقه ، ولا يدفع بالقول والمداراة كما أمر في هذه الآية بأن يقول إذا جادلوه : ﴿اللَّهُ يَخْطُبُكُمْ بَيْنَكُمْ﴾ .

٧٠ . قوله : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ .

[قال ابن عباس]^(١) : يريد قد علمت وأيقنت أني أعلم ما في السماء والأرض .

وهذا استفهام يراد^(٢) به التقرير كقوله :

ألستم خير من ركب المطايا

قوله : ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ ؛ يعني ما يجري في السماء والأرض ، كلُّ ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ ، وذلك أن الله - تعالى - خلق القلم واللوح ، فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة^(٣) .

قوله : ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ ؛ أي علمه بجميع ذلك ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ؛ أي سهل . فلا يخفى عليه شيء يتعذر العلم به .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ط) .

(٢) في (أ) : (يريد) .

(٣) روى أبو يعلى في مسنده ٢١٧/٤ ، والطبراني في المعجم الكبير ١٢/٨-٩٦ واللفظ له عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال : لما خلق الله القلم قال له : اكتب ، فجرى بما هو كائن إلى قيام الساعة .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٩٠/٧ : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

وروى مسلم في صحيحه في كتاب القدر ٢٠٤٤/٤ عن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال : وكان عرشه على الماء .

وقال ابن جريج : إِنَّ الْحُكْمَ بَيْنَ الْمُخْتَلِفِينَ فِي الدُّنْيَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ^(١) .

٧١ . قوله تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ . قال الكلبي : يعني أهل مكة^(٢) .

﴿مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ . قال ابن عباس : يريد حجة^(٣) .

﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ أنها آلهة ، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ ؛ وما للمشركين من مانع من العذاب .

٧٢ . قوله : ﴿وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ . قال ابن عباس : يريد : بأن لهم ما هم فيه من الضلالة ، وما جاء به محمد ﷺ من الهدى .

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾ . قال مقاتل : ينكرون القرآن أن يكون من الله^(٤) .

والمنكر بمعنى : الإنكار ، والتأويل : أثر الإنكار من الكراهية والعبوس .

وذهب بعضهم^(٥) إلى أَنَّ المنكر هاهنا مفعول الإنكار وليس بمعنى المصدر وقال : وتأويله : يتبين في وجوههم ما ينكره أهل الإيمان من تغيُّرها^(٦) عند سماع القرآن .

(١) رواه الطبري ١٧ / ٢٠٠ ، ٢٠١ .

واختار الأول ؛ لأنه أقرب مذكور إلى قوله : ﴿يَسِيرٌ﴾ ، هو وقوله : ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ .

(٢) ذكر ابن الجوزي ٥ / ٩٤٥١ ، والقرطبي ١٢ / ٩٥ هذا القول من غير نسبة لأحد .

(٣) ذكر ابن الجوزي ٥ / ٩٤٥١ ، والقرطبي ١٢ / ٩٥ هذا القول من غير نسبة لأحد .

(٤) تفسير مقاتل ٢ / ٢٨ أ .

(٥) هو الإمام الطبري رحمه الله . وقوله هذا في تفسيره ١٧ / ٢٠١ .

(٦) في (أ) : (تغييرها) ، وهو خطأ .

قوله : ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونُ﴾ . قال الليث : السطو شدة البطش . والفعل يسطو على طروقه^(١) .

وقال أبو زيد والفرّاء : كادوا يبطشون بهم^(٢) .

ومنه يقال : الأيدي السواطى ، التي تتناول الشيء . والساطى من الرجال الذي يسطو بقرنه فيبطش به ويتناوله . والله ذو سطوات ؛ أي أخذات شديدة . ويقال : سطوت به وسطوت عليه^(٣) .

وقال المبرّد : يقال سطا زيد على عمرو وبعمره . إذا تطاول عليه ليضع منه . وقال أبو إسحاق : يكادون يبطشون^(٤) .

وقال مجاهد^(٥) ومقاتل^(٦) : يكادون يقعون بمحمد ﷺ وأصحابه ، وهو قوله : ﴿بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ ؛ أي يسطون إليهم أيديهم بالسوء .

(١) قوله في تهذيب اللغة للأزهري (سطا) ١٣ / ٢٤ ، ٢٥ . وهو في العين (سطا) ٧ / ٢٧٧ .

وطروقه : أنثاه . لسان العرب (طرق) ١٠ / ٢١٦ .
(٢) تهذيب اللغة للأزهري ١٣ / ٢٤ عن الفرّاء وأبي زيد .
وقول الفرّاء في معاني القرآن له ٢ / ٢٣٠ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (سطا) ١٣ / ٢٤ ، والصاحح للجوهري ٦ / ٢٣٧٦ ، وأساس البلاغة للزمخشري ٤٣٩ ، ولسان العرب ١٤ / ٣٨٤ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٤٣٨ .

(٥) رواه الطبري ١٧ / ٢٠٢ عن مجاهد مختصراً .

(٦) تفسير مقاتل ٢ / ٢٨ أ .

قوله : ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَٰلِكُمُ﴾ . قال المفسرون : قل يا محمد لهم : أفأنبئكم بشر لكم وأكره إليكم من هذا القرآن الذي تسمعون^(١) . ثم ذكر^(٢) ذلك فقال : ﴿النَّارُ﴾ .

قال أبو إسحاق : أي هو النار أو هي النار ، كأنهم^(٣) قالوا : ما ذلك الذي هو شر ؟ فقيل : النار . قال : ويجوز خفض على البدل من (شر) والنصب على (أعني)^(٤) . قال : والرفع أثبت في النحو^(٥) .

ونحو هذا قال الفرّاء : سواء ترفع (النار) ؛ لأنها معرفة فسّرت الشر وهو نكرة ، كما تقول : مررت برجلين : أبوك وأخوك . ولو نصبتها بما عاد من ذكرها ونويت بها الاتصال بما قبلها كان وجهاً . ولو خفضتها على الباء : أنبئكم بشر من ذلكم [بالنار ، كان صواباً . والوجه الرفع^(٦) .

وذهب مقاتل في تفسير قوله : ﴿بَشِّرِ مِّنْ ذَٰلِكُمُ النَّارُ﴾^(٧) إلى غير ما ذكرنا وهو أنه قال : إن المشركين لما سمعوا القرآن قالوا : ما شأن محمد وأصحابه أحق بهذا الأمر منا ، والله إنهم لشر خلق الله ، فأنزل الله ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَٰلِكُمُ﴾ من النبي وأصحابه من وعده الله النار وصار إليها ، يعني الكافر ، فهم أشرار الخلق^(٨) .

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٥٦/٣ ب .

(٢) في (أ) زيادة (من) بعد قوله : (ذكر) ، وهو خطأ .

(٣) في (ط) و(د) و(ع) : (وكأنهم) ، والمثبت من (أ) هو الموافق لما في المعاني .

(٤) في (أ) : (أعلى) والعبارة عند الزّجاج : (فهو على معنى : أعني النار) .

(٥) معاني القرآن للزّجاج ٤٣٨/٣ .

(٦) معاني القرآن للفرّاء ٢٣٠/٢ .

(٧) ما بين المعقوفين كرهه ناسخ (أ) مرتين .

(٨) تفسير مقاتل ٢٨/٢ ب .

وهذا تعسف وتفسير لا يساعده اللفظ .

وقال بعض أهل المعاني : معنى الآية : بشرّ عليكم مما يلحق التالي منكم ، أوعدهم الله - تعالى - على سطوتهم بأهل الحق عقوبة هي شر من سطوتهم بالذي يتلو القرآن^(١) .

٧٣ . قوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ . قال أبو إسحاق : لما عبدوا من دون الله ما لا يسمع ولا يبصر وما لم ينزل به حجة ، أعلمهم الله الجواب في ما جعلوه له مثلاً ، فقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ يعني الأصنام^(٢) .

قال ابن عباس ، والكلبي ، ومقاتل^(٣) : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ يعني كفار مكة ﴿ضُرْبٌ مَثَلٌ﴾ يعني ذكر شبه الصنم ، ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ . ثم أخبر عنه فقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني : تعبدون من دون الله من الأصنام ، وكانت ثلاثمائة وستين صنماً حول الكعبة ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ لن يستطيعوا أن يخلقوا ذباباً في صغره وقلته .

وقال الأخفش في هذه الآية : إن قيل فأين^(٤) المثل الذي ذكره الله في قوله ﴿ضُرْبٌ مَثَلٌ﴾ ؟ قلت : ليس هاهنا مثل ؛ لأن المعنى أن الله - تعالى - قال : ضرب لي مثل ؛ أي شبه بي الأوثان ، ثم قال : فاستمعوا لهذا المثل الذي جعلوه مثلي في

(١) ذكره الطوسي في التبيان ٣٠٢/٧ ، والقرطبي ٩٦/١٢ ولم ينسبه لأحد .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤٣٨/٣ .

(٣) تفسير مقاتل ٢٨/٢ ب .

(٤) في (ظ) و(د) و(ع) : (أين) .

قولهم ، إنهم لن يقدرُوا على خلق ذباب ولو اجتمعوا له ، أي فكيف تُضرب هذه الآلهة في ضعفها وعجزها مثلاً لله وهو رب كل شيء ليس له شبه ولا مثل^(١) .

وتأويل الآية : جعل المشركون الأصنام شركائي فعبدوها معي ، فاستمعوا حالها وصفتها ، ثم بين ذلك فقال : ﴿إِنَّكَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ . الآية .

والذَّبَاب اسم واحد للذكر والأنثى ، وجمعه القليل : أذِبَّة ، والكثير : ذَبَان مثل غُرَاب وأُغْرِبَة وغِرْبَان^(٢) .

قال الزَّجَّاجي^(٣) : وسُمي هذا الطائر ذباباً لكثرة حركته واضطرابه وسرعة انتقاله إلى الموضع الذي يُذَبُّ عنه وينحى^(٤) .

(١) معاني القرآن للأخفش ٢/٦٣٧ مع تصرف . وقول الأخفش هذا محل نظر ، فإن الظاهر المتبادر أن في الآية مثلاً ، والضارب للمثل هو الله - عز وجل - ضرب مثلاً لما يعبد من دونه . انظر : البحر المحيط لأبي حيان ٦/٣٩٠ ، والألويسي ١٧/٢٠٠ . وانظر : شرح الإمام ابن القيم لهذا المثل في كتابه إعلام الموقعين ١/١٨١ فقد بين - رحمه الله - أنه حقيق على كل عبد أن يستمع قلبه لهذا المثل ، ويتدبره حق تدبره ، فإنه يقطع مواد الشرك من قلبه . ثم شرع في بيان المثل .

(٢) هذا كلام الطبري ١٧/٢٠٣ والتعلبي ٣/٥٦ ب لكن ليس عندهما : (للذكر والأنثى) . انظر : تهذيب اللغة للأزهري (ذب) ١٤/٤٥١ ، والصحاح للجوهري (ذب) ١/١٢٦ ، ولسان العرب (ذب) ١/٣٨٢ .

(٣) في (أ) : (الزَّجَّاج) ، والأظهر ما في باقي النسخ ؛ لأن هذا الكلام ليس موجوداً في كتاب معاني القرآن . والزَّجَّاجي هو عبد الرحمن بن إسحاق ، أبو القاسم الزَّجَّاجي ، أحد أئمة العربية . لزم أبا إسحاق الزَّجَّاج - وإليه ينسب - حتى برع في النحو ، وأخذ عن أبي بكر بن السراج وعلي بن سليمان الأخفش وغيرهما . صنف الجمل في النحو ، الكتاب المشهور وبه يعرف وغيره من المصنفات . توفي سنة ٣٣٩ هـ وقيل ٣٤٠ هـ . طبقات النحويين واللغويين ١٢٩ ، ونزهة الألباء ٣٠٦ ، وإنباه الرواة ٢/١٦٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٥/٤٧٥ ، وبغية الوعاة ٢/٧٧ .

(٤) لم أجده .

وأصل (ذب ب) ^(١) على هذا الترتيب موضوع ^(٢) في كلامهم لسرعته في ^(٣) الحركة والانتقال والاضطراب والمجيء والذهاب ، ومنه قولهم : ذب الرجل وذذب ، إذا أخذ في السير وأسرع . وذبابُ الهودج : ما تعلق منه فيتردد في الهواء . والذَّبْذَبُ : ذكر الرجل ، سُمي بذلك لتردده . الذب : الرجل الخفيف الحركة ^(٤) .

قوله : ﴿وَلِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ ؛ أي إن سلبهم الذباب شيئاً مما عليهم لا يقدرّون أن يستردوا وينزعوا ذلك من الذباب . ومعنى الاستنقاذ والإنقاذ : التخليص ^(٥) . وذكرنا ذلك عند قوله : ﴿فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

قال ابن عباس : كانوا يطلون أصنامهم الزعفران فيجف ، ويأتي الذباب فيختلسه ^(٦) ، فقال الله تعالى : ﴿وَلِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ يريد من العطر ﴿لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ يريد الذباب .

وقال السدي عن أصحابه : كانوا يجعلون للأصنام طعاماً فيقع عليه الذباب فيأكل ، فلا يستطيع أن يستنقذه منه ^(٧) .

(١) في (أ) : (ذب) .

(٢) في (أ) : (موضع) ، وهو ساقط من (ظ) .

(٣) (في) : ساقطة من (أ) .

(٤) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (ذب) ١٤ / ٤١٤ ، والصاحح للجوهري ١ / ١٢٦ ، ١٢٧ ، ومقاييس اللغة لابن فارس (ذب) ٢ / ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ولسان العرب (ذب) ١ / ٣٨٤ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (نقذ) ٩ / ٧٤ ، والصاحح للجوهري ٢ / ٥٧٢ ، ولسان العرب ٣ / ٥١٦ .

(٦) ذكره عنه البغوي ٥ / ٤٠٠ ، وابن الجوزي ٥ / ٤٥٢ ، والقرطبي ١٢ / ٩٧ .

(٧) رواه ابن أبي حاتم عنه كما في الدر المنثور ٦ / ٧٥ . وذكره عنه البغوي ٥ / ٤٠٠ ، وابن الجوزي ٥ / ٤٥٢ ، والقرطبي ١٢ / ٩٧ .

وقال مقاتل : أي فكيف^(١) يعبدون من لا يخلق ذباباً ، ولا يمتنع من الذباب^(٢) .

وقال أبو إسحاق : أعلم الله أن الذين عبدوا من دونه لا يقدر على خلق واحد قليل ضعيف من خلقه ولا على استنقاذ تافه حقير منه^(٣) .

قوله : ﴿ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ . قال ابن عباس : ﴿ الطَّالِبُ ﴾ : الصنم ، ﴿ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ : الذباب . هذا قوله في رواية عطاء^(٤) .

وهو قول الكلبي ، وابن زيد^(٥) ، ومقاتل^(٦) ، قالوا : ﴿ الطَّالِبُ ﴾ هو^(٧) الصنم الذي سلبه الذباب ولم يمتنع منه ، ﴿ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ هو الذباب .

وعلى هذا معنى الآية : ضعف ﴿ الطَّالِبُ ﴾ الذي هو الصنم فلم يطلب ما سلب منه ، وضعف المطلوب منه وهو الذباب السالب .

وهذا القول اختيار الفرّاء ، فقال : ﴿ الطَّالِبُ ﴾ الآلهة ، ﴿ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ الذباب ، وفيه معنى المثل^(٨) .

(١) في (أ) : (كيف) .

(٢) تفسير مقاتل ٢٨/٢ ب .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤٣٨/٣ .

(٤) ذكره ابن الجوزي ٥/٤٥٢ عن عطاء ، عن ابن عباس . ورواه الطبري ١٧/٢٠٣ هذا القول عن ابن عباس من طريق ابن جريج قال : قال ابن عباس . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/٧٥ وعزاه لابن جرير وابن المنذر .

(٥) ذكره عنه الثعلبي ٣/٥٦ ب .

(٦) تفسير مقاتل ٢٨/٢ ب .

(٧) (هو) : ساقطة من (ظ) .

(٨) معاني القرآن للفرّاء ٢/٢٣٠ .

وروى عن ابن عباس : ﴿الطَّالِبُ﴾ : الذباب ، ﴿وَالْمَطْلُوبُ﴾ : الصنم^(١) .
وذلك أن الذباب يطلب ما يسلب الصنم من طيب أو طعام والصنم المطلوب
منه السلب .

وقال الضحاك : يعني العابد والمعبود^(٢) . وهذا معنى قول السدي : الطالب :
الذي يطلب إلى هذا الصنم بالتقرب إليه ، والصنم المطلوب إليه^{(٣)(٤)} .

٧٤ . قوله : ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ . قال
ابن عباس^(٥) ، ومقاتل^(٦) ، والزجاج^(٧) : ما عظموا الله حق عظمته
حيث جعلوا هذه الأصنام شركاء له .

وقال أبو عبيدة : ما عرفوا الله حق معرفته ولا وصفوه حق صفته^(٨) .

وهذا مما قد تقدم^(٩) فيه الكلام^(١٠) .

-
- (١) ذكره عنه الثعلبي ٥٦/٣ ب .
(٢) ذكره عنه الثعلبي ٥٦/٣ أ .
(٣) (إليه) : ساقطة من (ظ) .
(٤) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٧٥/٦ . قال الإمام ابن القيم في إعلام الموقعين ١/١٨٢ بعد
ذكره للأقوال المتقدمة في معنى الطالب والمطلوب : والصحيح أن اللفظ يتناول الجميع فضعف العابد
والمعبود والمستلب والمستلب .
(٥) ذكره ابن الجوزي ٥٤٣/٥ ، والقرطبي ٩٨/١٢ من غير نسبة لأحد .
(٦) تفسير مقاتل ٢٨/٢ ب .
(٧) معاني القرآن للزجاج ٤٣٨/٣ .
(٨) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٥٤/٢ . وفيه : مبلغ صفته .
(٩) في (ظ) و(د) و(ع) : (مما تقدم الكلام) ، من دون (قد) .
(١٠) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾
[الأنعام : ٩١] .

ثم أعلم الله - بعد ذكره ضعف المعبودين - قوته فقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ؛ قال ابن عباس : على خلقه ، ﴿عَزِيزٌ﴾ في ملكه .

وقال مقاتل : إن الله لقوي في أمره منيع في ملكه ، والصنم لا قوة له ولا منعة^(١) .

وقال الكلبي : نزلت هذه الآية في جماعة من يهود المدينة قالوا : فرغ الله من خلق السموات والأرض فأعيا فاستلقى فاستراح ، ووضع إحدى رجله على الأخرى ، وكذب أعداء الله فنزل قوله : ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾^(٢) .

٧٥ . قوله تعالى : ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : يريد إسرافيل وجبريل وميكائيل وملك الموت . ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ يريد النبيين^(٣) .

قال مقاتل^(٤) وغيره^(٥) : إن الوليد بن المغيرة قال : ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾^(٦) [ص : ٨] فأنزل الله هذه الآية فأخبر بأن الاختيار إليه يختار من يشاء من

(١) تفسير مقاتل ٢٨/٢ ب .

(٢) ذكره الرازي ٦٩/٢٣ عن الكلبي . وذكره الماوردي ٤٠/٤ وعزاه لابن عباس . وهذا القول في سبب نزول هذه الآية لا يصح قال الألوسي ٢٠٣/١٧ : الظاهر أن قوله : ﴿وَمَا قَدَرُوا﴾ . . . إلخ إخبار عن المشركين وذم لهم . وقال ابن القيم في إعلام الموقعين ١/١٨٢ : فمن جعل هذا - يعني الذي قال الله فيه ضعف الطالب والمطلوب - إلها مع القوي العزيز فما قدره حق قدره .

(٣) انظر : الطبري ١٧/٢٠٤ ، والثعلبي ٣/٥٧ أ .

(٤) تفسير مقاتل ٢٨/٢ ب .

(٥) ذكره الطبري ١٧/٢٠٤ وصدره بقوله : قيل . والثعلبي ٣/٥٧ أ ، وصدره بقوله : ويقال . ولا يعتمد على هذا في سبب نزول هذه الآية .

(٦) في (أ) : (أنزل) .

خلقه فيجعلهم رسله وأنبياءه ، ذلك كله بيد الله ، ﴿إِنَّكَ اللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لمقاتلهم ﴿بَصِيرٌ﴾ بمن يتخذة رسولا^(١) .

٧٦. قوله : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ . قال ابن عباس : يريد ما قدموا ، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يريد ما خلفوا^(٢) .

وقال الحسن : ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ؛ ما عملوه ، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ وما^(٣) هم عاملون مما لم يعلموا بعد^(٤) .

وقال مقاتل : يعلم ما كان قبل خلق الملائكة ويعلم ما يكون بعد خلقهم^(٥) .

٧٧. قوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ . قال المفسرون : أي صلوا ، لأن الصلاة لا تكون إلا بالركوع والسجود^(٦) .

﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ . قال مقاتل : يقول : وحدوا ربكم^(٧) .

يعني : أن من أشرك بعبادته غيره لم^(٨) يوحده ، وعبادته إنما تصح مع التوحيد فجاز أن يسمى التوحيد عبادة ؛ لأنه أصل العبادة وأعظمها .

(١) الطبري ١٧/ ٢٠٤ ، والثعلبي ٣/ ٥٧ أ .

(٢) ذكره عنه البغوي ٥/ ٤٠١ .

(٣) في (ظ) : (مما) ، وفي (ع) : (ما) .

(٤) ذكره عنه البغوي ٥/ ٤٠١ .

(٥) تفسير مقاتل ٢/ ٢٨ ب .

(٦) الطبري ١٧/ ٢٠٤ . وانظر : البغوي ٥/ ٤٠١ .

(٧) تفسير مقاتل ٢/ ٢٩ أ .

(٨) في (ظ) : (ولم) .

وقال أبو إسحاق : أي اقصدوا بركوكم وسجودكم الله - عز وجل - وحده^(١).

﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ . قال مقاتل : الخير الذي أمرتم به^(٢) . كأنه بمعنى^(٣) الصلاة .

وقال ابن عباس : يريد صلة الرحم ومكارم الأخلاق^(٤) .

وقال الزَّجَّاج : الخير كل ما أمر الله به . ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ قال : لترجوا أن تكونوا على فلاح^(٥) .

وقال ابن عباس : يريد : كي تسعدوا وتبقوا في الجنة^(٦) .

وذكرنا قديماً هذين المذهبين في ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ أينما كان في القرآن^(٧) .

٧٨ . قوله : ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : بنية صادقة^(٨) . وعلى هذه حق الجهاد أن يكون بنية صادقة خالصة لله تعالى .

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤٣٩ / ٣ .

(٢) تفسير مقاتل ٢٩ / ٢ أ .

(٣) في (ظ) و(د) و(ع) : (يعني) .

(٤) ذكره عنه البغوي ٤٠١ / ٥ ، والزمخشري ٢٣ / ٣ ، وأبو حيان ٣٩١ / ٦ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤٣٩ / ٣ .

(٦) ذكره عنه البغوي ٤٠١ / ٥ ، وذكره ابن الجوزي ٤٥٤ / ٥ من غير نسبة لأحد .

(٧) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة : ٢١] .

(٨) ذكر هذا القول البغوي ٤٠٢ / ٥ ، وعزاه لأكثر المفسرين .

وقال مقاتل بن حيان: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾؛ يعني العمل أن تجتهدوا^(١) فيه^(٢).

وقال السدي: هو أن يطاع فلا يعصى^(٣).

وقال مقاتل بن سليمان: يقول اعملوا لله بالخير حق عمله، نسختها الآية التي في التغابن ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]^(٤).

ونحو هذا قال الضحاك^(٥) سواء. واختاره الزجاج^(٦).

(١) في (ظ): (يجهدوا).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور ٧٨/٦.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور ٧٨/٦.

(٤) تفسير مقاتل ٢٩/٢ أ.

(٥) ذكره عنه الثعلبي ٥٧/٣ أ، وذكر الطبري ٢٠٥/١٧ هذا القول ثم قال: وهذا قول ذكره عن

الضحاك عن بعض من في روايته نظر.

(٦) انظر: معاني القرآن للزجاج ٤٣٩/٣.

والقول بنسخ هذه الآية لا دليل عليه، ولا تعارض بين هذه الآية وآية التغابن، ولهذا قال أبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ ٥٧٧: وهذا لا نسخ فيه.

وقال مكي بن أبي طالب في إيضاح ناسخ القرآن ومنسوخه ٣١٠: والقول في هذا أنه محكم، ومعناه: جاهدوا في الله بقدر الطاقة، إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

وقال ابن عطية ٣٢٦/١٠: ومعنى الاستطاعة في هذه الأوامر هو المراد من أول الأمر، فلم يستقر تكليف بلوغ الغاية شرعاً ثابتاً فيقال: إنه نسخ بالتخفيف، وإطلاقهم النسخ في هذا غير محقق.

وقال ابن القيم في زاد المعاد ٨/٣: ولم يصب من قال: إن الآيتين يعني هذه الآية وقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢] - منسوختان لظنه أنها تضمنتا الأمر بها لا يطاق، وحق تقاته وحق

جهاده. هو ما يطيقه كل عبد في نفسه، وذلك يختلف باختلاف أحوال المكلفين في القدرة والعجز والعلم والجهل. فحق التقوى وحق الجهاد بالنسبة إلى القادر المتمكن العالم شيء، وبالنسبة إلى العاجز الجاهل الضعيف شيء، وتأمل كيف عقب الأمر بذلك بقوله: ﴿هُوَ أَجْتَبَنَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ والخرج الضيق، بل جعله واسعاً يسع كل أحد.

وروي عن ابن عباس : جاهدوا في سبيل الله أعداء الله باستفراغ الطاقة فيه^(١) . وروي عنه^(٢) أيضاً : ﴿حَقَّ جِهَادُهُ﴾ ؛ أي لا تخافوا^(٣) في الله لومة لائم^(٤) .

وقال عبدالله بن المبارك : حق الجهاد مجاهدة النفس والهوى^(٥) .

قوله : ﴿هُوَ أَحَبُّكُمْ﴾ ؛ أي اختاركم واصطفاكم واستخلصكم لدينه .
﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ . قالوا جميعاً : من ضيق^(٦) .

واختلفوا في وجه رفع الحرج . فروي عن ابن عباس أنه قال : جعل الله^(٧) الكفارات مخرجاً^(٨) .

يعني أن^(٩) من أذنب ذنباً جعل له منه مخرجاً^(١٠) ، إما بالتوبة ، أو بالقصاص ، أو ببرد المظلمة ، أو بنوع كفارة فلم يُبتل المؤمن بشيء من الذنوب إلا جعل له منه مخرج . وهذا رواية الزهري عنه^(١١) .

(١) ذكره عنه الثعلبي ٥٧ / ٣ أ .

(٢) في (ظ) : (عن ابن عباس) .

(٣) في (أ) و(ظ) و(د) : (تخاف) . والمثبت من (ع) هو الموافق لما عند الطبري والثعلبي .

(٤) ذكره عنه الثعلبي ٥٧ / ٣ أ . ورواه الطبري ١٧ / ٢٠٥ .

(٥) ذكره عنه الثعلبي ٥٧ / ٣ أ .

(٦) انظر : الطبري ١٧ / ٢٠٦ ، والدر المنثور ٦ / ٧٩ ، ٨٠ .

(٧) لفظ الجلالة زيادة من (أ) .

(٨) سيأتي تخريجه .

(٩) (أن) : ساقطة من (ظ) و(ع) .

(١٠) في (د) و(ع) : (مخرج) .

(١١) روى الطبري في تفسيره ١٧ / ٢٠٥ ، ٢٠٦ عن الزهري قال : سأل عبد الملك بن مروان علي بن عبدالله بن عباس عن هذه الآية : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ فقال علي بن عبدالله : الحرج : الضيق ، فجعل الله الكفارات مخرجاً من ذلك . سمعت ابن عباس يقول ذلك .

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٧٩ وعزاه لمحمد بن يحيى الذهلي في الزهريات وابن عساكر . وروى ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٦ / ٧٨ ، ٧٩ من طريق ابن شهاب ، أن ابن عباس كان يقول في قوله : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ : توسعة الإسلام ، وما جعل الله من التوبة ومن الكفارات .

وروي عنه قول آخر ، قال : هذا في هلال شهر رمضان إذا شك فيه الناس ، وفي الحج إذا شكوا في الهلال ، وفي الفطر^(١) وأشباهه حتى يتيقنوا^(٢) .

وعلى هذا رفع الحرج يعود إلى أنا أمرنا بالأخذ باليقين عند الاشتباه .

وروي عن أبي هريرة أنه قال لابن عباس : أما علينا في الدين من حرج أن نسرق أو نزني ؟ قال : بلى . قال^(٣) : قوله : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ ؟ قال : ذلك الإصر^(٤) الذي كان على بني إسرائيل ، وضعه الله عنكم^(٥) .

وقال مقاتل بن حيان : يعني إباحة الرخص عند الضرورات ، كالقصر في الصلاة ، والتيمم ، وأكل الميتة ، والإفطار عند المرض والسفر^(٦) .

(١) في (أ) : (الفطرة) .

(٢) رواه سعيد بن منصور في تفسيره : ل ١٥٦ ب ، والطبري ١٧ / ٢٠٧ وابن أبي حاتم وابن المنذر كما في الدر المنثور ٦ / ٧٩ من طريق عثمان بن يسار ، وتصحف في المطبوع من الطبري والدر المنثور إلى : بشار ، والصواب يسار كما في التاريخ الكبير للبخاري ٦ / ١٧٣ ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٦ / ٢٥٧ عن ابن عباس .

وليس قوله : (حتى يتيقنوا) في رواية أحد منهم ، وإنما أدخلها الواحدي من كلام الثعلبي ٣ / ٥٧ ب ، حيث ذكر الثعلبي هذا القول ولم ينسبه لأحد .

(٣) (قال) : ساقطة من (ظ) .

(٤) في (ظ) و(د) و(ع) : (الأمر) .

(٥) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٦ / ٧٨ عن محمد قال : قال أبو هريرة لابن عباس ، فذكره .

(٦) ذكره السيوطي عنه في الدر المنثور ٦ / ٨٠ بأطول من هذا ، وعزاه لابن أبي حاتم .

وهو قول الكلبي^(١)، واختيار الزجاج^(٢).

قوله تعالى: ﴿مَلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾. قال أكثر النحويين^(٣): (ملة) منصوب على الأمر، معناه: اتبعوا ملة أبيكم.

وقال المبرّد: أي عليكم ملة أبيكم^(٤).

وتأويل عليكم: اتبعوا واحفظوا. وهذا قول الأخفش^(٥)، والفرّاء^(٦)، والزجاج^(٧).

(١) ذكره عنه البغوي ٤٠٣/٥.

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج ٤٤٠/٣. وما ذكر هنا من الأقوال داخل في معنى الآية، وكل ذكر مثلاً على رفع الحرج. قال ابن العربي في أحكام القرآن ٣/١٣٠٥ بعد أن ذكر وجوهاً من رفع الحرج: ولو ذهبت إلى تعديد نعم الله في رفع الحرج لطال المرام. وقال ابن القيم في زاد المعاد ٣/٨، ٩: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ والحرج: الضيق، بل جعله واسعاً يسع كل أحد...، وما جعل على عبده في الدين من حرج بوجه ما... وقد وسع الله سبحانه وتعالى على عباده غاية التوسعة في دينه ورزقه وعفوه ومغفرته. ثم ذكر -رحمه الله- أمثلة لذلك.

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس ٣/١٠٦، والإملاء للعكبري ٢/١٤٧، والبحر المحيط ٦/٣٩١، والدر المصون ٨/٣٠٩.

(٤) لم أجده.

(٥) انظر: معاني القرآن للأخفش ٢/٦٣٨.

(٦) انظر: معاني القرآن للفرّاء ٢/٢٣١ وفيه: وقد تنصب (ملة إبراهيم) على الأمر بها.

(٧) انظر: معاني القرآن للزجاج ٣/٤٤٠.

قال الفراء : ويجوز أن يكون المعنى كلمة أبيكم فإذا أُلقيت^(١) الكاف نصبت^(٢) .

وقال أبو إسحاق : وجائز أن يكون منصوباً بقوله^(٣) : ﴿وَأَعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ فعل أبيكم إبراهيم^(٤) .

وعلى هذا أقيم قوله : ﴿مِلَّةَ﴾ مقام المصدر ، وذلك أن فعل إبراهيم هو ملته وشرعه^(٥) .

(١) في (أ) : (الغيت) .

(٢) عبارة الفراء في معانيه ٢/ ٢٣١ هي : وقوله : ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ﴾ نصبتها على : وسع عليكم كلمة إبراهيم ، لأن قوله : ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الَّذِينَ مِنْ حَرَجٍ﴾ يقول : وسعة وسمحة كلمة إبراهيم ، فإذا أُلقيت الكاف نصبت . وقد تنصب ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ على الأمر بها ؛ لأن أول الكلام أمر كأنه قال : اركعوا والزموا ملة إبراهيم . انتهى كلامه .

فليس في عبارة الفراء : (ويجوز) ، بل إنه ذكر هذا القول ثم ذكر قولاً آخر وصدده بقوله : وقد - وهو القول الذي ذكر الواحدي أنه قول الفراء - فعكس الواحدي الأمر . والله أعلم . وهذا الوجه الذي ذكره الفراء استبعده مكى في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٩٥ ، والأنباري في البيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ١٧٩ .

(٣) في (أ) و(ظ) : (اعبدوا) ، وهو هكذا في معاني الزجاج .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣٠/ ٤٤٠ . ونحو هذا قال الزمخشري ٣/ ٢٤ : كأنه قال : وسع عليكم دينكم توسعة ملة أبيكم . ثم حذف المضاف - يعني توسعة - وأقيم المضاف إليه - يعني ملة - مقامه . وعلى هذا القول انتصاب (ملة) على أنها مفعول مطلق لفعل محذوف . واستظهر هذا الوجه السمين الحلبي ٨/ ٣١٠ .

وقيل : (ملة) منصوبة على الاختصاص ، أي أعني بالدين ملة أبيكم . وقيل : منصوبة بـ (جعلها) مقدراً .

انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٠٦ ، والإملاء للعكبري ٢/ ١٤٧ ، والبحر المحيط ٦/ ٣٩٠ ، والدر المصون ٨/ ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٥) في (ظ) : (شرعه) .

وقوله : ﴿أَيُّكُمْ﴾ ؛ إن حمل الكلام على تخصيص العرب ^(١) بالخطاب في هذه الآية ، فإبراهيم أبو العرب قاطبة ، وإن حمل ^(٢) على التعميم فهو أبو المسلمين كلهم ؛ لأن حرمة على المسلمين كحرمة الوالد كما قال ﷺ : «إنما أنا لكم مثل الوالد» ^(٣) . وكقوله تعالى : ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] . وهذا معنى قول الحسن ^(٤) .

قال المفسرون : وإنما أمرنا باتباع ملة إبراهيم ، لأنها داخلة في ملة محمد عليهما ^(٥) السلام ^(٦) .

وقوله : ﴿هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ قال جماعة المفسرين وأهل المعاني : هو كناية عن الله تعالى ^(٧) . أي ^(٨) الله - تعالى - سماكم المسلمين قبل إنزال القرآن في الكتب التي أنزلت قبله .

(١) (العرب) : ساقطة من (أ) . فأصبحت العبارة في (أ) : (على تخصيص الخطاب) .

(٢) في (أ) : (عمل) ، وهو خطأ .

(٣) هذا قطعة من حديث رواه الدارمي في مسنده ١٧٢ / ١ ، والإمام أحمد في مسنده ١٣ / ١٠٠ ، والنسائي في سننه في كتاب الطهارة ، باب النهي عن الاستطابة بالروث ٣٨ / ١ ، وابن ماجه في سننه في كتاب الطهارة ، باب الاستنجاء بالحجارة والنهي عن الروث والرمة ٣ / ١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . قال العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند ١٣ / ١٠٠ : إسناده صحيح .

(٤) ذكره عنه الثعلبي ٥٧ / ٣ ب .

(٥) (عليهما السلام) : في حاشية (أ) وعليها علامة التصحيح . وفي (ظ) : (عليهم السلام) ، وفي (د) و(ع) : (صلى الله عليهما وسلم) ، وأثبتنا ما في (أ) لأنه الموافق لما عند الثعلبي . فالنص منقول منه .

(٦) الكشف والبيان للثعلبي ٥٧ / ٣ ب .

(٧) انظر : الطبري ١٧ / ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، والثعلبي ٥٧ / ٣ ب ، وابن كثير ٣ / ٢٣٦ ، والدر المنثور ٦ / ٨٠ ،

٨١ ، ومعاني القرآن للقرآء ٢ / ٢٣١ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣ / ٤٤٠ .

(٨) في (ظ) : (أن) .

وقال مقاتل بن حيان : ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ يعني [في أم الكتاب^(١)]. ﴿ وَفِي هَذَا ﴾ ؛ قالوا^(٢) : يعني القرآن .

وقال ابن زيد : هو كناية عن إبراهيم^(٣) .

يعني^(٤) أن إبراهيم سماكم المسلمين من قبل هذا الوقت ، وفي هذا الوقت وهو قوله : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴾ [البقرة: ١٢٧]^(٥) .

وذكر أبو إسحاق القولين ، وقال في القول الثاني : أي حكم إبراهيم أن كل من آمن بمحمد موحداً لله فقد سماه إبراهيم مسلماً^(٦) .

(١) ذكره ابن الجوزي ٥/ ٤٥٧ ولم ينسبه لأحد .

(٢) قالوا : يعني جماعة المفسرين وأهل المعاني . انظر : فقرة : (٣) .

(٣) ذكره الثعلبي ٣/ ٥٧ ب ، ورواه الطبري ١٧/ ٢٠٨ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٨١ وعزاه لابن أبي حاتم .

قال الطبري ١٧/ ٢٠٨ : ولا وجه لما قال ابن زيد من ذلك ؛ لأنه معلوم أن إبراهيم لم يُسم أمة محمد مسلمين في القرآن ؛ لأن القرآن أنزل من بعده بدهر طويل ، وقد قال الله تعالى ذكره : ﴿ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا ﴾ ولكن الذي سمانا مسلمين من قبل نزول القرآن وفي القرآن الله الذي لم يزل ولا يزال . اهـ .

وقال الشنقيطي ٥/ ٧٥٠ : وفي هذه الآيات قريبتان تدلان على أن قول عبدالرحمن بن زيد بن أسلم غير صواب ، ثم ذكر الشنقيطي الأولى وهو مثل ما قال الطبري ، وأشار إلى أن ابن جرير نبه عليها . ثم قال : القرينة الثانية : أن الأفعال كلها في السياق المذكور راجعة إلى الله لا إلى إبراهيم ، فقوله : ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴾ أي الله ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي الله . اهـ .

فظهر بذلك أن القول الأول هو الصحيح ، وصوبه ابن كثير ٣/ ٢٣٦ وغيره .

(٤) ما بين المعقوفين في حاشية (ط) ، وعليه علامة التصحيح .

(٥) الثعلبي ٣/ ٥٧ ب مع تصرف .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٤٠ .

قوله : ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ﴾ ؛ أي اجبتاكم وسماكم المسلمين ليكون محمد^(١) عليه السلام ﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة بالتبليغ ، ﴿وَتَكُونُوا﴾ أنتم ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ أن الرسول قد بلغهم .

وهذا قول ابن عباس ، وقتادة^(٢) ، وجميع المفسرين^(٣) .

وقد سبق الكلام في هذا عند قوله : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ الآية ، [البقرة : ١٤٣] .

وقوله : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللهِ﴾ . قال ابن عباس : سلوا ربكم أن يعصمكم من كل ما يسخط ويكره^(٤) . وقال الحسن : تمسكوا بدين الله^(٥) .

وقال مقاتل : وثقوا بالله^(٦) . ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ . قال ابن عباس : ناصركم^(٧) . والمعنى : هو الذي يتولى أموركم . وذكرنا معنى المولى في ما تقدم^(٨) .

ثم مدح نفسه فقال : ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ . قال مقاتل : يقول : نعم المولى هو لكم ، ونعم النصير هو لكم^{(٩)(١٠)} .

(١) في (ظ) و(ع) : (محمدًا) ، وهو خطأ .

(٢) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٤٢/٢ ، والطبري ٢٠٨/١٧ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٨١/٦ وعزه لعبدالرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) انظر : الطبري ٢٠٨/١٧ ، والثعلبي ٥٧/٣ ب ، والدر المنثور ٨١/٦ .

(٤) ذكره عنه البغوي ٤٠٤/٥ ، وابن الجوزي ٤٥٧/٥ .

(٥) ذكره عنه الثعلبي ٥٧/٣ ب .

(٦) تفسير مقاتل ٢٩/٢ أ .

(٧) انظر : البغوي ٤٠٤/٥ ، وابن كثير ٢٣٧/٣ .

(٨) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿بَلِ اللهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران : ١٥٠] .

(٩) تفسير مقاتل ٢٩/٢ أ .

(١٠) هنا ينتهي الموجود من نسخة (د) . وكتب في ختامها : انتهت . العاشر ، ويتلوه في الحادية عشر سورة المؤمنون عليهم السلام ، وهو قوله عز وجل : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ قال الليث : (قد) حرف ، وفي آخر الأصل : (والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم) .

تفسير

سورة المؤمنون^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. قوله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ . قال الليث : (قد) حرف يُوجِبُ به الشيء^(٢) ، كقولك : قد كان كذلك^(٣) . والخبر^(٤) أن تقول : كان كذا ، فأدخل (قد) تأكيداً لتصديق ذلك^(٥) .

-
- (١) في (ظ) : (السورة التي يذكر فيها المؤمنون) .
 (٢) في (أ) زيادة : (الحال) ، بعد قوله : (الشيء) ، وليس في باقي النسخ ولا في تهذيب اللغة ، ولا لسان العرب . فلعله انتقل نظر من الناسخ إلى السطر الذي بعده .
 (٣) في تهذيب اللغة : (قد كان كذا أو كذا) .
 (٤) هكذا في (د) ولسان العرب ، وفي (أ) وتهذيب اللغة : (والخير) . وفي (ظ) : (والخير) .
 (٥) تهذيب اللغة للأزهري (قد) ٢٦٧ / ٨ عن الليث . والنص في لسان العرب (قد) ٣ / ٣٤٦ ، منسوباً إلى التهذيب .
 والنص في العين (قد) ١٦ / ٥ : (وأما (قد) فحرف يوجب الشيء ، كقولك : قد كان كذا وكذا ، والخبر أن تقول : كان كذا وكذا ، فأدخل (قد) تأكيداً لتصديق ذلك .

وقال النحويون^(١): قد تقرب الماضي من الحال حتى تلحقه بحكمه ، ألا تراههم يقولون : قد قامت الصلاة . قبل حال قيامها . وعلى هذا قول الشاعر :

أُمَّ صَبِي قَدْ حَبَا أَوْ دَارِجٌ^(٢)

كأنه قال : حَاب أَوْ دَارِج .

قال الفرّاء : الحال^(٣) في الفعل الماضي لا يكون إلا بإضمار (قد) أو بإظهارها ، كقوله تعالى : ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء : ٩٠] لا يكون حصرت حالاً إلا بإضمار قد^(٤) .

(١) انظر : شرح المفصل لابن يعيش ١٤٧/٨ ، وارتشاف الضرب لأبي حيان ٢٥٦/٣ ، ومغني اللبيب لابن هشام ١٩٥/١ ، والجنى الداني في حروف المعاني للمراذبي ٢٥٥ .

(٢) هذا الشطر من الرجز نسبته البغدادي في خزنة الأدب ٢٣٨/٤ لراجز اسمه جندب من عمرو يعرض فيه بامرأة الشماخ بن ضرار الشاعر المشهور ، وكانت أم صبي ، واسمها سُليمي ، فقال :
طَيْفُ خَيْالٍ مِنْ سُلَيْمِي هَائِجِي

إلى أن قال :

يَالَيْتَنِي كَلَّمْتُ غَيْرَ حَارِجٍ
قَبْلَ الرَّوَّاحِ ذَاتَ لَوْنٍ بَاهِجٍ
أُمَّ صَبِي

وقيل إن الرّجَز للشّماخ نفسه ، وهو في ديوانه ٣٦٣ .

وهذا الشطر بلا نسبة في شرح القصائد السبع لابن الأنباري ٣٧ ، وسر صناعة الإعراب لابن جني ٦٤١/٢ ، وتهذيب اللغة للأزهري (درج) ٦٤٣/١٠ ، وأملّي ابن الشجري ١٦٧/٢ ، وأوضح المسالك لابن هشام ٦١/٣ .

وحَاب : يقال حبا الصبي حبواً : مشى على أسته وأشرف بصدده . وقال الجوهري : وحبا الصبي على أسته حبواً : إذا زحف . الصحاح للجوهري (حبا) ٢٣٠٧/٦ ، ولسان العرب (حبا) ١٦١/١٤ .
ودارج : قال الأزهري في تهذيب اللغة (درج) ٦٤٣/١٠ : يقال للصبي إذا دب وأخذ في الحركة : درج يدرج درجاً ، فهو دارج .

(٣) (الحال) : ساقطة من (ظ) .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٢٤/١ . وقوله : (لا يكون حصرت حالاً) . ذكرها الواحدي بالمعنى وهي في =

و(قد) هاهنا يجوز أن تكون تأكيداً لفلاح المؤمنين ، ويجوز أن تكون تقريباً للماضي من الحال ، ويكون المعنى : أن الفلاح قد حصل لهم ، وأنهم عليه في الحال .

قال ابن عباس في هذه الآية : يريد قد سعد المصدقون وبقوا في الجنة^(١) .

وقال أبو إسحاق : أي قد نالوا البقاء الدائم^(٢) .

وروى^(٣) حميد ، عن أنس ، أن رسول الله ﷺ قال : «خلق الله جنة عدن ، وغرس أشجارها بيده ، وقال لها^(٤) : تكلمي . فقالت : قد أفلح المؤمنون»^(٥) .

المعاني : يريد والله أعلم جاؤكم قد حصرت صدورهم . وقد وافق الفراء جمهور البصريين في هذه المسألة .

وذهب الكوفيين إلى أن الفعل الماضي يجوز أن يقع حالاً من غير تقدير . وإليه ذهب أبو الحسن الأخفش من البصريين .

وصحح أبو حيان قول الكوفيين معللاً ذلك بكثرة وروده في لسان العرب كثرة توجب القياس وتمنع التأويل ، لأن تأويل الكثير ضعيف جداً .

انظر : الإنصاف للأنباري ١/ ٢٥٣-٢٥٨ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٢/ ٦٦ ، ٦٧ ، والتبيين عن مذاهب النحويين للعكبري ٣٨٦-٣٩٠ ، والبحر المحيط لأبي حيان ٣/ ٣١٧ ، ٤٩٣/٧ ، وارتشاف الضرب ٢/ ٣٧٠ .

(١) ذكره عنه البغوي ٥/ ٤٠٨ ، وروى الطسستي في مسائله كما في الدر المنثور ٦/ ٨٣ عن ابن عباس ، أن نافع بن الأزرق سأله عن قوله : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فقال : فازوا وسعدوا .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٥ .

(٣) من هنا يبدأ خرم في نسخة (ظ) ، ومقداره صفحتان .

(٤) (ها) : ساقطة من (أ) .

(٥) أخرجه الحاكم في مستدركه ٢/ ٣٩٢ ، وابن عدي في الكامل ٥/ ١٨٣٧ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ٤٠٣ ، والخطيب في تاريخ بغداد ١٠/ ١١٨ كلهم من طريق علي بن عاصم ، عن حميد ، عن أنس ، به .

قال الحاكم بعد إخراجه لهذا الحديث : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه . فتعقبه الذهبي بقوله : قلت : بل ضعيف .

[وهذا كما يروى عن كعب أنه قال : إن الله غرس جنة عدن بيده ، ثم قال للجنة : تكلمي . فقالت : قد أفلح المؤمنون] ^(١) . لما علمت فيها ^(٢) من كرامة الله لأهلها ^(٣) .

٢ . وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ . قال الزهري ^(٤) : هو سكون المرء في صلاته ^(٥) .

وذكرنا أن معنى ^(٦) الخشوع في اللغة : السكون ^(٧) . وعلى هذا المعنى يدور كلام المفسرين في تفسير الخاشعين في الصلاة .

فقال السدي : متواضعون ^(٨) . وقال مجاهد وإبراهيم : ساكنون ^(٩) .

-
- (١) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .
 (٢) (فيها) : ساقطة من (أ) .
 (٣) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٤٣ / ٢ ، والطبري ١ / ١٨ .
 (٤) في (ع) : (الأزهري) ، وهو خطأ .
 (٥) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٤٣ / ٢ ، والطبري ٢ / ١٨ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٨٥ / ٦ وعزاه لعبدالرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم .
 (٦) (معنى) : ساقطة من (ع) .
 (٧) انظر : تهذيب اللغة (خشع) ١٥٢ / ١ ، ولسان العرب ٧١ / ٨ ، والقاموس المحيط : ١٨ / ٣ .
 (٨) لم أجده عنه ، وهذا تفسير مقاتل . انظر : تفسيره ٢٩ ، والثعلبي ٥٨ / ٣ .
 (٩) رواه ابن المبارك في الزهد ٥٥ ، والطبري ٢ / ١٨ ، عن مجاهد بلفظ : السكون فيها ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٨٥ / ٦ بلفظ : الخشوع في الصلاة : السكوت فيها . وعزاه لابن المبارك وعبدالرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر .
 ورواه عن إبراهيم الطبري في تفسيره ٢ / ١٨ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٨٤ / ٦ بلفظ : ساكنون ، وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير .
 قال النحاس في معاني القرآن ٤ / ٤٤٢ : وقول مجاهد وإبراهيم في هذا حسن ، وإذا سكن الإنسان تذلّل ولم يطمح ببصره ولم يحرك يديه .

وقال عمرو بن دينار : هو السكون وحسن الهيئة^(١) .

وقال الحسن وقتادة : خائفون^(٢) .

وهذا معنى ؛ لأن^(٣) من سكن في صلاته إنما هو لخوفه من الله .

فالخوف معنى للخشوع وليس بتفسير له . وكذلك قول من فسر به بغض البصر وخفض الجناح^(٤) . كل ذلك يؤول إلى السكون ، يدل عليه ما روي عن ابن عباس - في هذه الآية - قال : خشع^(٥) من خوف الله ، فلا يعرف مَنْ على يمينه ولا مَنْ على يساره^(٦) .

وروي عن ابن سيرين قال : كان النبي ﷺ إذا صلى نظر في السماء ، حتى نزلت هذه الآية ، وكان بعد ذلك يضع^(٧) بصره حيث يسجد^(٨) .

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٥٨ / ٣ أ .

(٢) ذكره عنها الثعلبي والكشف والبيان ٥٨ / ٣ أ .

ورواه عبدالرزاق ٤٣ / ٢ ، والطبري ٣ / ١٤ عن الحسن . وذكر السيوطي في الدر المنثور ٨٤ / ٦ أن عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر أخرجوا عن قتادة قال : الخشوع في القلب هو الخوف . ولم أر زيادة (هو الخوف) عند الطبري ٣ / ١٨ .

(٣) في (ع) : (لا من) . وبينهما بياض .

(٤) هذا تفسير الحسن البصري كما عزاه إليه الطبري ٢ / ١٨ ، وتفسير مجاهد كما عزاه إليه الثعلبي ٥٨ / ٣ أ .

(٥) في (أ) : (يخشع) .

(٦) ذكره البغوي ٤٠٨ / ٥ بنحوه ، وعزاه لسعيد بن جبير .

(٧) في (ز) : (يغض) ، وهو خطأ .

(٨) رواه أبو داود في كتابه المراسيل ٤١ ، وعبدالرزاق في المصنف ٢ / ٢٥٤ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٢ / ٢٨٣ عن ابن سيرين بنحوه .

قال الألباني في إرواء الغليل ٧١ / ٢ : ضعيف .

٣. قوله : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء وهو قول الضحاك : عن الشرك بالله^(١) .

وقال الحسن : عن المعاصي^(٢) .

وروي عن ابن عباس : عن الحلف الكاذب^(٣) .

وقال مقاتل : الشتم والأذى إذا سمعوا من كفار مكة^(٤) .

وقال الزَّجَّاج^(٥) وغيره^(٦) : هو كل باطل وهو وهزل ، ومعصية وما لا يحمد^(٧) في القول والفعل .

وهؤلاء الذين ذكرهم الله - تعالى - بالإعراض عن اللغو شغلهم الجدُّ في ما أمرهم الله به عن اللغو . وهذا معنى قول قتادة : أتاهم والله من أمر الله ما شغلهم عن الباطل^(٨) .

(١) ذكره البغوي ٤٠٩/٥ من رواية عطاء عن ابن عباس . وذكره ابن الجوزي ٤٦٠/٥ من رواية أبي صالح عن ابن عباس . وذكره عن الضحاك النحاس في إعراب القرآن ١٠٩/٣ ، والقرطبي ١٥/١٢ .

(٢) ذكره الثعلبي ٥٨/٣ ب ، ورواه عبدالرزاق في تفسيره ٤٣/٢ ، والطبري ٣/١٨ ، وذكره السيوطي في الدر ٨٧/٦ وعزاه لعبدالرزاق وابن جرير وابن المنذر . قال النحاس في إعراب القرآن ١٠٩/٣ ومن أحسن ما قيل فيه قول الحسن ، فهذا قول جامع . وبمثل قول النحاس قال القرطبي ١٥/١٢ .

(٣) ذكره عنه الثعلبي ٥٨/٣ ب .

(٤) تفسير مقاتل ٢٩/٢ أ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٦/٤ .

(٦) عند الثعلبي (ج٣ ل ٥٨ ب) : غيرهم : ما لا يحمل في القول والفعل .

(٧) في (ع) : (يحمل) مهمله . وعند الثعلبي : (يحمل) .

(٨) رواه ابن المبارك في الزهد ٥٥ ، وأبو نعيم في الحلية ٣٣٩/٢ وفيهما : ما وقذهم عن الباطل . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٨٧/٦ وعزاه لابن المبارك .

وذكرنا الكلام في اللغو عند^(١) قوله : ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥] .

٤. قوله : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ . قال ابن عباس : يزكون أموالهم ابتغاء مرضاة الله . وقال الكلبي : للصدقة الواجبة مؤدون^(٢) .

وقال أبو إسحاق : معنى ﴿فَاعِلُونَ﴾ : مؤتون^(٣) . يعني أن الإيتاء فعلٌ ، فعبر الله عنه^(٤) بلفظ الفعل كما قال أمية :

المُطْعَمُونَ الطَّعَامَ فِي السَّنَةِ الْأَزْمَةُ وَالْفَاعِلُونَ لِلزَّكَاةِ^(٥)

وحكى الأزهري عن بعضهم : والذين هم للعمل الصالح فاعلون . قال : وكذلك قوله : ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةٌ﴾^(٦) [الكهف: ٨١] ؛ أي خير منه عملاً صالحاً^(٧) .

٥. قوله : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْجَاهِهِمْ حَفِظُونَ﴾ . قال الليث : الفرج اسم يجمع سوءات الرجال والنساء . فالقيلان^(٨) وما حو اليهما كله فرج ، وكذلك من الدواب^(٩) .

(١) في (ع) : (في) .

(٢) ذكره البغوي ٤٠٩/٥ من غير نسبة لأحد .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٦/٤ .

(٤) في (ع) : (فعبر عنه) .

(٥) البيت في ديوانه ١٦٥ ، والكشاف للزمخشري ٢٦/٣ ، والجامع للقرطبي ١٠٥/١٢ ، والبحر المحيط لأبي حيان ٣٩٦/٦ .

والسنة الأزمة : الشديدة المجدة . انظر : لسان العرب (أزم) ١٦/١٢ .

(٦) في (أ) و(ع) : (هو خير منه زكاة) ، وهو خطأ .

(٧) تهذيب اللغة للأزهري (زكا) ٣٢٠/١٠ .

(٨) في (أ) زيادة : (هما) بعد قوله : (فالقيلان) ، وليست في (ع) ولا في تهذيب اللغة .

(٩) قول الليث في تهذيب اللغة للأزهري (فرج) ٤٤/١١ ، ٤٥ ، وهو في العين (فرج) ١٠٩/٦ .

ومعنى الفرج في اللغة : الفرجة بين الشيئين^(١) . ولهذا سُمي ما بين قوائم الدابة الفروج . ومنه قول الشاعر^(٢) :

لَهَا ذَنْبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْعُرُوسِ تَسُدُّ بِهِ فَرْجَهَا مِنْ دُبُرِ

المراد بالفروج هاهنا : فروج الرجال خاصة ، لدلالة ما بعدهما عليهما . قال الكلبي : يعني يعفون عما لا يحل لهم .

وقال الزَّجَّاج : يحفظون فروجهم عن المعاصي^(٣) .

٦ . قوله : ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾ قال الفرَّاء : معناه إلَّا من أزواجهم^(٤) .

وعلى هذا القول (على) بمعنى : من . وحروف الصفات متعاقبة^(٥) .

(١) انظر (فرج) : في تهذيب اللغة للأزهري (فرج) ٤٤ / ١١ ، ولسان العرب ٣٤١ / ٢ .

(٢) في (ع) : (ومنه قوله) :

وقائل هذا البيت هو امرؤ القيس . وقد تقدم تخريج هذا البيت .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٦ / ٤ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢٣١ / ٢ .

(٥) حروف الصفات : هي حروف الجر ، أو حروف الإضافة كما يسميها البصريون . قال ابن يعيش في المفصل ٧ / ٨ : وقد يسميها الكوفيون حروف الصفات ، لأنها تقع صفات لما قبلها من المنكرات . اهـ .

وفي تعاقب حروف الصفات أو الجر مذهبان للنحويين :

١ . مذهب الكوفيين : أنها تتعاقب وينوب بعضها عن بعض . وهو الذي ذكره الواحدي هنا .

٢ . مذهب البصريين : أن حروف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس ، وما أوهم ذلك فهو عندهم إما مؤول تأويلاً يقبله اللفظ ، وإما على تضمين فعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف ، وإما على شذوذ إنابة كلمة عن أخرى .

انظر : مغني اللبيب لابن هشام ١٢٩ / ١ ، ١٣٠ ، وجمع الهوامع للسيوطي ٣٥ / ٢ . وانظر ما كتبه ابن جني في : الخصائص ٣٠٦ - ٣١٥ ، وابن القيم في بدائع الفوائد ٢٠ / ٢ - ٢٢ حول هذا الموضوع ، فهو مفيد .

وقال الزَّجَّاجُ : دخلت (عَلَى) هاهنا ؛ لأن المعنى ^(١) : أنهم يلامون ^(٢) في إطلاق ما حُظر عليهم ، إلا على أزواجهم فإنهم لا يلامون ، والمعنى : أنهم يلامون على سوى أزواجهم وملك أيانهم ^(٣) .

وعلى هذا القول ، (عَلَى) من صلة اللوم المضمرة ، ودل عليه ذكر اللوم في آخر الآية ^(٤) .

قال مجاهد : يحفظ فرجه إلا من امرأته أو أمته ، فإنه لا يلام على ذلك ^(٥) .
وقال مقاتل : يعني ^(٦) حلالهم والولايد ، فإنهم لا يلامون على الحلال ^(٧) .

(١) في (أ) : (معنى) .

(٢) في (ع) : (لا يلامون) .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٦/٤ .

(٤) وهذا الوجه الذي ذكره الزَّجَّاج وبينه الواحدي ، ذكره الزمخشري في الكشف ٢٦/٣ ضمن وجوه منها :

أن (على) متعلقة بمحذوف وقع حالاً من ضمير (حافظون) والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال ؛ أي حافظون لفرجهم في الأحوال جميعها إلا حال كونهم والين وقوامين على أزواجهم . من قولك : كان فلان على فلانة فمات عنها فحلف عليها فلان . ونظيره كان زياد على البصرة ؛ أي والياً عليها .

وقد اعترض أبو حيان ٣٩٦/٦ على هذه الوجوه وذكر أنها متكلفة ، وقال : والأولى أن يكون من باب التضمين ، ضمن (حافظون) معنى : ممسكون أو قاصرون ، وكلاهما يتعدى بـ (على) كقوله : ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب : ٣٧] .

انظر أيضاً : الإملاء للعكبري ١٤٦/٢ ، والدر المصون ٣١٧/٨ ، ٣١٨ ، وروح المعاني للألوسي ٦/١٨ .

(٥) ذكره البغوي ٤١٠/٥ من غير نسبة لأحد .

(٦) في (ع) : (معنى) .

(٧) تفسير مقاتل ٢٩/٢ . وفيه : الحلائل .

وقال أهل المعاني : هذه الآية مخصوصة بالحالة التي تصح^(١) فيها وطء الزوجة والأمة ، وهي أن لا تكون حائضاً ولا مُظاهراً عنها ، فلا تكون الأمة مزوجة ولا في عدة زوج . ولم يذكر^(٢) هذه الأحوال هاهنا للعلم بها^{(٣)(٤)} .

وقيل : المعنى أنهم لا يلامون من جهة وطء زوجة أو ملك يمينه ، وإن استحق اللوم من وجه آخر إذا كان وطؤه في إحدى هذه الحالات^(٥) .

٧ . قوله : ﴿فَمَنْ أَبْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ ؛ أي^(٦) : طلب سوى الأزواج والولائد .

و(وَرَاءَ) هاهنا^(٧) بمعنى : سوى . قاله ابن الأعرابي^(٨) وغيره^(٩) ، كقوله^(١٠) : ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ [البقرة : ٩١] وقد مر .

(١) في (ع) : (يصح) .

(٢) في (ع) : (تذكر) .

(٣) ذكر هذا المعنى الطوسي في التبيان ٣٠٩ / ٧ ، والحاكم الجشمي في التهذيب ١٩٣ / ٦ أ-ب ، ولم ينسبها لأحد .

(٤) هنا ينتهي الحرم في نسخة (ظ) .

(٥) ذكر هذا المعنى الطوسي في التبيان ٣٠٩ / ٧ ، والحاكم الجشمي في التهذيب ١٩٣ / ٦ أ-ب ، ولم ينسبها لأحد .

(٦) في (ظ) : (وإن) .

(٧) في (أ) : (هنا) .

(٨) ذكره الأزهرى في تهذيب اللغة ٣٠٥١ / ٥ من رواية أبي العباس ثعلب ، عنه .

(٩) هو قول الطبري ٤ / ١٨ ، والثعلبي ٥٨ / ٣ أ .

(١٠) في (أ) : (لقوله) .

[وعلى هذا ، الوراء مفعول الابتغاء . قال أبو إسحاق : فمن طلب ما بعد ذلك^(١)].^(٢)

وعلى هذا ، الوراء ظرف ، ومفعول الابتغاء محذوف^(٣) .

وذكره مقاتل فقال : فمن ابتغى الفواحش بعد الأزواج والولائد^(٤) .

و(ذلك) إشارة إلى الأزواج والإماء . وذكرنا قديماً أن (ذلك) يجوز أن^(٥) يشار به إلى كل مذكور مؤثراً كان أو مذكراً^(٦) .

وقوله : ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ يعني المبتغين . ﴿هُمْ أَلْعَادُونَ﴾ قال الزَّجَّاج : الجائرون الظالمون^(٧) . وقال المبرِّد : المتجاوزون إلى ما ليس لهم .

يعني : يتعدون الحلال إلى الحرام^(٨) . فالأول من عدا ؛ أي جار وظلم ، والثاني من عدا ؛ أي جاوز^(٩) .

وهما يرجعان إلى أصل واحد ؛ لأن الظالم مجاوز ما حُدَّ له .

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٧/٤ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ظ) .

(٣) انظر : القرطبي ١٠٧/١٢ ، والبحر المحيط ٣٩٧/٦ .

(٤) تفسير مقاتل : ٢٩/٢ أ-ب .

(٥) في (ع) : (إلى) .

(٦) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ نَكْتُبُ﴾ [البقرة : ٢] .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٧/٤ .

(٨) ذكر هذا المعنى الطوسي في التبيان ٣٠٩/٧ ، والجشمي في التهذيب ١٩٣/٦ أ-ب ولم ينسبها لأحد .

(٩) انظر (عدا) : في تهذيب اللغة للأزهري (عدا) ١٠٨/٣ ، ١٠٩ ، والصحاح للجوهري ٢٤٢٠/٦ ، ٢٤٢١ ، والقاموس المحيط للفيروزآبادي ٢٦٠/٤ .

٨. قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنها^(١) أمانات الناس التي ائتمنوا عليها . وهو قول ابن عباس^(٢) .

والثاني : أنها أمانات بين الله وبين عبده مما لا يطلع عليه إلا الله ، كالوضوء والغسل من الجنابة والصيام وغير ذلك . وهو قول الكلبي^(٣) .

وأكثر المفسرين على القول الأول^(٤) . وقرأ ابن كثير (لأمانتهم) واحدة^(٥) ، ووجهه : أنه مصدر واسم جنس فيقع على الكثرة ، وإن كان مفرداً في اللفظ ، كقوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾^(٦) [الأنعام : ١٠٨] وجمع^(٧) في قوله : ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ [المؤمنون : ٦٣] . والأمانة تختلف ولها ضروب نحو : الأمانة التي بين الله وبين عبده كالصيام والصلاة والاعتساف ، والأمانة التي بين العبيد في حقوقهم كالودائع والبضائع^(٨) ، ونحو ذلك مما تكون اليد فيه [يد]^(٩) أمانة ، واسم الجنس يقع عليها كلها^(١٠) .

(١) (أنها) : ساقطة من (ع) .

(٢) ذكره الثعلبي ٥٨/٣ ب من غير نسبة لأحد .

(٣) ذكر الجشمي في تهذيبه ١٩٣/٦ هذا القول باختصار ولم ينسبه لأحد .

(٤) انظر : الطبري ٥/١٨ ، والثعلبي ٥٨/٣ ب ، وابن كثير ٢٣٩/٣ .

قال أبو حيان ٣٩٧/٦ : والظاهر عموم الأمانات ، فيدخل فيها ما ائتمن الله - تعالى - عليه العبد من قول وفعل واعتقاد ، فيدخل في ذلك الواجبات جميعها من الأفعال والمتركات وما ائتمن الإنسان قبل ، ويحتمل الخصوص في أمانات الناس . . . قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء : ٥٨] .

(٥) وقرأ الباقر (لأماناتهم) جماعة . السبعة ٤٤٤ ، والتبصرة ٢٦٩ ، والتيسير ١٥٨ .

(٦) في (أ) : (وكذلك) ، وهو خطأ .

(٧) في (أ) : (رجع) ، وهو خطأ .

(٨) في (أ) : (والصنائع) ، والمثبت من (ظ) و(ع) هو الموافق لما في (الحجة) ، وعند البغوي : الصنائع .

(٩) (يد) : زيادة من الوسيط ٢٨٤/٣ يستقيم بها المعنى .

(١٠) من قوله : (ووجهه . . . إلى هنا) نقلاً عن الحجة لأبي علي الفارسي ٢٨٧/٥ . وليس فيه : (واسم =

ووجه الجمع قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]^(١) . وقد مر . والأمانة مصدر سُمي به المفعول .

وقوله : ﴿وَعَهْدِهِمْ رَعُونَ﴾ . قال الكلبي : يقول وحلفهم الذي يؤخذ عليهم . وقيل : يعني العقود التي عاقدوا الناس عليها^(٢) . ومعنى ﴿رَعُونَ﴾ حافظون .

قال أبو إسحاق : أصل الرعي^(٣) في اللغة : القيام على إصلاح ما يتولاه من كل شيء ، تقول : الإمام يرعى رعيته ، والقيّم بالغنم يرعى غنمه ، وفلان يرعى ما بينه وبين فلان ؛ أي يقوم على إصلاحه^(٤) . يقال : رَعَى يَرْعَى رَعْيًا وَرَعَايَةً^(٥) .

الجنس يقع عليها كلها) . وذكر ابن خالويه وابن زنجلة أن وجه الأفراد أن الله قال بعد ذلك : ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ ولم يقل : وعهدهم . وقال مكي بن أبي طالب : فآثر التوحيد - يعني ابن كثير - لخفته ، ولأنه يدل على ما يدل عليه الجمع ، ويقوي التوحيد أن بعده ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ وهو مصدر . إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٢/ ٨٥ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، والكشف لمكي ٢/ ١٢٥ .

(١) الحجة للفراسي ٥/ ٢٨٨ . انظر : إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٢/ ٨٥ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٨٣ .

وقال مكي بن أبي طالب في الكشف ٢/ ١٢٥ : فأما من جمع فلأن المصدر إذا اختلفت أجناسه وأنواعه جمع ، والأمانات التي تلزم الناس مراعاتها كثيرة ، فجمع لكثرتها ، . . . وقد أجمعوا على الجمع في قوله : ﴿أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ﴾ [النساء: ٥٨] .

(٢) هذا قول الطبري ١٨/ ٥ ، والثعلبي ٣/ ٥٨ ب .

(٣) مكان (الرعي) بياض في (ط) .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٦/ ٧ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (رعى) ٣/ ١٦٢ ، والقاموس المحيط ٤/ ٣٣٥ .

٩. قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ﴾ وقرئ : صلاتهم^(١) . فمن أفرد فلاّن الصلاة في الأصل مصدر كالعمل والأمانة^(٢) ، ومن جمع فلاّن قد صار اسماً شرعياً لانضمام ما لم يكن في أصل اللغة أن ينضم إليها^(٣) .
قال إبراهيم : عنى الصلوات المكتوبة^(٤) .

وقوله : ﴿يُحَافِظُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد على مواقيتها^(٥) . وهو قول الكلبي ، ومقاتل^(٦) ، ومسروق^(٧) ، والجميع^(٨) .

قال أبو إسحاق : المحافظة على الصوات أن تُصلى في أول وقتها^(٩) ، فأما^(١٠) الترك ؛ فداخل في باب الخروج عن الدين^(١١) .

١٠. قوله : ﴿أُولَئِكَ﴾ يعني : المؤمنين الموصوفين بالصفات المذكورة .

﴿هُمْ أَلْوَرِثُونَ﴾ فيه قولان :

-
- (١) قرأ حمزة ، والكسائي : (صلاتهم) على التوحيد ، وقرأ الباقون : ﴿صَلَوَاتِهِمْ﴾ بالالف على الجمع . السبعة ٤٤٤ ، والتيسير ١٥٨ ، والإقناع ٧٠٨ / ٢ .
 - (٢) في (ظ) : (والإعانة) .
 - (٣) الحجة لأبي علي الفارسي ٢٨٨ / ٥ . انظر : حجة القراءات لابن زنجلة ٤٨٣ ، والكشف لمكي ٥٠٥ / ١ ، ٥٠٦ .
 - (٤) رواه الطبري ٥ / ١٨ .
 - (٥) لم أجده عن ابن عباس ، وهو مروي عن ابن مسعود . انظر : الدر المنثور ٨٩ / ٦ .
 - (٦) تفسير مقاتل ٢٩ / ٢ ب .
 - (٧) رواه الطبري ٥ / ١٨ .
 - (٨) انظر : الطبري ٥ / ١٨ ، والدر المنثور ٨٩ / ٦ .
 - (٩) عند الزّجاج : في أوقاتها .
 - (١٠) في (ظ) : (وأما) .
 - (١١) معاني القرآن للزّجاج ٧ / ٤ .

أحدهما : أنهم يرثون منازل أهل النار من الجنة .

روى أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلا له منزلان : منزل في الجنة ومنزل في النار ، فإن مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله ، قال : فذلك ^(١) قوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾ ^(٢) . وهذا تفسير النبي ﷺ .

القول الثاني : أنهم يرثون بيوتهم ومنازلهم التي بنيت بأسمائهم في الجنة . وهو قول الكلبي ورثوا الجنة دون الكفار خلصت لهم بأعمالهم ، واختيار أبي إسحاق ^(٣) .

والمعنى : أنهم يؤول أمرهم إلى نعيم الجنة ^(٤) .

(١) في (ع) : (وكذلك) .

(٢) رواه سعيد بن منصور في تفسيره ١٥٦ ب ، وابن ماجه في سننه أبواب الزهد ، صفة الجنة ٢ / ٤٥٨ ، والطبري ١٨ / ٥ ، ٦ ، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ٣ / ٢٣٩ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٩٠ وعزاه لمن تقدم وزاد نسبته لابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في البعث .

قال البوصيري في مصباح الزجاجة ٣ / ٣٢٧ : هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين . وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٣ / ٤٤٢ .

وذكره الألباني في صحيح الجامع ٢ / ١٠١٠ وقال : صحيح .

(٣) قول الواحدي : إن هذا اختيار أبي إسحاق محل نظر ؛ لأن أبا إسحاق قال في كتابه معاني القرآن ٤ / ٦ : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾ ٥ ﴿ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ ﴾ روي أن الله - جل ثناؤه - جعل لكل امرئ بيتاً في الجنة وبيتاً في النار ، فمن عمل عمل أهل النار ورث بيته من الجنة من عمل عمل أهل الجنة ، ومن عمل عمل أهل الجنة ورث بيته من النار من عمل عمل أهل النار . والفردوس أهله فأبو إسحاق اقتصر على هذا القول ولم يحك غيره .

(٤) ذكر هذا المعنى الثعلبي في الكشف والبيان ٣ / ٥٨ ب وعزاه لبعضهم .

قال المبرّد: وأصل الميراث: العاقبة وإن لم يكن للأول منها شيء بسبب نسب، وإنما معناه الانتقال عن^(١) هذا إلى هذا كما قال عز وجل: ﴿وَأَوْثَرْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا﴾ [الأعراف: ١٣٧] الآية. وقد مر.

فعلى^(٢) القول الأول: هم وارثون^(٣) ورثوا من^(٤) أهل النار منازلهم من الجنة. ويجوز أن يُسمى ميراثاً وإن لم يستحقوا ذلك بنسب.

وعلى القول الثاني: صارت عاقبتهم الجنة. فهم وارثون ورثوا منازلهم التي بنيت لهم في الجنة.

١١. ثم ذكر ما يرثون، فقال: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾؛ وهو البستان بلغة الروم^(٥). وقيل: بلغة الحبشة^(٦).

ومضى الكلام في تفسير الفردوس في آخر سورة الكهف.

قال ابن عباس: يريد خير الجنان.

﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يريد خلود^(٧) لا موت معه^(٨)، ولذّة لا انقطاع لها، وملك لا زوال له، وشيء لا يعلمه إلا الله.

(١) في (ع): (من).

(٢) في (ظ): (زيادة (هذا)، بعد قوله (فعلى)).

(٣) في (ع): (الوارثون).

(٤) (من): ساقطة من (أ) و(ظ).

(٥) هذا قول مجاهد وسعيد بن جبیر. انظر: الطبري ٣٦/١٦، والدر المنثور ٥/٤٦٨، والمهذب للسيوطي ١٢٠، ١٢١.

(٦) هذا قول عكرمة. ذكره عنه الثعلبي ٥٨/٣ ب. قال الفرّاء في معاني القرآن ٢/٢٣١: وهو عربي أيضاً، العرب تُسمى البستان الفردوس.

(٧) في (ظ): (خلوداً، وملكاً).

(٨) في (ظ): (فيه).

١٢. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾. السلالة : فعالة من السل ، وهو استخراج الشيء من الشيء . يقال : سللت الشعر من العجين فانسل ، وسللت السيف من غمده فانسل . ومن هذا يقال للنطفة : سُلالة ، وللولد : سَلِيل^(١) وسلالة^(٢) .

قالت بنت النعمان بن بشير^(٣) لزوجها روح بن زنباع^(٤) :

وهل كنتِ إلا مُهَرَّةً عربيةً سَلِيلَةً أفراس تحلَّلها بَعْلُ^(٥)

(١) في (ظ) : (السليل) .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٨ / ١ ، وتهذيب اللغة للأزهري (سل) ٢٩٢ / ١٢ ، فقد نسب فيه بعض ما ذكر هنا لأبي الهيثم والليث ، وانظر الصحاح للجوهري (سلل) ١٧٣١ / ٥ ، ولسان العرب (سلل) ٣٣٩ / ١١ .

(٣) هي هند بنت النعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنه . شاعرة فصيحة ، كانت تحت روح بن زنباع ثم تزوجها الحجاج ، ثم عبد الملك بن مروان . ولها معهم أخبار .

انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان ٩٥ / ٣ ، وأعلام النساء لكحالة ٢٥٦ / ٥ - ٢٥٩ .
(٤) هو روح بن زنباع بن روح بن سلامة ، الجذامي ، أبو زرعة ، أمير فلسطين وسيد قومه وقائدها وخطيبها وشجاعها ، وكان شبه الوزير لعبد الملك يستشيره في أمره . توفي سنة ٨٤ هـ .
سير أعلام النبلاء ٢٥١ / ٤ ، والبداية والنهاية ٥٢ / ٩ ، ٥٤ ، ٥٥ ، وشذرات الذهب ٩٥١ / ١ ، والأعلام للزركلي ٣٤ / ٣ .

(٥) البيت في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٥٥ / ٢ منسوباً لبنت النعمان بن بشير الأنصارية ، وفيه : سلالة ، تجلَّلها بالجيم .

وهو منسوب لهند بنت النعمان في أدب الكاتب لابن قتيبة ٣٥ ، وروايته فيه :
وهل هذه إلا مهرة عربية سَلِيلَةً أفراس تجلَّلها نَعْلُ
والسلا في شرح أمالي القاضي لأبي عبيد البكري ١٧٩ ، والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ١١٥ / ٦
وروايتها مثل ابن قتيبة لكن عند البكري : بعل ، وفي المطبوع من العقد : بعل .
ونسب الأصفهاني في الأغاني ٢٢٩ / ٩ : هذا البيت لحميدة بنت النعمان تهجو زوجها روحاً . وروايته :
وهل أنا . . . تجلَّلها بَعْلُ .

والبيت من غير نسبة في الطبري ٨ / ١٨ ، واللسان (سلل) ٣٣٩ / ١١ .

قال البطليوسي في الاقتضاب ٤٩ / ٣ عن رواية (بغل) : وأنكر كثير من أصحاب المعاني هذه الرواية ، =

وقال آخر^(١) :

سوى أنهم للحق أهل وأنهم
إذا نسبوا قالوا : سلاله أحمد

واختلفوا في المعني بالإنسان في هذه الآية :

فقال ابن عباس في رواية عطاء : يريد آدم^(٢) .

وهو قول قتادة^(٣) ، ومقاتل^(٤) ، واختيار الفراء^(٥) . قال قتادة : استل^(٦) آدم
من طين ، وخلقت ذريته من ماء مهين .

وقالوا : هي تصحيف ؛ لأن البغل لا ينسل ، والصواب : (نغل) بالنون ، وهو الخسيس من الناس
والدواب . اهـ .

ونقل هذا أيضاً ابن منظور في لسان العرب ٣٣٩ / ١١ عن ابن بري .

قال البطلوسي ٥٠ / ٣ : (وهل هند إلا مهرة) مثل ضربته . وذلك أنها أنصارية ، وكان روح بن زنباع
جذامياً ، والأنصار أشرف من جذام ، فقالت : إنها مثلي ومثل روح : مهرة عربية عتيقة علاها بغل .
(١) ذكر محقق مجاز القرآن لأبي عبيدة ٥٥ / ٢ أنه كتب في حاشية نسخة (س) من المجاز : وقال الشاعر ،
يعني بني علي بن أبي طالب : سوى أنهم . . . البيت .

وفي المجاز : (ألقوا) في موضع (قالوا) . ولم أهند لقائل هذا البيت .

(٢) ذكره عنه ابن الجوزي ٤٦٢ / ٥ ، والرازي ٨٤ / ٢٣ ، وأبو حيان ٣٩٨ / ٦ .

(٣) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٤٤ / ٢ ، والطبري ٧ / ١٨ .

(٤) تفسير مقاتل ٢٩ / ٢ ب .

(٥) يظهر أن الواحدي اعتمد في نسبة هذا القول إلى الفراء على الأزهرى ، فإن الأزهرى في تهذيب اللغة
٢٩٣ / ١٢ ذكر قول قتادة : استل آدم . . . ، ثم قال : وإلى هذا ذهب الفراء .

أما كتاب الفراء معاني القرآن ٢٣١ / ٢ فليس فيه ذكر لشيء من ذلك ، وإنما فيه : السلالة . . .
(٦) في (ظ) و(ع) : (أسل) .

ونحو هذا قال الفرّاء : السلالة التي تسل من كل تربة^(١) . وكذا روي في خلق آدم عليه السلام ، أن طينه استل من الأرض طيبها وسبخها^(٢) وجميع أنواعها^(٣) .

وقال الكلبي : السلالة : الطين إذا عصرته انسل من بين أصابعك ، فذلك الذي يخرج هو السلالة^(٤) . ونحو هذا قال مقاتل^(٥) .

وعلى هذا ، أريد بالسلالة ذلك الطين الذي يخرج من الأصابع عند العصر . والوجه قول قتادة والفرّاء^(٦) .

(١) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٣١ .

(٢) سبخها : السبخ : المكان يسبخ فينبث الملح ، والسبخة - محرّكة ومسكنة - : أرض ذات نَزٍّ وملح .

انظر : لسان العرب (سبخ) ٣ / ٢٢٤ ، وتاج العروس (سبخ) ٧ / ٢٦٩ .

(٣) روى أبو داود في سننه في كتاب السنة ، باب في القدر ١٢ / ٤٥٥ ، والترمذي في جامعه كتاب التفسير ،

سورة البقرة ٨ / ٢٩٠ وغيرهما عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :

«إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، جاء منهم الأحمر

والأبيض والأسود وبين ذلك ، والسهل والحزن والخيث والطيب» . وصححه الألباني . انظر :

صحيح الجامع ١ / ٣٦٢ .

(٤) ذكره عنه أبو الليث السمرقندي في تفسيره ٢ / ١٣٥ ، والقرطبي ١٢ / ١٠٩ .

(٥) تفسير مقاتل ٢ / ٢٩ ب .

(٦) قال ابن كثير ٣ / ٢٤٠ عن هذا الوجه : وهذا أظهر في المعنى وأقرب إلى السياق ، فإن آدم خلق من طين

لازب .

وروي عن ابن عباس ما يدل على أن المراد بالإنسان في هذه الآية : ابن آدم ، لا آدم ، وهو ما رواه أبو يحيى الأعرج^(١) أنه قال : السلالة صفوة^(٢) الماء الرقيق الذي يكون منه الولد^(٣) . وهذا قول مجاهد وعكرمة .

قال مجاهد : ﴿سُلَلَةٌ مِّن طِينٍ﴾ : من مني^(٤) آدم^(٥) . قال عكرمة : هو الماء يسيل من الظهر^(٦) سلاً^(٧) .

وعلى هذا القول ، أراد بالإنسان ولد آدم . جعله اسماً للجنس وهو اختيار الكلبي ، لأنه قال في قوله : ﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾^(٨) هو ابن آدم^(٩) .

(١) هو مصدع ، أبو يحيى الأعرج ، المعرقب . مولى عبدالله بن عمرو ، ويقال مولى معاذ بن عفراء . روى عن علي وابن عباس وغيرهما . قال عمار الدهني : كان مصدع عالماً بابن عباس . قال ابن المديني : وهو الذي مر به علي بن أبي طالب وهو يقص فقال له : تعرف الناسخ والمنسوخ قال : لا . قال : هلكت وأهلكت .

قال ابن حبان : كان يخالف الأثبات في الروايات وينفرد بالمنكير . وقال الذهبي في الكاشف : صدوق . وقال في المغني : تكلم فيه . وقال ابن حجر : مقبول .

الكاشف للذهبي ٤٧/٢ ، والمغني في الضعفاء للذهبي ٦٥٩/٢ ، وتهذيب التهذيب ١٥٨/١٠ ، وتقريب التهذيب ٢٥١/٢ .

(٢) في (أ) : (صفو) .

(٣) رواه الطبري ٧/١٨ عنه من رواية أبي يحيى الأعرج مقتصراً على (صفوة الماء) . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٩١/٦ بمثل السياق هنا ، وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) في (ع) : (بنى) ، وهو خطأ .

(٥) رواه الطبري ٧/١٨ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٩١/٦ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير .

(٦) في (ظ) : (الطين) .

(٧) ذكره عنه البغوي ٤١١/٥ .

(٨) في (ظ) و(ع) : (خُلِقَ) ، وهو خطأ .

(٩) ذكره عنه أبو الليث السمرقندي في تفسيره ١٣٥/٢ .

وقوله : ﴿مِّن طِينٍ﴾ أراد تولد السلالة من طين خلق آدم منه كما قال الكلبي : يقول من نطفة ، سُلت تلك النطفة من طين والطين آدم^(١) .

١٣ . ويدل على أن المراد بالإنسان ابن آدم قوله : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ يعني ابن آدم ؛ لأن آدم لم يكن نطفة في رحم .

وعلى القول الأول ، عادت الكناية إلى ابن آدم لا إلى الإنسان المذكور في الآية الأولى^(٢) ، وجاز ذلك ؛ لأنه^(٣) لما ذكر^(٤) الإنسان - والمراد به آدم- دل^(٥) ذلك على إنسان مثله^(٦) ، وعرف ذلك بفحوى الكلام فكُنِيَ عنه . وهذا قول صاحب النظم .

ومثل هذا في القرآن^(٧) قوله تعالى : ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا﴾ [المائدة : ١٠١] فالكناية في (عنها) ليست^(٨) تعود على (أشياء) المذكورة في قوله : ﴿عَنْ أَشْيَاءَ﴾ ، ولكنها تعود على^(٩) أشياء أُخِرَ^(١٠) سواها لا هي ، وجاز ذلك لأن المذكورة دلت عليها من حيث اجتمعتا في اللفظ . وقد مر .

(١) ذكره عنه البغوي ٥ / ٤١١ .

(٢) في (أ) : (الأول) .

(٣) لأنه : ساقط من (ظ) و(ع) .

(٤) في (ع) : (ذكرنا) .

(٥) في (ظ) : (ودل) .

(٦) العبارة في (ظ) : (على أن له إنسان مثله) .

(٧) في (ع) زيادة : (كثير) بعد قوله : (القرآن) .

(٨) (ليست) : ساقطة من (ع) .

(٩) في (أ) : (إلى) .

(١٠) (أُخِرَ) : ساقطة من (أ) .

- وقوله : ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ يعني مستقر ، وموضع قرار ، فسماه بالمصدر .
- قوله : ﴿مَّكِينٍ﴾ قال المفضل : مطمئن غير مضطرب^(١) . يقال : مكين : بين المكانة^(٢) .
- قال ابن عباس والمفسرون في قوله : ﴿مَّكِينٍ﴾ : يريد الرحم ، مُكن فيه بأن هُييء لاستقراره فيه إلى بلوغ أمدّه الذي جعل له^(٣) .
- ١٤ . قوله : ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ﴾ مفسر في سورة الحج إلى قوله : ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ﴾^(٤) .
- ﴿عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْإِظْمَ لَحْمًا﴾ . وقرئ كلاهما (عظماً) على الواحد^(٥) .
- قال الزَّجَّاج^(٦) : التوحيد والجمع هاهنا جائزان ؛ لأنه يعلم أن الإنسان ذو عظام ، وإذا ذكر على التوحيد فلائنه يدل على الجمع ، ولأن معه اللحم ولفظه لفظ الواحد فقد علم أن العظم يراد به العظام .
-
- (١) لم أجده .
- (٢) قوله : (يقال : مكين) إلى هنا في تهذيب اللغة للأزهري (مكن) ٢٩٢ / ١٠ (مكان) منسوباً لأبي زيد .
- (٣) انظر : الطبري ٩ / ١٨ .
- (٤) انظر : البسيط : [الحج : ٥] .
- (٥) قرأ ابن عامر ، وعاصم في رواية أبي بكر بن عياش : (عظماً فكسونا العظم) واحداً ليس قبل الميم ألف بفتح العين : وإسكان الظاء فيها .
- وقرأ الباقر : ﴿عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْإِظْمَ﴾ بالجمع فيها ، بكسر العين : وفتح الظاء وألف بعدها .
- السبعة ٤٤٤ ، والتبصرة ٢٦٩ ، والتيسير ١٥٨ ، والنشر ٣٢٨ / ٢ .
- (٦) قوله : (على الواحد قال الزَّجَّاج) : كررت مرتين في (ظ) .

قال : وقد ^(١) يجوز من التوحيد إذا ^(٢) كان في الكلام دليل على الجمع ما هو أشد من هذا . قال الشاعر :

في خلقكم عظم ^(٣) وقد شجينا ^(٤)

يريد في خلقكم عظام ^(٥) .

وقال أبو علي : الجمع أشبه بما جاء في التنزيل في غير هذا الموضع كقوله ^(٦) : ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفْنًا ﴾ [الإسراء: ٤٩] ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا كُنَّا عِظْمًا تَنَحَّرَةً ﴾ [النازعات: ١١] ﴿ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ ﴾ [يس: ٧٨] .

والإفراد لأنه اسم ^(٧) جنس ، فأفرد كما أفرد ^(٨) المصادر ^(٩) وغيرها من الأجناس نحو : الإنسان والدرهم والشاء والبعير ^(١٠) .

قوله : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا ﴾ . قال ابن عباس : يعني نفخ الروح فيه ^(١١) .

(١) (قد : ساقطة من (ع) .

(٢) في النسخ جميعها : (وإذا) . والتصحيح من المعاني .

(٣) في (ع) : (عظم) .

(٤) تقدم تخريج هذا الشطر .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٩ ، ٨ / ٤ .

(٦) في (ظ) : (في قوله) .

(٧) (اسم) : ساقط من (ع) .

(٨) في الحجة : (تفرد) .

(٩) في (ع) : (الهادر) .

(١٠) الحجة لأبي علي الفارسي ٢٨٨ / ٥ ، ٢٨٩ . انظر : إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه

٢ / ٨٥ ، ٨٦ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٨٤ ، والكشف لمكي ١٢٦ / ٢ .

(١١) رواه الطبري ٩ / ١٨ ، وذكره السيوطي في الدر ٩١ / ٦ وعزاه لابن أبي حاتم .

وهو قول السدي ، ومجاهد ، والشعبي ، وعكرمة ، والربيع ، وأبي العالية^(١) ، وابن زيد^(٢) . واختيار القتيبي^(٣) .

وقال قتادة : هو نبات الشعر والأسنان^(٤) . وهو قول الضحاك^(٥) .

وروي^(٦) عن ابن عمر أنه قال : هو استواء الشباب^(٧) . وهو قول مجاهد^(٨) في بعض الروايات^(٩) .

وحكى الزجاج قولاً آخر وهو : أن جعل ذكراً وأنثى^(١٠) .

(١) في (ظ) : (وأبو العالية) .

(٢) ذكره الثعلبي : ٥٨ / ٣ ب عنهم سوى السدي والربيع . ورواه الطبري ١٨ / ١٠ عنهم سوى السدي . ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٤١ / ٣ عن هؤلاء جميعاً .

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٩٢ / ٦ عن مجاهد وعكرمة وأبي العالية ، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير .

(٣) انظر : غريب القرآن لابن قتيبة ص : ٢٩٦ .

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره ٤٤ / ٢ ، والطبري ١٨ / ١٠ عنه من دون قوله : الأسنان . وذكره بهذا اللفظ البغوي في تفسيره ٤١٢ / ٥ .

(٥) رواه الطبري ١٨ / ١٠ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٩٢ / ٦ وعزاه لعبد بن حميد .

(٦) في (أ) : (يروي) .

(٧) ذكره عنه الثعلبي ٥٨ / ٣ ب .

(٨) (مجاهد) : ساقط من (ع) .

(٩) ذكره الثعلبي ٥٨ / ٣ ب عنه من رواية ابن أبي نجيح وابن جريج . ورواه الطبري ١٨ / ١٠ ، ١١ عنه من الطريقتين المتقدمتين .

وذكره عن مجاهد السيوطي في الدر المنثور ٩٢ / ٦ وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم . معاني القرآن للزجاج ٩ / ٤ . والقول الذي حكاه الزجاج مروي عن الحسن البصري . ذكره النحاس في معاني القرآن ٤ / ٤٤٩ ، والبغوي في تفسيره ٤١٢ / ٥ .

قال ابن عطية في المحرر ٣٣٦ / ١٠ بعد أن ذكر الأقوال المتقدمة وغيرها : وهذا التخصيص كله لا وجه له ، وإنما هو عام في هذا وغيره من وجوه من النطق والإدراك وحسن المحاولة هو بها آخر ، وأول رتبة من كونه آخر هو نفخ الروح فيه ، والطرف الآخر هو تحصيله المعقولات إلى أن يموت . وصحح القرطبي ١٢ / ١١٠ ما ذكره ابن عطية .

واختار صاحب النظم القول الأول ، وقال ^(١) : قوله : ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا﴾ إلى قوله : ﴿لَحْمًا﴾ قصة واحدة ، ثم قال : ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ﴾ ، فجاء به على نظم سوى اللفظ الأول الذي درج عليه ما قبله من قوله : خلقنا وخلقنا ، والإنشاء هو الابتداء ، فدل هذا على أنه أراد به نفخ الروح ؛ لأنه لا يحتمل أن يكون خلقاً آخر إلا بأن يزول عن كيفيته ^(٢) الأولى وهي أنه كان لحماً وعظماً مواتاً ، فلما حصل فيه الروح صار خلقاً آخر ، حيواناً بعد أن كان مواتاً .

قال : وفي هذا دليل على أن الجنين إذا استوى عظمه ولحمه على العظم فقد صار إنساناً تكون به الأمة أم ولد ، والجنين ولداً ^(٣) إن شاء الله .

قوله : ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾ ؛ أي استحق التعظيم والثناء بأنه ^(٤) لم يزل ولا يزال . والكلام في هذا مما قد ^(٥) سبق ^(٦) .

قوله : ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ؛ أي المصورين والمقدرين .

والخلق في اللغة : التقدير . والعرب تقول : قدرت الأديم وخلقته ، إذا قسسته ^(٧) لتقطع منه مزادة أو قربة أو خُفّاً ^(٨) ^(٩) .

(١) في (ع) زيادة (في) بعد (وقال) .

(٢) في (أ) و(ظ) : (كيفية) .

(٣) في (ع) : (ولد) ، وهو خطأ .

(٤) في (أ) : (بالله) ، وهو خطأ .

(٥) في (ظ) و(ع) : (مما سبق) .

(٦) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

(٧) في تهذيب اللغة : والعرب تقول : خلقت الأديم ، إذا قدرته وقسته .

(٨) في (أ) : (وخفا) .

(٩) هذا كلام الأزهري في تهذيب اللغة (خلق) ٢٦/٧ .

وقال مجاهد : وتصنعون ويصنع الله ، والله خير الصانعين ^(١) .

قال الليث : رجل خالق ؛ أي صانع . وهن الخالقات ، للنساء ^(٢) .

وقال مقاتل بن سليمان : يقول : هو أحسن خَلْقاً من الذين يخلقون التماثيل وغيرها التي لا يتحرك منها شيء ^(٣) .

ومعنى يخلقون : يصنعون .

١٥ . قوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ ﴾ ؛ بعد ^(٤) ما ذكرنا من تمام الخلق . قاله مقاتل ^(٥) . ﴿ لَمَيِّتُونَ ﴾ ^(٦) عند آجالكم .

١٧ . قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ ﴾ . قال المفسرون ^(٧) وأهل اللغة ^(٨) كلهم : يعني : سبع سموات ، كل سماء طريقة . قيل : سميت طريقة لتطارقها ، وهو أن بعضها فوق بعض ^(٩) .

قال الليث : السموات السبع والأرضون السبع طرائق بعضها فوق بعض ^(١٠) .

(١) رواه الطبري ١١ / ٨ .

(٢) قول الليث في تهذيب اللغة للأزهري (خلق) ٢٧ / ٧ ، وفي العين (خلق) ١٥١ / ٤ ، والخالق :

الصانع . وليس فيه : وهن الخالقات للنساء . وإنما فيه : وامرأة خليفة : ذات جسم وخلق .

(٣) تفسير مقاتل ٢٩ / ٢ ب .

(٤) (بعد) : ساقطة من (ظ) و(ع) .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٢٩ / ٢ ب .

(٦) (لميتون) لم تكتب في (ع) في هذا الموضع . بل كتبت ضمن الآية التي قبلها .

(٧) انظر : الطبري ١٢ / ١٨ ، والثعلبي ٦٠ / ٣ أ .

(٨) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (المستدرك) ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، لسان العرب (طرق) ٢٢٠ / ١٠ .

(٩) ذكره الثعلبي ٦٠ / ٣ ب وصدره بقوله : قيل . وهو قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٥٦ / ٢ ، والطبري

١٢ / ١٨ وغيرهما .

(١٠) تهذيب اللغة للأزهري ، المستدرك ٢٢٨ ، ٢٢٩ نقلاً عن الليث . وهو في العين (طرق) ٩٧ / ٥ .

يقال : طارق الرجل نعليه ، إذا أطبق نعلًا على نعل . وطارق الرجل بين ثوبين ، إذا لبس ثوبًا على ثوب ، وهو الطَّرَاق^(١) .

وقال أبو عبيدة : كل شيء فوقه مثله ، فهو طريقة^(٢) .

وقال ابن قتيبة : إنما سميت طرائق ؛ لأن بعضها فوق بعض ، ويقال : ريش طراق^(٣) .

قوله تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مِنَ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ . قال مقاتل : يعني خلق السماء وغيره^(٤) .

وقال الزَّجَّاج : أي لم يكن ليغفل عن حفظهن . كما قال الله عز وجل : ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢]^(٥) .

وهذا معنى قول الفرّاء : عما خلقنا غافلين : يقول : كنا له حافظين^(٦) .

(١) تهذيب اللغة للأزهري ، المستدرک (طرق) ٢٣٣ ، مع اختلاف يسير .

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٥٦ / ٢ ولفظه : كل شيء فوق شيء ، فهو طريقة .

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٩٦ . وفيه : ريش طرائق .

(٤) تفسير مقاتل ٢٩ / ٢ ب .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٩ / ٤ .

(٦) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٣٢ .

وهذا الذي ذكره^(١) هو ما قاله^(٢) المفسرون : وما كنا عن^(٣) خلقنا غافلين من أن تسقط السموات عليهم ، بل أمسكنا السماء بقدرتنا لكيلا^(٤) تسقط على الخلق فتهلكهم^(٥) .

قال الزَّجَّاج : ويجوز أن يكون المعنى : إنا لَحِفْظُنَا إياهم خلقنا السموات^(٦) .

أي لم نغفل عن الخلق إذ^(٧) بنينا فوقهم سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب التي بها ينتفعون ، وأنزلنا منها عليهم الماء . وكأن هذا أقوى الوجوه . وهو معنى قول الحسن ، يعني : نزل^(٨) عليهم ما يحييهم من المطر^(٩) .

١٨ . قوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ﴾ ؛ أي بقدر يعلمه الله .

وقال مقاتل : بقدر ما يكفيهم للمعيشة^(١٠) . قال ابن عباس : يريد النيل .

وعلى هذا القول الماء المذكور في الآية مخصوص^(١١) .

وقال الكلبي : هو المطر .

(١) في (ظ) : ذكرنا) .

(٢) في (ظ) : قال) .

(٣) في (أ) : (عن) . والمثبت من (ظ) و(ع) هو الموافق لما عند الثعلبي .

(٤) في (أ) : (كيلا) .

(٥) هذا كلام الطبري ١٨ / ١٢ ، والثعلبي ٣ / ٦٠ أ . وذكره الرازي ٢٣ / ٨٧ وعزاه لسفيان بن عيينة .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ٩ وفيه : خلقنا هذا الخلق .

(٧) في (أ) : (إلا) ، وهو خطأ .

(٨) في (أ) : (نزل) .

(٩) ذكره عنه الثعلبي ٣ / ٦٠ أ .

(١٠) تفسير مقاتل ٢ / ٢٩ ب .

(١١) ولا وجه لهذا التخصيص ، لعدم الدليل .

وعلى هذا معنى : ﴿فَأَسْكَنْهُ فِي الْأَرْضِ﴾ يريد ما يبقى في العُدران والمستنقعات والدُّحْلان^(١) ، أقر الله الماء فيها ليتنفع به الناس في الصيف وعند انقطاع الأمطار .

وقال آخرون^(٢) : هو العيون والينابيع التي يخرج الماء منها ، وذلك من ماء السماء أودعه الله الأرض .

وهذا معنى قول مقاتل بن سليمان ، فقد قال : يعني العيون^(٣) .

وقال أبو إسحاق : هو دجلة والفرات وسيحان وجيحان ، فقد روي أن هذه الأنهار الأربعة من الجنة^(٤) .

ومعنى : ﴿فَأَسْكَنْهُ فِي الْأَرْضِ﴾^(٥) جعلناه ثابتاً فيها لا يزول^(٦) .

(١) في (أ) : (الدجلان) ، وفي (ع) : (الدخلان) ، والصواب ما في (ظ) . وهو جمع دحل ، والدحل والدُّحْل : هوة تكون في الأرض وفي أسافل الأودية ، فيها ضيق ثم تتسع . الصحاح (دحل) ٤ / ١٦٩٥ ، ولسان العرب (دحل) ١١ / ٢٣٧ .

والعُدران : جمع غدير ، وهو القطعة من الماء يغادرها السيل . الصحاح (غدر) ٢ / ٧٦٦ ، ٧٦٧ .

(٢) ذكره البغوي ٥ / ٤١٣ وصدّره بقول : قيل .

(٣) تفسير مقاتل ٢ / ٢٩ ب .

(٤) روى مسلم في صحيحه في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب ما في الدنيا من أنهار الجنة ٤ / ٢١٨٣ عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ «سيحان وجيحان والفرات والنيل ، كل من أنهار الجنة» . وروى النحاس في معاني القرآن ٤ / ٤٥٠ ، وابن عدي في الكامل ٦ / ٢٣١٦ ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١ / ٥٧ ، والواحدي في الوسيط ٣ / ٢٨٦ كلهم من طريق مسلمة بن علي عن مقاتل ابن حيان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : «أنزل الله من الجنة إلى الأرض خمسة أنهار : سيحون وهو نهر الهند ، وجيحون وهو نهر بلخ ، ودجلة والفرات وهما نهر العراق ، والنيل وهو نهر مصر ، أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل ، فاستودعها الجبال وأجرأها في الأرض . . . فذلك قوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ فَأَسْكَنْهُ فِي الْأَرْضِ﴾ . . . الحديث . وهذا الحديث قال عنه ابن عدي بعد روايته : إنه منكر المتن . وضعف إسناده السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٩٥ .

(٥) في (أ) : (أسكناه) ، وهو خطأ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٠ .

قوله: ﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَدِيرُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد أنه سيغيض ويذهب . يعني النيل .

وعلى هذا ، كأن الله - تعالى - وعد أنه يذهب النيل حتى ينقطع ^(١) .

وعلى ^(٢) قول الكلبي ، معناه : وإنا لقادرون على أن لا ننزل عليكم المطر ، حتى تهلكوا وتهلك حروثكم وأنعامكم .

وقال مقاتل : ﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَدِيرُونَ﴾ ، فتغور العيون في الأرض فلا يقدر عليه ^(٣) .

٢٠ . قوله تعالى : ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ﴾ عطف على (جنات) في قوله : ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ﴾ ^(٤) .

وأجمع المفسرون كلهم على أن هذه شجرة الزيتون ^(٥) .

وخصت هذه الشجرة بالذكر ؛ لأنه لا يتعاهد بها أحد بالسقي ولا يراعيها ^(٦) أحد من العباد . وهي تخرج الثمرة التي يكون منها الدهن الذي ^(٧) تعظم به الفائدة وتكثر ^(٨) المنفعة ، فذكرت للنعمة ^(٩) فيها والمن بها ^(١٠) .

(١) لا دليل على هذا من كتاب أو سنة صحيحة .

(٢) في (ظ) و(ع) : (وعلى هذا قول . . . بزيادة (هذا) .

(٣) تفسير مقاتل ٢٩/٢ ب .

(٤) انظر : إعراب القرآن للنحاس ١١٢/٣ ، والبيان في غريب إعراب القرآن للأنباري ١٨١/٢ .

(٥) انظر : الطبري ١٣/١٨ ، والثعلبي ٦٠/٣ ، والدر المنثور ٩٥/٦ .

(٦) في (أ) : (ولا يراعيها) .

(٧) في (ظ) : (الذي يطعم وتعظم به الفائدة) .

(٨) في (ظ) : (وتذكر) .

(٩) في (ظ) : (النعمة) .

(١٠) ذكر مثل هذا الطوسي في التبيان ٣١٦/٧ ، ولم يعزه لأحد .

قوله : ﴿مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ﴾ مضى الكلام في الطور^(١) . واختلفوا في ﴿سَيْنَاءَ﴾ فقال ابن عباس في رواية عطاء : يريد الجبل الحسن^(٢) .

[وهو قول قتادة^(٣) .

وقال الضحاك : وهو بالنبطية^(٤)(٥) . وقال عكرمة : بالحبشية^(٦) .

وقال مقاتل : كل جبل يحمل الثمار فهو سيناء ، يعني : الحسن^(٧)(٨) .

وقال الكلبي : ﴿طُورٍ سَيْنَاءَ﴾ : الجبل المشتجر^(٩) .

وقيل : معنى ﴿سَيْنَاءَ﴾ البركة ، كأنه قيل : جبل البركة . وهذا قول ابن عباس في رواية عطية^(١٠) .

وقال مجاهد : ﴿سَيْنَاءَ﴾ حجارة^(١١) . يعني أن سيناء اسم حجارة بعينها أضيف الجبل إليها لوجودها عنده .

(١) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ [البقرة : ٦٣] .

(٢) ذكره عنه ابن الجوزي ٤٦٦/٥ من رواية أبي صالح ، وذكره عن عطاء .

(٣) رواه عبدالرزاق ٤٥/٢ ، والطبري ١٣/١٨ ، وذكره السيوطي في الدر ٩٥/٦ ، وعزاه لعبدالرزاق وابن جرير وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) في (أ) : (بالقبطية) ، وهو خطأ .

(٥) رواه الطبري ١٣/١٨ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٩٥/٦ ، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم .

(٦) رواه عنه الطبري ٢٤٠/٣٠ عند قوله : ﴿وَطُورٍ سَيْنَاءَ﴾ [التين : ٢] . وذكره عنه السيوطي في كتابه : المذهب في ما وقع في القرآن من المعرب ١٠٢ من رواية ابن جرير وابن أبي حاتم .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٨) تفسير مقاتل ٢٩/٢ ب .

(٩) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٤٥/٢ بلفظ : ذو شجر . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٩٦/٦ وعزاه لعبدالرزاق وابن المنذر .

(١٠) ذكره الثعلبي ٦٠/٣ أ من رواية عطية . ورواه الطبري ١٣/٨ .

(١١) ذكره عنه السيوطي في الدر المنثور ٩٦/٦ وعزاه لعبد بن حميد . وذكره عنه البغوي ٤١٤/٥ ، وابن الجوزي ٤٦٦/٥ .

والأصح في هذا أن يقال : ﴿سَيْنَاءَ﴾ اسم ذلك المكان الذي به هذا الجبل ؛ لأن سيناء لا تعرف في العربية^(١).

وهذا قول ابن زيد . قال : هو الجبل الذي نودي منه موسى عليه السلام ، وهو بين مصر وأيلة^(٢).

ونحو هذا روى الضحاك عن ابن عباس^(٣) . واختار^(٤) الرَّجَّاج أنه اسم المكان^(٥).

وُحْص هذا الجبل بنبات الزيتون فيه ؛ لأن أول ما نبت الزيتون نبت هناك . قاله مقاتل^(٦).

واختلف القراء في قوله^(٧) : ﴿سَيْنَاءَ﴾ فقرأ بفتح السين وكسرها^(٨)^(٩).

(١) انظر : الطبري ١٤ / ١٨ .

(٢) ذكره عنه بهذا اللفظ الثعلبي ٣ / ٦٠ أ . ورواه الطبري ١٤ / ١٨ بنحوه .

وأيلة : بلدة على ساحل البحر الأحمر مما يلي الشام . انظر : معجم البلدان ١ / ٣٩١ ، ومراصد الاطلاع ١ / ١٣٨ .

(٣) روى الطبري ١٤ / ١٨ نحوه عن ابن عباس من رواية عطاء الخراساني .

(٤) واختار : ساقطة من (ع) .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٠ .

(٦) تفسير مقاتل ٢ / ٢٩ ب . وما ذكره يحتاج إلى دليل . والله أعلم .

(٧) قوله : زيادة من (أ) .

(٨) في (أ) و(ع) : (وكسره) .

(٩) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو : (سيناء) مكسورة السين . وقرأ الباقر بفتحها . السبعة ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، والتبصرة ٢٦٩ ، والتيسير ١٥٨ .

قال أبو إسحاق : من قال (سَيِّئًا) ، فهو على وزن صحراء ، لا ينصرف ، ومن قال ^(١) بكسر السين فليس في الكلام فعلاء نحو : عِلباء ^(٢) ، غير منصرف ، إلا أن سيناء هاهنا اسم للبقعة ولا ^(٣) ينصرف ^(٤) .

وشرح أبو علي هذا الفصل فقال : من فتح السين لم ينصرف الاسم ^(٥) عنده في المعرفة ولا النكرة ؛ لأن الهمزة في هذا البناء لا تكون إلا للتأنيث ولا تكون للإلحاق ، ألا ترى أن فعلاً ^(٦) لا يكون إلا في المضاعف نحو : الزلزال ، والقلقال ^(٧) ، وإذا اختص هذا البناء هذا الضرب ^(٨) لم يجوز أن يلحق به شيء .

وأما من كسر السين فالهمزة فيه منقلبة عن الياء ^(٩) كعِلباء وحِرباء ، وهي الياء ^(١٠) التي ظهرت في نحو : درحاية ^(١١) لما بنيت على التأنيث ، وإنما لم ينصرف

(١) في (ظ) : (قرأ) .

(٢) في (أ) و(ع) : (علياء) ، وفي (ظ) : (علياء) مهملة . وعِلباء : عصب العنق ، واسم رجل . انظر : تهذيب اللغة (علب) ٤٠٦ / ٢ ، والصاحح للجوهري (علب) ١ / ١٨٨ .

(٣) في (ع) : (لا ينصرف) .

(٤) معاني القرآن للزجاج ١٠ / ٤ مع حذف واختصار .

(٥) في (ع) : (والاسم) .

(٦) في (أ) و(ع) : (فعال) ، وهو خطأ .

(٧) القلقال : يقال : قلقل الشيء قلقله وقلقلًا وقلقلًا وقلقلًا ، أي حرّكه فتحرك فاضطرب فإذا كسرتة فهو مصدر ، وإذا فتحته فهو اسم مثل الزلزال والزلزال ، والاسم : القلقال والقلقال . ورجل قلقال : صاحب أسفار . لسان العرب (قلل) ١١ / ٥٦٦ .

(٨) في الحجة : اختص البناء هذا الضرب .

(٩) في (أ) : (التاء) ، وفي (ظ) : (مهملة) .

(١٠) في (ع) : (جرباء) ، وهو خطأ .

(١١) في (أ) : درجائه ، وفي (ع) : درجايه ، وفي (ظ) : مهملة . والتصويب من الحجة .

ودرحاية في تهذيب اللغة ٤ / ٤١٦ قال أبو عبيدة إذا كان مع القصر سمن فهو درحاية

على^(١) هذا القول وإن^(٢) كان غير مؤنث ؛ لأنه جعل اسم بقعة أو أرض ، فصار بمنزلة امرأة سميت بجعفر^(٣) .

قوله : ﴿تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ﴾ وقرئ : تُنْبِتُ^(٤) . قال الزَّجَّاج : نبت الشجر وأنبت في معنى واحد ، قال زهير :

رأيت ذوي الحاجات حول بيوته قطيناً لهم حتى إذا أنبت البقل^(٥)

قال^(٦) أبو علي : قد قالوا أنبت في معنى : نبت ، وكأن الهمزة في (أنبت) مرة للتعدي ومرة لغيره ، يكون من باب : أحال وأجرب وأقطف ؛ أي صار ذا حيال

(١) في النسخ جميعها : (وعلى) ، والتصويب من الحجة .

(٢) في (أ) : (فإن) .

(٣) الحجة للفراسي ٢٨٩/٥ ، ٢٩٠ . انظر : الكشف لمكي بن أبي طالب ١٢٧/٢ ، والدر المصون للسمين الحلبي ٣٢٦/٨ - ٣٢٨ .

(٤) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو : (تُنْبِتُ) بضم التاء وكسر الباء ، وقرأ الباكون : ﴿تَنْبُتُ﴾ بفتح التاء وضم الباء .

السبعة ٤٤٥ ، والتصرة ٢٦٩ ، والتيسير ١٥٩ .

(٥) هذا البيت أنشده الزَّجَّاج لزهير في معاني القرآن ٤/ ١٠ . وهو في ديوان زهير ٤١ من قصيدة يمدح بها سنان بن أبي حارثة السُّري ، وفيه : (بها) مكان (لهم) ، و(نبت) مكان (أنبت) .

والمعاني الكبير لابن قتيبة ١/ ٥٣٩ ، وجمهرة اللغة لابن دريد ٢٥٧ ، ١٢٦٢ ، ومغني اللبيب لابن هشام ١/ ١٠٢ ، ولسان العرب (نبت) ٢/ ٩٦ ، وخزانة الأدب ١/ ٥٠ . وقبل هذا البيت :

إذا السَّنة الشَّهباء بالناس أجحفت ونال كرامَ المال في السَّنة الأكلُ
رأيت

قال الشنمري في شرحه لديوان زهير ٤١ : قوله : رأيت ذوي الحاجات ؛ يعني الفقراء والمحتاجين . والقطين : أهل الرجل وحشمه ، والقطين أيضاً : الساكن في الدار النازل فيها ، وأراد هنا الساكن . يعني أن الفقراء يلزمون بيوت هؤلاء القوم يعيشون من أموالهم حتى يَحْصِبَ الناس وينبت البقل . انظر : شرح ثعلب لديوان زهير ٩٢٠ ، وشرح شواهد المغني ١/ ٣١٥ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٠ .

(٧) في (ظ) و(ع) : (وقال) .

وجرب ، والأصمعي ينكر أنبت ، ويزعم أن قصيدة زهير التي فيها : [حتى إذا]^(١) أنبت البقل ، متهمة . وإذا^(٢) جاء الشيء مجيئاً كان للقياس فيه مسلك ، وروته الرواة ، لم يكن بعد ذلك موضع مطعن^(٣) .

وأما وجه القراءة^(٤) ، فمن قرأ ﴿تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ﴾ احتمل وجهين :

أحدهما : أن يجعل الجار زائداً ، يريد : تنبت الدهن^(٥) . ولحقت الباء كما لحقت في قوله : ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] ؛ أي لا تلقوا أيديكم ، يدل ذلك على ذلك قوله : ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥]^(٦)^(٧) .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .

(٢) في (ع) : (إذا) .

(٣) الحجة ٢٩٢ / ٥ .

(٤) في (ظ) : (القراء) .

(٥) في (أ) : (بالدهن) ، وهو خطأ .

(٦) قوله : ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ ساقط من (ظ) و(ع) .

(٧) وعلى هذا الوجه تكون حجة من ضم التاء من قوله : ﴿تَنْبُتُ﴾ أنه جعله رباعياً من (أنبت ينبت) ، وتكون الباء في ﴿بِالذَّهْنِ﴾ زائدة ، لأن الفعل يتعدى إذا كان رباعياً بغير حرف ، كأنه قال : تنبت الدهن ، لكن دلت بالباء على ملازمة الإنبات للدهن ، كما قال تعالى : ﴿اقْرَأْ بِأَسْمَاءِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] فأتى بالباء ، و﴿اقْرَأْ﴾ يتعدى بغير حرف ، لكن دلت الباء على الأمر بملازمة القراءة . اهـ من الكشف لمكي بن أبي طالب ١٢٧ / ٢ .

وقد زيدت هذه الباء مع الفاعل كما زيدت مع المفعول ، وزيادتها مع المفعول به أكثر ، وذلك نحو قوله^(١) :

ألم يأتيك والأنباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد

(١) هذا البيت أول أبيات لقيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة القيسي ، وكان سيد قومه ، ونشأت بينه وبين الربيع بن زياد القيسي شحنة في شأن درع ساومه فيها ، ولما نظر الربيع إلى الدرع وهي على ظهر فرس قيس أخذها ثم ركض بها فلم يردّها عليه ، ثم إن قيساً طرد إبلاً للربيع ، وقيل : إبله وإبل إخوته ، فقدم بها مكة ، فباعها من عبدالله بن جدعان التيمي ، معاوضة بأدراع وأسيف ، وفي هذا يقول قيس :

ألم يأتيك

وبعده :

وَحَبَسُهَا عَلَى الْقُرَشِيِّ تُشْرَى بِأَذْرَاعٍ وَأَسِيفٍ حِدَادٍ
انظر : خزنة الأدب ٨ / ٣٦٥-٣٦٩ .

والبيت في ديوانه ٢٩ وروايته فيه : ألم يبلغك ، ومعاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٢٣ ، وشرح أبيات سيبويه للسيرافي ١ / ٣٤٠ ، والمقاصد النحوية للعيني ١ / ٢٣٠ ، ولسان العرب (أتى) ١٤ / ١٤ ، وشرح شواهد المغني للسيوطي ١ / ٣٢٨ ، ٢ / ٨٠٨ ، وخزنة الأدب ٨ / ٣٦١ . وهو غير منسوب في الكتاب ١ / ٣١٦ ، والخصائص لابن جني ١ / ٣٣٦ ، وسر صناعة الإعراب ١ / ٨٧ ، ٢ / ٦٣١ .

قال البغدادي في الخزنة ٨ / ٣٦٤ : والأنباء : جمع نبأ وهو خبرٌ له شأن . و(اللبون) : قال أبو زيد : هي من الشاء ، والإبل ذات اللبن . وقيل : اللبون : الإبل ذوات اللبن . وبنو زياد هم : الربيع ، وعمارة ، وقيس ، وأنس ، بنو زياد بن سفيان بن عبدالله العبسي ، والمراد لبون الربيع بن زياد ، فإن القصة معه . انظر : شرح أبيات سيبويه للسيرافي ١ / ٣٤٠-٣٤٣ .

وقد زیدت مع هذه ^(١) الكلمة بعینها قال :

بِوَادٍ يَمَانٍ يُنْبِتُ الشَّثَّ ^(٢) صَدْرُهُ ^(٣)

وأسفله بالمرخ والشَّبهان ^(٤)

أي المرخ ^(٥).

- (١) في (ع) : (بهذه) .
- (٢) في (أ) : (الشث) ، وفي (ظ) و(ع) : (الشب) ، والتصويب من الحجة .
- (٣) في الحجة : حوله .
- (٤) البيت أنشده أبو علي في الحجة ٢٩١ / ٥ من غير نسبة ، وعنده : (حوله) مكان (صدره) . ونسبه الأصفهاني في الأغاني ١١٢ / ١٩ ليعلى الأحول الإشكري من قصيدة قالها في سجنه لما سجنه عبد الملك بن مروان وروايته : (السدر) .
- وليعلى نسبة ابن السيد البطليوسي في الاقتضاب ٣ / ٣٤١ ، والبغداد في الخزانة ٥ / ٢٧٦ ضمن قصيدة له . ثم ذكر ٥ / ٢٧٨ أنه يقال : إنها لعمر بن عمار الأزدي من بني خنيس ، ويقال : إنها لجواس ابن حيان من أزد عمان .
- ونسبه ابن منظور في لسان العرب (شبه) ١٣ / ٥٠٦ لرجل من عبد القيس ، ثم قال بعد روايته للبيت : قال ابن بري : قال أبو عبيدة : البيت للأحول الإشكري واسمه يعلى . وهو من غير نسبة في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ٤٨ ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ٤١٦ ، ومعاني القرآن للأخفش ٢ / ٦٢٦ ، والطبري ١٦ / ٧٢ وعندهما ؛ الأخفش والطبري (السدر) مكان (الشث) ، ومعاني القرآن للزجاج ٣ / ٤٢١ ، وتصحف (الشث) في المطبوع إلى (البث) .
- قال البطليوسي في الاقتضاب ٣ / ٣٩٣ ، ٣٩٤ : الشُّث : شجر طيب الريح مر الطعم في ما ذكر الخليل ، وقال أبو حنيفة : أخبرني بعض الأعراب قال : الشُّث : مثل شجر التفاح الصغار . والمرخ : شجر خوار خفيف العيدان ليس له ورق ولا شوك ، تصنع منه الزناد ، وهو من أكثر الشجر ناراً . والشبهان : شجر يشبه السمر كثير الشوك وهو من العضاء . وقال الخليل : الشبهان : الثمام . اهـ .
- والشبهان : ضبطه البغدادي ٥ / ٢٧٦ بفتح الشين المعجمة وضم الموحدة وفتحها .
- (٥) في الحجة حمله على : وَيُنْبِتُ أَسْفَلَهُ الْمَرْخَ .

ويجوز أن يكون الباء متعلقاً بغير هذا الفعل الظاهر ، ويقدر^(١) مفعولاً محذوفاً تقديره : وينبت جناها أو ثمرها وفيها دهن وصبغ^(٢) .

قال أبو الفتح الموصلي في شرح هذا الوجه الثاني : ذهب كثير من الناس إلى أن الباء في قوله : ﴿ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ ﴾ زائدة ، وأن تقديره : تنبت الدهن . وهذا عند حذاق أصحابنا على غير وجه الزيادة ، وتأويله عندهم : تَنْبُتُ ما تنبته والدهن فيه ، كما تقول : خرج زيد بثيابه ، أي وثيابه عليه ، وركب الأمير بسيفه ، أي وسيفه معه ، كما أنشد الأصمعي^(٣) :

وَمُسْتَنَّةٌ كَاسْتِنَانِ الْخُرُودِ فَقَدْ قَطَعَ الْجَبَلَ بِالْمُرُودِ

-
- (١) في (ظ) : (ونقدر) .
- (٢) الحجة لأبي علي الفارسي ٢٩١/٥ ، ٢٩٢ مع تقديم وتأخير . انظر : الحجة القراءات لابن زنجلة ٤٨٥ ، والكشف لمكي بن أبي طالب ١٢٧/٢ .
- (٣) إنشاد الأصمعي لهذا البيت في سر صناعة الإعراب لابن جني ١٣٤/١ ، وفي المحتسب ٨٨/٢ لابن جني أيضاً ولم يذكر قائله .
- وقد ذكر الجوهري في الصحاح (خرف) ١٣٤٨/٤ أن الأصمعي أنشده في كتاب الفرس ، ونسبه لرجل من بني الحارث . وكذا قال ابن منظور في لسان العرب (خرف) ٦٦/٩ .
- والبيت بلا نسبة في تهذيب اللغة للأزهري (خرف) ٣٥٠/٧ ، والمخصص لابن سيده ١٣٧/٦ .
- قال ابن منظور ٦٦/٩ ، ٦٧ وقوله : (مستنة) يعني : طعنة فار دُمها باستنان ، والاستنان والسن : المَرُّ على وجهه ، يريد أن دمها مر على وجهه كما يَمْضِي المَهْر . . والمُرُود : حديدة توتد في الأرض يُشَدُّ فيها حَبْل الدَّابَّة .
- قال الجوهري ١٣٤٨/٤ : والخروف : الحَمْلُ ، وربما سُمي المَهْرُ إذا بلغ سِتَّةَ أشهر أو سبعة أشهر خروفاً ، حكاه الأصمعي .

أي قطع الحبل ومروده فيه^(١) . وأنشد أبو علي في هذا الوجه فقال^(٢) :

يَعْتُزْنَ فِي حَدِّ الطُّبَاتِ^(٣) كَأَنَّمَا كُسَيْتُ بُرُودَ بَنِي يَزِيدَ الْأَذْرُعُ^(٤)

أراد يعثرن مطعونات ، فالجار^(٥) والمجرور في موضع الحال ، ويكون الوجه في الآية على أن المفعول محذوف والباء للحال ، والتقدير : تنبت ثمرة بالدهن^(٦) ، [محذف المفعول ، و(بالدهن) في موضع الحال كأنه نبت وفيه دهن]^{(٧)(٨)} .

(١) سر صناعة الإعراب ١ / ١٣٤ .

(٢) (فقال) : ليست في (ظ) و(ع) .

(٣) في (أ) : (الظّهات) ، وفي (ع) : (الطّهات) ، ومثلها في (ظ) مهملة . والتصويب من سر صناعة الإعراب وغيره من مصادر تخريج الخبر .

(٤) البيت في سر صناعة الإعراب ١ / ١٣٤ ، والمحاسب ٢ / ٨٨ من غير ذكر لإنشاد أبي علي ، بل نسب البيت للهللي .

وهو منسوب لابي ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين ١ / ١٠ ، والمفضليات ٤٢٥ وفيها : (تزيد) مكان (يزيد) ، اللسان (نبت) ٢ / ٩٥ ، وفيه (تزيد) ، خزانة الأدب : (ب) ١ / ٢٧٤ وهو من قصيدة له مشهورة أولها :

أَمِنَ الْمُنُونِ وَرَيْبِهَا تتوجع

وهو في هذا البيت يصف حُر وحش أصابتها السهام ، فقله : (في حد الطبات) الطُّبَات : جمع (طبة) وهو طرف النصل من أسفل . وبنو يزيد : قوم كانوا تجاراً بمكة نسبت إليهم هذه البرود ، وهي برود حمر ، فشبه طرائق الدم على أذرع تلك الحمر بطرائق تلك البرود الحمر .

انظر : شرح ديوان الهذليين للسكري ١ / ٢٥ ، ٢٦ ، وشرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لأبي أحمد العسكري ٤٤٦ ، وفيه الكلام على رواية (يزيد) ، و(تزيد) . وتصويب ابن دريد تصويب رواية (يزيد) وتخطئة (تزيد) ، خزانة الأدب للبغدادى ١ / ٢٧٤ - ٢٧٧ .

(٥) في (ظ) : (والجار) .

(٦) في (ع) : (والدهن) .

(٧) ساقط من (ع) .

(٨) لم أقف على قول أبي علي وإنشاده .

وذكر أبو علي^(١) وجهين آخرين^(٢) :

أحدهما : أن الآية من باب حذف المضاف ، فيكون^(٣) معنى ﴿تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ﴾ أي بذئ الدهن ؛ أي تنبت ما فيه دهن .

والوجه الثاني : أن يكون (أنبت) بمعنى (نبت) ، وتكون الباء للتعدي^(٤) .

كما أنها لو كانت في^(٥) نبت فكان كذلك^(٦) .

ومن قرأ ﴿تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ﴾ جاز^(٧) أن يكون الجار فيه للتعدي : أنبته ونبت به^(٨) ، ويجوز أن يكون الباء في موضع حال كما كان في القراءة الأولى ، ولا تكون للتعدي ولكن : تنبت وفيها دهن^(٩)^(١٠) .

(١) (أبو علي) ساقط من (ظ) و(ع) .

(٢) ذكر أبو علي هذين الوجهين في الحجة ٥٥/٥ عند قوله تعالى : ﴿يُنْبِتُ﴾ [النحل : ١١] .

(٣) في (ظ) و(ع) : (ويكون) .

(٤) في الحجة : وإذا ثبت (أنبت) في معنى : نبت ، جاز أن تكون الباء للتعدي . وأبو علي يشير بهذا إلى إنكار الأصمعي لهذا كما تقدم .

(٥) في الحجة : (مع) .

(٦) وعلى هذا الوجه تكون القراءتان على هذه اللغة بمعنى واحد . انظر : علل القراءات للأزهري ٤٣٣/٢ ، ٤٣٤ ، والكشف لمكي بن أبي طالب ١٢٧/٢ .

(٧) في (ع) : (أجاز) .

(٨) به ساقطة من (أ) . وفي (ظ) : (ونبته) ، والمثبت من (ع) وهو الموافق لما في الحجة .

(٩) في (ع) : (ودهن) .

(١٠) من قوله : ومن قرأ . . . إلى هنا نقلاً عن الحجة لأبي علي ٢٩٢/٥ . وفي الباء في قوله : ﴿بِالذَّهْنِ﴾ وجه آخر ذكره ابن كثير ٢٤٣/٣ وهو أنها دخلت لأن فعل (ينبت) مضمن لمعنى فعل آخر ، قال : وأما على قول من يضمن الفعل ، فتقديره : تخرج بالدهن ، أو : تأتي بالدهن ، ولهذا قال : ﴿وَصَبَّغَ﴾ ؛ أي آدم . قاله قتادة . ﴿لَا كَلِمَ﴾ ؛ أي فيها ما ينتفع به من الدهن والاصطباغ .

قوله : ﴿وَصَبِّغْ لِلْأَكْلَيْنِ﴾ . قال الليث : الصبغ والصباغ : ما يصطبغ به من الأدم^(١) .

وقال غيره : الأصل^(٢) في الصبغ^(٣) والصباغ : هو ما يلون^(٤) به الثياب ، فشبه به ما يصطبغ به . وذلك أن الخبز^(٥) يُلون بالصبغ إذا غمس فيه ، والاصطباغ بالزيت الغمس فيه للائتمام به^(٦) .

والمراد بالصبغ : الزيت . في قول ابن عباس . فإنه يُدهن به ويؤتدم^(٧) .

وهو اختيار الفراء^(٨) . جعل الصبغ الزيت .

وقال مقاتل : جعل الله في هذه الشجرة آدمًا ودهنًا^(٩) .

وعلى هذا ، الأدم الزيتون ، والدهن الزيت . وهو اختيار الزجاج ، قال : يعني بالصبغ الزيتون^(١٠) .

(١) تهذيب اللغة للأزهري (صبغ) ٢٧ / ٨ نقلاً عن الليث . وهو في العين ٣٧٤ / ٤ : ما يصطبغ في

الأطعمة ونحوها ؛ أي يؤتدم .

(٢) (الأصل) : ساقطة من (ظ) .

(٣) في (أ) : (والصبغ) .

(٤) في (ظ) : (يكون) ، وهو خطأ .

(٥) في (أ) و(ع) : (الخر) . مهملة . وفي (ظ) : (الخبز) .

(٦) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (صبغ) ٢٨ / ٨ ، ٢٩ ، ولسان العرب (صبغ) ٤٣٧ / ٨ .

(٧) في (ظ) : (ويؤتدم به) .

(٨) الفراء ساقطة من (ظ) و(ع) . انظر كلام الفراء في : معاني القرآن ٢ / ٢٣٣ .

(٩) تفسير مقاتل ٣٠ أ ، وفيها : إداماً .

(١٠) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١١ . قال الأزهري في تهذيب اللغة ٢٧ / ٨ بعد حكاية هذا القول عن الزجاج : وهذا أجود القولين ؛ لأنه قد ذكر الدهن قبله .

٢١. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۚ تَتَّبِعُكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ مفسرة^(١) في سورة النحل^(٢).

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ ؛ في ظهورها ، وألبانها ، وأوبارها ، وأصوافها ، وأشعارها .

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ . قال ابن عباس : من لحومها وأولادها والكسب عليها^(٣) .

٢٢. قوله : ﴿وَعَلَيْهَا﴾ . قال ابن عباس : يريد الإبل خاصة^(٤) .

﴿وَعَلَى الْفَلَكَ تُحْمَلُونَ﴾ . قال الكلبي : أما في البحر فالسفن ، وأما في البر فالإبل^(٥) .

وهذه الآية تدل على أنه يجوز أن يذكر أشياء ، ثم يكتفى^(٦) عن بعضها ، فتعود الكناية إلى بعضهم لا إلى الجميع ، وذلك أن الأنعام اسم للإبل والبقر والغنم ، ولسنا نحمل على شيء منها إلا الإبل ، فعادت الكناية إليها من جملة الأنعام .

والبقر منهي عن ركوبها في الحديث الذي ورد : «أن رجلاً ركب بقرة ، فقالت : إنا لم نخلق لهذا ، إنما خلقنا للحرثة» . والحديث مشهور^(٧) .

(١) في (ظ) و(ع) : (مفسر) .

(٢) عند قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۚ تَتَّبِعُكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦] .

(٣) ذكرهما ابن الجوزي ٤٦٨/٥ من غير نسبة لأحد . انظر : تنوير المقباس ٢١٢ .

(٤) ذكرهما ابن الجوزي ٤٦٨/٥ من غير نسبة لأحد . انظر : تنوير المقباس ٢١٢ .

(٥) ذكره البغوي ٤١٥/٥ ، وابن الجوزي ٤٦٨/٥ من غير نسبة .

(٦) في (ظ) : (يعني) .

(٧) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الحرث ، باب استعمال البقر للحرثة ٨/٥ ، ومسلم في صحيحه كتاب في فضائل الصحابة ، باب من فضل أبي بكر الصديق ٤/١٨٥٥ .

ونظير هذه الآية في تذكير النعمة بالحمل على الإبل والسفن قوله : ﴿وَحَمَلْنَهُمْ فِي الْوَيْبِ وَالْبِخْرِ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

٢٣ . قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا﴾ . قال ابن عباس : يعزي نبيه ﷺ بأن غير أمته قد كذبوا أنبياءهم وجحدوا بالبعث^(١) .

﴿فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ﴾ . قال ابن عباس : أطيعوا الله . وقال مقاتل : وحدوا الله^(٣) .

﴿مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ ؛ ما غيره لكم رب ومعبود . ﴿أَفَلَا تَنْقُوتُ﴾ ؛ أو لا تتقونه بالطاعة والتوحيد . قال ابن عباس : يريد : أفلا تحافون الله^(٤) .

٢٤ . قوله : ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضِّلَ عَلَيْكُمْ﴾ . قال ابن عباس : يريد أن يرأسكم ويسودكم^(٥) .

والمعنى : يريد أن يصير له الفضل عليكم فيكون متبوعاً ، وأنتم له تبع^(٦) .

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أن لا نعبد^(٧) شيئاً سواه ﴿لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ ؛ لأرسل ملائكة فكانوا^(٨) رسله ، ولم يرسل بشراً آدمياً . ﴿مَا سَمِعْنَا﴾ الذي يدعونا إليه نوح من التوحيد .

(١) في (ظ) و(ع) : (البعث) .

(٢) ذكره ابن الجوزي ٤٦٩/٥ بمعناه وعزاه للمفسرين .

(٣) تفسير مقاتل ٣٠/٢ أ .

(٤) انظر : الطبري ١٦/١٨ ، والبعثي ٤١٥/٥ .

(٥) انظر : القرطبي ١١٨/١٢ .

(٦) هذا قول الطبري ونصه : ١٦/١٨ .

(٧) في (ظ) : (يعبدوا) . وفي (ع) : (يعبد) . والمثبت من (أ) هو الموافق لما عند الطبري .

(٨) في (ظ) و(ع) : (وكانوا) .

﴿فَإِذَا بَآئِنَا آلُؤَلَيْنِ﴾ . قال ابن عباس : في الأمم الماضية^(١) .

والباء في ﴿بِهَذَا﴾^(٢) زائدة^(٣) ، و﴿فَإِذَا﴾ ظرف لمحذوف . كأنه قيل : ما سمعنا بهذا سابقاً أو كائناً في آبائنا الأولين .

٢٥ . قوله : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ يَهْجُو جَنَّةً﴾ ؛ أي حالة جنون ، وهي غمرة تغطي العقل وتستره^(٤) .

وقال الفرّاء : ﴿حَقَّقَ حِينَ﴾ ؛ أي إلى وقت ما . ولم يعنوا بذلك وقتاً معلوماً ، وهو كقول القائل : دعه إلى يوم ما^(٥) .

٢٦ . قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : انصُرني بتحقيق قولي في العذاب أنه نازل بهم في الدنيا على من لم يطعني ولم يسمع رسالتي^(٦) .

﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾ ؛ أي بتكذيبهم إياي . والمعنى : انصُرني بإهلاكهم جزاء لهم بتكذيبهم .

(١) ذكره عنه القرطبي ١١٨/١٢ .

(٢) في (ع) : (هذا) .

(٣) هذا القول محل نظر ، والأظهر في هذا أن فعل (سمعنا) مُضمن لمعنى فعل آخر ؛ فلذا عُدي بالباء . قال العلامة محمد الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير ٤٣/١٨ : ولما كان السماع المنفي ليست سماعاً بآذانهم لكلام في زمن آبائهم ، بل المراد ما بلغ إلينا وقوع مثل هذا في زمن آبائنا ، عُدي فعل (سمعنا) بالباء لتضمينه معنى الاتصال . اهـ .

(٤) انظر : لسان العرب (جنن) ٩٢/١٣ .

(٥) معاني القرآن للفرّاء ٢/٢٣٤ مع اختلاف يسير . وهذا كلام الطبري ١٧/١٨ بنصه ، ولم ينسبه الطبري لأحد .

(٦) تفسير مقاتل ٢/٣٠ إلى قوله : نازل بهم في الدنيا . وذكر الرازي ٩٣/٢٣ هذا القول ، ولم ينسبه لأحد .

قال أهل المعاني : وهذا دعاء عليهم بالإهلاك^(١) من أجل التكذيبية^(٢).

٢٧-٢٨. قوله : ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ مفسر في سورة هود إلى قوله : ﴿فَإِذَا
أَسْتَوَيْنَا﴾^(٣).

قوله : ﴿فَأَسْأَلُ فِيهَا﴾ ؛ أي أدخل في سفيتك . وذكرنا تفسيره عند قوله :
﴿كَذَلِكَ نَسْأَلُكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الحجر: ١٢] .

٢٩. قوله تعالى : ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً﴾ . المنزل يجوز أن يكون مصدراً
بمنزلة : أنزلني إنزالاً مباركاً ، وعلى هذا ، يجوز أن يعدى الفعل إلى
مفعول آخر . ويجوز أن يكون المنزل موضعاً للإنزال كأنه قيل : أنزلني
مكاناً أو موضعاً . وعلى هذا الوجه قد استوفى الإنزال مفعوليه . وقرأ
أبو بكر عن عاصم (مَنْزَلاً) بفتح الميم وكسر الزاي^(٤) . ويجوز على هذه
القراءة الوجهان ، أحدهما : أن يكون موضع نزول . والآخر أن يكون
مصدراً . ودل (أنزلني) على أنزل^(٥) فانتصب (منزلاً) على أنه مصدر .
وعلى الوجه الأول على أنه محل^(٦) .

(١) في (ظ) : (بإهلاكهم) .

(٢) ذكر الجشمي في تهذيبه ١٩٧/٦ ب نحو هذا المعنى ولم ينسبه لأحد .

(٣) انظر : البسيط سورة هود ٣٧ ، ٣٨ .

(٤) وقرأ الباقر : ﴿مَنْزَلاً﴾ بضم الميم وفتح الزاي . السبعة ٤٤٥ ، والتبصرة ٢٦٩ ، والتيسير ١٥٩ .

(٥) في الحجة : (على نزلت) .

(٦) هذا كلام أبي علي في الحجة ٢٩٣/٥ ، ٢٩٤ مع تقديم وتأخير وتصرف . انظر في توجيه القراءتين
أيضاً : علل القراءات للأزهري ٤٣٤/٢ ، والكشف لمكي بن أبي طالب ١٢٨/٢ .

والمفسرون على أنه أمر أن^(١) يقول عند استوائه على الفلك : الحمد لله ، وعند نزوله منها^(٢) ﴿أَنْزَلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً﴾^(٣) .

قال مجاهد^(٤) : [قال نوح]^(٥) حين خرج من السفينة ﴿أَنْزَلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً﴾^(٦) . وقال مقاتل : يعني بالبركة أنهم توالدوا وأكثروا^{(٧)(٨)} .

وهذا يدل على أن هذا الدعاء كان عند الهبوط . وقال الكلبي : منزلاً مباركاً بالماء والشجر .

وقال ابن عباس في قوله : ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ . يريد من السفينة ، مثل قوله : ﴿أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا﴾ [هود : ٤٨]^(٩) .

وذهب بعض أهل المعاني إلى أن المنزل المبارك هو السفينة ؛ لأنها كانت سبب النجاة^(١٠) .

(١) (أن) : ساقطة من (ظ) .

(٢) في (أ) : (فيها) .

(٣) انظر : الطبري ١٨ / ١٨ ، والدر المنثور ٩٧ / ٦ .

(٤) في (ع) : (مقاتل) ، وهو خطأ .

(٥) ما بين المعقوفين في (ع) : (يعني . . .) .

(٦) رواه الطبري ١٨ / ١٨ بلفظ : قال نوح حين نزل من السفينة . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٩٧ / ٦ بمثل لفظ الطبري ، وعزه لابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٧) في (أ) و(ظ) : (وكثرُوا) ، والمثبت من (ع) هو الموافق لما في تفسير مقاتل .

(٨) تفسير مقاتل ٣٠ / ٢ ب .

(٩) ذكره عنه القرطبي ١٢ / ١٢٠ .

(١٠) ذكر الطوسي في التبيان ٧ / ٣٢١ هذا القول ونسبه للجبائي ، وكذا ذكره الجشمي في التهذيب ٦ / ١٩٨ أ ، وذكر الماوردي ٤ / ٥٣ ، وابن الجوزي ٥ / ٤٧ ، والقرطبي ١٢ / ١٢٠ هذا القول من غير نسبة لأحد . قال القرطبي ١٢ / ١٢٠ : وبالجمله ، فالآية تعليم من الله - عز وجل - لعباده إذا ركبوا وإذا نزلوا أن يقولوا هذا .

٣٠. قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ يعني في أمر نوح والسفينة وهلاك أعداء الله . ﴿لَا يَنْتَرِ﴾ ؛ لدلالات على قدرة الله ووحدانيته ، وعبراً لمن اعتبر .

﴿وَلَا كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ ؛ وما كنا إلا مختبرين إياهم بإرسال نوح ووعظه وتذكيره^(١) .

٣١-٣٥. قوله : ﴿فَرَأَيْنَاهُمْ بَعْدَهُمْ قَرَآنَ آخِرِينَ﴾ يعني عاداً قوم هود ، [وأراد^(٢) بقوله]^(٣) : ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ هوداً .

والباقى ظاهر إلى قوله : ﴿أَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ﴾ الآية .

قال الفراء : أعيدت (أَنْكُمْ) مرتين ومعناها واحد ، إلا أن ذلك حسن لما فرق بينها بإذا ، وهي في قراءة عبدالله (أعيدكم إذا مُتُّم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون)^(٤) .

وقال أبو إسحاق : ﴿أَنْكُمْ﴾ موضعها نصبٌ على معنى : أعيدكم بأنكم إذا مُتُّم . وموضع (أن) الثانية عند قوم كموضع الأولى ، وإنما ذكرت تأكيداً . والمعنى على هذا القول : أعيدكم أنكم مخرجون إذا مُتُّم . فلما بعد ما بين (أن) الأولى والثانية بقوله ﴿إِذَا مُتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ أعيد ذكر (أن) كما قال عز وجل : ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٦٣] المعنى : فله نار جهنم^(٥) .

(١) في (أ) : (وتنكيره) .

(٢) (وأراد) : في هامش (أ) وعليها علامة التصحيح .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .

(٤) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٣٤ مع اختلاف يسير .

(٥) معاني القرآن للزجاج ١١ / ٤ .

قال أبو علي الفارسي : لا يخلو (أن) الثانية في قوله : ﴿أَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ﴾ الآية ، وفي ^(١) قوله : ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ مُحَادِدٍ﴾ الآية ، وفي قوله : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا يَجْهَلِكُهُ تُرْتَابٌ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ^(٢) [الأنعام : ٥٤] من أن يكون : بدلاً من الأول ^(٣) ، أو يكون مكرراً ^(٤) للتأكيد وطول الكلام ، أو يكون زائداً غير معتد ^(٥) به كما في قوله : ﴿فِيمَا نَقُصُّهُمْ﴾ ^(٦) ، أو يكون مرتفعاً بالظرف . فمذهب ^(٧) سيبويه ^(٨) : أن الثانية بدل من الأولى ، ومذهب أبي العباس ^(٩) وأبي عمر الجرمي أنه مكرر للتأكيد ، ومذهب أبي الحسن ^(١٠) أنه مرتفع بالظرف ^(١١) ، ولم يقل أحد أنه زائد غير معتد به ^(١٢) .

-
- (١) في (ع) : (في) .
 (٢) قوله : ﴿سُوءًا يَجْهَلِكُهُ تُرْتَابٌ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ﴾ ساقط من (ع) . وفي (أ) : (بيان) ، وفي (ظ) قوله : ﴿سُوءًا يَجْهَلِكُهُ﴾ . ثم سقط ما بعده وهو قوله : ﴿تُرْتَابٌ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ﴾ . وفي الإغفال الآية كاملة .
 (٣) هكذا في (أ) و(ظ) ، والإغفال . وفي (ع) : (الأول) . وقد غيرها محقق الإغفال إلى الأولى . وأشار إلى ذلك في الحاشية ١٠٨١ / ٢ .
 (٤) هكذا في النسخ جميعها وفي الإغفال أيضاً ، وقد غيرها محقق الإغفال إلى : تكون مكررة . وغير ما بعدها أيضاً . وأشار إلى ذلك في الحاشية ١٠٨١ / ٢ .
 (٥) في (ظ) و(ع) : (غير متعد) ، وفي (أ) : (غير متعدية) ، انظر : الإغفال ١٠٨١ / ٢ .
 (٦) النساء ١٥٥ ، المائدة ١٣ .
 (٧) في (أ) : (فذهب) .
 (٨) الكتاب ١٣٢ / ٣ ، ١٣٣ .
 (٩) هو المبرّد ، انظر قوله في : المقتضب ٣٥٦ / ٢ .
 (١٠) هو الأخفش .
 (١١) ذكر الأخفش في معاني القرآن ٢٨٩ / ١ في هذه الآية ﴿أَعِدُّكُمْ﴾ أن الآخرة بدل من الأولى .
 (١٢) في (ظ) و(ع) : (غير متعد به) .

قال سيبويه^(١) : مما جاء مبدلاً قوله : ﴿أَعِدُّكُمْ...﴾ الآية ، فكأنه^(٢) قال : أيعدكم أنكم مخرجون إذا متم . وذلك أريد بها ، ولكنه إنما قدمت (أن) الأولى ليعلم بعد أي شيء الإخراج . قال : وزعم الخليل أن مثل ذلك قوله : ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَتَتْ لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ .

قال أبو علي : لا يجوز عندي^(٣) أن تكون (أن) الثانية في شيء من الآي بدلاً من الأولى ، وذلك لا يخلو من أحد أمرين : إما أن تبدل (أن) من (أن)^(٤) وحدها من غير أن تتم بصلتها ، وإما أن تبدل منها^(٥) بعد تمامها بصلتها . فلا يجوز أن تبدل منها من غير أن تتم بصلتها^(٦) ؛ لأنها قبل أن تتم بصلتها حرف ؛ ولم^(٧) نرهم أبدلوا الحرف من الحروف كما أبدلوا^(٨) الاسم من الاسم والفعل من الفعل . ولا يجوز أن يكون مبدلاً منها في الآية بعد تمام الصلة ؛ لأن صلة الأولى لم تتم ، وإنما تتم اسماً إذا استوفت صلتها تامة . وصلتها يكون اسماً كان مبتدأ قبل دخولها عليه مع خبره ، وقوله : ﴿إِذَا مِتُّمُ﴾ لا يكون خبراً لاسم (أن) كما لا يجوز أن يكون خبراً له قبل دخول (أن) ، ألا ترى أنك لو قلت : أنتم^(٩) إذا متم ، لم يجوز ؛ لأن الظرف من الزمان لا يكون خبراً عن الجثث^(١٠) ، فكذلك^(١١) لا يجوز أن تكون (إذا) خبراً

(١) الكتاب لسيبويه : ١٣٢ / ٣ ، ١٣٣ .

(٢) في (ع) : (وكأنه) .

(٣) (عندي) : ساقطة من (ع) .

(٤) من (أن) : ساقط من (ظ) .

(٥) في (ظ) : (منها) .

(٦) في الإغفال ١٠٨٣ / ٢ ، خ ل ١١٢ أ : (من غير أن تتم كل واحدة بصلتها) . وأشار محقق الإغفال إلى

سقوطها من بعض النسخ .

(٧) في (ع) : (ولا) . وهي ساقطة من (ظ) .

(٨) في النسخ جميعها : (أبدل) . والتصويب من الإغفال ١٨٣ / ٢ ، (خ) ١٢١ أ .

(٩) في (ع) : (أنكم) .

(١٠) في (أ) : (الجثث) . وفي (ظ) : (الجثب) . والمثبت من (ع) ، والإغفال .

(١١) في (ظ) و(ع) : (فلذلك) .

لاسم (أن) من قوله : ﴿ أَتَكْمُرُ إِذَا مِتُّمْ ﴾ ، وإذا لم يجوز أن يكون خبراً له فقد ثبت أن ﴿ أَتَكْمُرُ ﴾ الأولى لم تستوف صلتها ، وإذا لم تستوف صلتها لم يجوز البدل منها ؛ لأن الاسم المبدل منه حكمه أن يكون تاماً . وكذلك لا يجوز أن تكون الثانية بدلاً من الأولى في قوله : ﴿ أَنَّهُ مَنْ يُكَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَتَبَكَ اللَّهُ ﴾ لأن الشرط وحده دون الجزاء لا يكون خبراً لاسم (أن) ، كما لم يجوز أن يكون خبراً للمبتدأ^(١) . وأبو العباس يذهب إلى أن الثانية مكررة تأكيداً ، ولست تريد بها إلا ما أردت بالأولى . قال^(٢) : وهذا أحسن الأقاويل عندي في هذه الآية^(٣) .

قال أبو علي : قول أبي العباس^(٤) لا يجوز عندي أيضاً ، لأنه لا يخلو من أن يقع التكرير للتأكيد في (أن) وحدها دون صلتها أو مع صلتها . فلا يجوز التكرير^(٥) فيها وحدها ، كما لا تكرر سائر الموصولات دون صلاتها ، ولو كررت اسماً موصولاً نحو : ضربت الذي في الدار [الذي في الدار]^(٦) ، لم تكرره إلا مستوفياً لصلته [فلا يجوز أن يكون (أن) أيضاً مكرراً مفرداً من صلتها غير مستوفية لها]^(٧) . فلا يجوز في شيء من الآي الثلاث التكرير ، لأن الأولى لم تستوف صلتها في واحدة منها . فقد بان الدخل في هذا القول أيضاً . وهو عندي أشبه من القول الأول . وإذا بان فساد القولين ثبت أنها مرتفعة بالظرف الظاهر الذي هو (إذا) كأنه^(٨) في التقدير : أيعدكم أنكم إذا متم إخراجكم . كما تقول : وقت موتكم إخراجكم . فموضع

(١) في (ظ) و(ع) : (لمبتدأ) .

(٢) القائل هو أبو العباس المبرد .

(٣) انظر : المقتضب ٣/ ٣٥٦ ، ٣٥٧ .

(٤) في (أ) : (يقول أبو العباس) ، وهو خطأ .

(٥) في (أ) : (التكرار) ، والمثبت من باقي النسخ هو الموافق لما في الإغفال .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .

(٨) في (أ) : (فكأنه) ، والمثبت من باقي النسخ هو الموافق لما في الإغفال .

﴿إِذَا مِتُّمْ﴾ إلى قوله ﴿تُخْرِجُونَ﴾ رفع ، لكون ذلك جملة ، ووقوعه ^(١) كله خبراً لـ (أن) الأولى .

فأما موضع ^(٢) (إذا) فنصب من حيث انتصب مثل : يوم الجمعة القتال ، واليوم الإخراج . وحكم هذا أن تُضمَر للمرفوع خبراً ^(٣) يكون إياه في المعنى ، أو يكون له ^(٤) فيه ذكر ؛ لأن يوم الجمعة ليس بالقتال ولا له فيه ذكر ، وذلك الخبر المُضمَر : كائن أو حادث أو يحدث ، وما أشبه ^(٥) ذلك . فإذا أضمر هذا الذي لا بد من إضماره عمل في الظرف . ولا يجوز أن يكون العامل في الظرف الإخراج نفسه من جهة أن الكلام لا يتم ولا يكون له خبر ، فيحتاج إلى ما يصير خبراً له ثم يحذف هذا ^(٦) الخبر الذي ذكرت لك أنه لا بد من إضماره ^(٧) ، ويدل على حذفه هذا المنتصب .

وكذلك (إذا) في الآية حكمه حكم قولك : غداً الرحيل . كأن التقدير في الأصل : إذا تم إخراجكم كائن أو حادث أو يحدث ، فـ (إذا) منتصب ^(٨) بالخبر المقدر انتصاب غداً ^(٩) ، وحذف الخبر كما حذف من غدا ، ثم قام (إذا) مقام الخبر المحذوف فصار فيه ضميره كما صار في سائر الظروف ، ثم قام مقام الفعل فرفع ^(١٠) كما رفع قوله : غداً الرحيل . فـ (غداً) و (إذا) ، و (في الدار) ، وما أشبه ذلك من

(١) في (ع) : (وقوعه) .

(٢) في (أ) : (مواضع) ، وهو خطأ .

(٣) في الإغفال : (أن يضمَر له خبر) . وقال المحقق : في (ش) : (خبراً) .

(٤) في الإغفال : (أو يكون له خبر) . وأشار المحقق إلى سقوط (خبر) من (ش) .

(٥) في (ع) : (أو ما أشبه) .

(٦) في النسخ جميعها : (وهذا) ، والتصويب من الإغفال ١٠٩٢ / ٢ .

(٧) في (أ) و (ع) : (إضماره) ، والمثبت من (ظ) والإغفال .

(٨) في (ظ) و (ع) : (انتصب) .

(٩) في (ظ) : (غدا) .

(١٠) في الإغفال ١٠٩٥ / ٢ : (فرفع أن) .

الظروف كان أصله ما عرّفتك من الانتصاب بالفعل الذي تقدم^(١) أو ما يقوم مقامه ، ثم يختزل فتقوم هي مقام المختزل ، فتصير مواضعها لذلك^(٢) رفعاً نحو : زيد في الدار ، ونحو : القتال إذا أتيت زيدا ، فيرفع^(٣) الظاهر كما يرفع المضمر^(٤) ، فإذا قدم الظرف^(٥) لم يكن له موضع من الإعراب ، كما أنه ليس لقولك مبتدأ : قام زيد موضع من الإعراب يخالف لفظه [كما أن لقولك : عندك^(٦) من قولك : زيد عندك موضع يخالف لفظه]^(٧) وهو الرفع لوقوعه موضع خبر الابتداء ، فكذلك^(٨) حكم (إذا) في الآية ، إلا أنه لما وقع موضع الخبر مع ما بعده قلنا : إن الجملة بأسرها معها في موضع رفع ، وإنها إذا كانت متقدمة^(٩) مرتفعاً بها الاسم لا موضع لها^(١٠) من الإعراب مخالفاً للفظها^(١١) من حيث لم يكن لقولك^(١٢) : في الدار ، وعندك من قولك : في الدار زيد ، وعندك عمرو موضع من الإعراب لقيامهما^(١٣) مقام ما لا موضع له ، فعلى هذا ، حكم هذه الظروف في قيامها^(١٤)

(١) في الإغفال ٢/ ١٠٩٥ : (الذي يقدر) .

(٢) في (أ) : (بذلك) ، والمثبت من باقي النسخ والإغفال ٢/ ١٠٩٥ .

(٣) في (ظ) و(ع) : (فرع) .

(٤) في الإغفال ١٠٩٥ بعد قوله زيدا : ثم تقدم فترفع الظاهر كما رفع المضمر .

(٥) في (ظ) و(ع) : (فرع) .

(٦) في (ع) : (عندي) ، والتصويب من الإغفال .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ظ) .

(٨) في النسخ جميعها : وكذلك ، مقدمه . . . له . . . للفظه) ، والمثبت من الإغفال .

(٩) نفسه .

(١٠) نفسه .

(١١) نفسه .

(١٢) في (ظ) : (كقولك) ، وهو خطأ .

(١٣) في (ظ) : (لمقامها) .

(١٤) في (أ) : (مقامها) ، والمثبت من (ظ) و(ع) هو الموافق لما في الإغفال .

مقام الفعل . وأبو العباس يقول في هذه الآية : إن ارتفاعه بالظرف حسن جميل . هذا كله كلام أبي علي في كتاب ^(١) الإصلاح ^(٢) .

وقال في كتاب الحجة : من قدر [في] ^(٣) (أَنَّ) الثانية البدل فإنه ينبغي أن يقدر محذوفاً ليتم بذلك الكلام فيصح البدل ، إذ لا يبدل من الاسم إلا بعد تمام الكلام فيكون التقدير : أيعدكم أن إخراجكم إذا متم ، فيكون خبراً لـ (أَنَّ) وهو اسم الزمان ، والإخراج حدث واسم الزمان يصح أن يكون خبراً عن الأحداث . وإذا لم يقدر هذا المحذوف لم يتم الكلام ؛ لأن قوله : ﴿ إِذَا مِتُّمُ ﴾ لا يصح أن يكون خبراً عن المخاطبين بقوله : ﴿ أَتُكْفَرُ ﴾ لأنهم أعيان ^(٤) ، وأسماء الزمان لا يصح أن تكون خبراً عن الأشخاص ، وإذا ^(٥) قدرت هذا التقدير صح أن يكون ﴿ أَتُكْفَرُ ﴾ الثانية بدلاً من الأولى . ومن قدر في الثانية التكرير لم يحتج إلى تقدير محذوف ^(٦) .

قال : فأما ^(٧) قول أبي إسحاق : ﴿ أَيْعِدُكُمْ أَتُكْفَرُ ﴾ : إن موضع (أَنَّ) الأولى نصبٌ على معنى : أيعدكم بأنكم فإن ^(٨) وعدت تتعدى إلى مفعولين ، وتعديه إلى المفعول الثاني بغير حرف ، ولا حاجة إلى تقدير الباء ألا ترى أن ما جاء في التنزيل من هذا بغير الباء فمن ذلك قوله : ﴿ وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ ﴾ [الفتح : ٢٠٠] ﴿ وَوَعَدْتُكُمْ جَنَّاتِ الطُّورِ ﴾ [طه : ٨٠] و (جانب) مفعول ثانٍ ولا يكون ظرفاً لاختصاصه ﴿ وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ يَتِلَّةً ﴾ [الأعراف : ١٤٢] و ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً ﴾

(١) في (أ) : (وكتاب) .

(٢) الإغفال لأبي علي الفارسي ١٠٨١ / ٢ - ١٠٩٧ مع تصرف واختصار .

(٣) في : زيادة من الحجة يستقيم بها المعنى .

(٤) في (ع) : (أعوان) .

(٥) في (ط) و (ع) : (فيذا) .

(٦) الحجة ٦١ / ٢ .

(٧) في (ط) : (وأما) .

(٨) في (أ) : (قد) .

[الفتح: ٢٩] و﴿إِلَّا عَنْ مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ [التوبة: ١١٤] فلم يتعد ، وعدت في كل هذا إلى المفعول الثاني بالباء ، وكذلك ينبغي أن يكون المفعول الثاني في ﴿أَيَعِدُكُمْ أَتُكْمِرُ﴾ لا تحتاج فيه إلى تقدير حرف الخفض^(١) .

٣٦ . قوله تعالى : ﴿هِيَآتَ هِيَآتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ . معنى (هيات) : بَعَدَ الأمرُ جداً حتى امتنع .

وهو صوت بمنزلة صَهْ ومَهْ ، إِلَّا أن هذه الأصوات الأغلب عليها الأمر والنهي ، وهذا في الخبر ، ونظيره شتان ؛ أي بعد ما بينهما جداً .

وهذا الذي ذكرنا هو معنى ما ذكره أبو علي في كتاب الإيضاح . فإنه ذكر فيه باب الأسماء التي سميت بها الأفعال ، فذكر فيه (رويد) بمعنى : أُرود ؛ أي أمهل ، و(إيه) بمعنى : حدث ، وصَهْ ومَهْ بمعنى : اسكت . وقال : أكثر ما تستعمل هذه الأسماء في الأمر والنهي ، وقد جاء شيء من ذلك في الخبر ، وذلك قولهم : شتان زيد وعمرو ، فهذا بمنزلة : بعد زيد وعمرو ، وقالوا : سرعان ذا إهالة^(٢) ، بمعنى : سَرُع ، وقالوا^(٣) : هيات زيد ، يريدون : بعد . هذا كلامه^(٤) .

(١) الإغفال للفارسي ١١٠١/٢ - ١١٠٣ .

(٢) سرعان - مثلية السين - بمعنى : سرع . والإهالة : الودك .

و(سرعان ذا إهالة) مثل ، أصله : أن رجلاً كانت له نعجة عجماء ، ورُغامها يسيل من منخريها لهزالها ، فقيل له : ما هذا الذي يسيل ؟ فقال : ودكها . فقال السائل ذلك القول . وقيل : إن أصل هذا المثل أن رجلاً كان يُحَمِّق ، اشترى شاة عجماء يسيل رُغامها هزالاً وسوء حال ، فظن أنه ودك فقال : (سرعان ذا إهالة) .

و(إهالة) منصوب على الحال ، و(ذا) إشارة إلى الرغام ، ؛ أي سرع هذا الرغام حال كونه إهالة ، وهو مثل يضرب لمن يخبر بكيونة الشيء قبل وقته .

انظر : مجمع الأمثال للميداني ١١١-١١٢ ، ولسان العرب (سرع) ١٥٢/٨ ، والقاموس المحيط ٣٧/٣ ، وتاج العروس للزبيدي (سرع) ١٨٦/٢١ .

(٣) (قالوا) : ساقطة من (أ) .

(٤) الإيضاح العضدي ١٩١ .

وقد ثبت أن هيهات اسم سمي به الفعل وهو بعد في الخبر لا في الأمر كما عليه أكثر بابه ، وتفسير هيهات : بَعْدَ ، وليس له اشتقاق ؛ لأنه بمنزلة الأصوات ، وفيه زيادة معنى ليس في بَعْدَ ، وهي أن المتكلم بهيهات يخبر عن اعتقاده استبعاد ذلك الشيء الذي يخبر عن بُعْدِهِ ، وكأنه بمنزلة أن تقول : بعد جداً ، وما أبعده ! لا على أن يعلم المخاطب مكان ذلك الشيء في البعد فـ[حسب ، كما لو قال : بعد زيد ، يفهم من هذا أنه يخبر عن مكانه في البعد]^(١) . ففي هيهات زيادة معنى على بعد ، وإن كنا^(٢) نفسره ببعد .

قال الفراء في قوله : ﴿ هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ : لو لم تكن اللام في (ما) كان صواباً . ودخول اللام عربي ، ومثله في الكلام : هيهات لك ، وهيهات أنت منا ، وهيهات لأرضك . وأنشد^(٣) :

فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ الْعَقِيقُ وَأَهْلُهُ^(٤) وهيهات خِلُّ بِالْعَقِيقِ نُوَاصِلُهُ

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ط) .

(٢) في (ط) : (كان) .

(٣) البيت أنشده الفراء في معانيه ٢/ ٢٣٥ من غير نسبة ، وروايته عنده :

فَأَيْهَاتَ أَيْهَاتَ الْعَقِيقُ وَمَنْ بِهِ وَأَيْهَاتَ وَصَلُ بِالْعَقِيقِ نَوَاصِلُهُ

والبيت لجرير ، وهو في ديوانه ٢/ ٩٦٥ بمثل رواية الفراء لكن فيه (تواصله) مكان (نواصله) ، والنقائض لأبي عبيدة ٢/ ٦٣٢ : والخصائص لابن جني ٣/ ٤٢ بمثل رواية الواحدي لكن فيه (ومن به) مكان (وأهله) . وشرح المفصل لابن يعيش ٤/ ٣٥ بمثل رواية الواحدي .

واللسان (هيه) ١٣/ ٥٥٣ ، بمثل رواية الواحدي لكن فيه (نحاوله) مكان (نواصله) قال أبو عبيدة في النقائض ٢/ ٦٣٢ ، والعقيق : وادٍ لبني كلاب بالعالية .

(٤) في (ع) : (وأرضه) .

فمن لم يدخل اللام رفع الاسم . ومعنى هيهات : بعيد^(١) كأنه قال : بعيد^(٢) العقيق وأهله ، ومن أدخل اللام قال (هيهات) أداة ليست^(٣) بمأخوذة من فعل [فأدخلت لها اللام كما يقال : هَلُمَّ لك ، إذ لم تكن مأخوذة]^(٤) من فعل^(٥) .

وقال أبو إسحاق : ﴿هَيْهَاتَ﴾ موضعها الرفع ، وتأويلها^(٦) : البعد لما توعدون .

قال : ويقال : هيهات ما قلت ، وهيهات لما قلت ، فمن قال : هيهات لما قلت فمعناه البعد لقولك^(٧) ، ومن نون هيهات جعلها نكرة ، ويكون المعنى : بُعْدًا^(٨) لما توعدون^(٩) .

قال أبو علي : في ما أصلح^(١٠) عليه قوله في هيهات [أن موضعه] رفع وإجراؤه^(١١) إياها^(١٢) مجرى البعد في أن موضعه رفع ، كما أن البعد رفع في قولك : البعد لزيد ، خطأ ، وذلك أن هيهات اسم [سُمي به الفعل فهو اسم لبعد^(١٣)] كما

(١) في (ع) : (بعد) .

(٢) عند الفراء : كأنه قال : بعيد (ما توعدون) وبعيد العقيق

(٣) في (ظ) و(ع) : (ليس) .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٥) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٣٥ مع اختصار .

(٦) في (ظ) : (تأويلها) .

(٧) عند الزجاج : فمن قال : هيهات ما قلت ، فمعناه : البعد ما قلت ، ومن قال : هيهات لما قلت .

(٨) عند الزجاج : بعد .

(٩) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٣ .

(١٠) في (ظ) : (ما يصلح) .

(١١) في الإغفال ٢ / ١١٢٥ ، وأشار المحقق إلى أنه في نسخة (ش) : (وإجراؤه) .

(١٢) في الإغفال ٢ / ١١٢٥ : (إياه) .

(١٣) (لبعد) : ساقط من (أ) .

أن شتان كذلك ، وهيئات^(١) أشبه الأصوات نحو : مَه وصه وما لا حظ له في الإعراب ، وكما لا يجوز أن يحكم لشتان بموضع من الإعراب ، من حيث كان اسماً للفعل فلا موضع له من الإعراب كما لا موضع لقام من قولنا : قام زيد ، وما أشبهه ، كذلك لا يجوز أن يحكم لهيئات بأن موضعه رفع ، ولو جاز أن يكون موضعه رفعاً لدلالته على معنى البعد لكان شتان أيضاً مرتفعاً لدلالته على ذلك ، وليس^(٢) للاسم الذي سُمي^(٣) به الفعل موضع من الإعراب ، كما لم يكن للفعل الذي جعل هذا اسماً له موضع ، فإذا ثبت أنه اسم سمي به الفعل كشتان لم يجز أن يخلو من فاعل ظاهر أو مضمَر ، كما أن الفعل لا يخلو من ذلك ، ولولا أن شتان وهيئات كبعد قولك : شتان زيد وهيئات العقيق لما تم الكلام به وبالاسم ، فلما تم الكلام به علمنا أنه بمنزلة الفعل وأن الاسم مرتفع به ، إذ لا يخلو من أن يكون بمنزلة الفعل أو بمنزلة المبتدأ ، فلا يجوز أن يكون بمنزلة المبتدأ^(٤) ؛ لأن المبتدأ هو الخبر في المعنى أو يكون له فيه ذكر ، وليس هيئات العقيق^(٥) ولا شتان بزيد^(٦) ، ولو كان هيئات اسماً للمصدر لما وجب بناؤه ؛ لأن المعنى الواحد قد يسمى بعدة أسماء ويكون ذلك كله معرباً ، وأيضاً فإنك تقول : هيئات المنازل وهيئات الديار ، فلو^(٧) كان هيئات مبتدأ لوجب أن يجمع ، إذ لا يكون المبتدأ واحداً والخبر جمعاً .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .

(٢) في الإغفال ١١٢٦/٢ : (فليس) . وهي ساقطة من (ظ) .

(٣) في الإغفال ١١٢٦/٢ : (تُسمى) .

(٤) في الإغفال ١١٢٨/٢ : (الابتداء) .

(٥) في الإغفال ١١٢٨/٢ : (وليس هيئات بالعقيق) .

(٦) هكذا في (ع) والإغفال . وفي (أ) : (يريد) ، وهي مهملة في (ظ) .

(٧) في الإغفال ١١٢٩/٢ : (ولو) .

وأظن الذي حمل أبا إسحاق على أن قال : هيهات : معناه البعد ، وموضعه رفع كما أنك لو قلت : البعد لزيد كان البعد رفعاً . أنه لم ير^(١) في قوله : ﴿هَيْهَاتَ﴾ فاعلاً ظاهراً مرتفعاً فحملة على أن موضعه رفع كالبعد . والقول في هذا أن في (هيهات) ضميراً مرتفعاً ، وذلك الضمير عائد إلى قوله : ﴿أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ﴾ الذي هو بمعنى الإخراج ، كأنهم لما قالوا مستبشرين للوعد بالبعث ومنكرين له : ﴿أَيَعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ﴾ فكان قوله : ﴿أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ﴾ بمعنى الإخراج وصار^(٢) في (هيهات) ضمير له ، والمعنى : هيهات إخراجكم للوعد ، أي^(٣) : بعد إخراجكم للوعد إذ كان الوعد إخراجكم بعد موتكم ونشركم بعد اضمحلالكم ، فاستبعد أعداء الله إخراجهم ونشرهم لما كانت العدة به بعد الموت ، إغفالاً منهم للتدبر وإهمالاً^(٤) للتفكر في قوله : ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ففاعل هيهات هو هذا الضمير العائد إلى ﴿أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ﴾ التي هو بمعنى الإخراج ، كما أن فاعل هيهات في قول الشاعر :

فهيهات هيهات العقيق

الاسم الظاهر : وإنما كرر^(٥) هيهات في الآية والبيت للتأكيد .

وأما^(٦) قوله : ويقال : هيهات ما قلت ، وهيهات لما قلت ، فمن قال : هيهات ما قلت فمعناه البعد ما قلت ، ومن قال : لما قلت فمعناه البعد لقولك ، فقد ذكرنا أن هيهات لا يجوز أن يكون كالبعد وأنه اسم سمي به الفعل فإجازته في هيهات

(١) في الإغفال ٢ / ١١٣٠ : (لم يرد) ، والصواب ما هنا .

(٢) في الإغفال ٢ / ١١٣٠ : (صار) .

(٣) في (ع) : (الذي) .

(٤) في (ع) : (وإهمالاً) .

(٥) في (ع) : (تكرر) .

(٦) في الإغفال ٢ / ١١٣٢ : (فأما قوله) .

ما قلت^(١) على أنه البعد ليس بجائز وإنما ما قلت يرتفع بهيات كما يرتفع ببعد ، أما^(٢) إجازته هيات لما قلت فإنما قاسه على قوله^(٣) ﴿هَيَاتَ هَيَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ وليس قولك مبتدأ : هيات لما قلت مثل الآية ، لأن التي في الآية فيها ضمير كما أعلمتك ولا ضمير فيها مبتدأ^(٤) . فبان^(٥) أن قولك : (هيات لما قلت) ليس كما قاسه عليه^(٦) ؛ لأنه حال^(٧) من ضمير الفاعل ، فإن قال : هيات لقولك ، وكانا^(٨) في هيات^(٩) كما في الآية جاز وإلا امتنع .

وقوله : فأما من نون هيات فجعلها نكرة ويكون المعنى : بعداً لما قلت فيه اختلاف^(١٠) . قيل : إنه إذا نُونَ كان نكرة ، ووجه هذا القول أن هذه التنوين^(١١) في الأصوات [إنما تُثَبَّتْ]^(١٢) علماً للتنكير وتحذف علماً للتعريف ، كقولهم : عَاقٍ وعَاقٍ ، وإيه وإيه ، ونحو ذلك ، فجائز أن يكون المراد بهيات إذا نون التنكير .

وقيل : إنه إذا نون أيضاً كان معرفة كما كان قبل التنوين كذلك ، وذلك أن التنوين في (مسلمات) ونحوه نظير النون في (مسلمين) ، فهي إذا ثبتت لم تدل على

(١) في الإغفال ١١٣٢ / ٢ : (فإجازته هيات ما قالت) .

(٢) في الإغفال ١١٣٢ / ٢ : (فأما) .

(٣) (قوله) : ساقط من (ع) .

(٤) في الإغفال ١١٣٣ / ٢ : (مبتدأ) ، وفي (أ) : (مبتدأه) ، وأشار المحقق إلى أنه في نسخة (ش) : (مبتداه) .

(٥) في الإغفال ١١٣٣ / ٢ : (فتبين) ، وفي بعض النسخ كما أشار المحقق : (فبين) .

(٦) في (ع) : (عليك) .

(٧) في الإغفال ١١٣٣ / ٢ : (خال) بالمعجمة ، وأشار المحقق إلى أنه في نسخة (ش) : (حال) .

(٨) في (ظ) ، والإغفال : (فكان) .

(٩) في الإغفال ١١٣٣ / ٢ : (فكان في هيات ضمير كما في الآية . . .) .

(١٠) في الإغفال ١١٣٣ / ٢ : (ويكون المعنى : بعداً لما قلت ففيه اختلاف) .

(١١) في بعض نسخ الإغفال كما أشار المحقق ١١٣٣ / ٢ : (أن التنوين) .

(١٢) ساقط من (ظ) .

التنكير كما تدل عليه في (عاق) ، لأنه بمنزلة ما لا يدل على تنكير^(١) ولا تعريف ، فهو على تعريفه الذي كان عليه قبل دخول التنوين ، إذ ليس التنوين فيه كالذي في (عاق) . قال أبو العباس في هذا الوجه : هو قول قوي . انتهى كلام أبي علي^(٢) .

وحصل في معنى هيهات ثلاثة أقوال :

أحدهما : أنه بمنزلة الصفة كقولك^(٣) بعيد . وهو قول الفراء .

والثاني : أنه بمنزلة البعد . وهو قول الزجاج وابن الأنباري .

والثالث^(٤) : أنه بمنزلة بُعد . وهو قول أبي علي وغيره من حذاق النحويين .

فهو إذن على هذه الأقوال تكون بمنزلة الصفة والمصدر^(٥) والفعل .

وفيه لغات : فتح التاء بلا تنوين .

(١) في (ع) : (التنكير) .

(٢) الإغفال للفارسي ١١٢٥ / ٢ - ١١٣٤ بتصرف .

(٣) في (ع) : (لقولك) .

(٤) من (ظ) : وفي باقي النسخ : (والآخر) .

(٥) في (ظ) : (والبُعد) .

قال الفراء : إنها أداتان^(١) جمعتا فصارتا بمنزلة خمسة عشر^(٢) . قال : ويجوز أن يكون نصبها^(٣) كنصب قولك : رُبْتُ وُثْمْتُ ، وأنشد^(٤) :

مَاوِيَّ يَا رَبِّمَا غَارَةٍ شَعْوَاءَ كَاللَّذَعَةِ بِالْمَيْسَمِ

ونحو هذا ذكر أبو إسحاق فقال : من فتحها فلائها بمنزلة الأصوات وليست مشتقة من فعل فبنيت هيهات كما بنيت ذَيَّة^(٥) ذَيَّة^(٦)^(٧) .

ويجوز التنوين مع الفتح .

- (١) في (ع) : (أداتان) ، وهو خطأ .
- (٢) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٣٥ .
- (٣) في (ع) : (نصبها نصبها) .
- (٤) قول الفراء وإنشاده نقله عنه الواحدي بواسطة تهذيب اللغة للأزهري (هيه) ٦ / ٤٨٥ ، وهو مع اختلاف في بعض ألفاظه في معاني القرآن ٢ / ٢٣٦ .
- والبيت أنشده الفراء في معانيه ٢ / ٢٣٦ من غير نسبة ، وفيه (بل ربتما) مكان (يا ربتما) .
- والبيت منسوب لضمرة بن ضَمْرَةَ النَّهْشَلِي فِي النُّوَادِر لِأَبِي زَيْد ٢٥٣٢ ، والمعاني الكبير لابن قتيبة ٢ / ١٠٠٥ ، وروايتها : (بل ربتما) ، وخزانة الأدب ٩ / ٣٨٤ وفيها (ياربتما) .
- ومن غير نسبة في الطبري ١٨ / ٢١ ، وتهذيب اللغة للأزهري (شعا) ٣ / ٦٤ ، ولسان العرب (شعا) ١٤ / ٤٣٥ .
- قال البغدادي في الخزانة ٩ / ٣٨٤ ، ٣٨٥ . ماوي : منادى مرَّحَمَ ماوِيَّةَ ، اسم امرأة . و(يا) في قوله : (ياربتما) للتنبيه لا للنداء . . . (ب) . التاء لحقت (رب) للإيذان بأن مجرورها مؤنث ، و(ما) زائدة بين رب ومجرورها . . . والغارة : اسم من أغار القوم إغارة ، أي أسرعوا في السير . (الشعواء) : الغارة المنتشرة ، وهي بالعين : المهملة . واللذعة بالذال المعجمة والعين : المهملة ، من لذعته النار ، إذا أحرقته ، والميسم : ما يوسم به البعير بالنار . اهـ .
- قال ابن قتيبة في المعاني ٢ / ١٠٠٥ : يريد كأنها - يعني الغارة - في سرعتها لذعة بميسم في وِبَر .
- (٥) في (ع) : (كما بنيت هيهات) ، كررت هيهات خطأ .
- (٦) في (أ) : (إيه) ، وفي (ع) : (ربه) . والمثبت من (ظ) وهو الموافق لما في معاني القرآن للزَّجَّاج .
- يقال : كان من الأمر ذَيَّةً وَذَيَّةً بمعنى : كَثُرَ وَكثُرَ . تاج العروس للزبيدي (ذيت) ٤ / ٤٢٣ .
- (٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ١٢ .

قال ابن الأنباري : من قال هيهاتاً بالتنوين^(١) شبهه بقوله : ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨]^(٢) . يعني أن هيهاتاً بمنزلة بعيداً .

ويجوز هيهات بكسر التاء .

قال الفراء : هو بمنزلة دَرَاكٍ وَنَظَارٍ^(٣) . يعني أن دراك اسم للأمر بمعنى أدرك مبني على الكسر ، كذلك هيهات اسم لبُعْدَ مبني على الكسر . ويجوز التنوين مع الكسر .

قال^(٤) ابن الأنباري : من نون مع^(٥) الكسر شبهه بالأصوات كقولهم : غاقٍ وطاقٍ^(٦) . قال : ويجوز الرفع بغير تنوين وبتنوين^(٧) ، ومن العرب من يقول : أيّهاً في هذه اللغات كلها ، ومنهم من يقول : (أيّهان) بالنون ، ومنهم من يقول :

-
- (١) بالتنوين) : ساقطة من (ط) و(ع) .
 (٢) قول ابن الأنباري في تهذيب اللغة (هيه) ٦ / ٤٨٤ (هيهات) بنصه .
 (٣) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٣٥ . قال الجوهري : وقولهم : دَرَاكٍ أي أدرك ، وهو اسم لفعل الأمر ، وكسرت الكاف لاجتماع الساكنين ، لأن حقها السكون للأمر .
 وقولهم : نَظَار ، مثل قَطَام ؛ أي انتظره . الصحاح (نظر) ٢ / ٨٣٠ ، (درك) ٤ / ١٥٨٢ .
 (٤) في (ع) : (قال قال) تكرار .
 (٥) في تهذيب اللغة : (من قال هيهات لك بالتنوين) .
 (٦) غاق : حكاية صوت الغراب . الصحاح للجوهري (غيق) ٤ / ١٥٣٩ .
 (٧) في تهذيب اللغة ٦ / ٤٨٥ ، (ومن قال هيهات لك بالرفع . . . ومن رفعها ونون) . وليس فيه ويجوز الرفع بغير تنوين وبتنوين .

(أيها) بلا نون ، ومن قال (أيها) حذف التاء كما حذف الياء من حاشى فليل^(١) :
حاش لله . وأنشد^(٢) :

ومن دُونِي الْأَعْرَاضُ وَالْقِنْعُ^(٣) كُلُّهُ
وَكُتْمَانُ أَيُّهَا مَا أَشَتَّ وَأَبْعَدَا

قال : والمستعمل من هذه اللغات كلها استعمالاً غالباً^(٤) الفتح بلا تنوين^(٥) .

قال الأزهري : واتفق أهل اللغة على أن تاء هيهات ليست بأصلية ، أصلها هاء .

قال أبو عمرو بن العلاء : إذا وصلت [هيهات فدع التاء^(٦) على^(٧)] حالها ،
وإذا وقفت فقل : هيهاه^(٨) .

(١) في (أ) : (وقيل) .

(٢) إنشاد ابن الأنباري في تهذيب اللغة للأزهري (هيه) ٦ / ٤٨٥ ، ولم يذكر قائله .
وهو أيضاً في لسان العرب ١٣ / ٥٥٤ . والأعراض : جمع عرض ، والأعراض : قرى بين الحجاز
واليمن . والقنْع بالكسر ثم السكون : جبل وماء لبني سعد بن زيد بن مناة بن تميم باليمامة .
انظر : معجم البلدان ١ / ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ١٧٥ / ٧ .

(٣) في (أ) : (والقنْع) ، وفي (ظ) : (والقنْع) ، وفي (ع) : (والعنن) ، مهملة .

(٤) في المطبوع من تهذيب اللغة (عالياً) . وأشار المحقق في الحاشية إلى (غالباً) .

(٥) كلام ابن الأنباري في تهذيب اللغة (هيه) ٦ / ٤٨٥ ، مع اختلاف يسير في العبارة . انظر : شرح
القصاصد السبع لابن الأنباري ٤٣٩ ، ٤٤٠ .

(٦) في (ع) : (الهاء) ، وهو خطأ .

(٧) ما بين المعقوفين كشذ في (ظ) .

(٨) تهذيب اللغة للأزهري (هيه) ٦ / ٤٨٤ .

ويدل على هذا ما روي [عن سيبويه أنه قال : هي بمنزلة علقاة^(١)]. يعني في [التأنيث^(٢)].

وإذا كان كذلك كان الوقف [بالهاء . قال الفرّاء : كان الكسائي يختار الوقوف على الهاء^(٤)] وأنا أختار [التاء في^(٥)] الوقوف على [هيهات^(٦)].

وعنده^(٧) أن هذه التاء ليست بهاء تأنيث .

وأما^(٨) ما ذكره المفسرون في هذا ، فقال ابن عباس في رواية عطاء في هذه الآية : يعنون أن ذلك لا يكون^(٩) .

وقال الكلبي : يقول بعيداً بعيداً ما يعدكم ليوم البعث .

وروي عن ابن عباس أيضاً أنه قال : هي كلمة بُعد^(١٠) .

(١) علقاة : شجرة تدوم خضرتها في القَيْظ ، وقضبانها دقاق طوال عَسْرُ رُضْها ، وأورقها لطاف ، يتخذ منها المكانس ، لسان العرب (علق) ١٠ / ٢٦٤ ، والقاموس المحيط ٣ / ٢٦٧ .

(٢) ما بين المعقوفين كشط في (ظ) .

(٣) روى ذلك عنه الزَّجَّاج ٤ / ١٢ وهذا نصه . انظر : الكتاب ٣ / ٢٩١ .

(٤) ما بين المعقوفين كشط في (ظ) .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .

(٦) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٣٦ مع تصرف في العبارة .

(٧) ما بين المعقوفين كشط في (ظ) .

(٨) في (أ) : (أما) .

(٩) ذكر ابن الجوزي ٥ / ٤٧٢ هذا القول وعزاه للمفسرين .

(١٠) ذكره الثعلبي في تفسيره ٣ / ٦١ أ ، والبغوي ٤ / ٣٧ ، والقرطبي ١٢ / ١٢٢ .

وقد أخرج الطبري ١٨ / ٢٠ عن ابن عباس أنه قال : بعيد ، بعيد ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٩٨ وعزاه لابن جبير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

٣٧. قوله : ﴿إِنَّ هِيَ﴾ (هي) كناية عن الحياة ، ودل عليها قوله : ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ . كأنهم قالوا : ما الحياة إِلَّا ما نحن فيه لا الحياة الآخرة التي يَعدُّ بعد البعث . ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ . قال مجاهد : أي نهلك نحن ويبقى أبناؤنا ، ويهلك أبناؤنا ويبقى أبناؤهم^(١) .

ونحو هذا قال الكلبي^(٢) ومقاتل^(٣) . وقال آخرون : أي يموت قوم منا ويحيا آخرون^(٤) .

٣٨. قوله تعالى : ﴿أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ؛ أي في ذكره البعث .

٣٩. قوله : ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كُنتُ بِنَاصِرٍ﴾ . تقدم تفسيره هاهنا .

٤٠. قوله : ﴿قَلِيلٍ﴾ ؛ أي قال الله - تعالى - للنبي الذي دعاه بالنصرة : ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ ؛ أي عن قليل من الزمان والوقت . قال ابن عباس : يريد بعد الموت .

ويجوز أن يحمل على وقت نزول العذاب بهم في الدنيا ؛ لأنهم يندمون عند معاينة العذاب .

قوله : ﴿يَتَصَبَّحْنَ﴾ . هذه اللام لام القسم على معنى : والله ليصبحن نادمين^(٥) .

(١) ذكر النحاس في معاني القرآن ٤/٥٨ هذا المعنى ، ولم ينسبه لأحد .

(٢) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون ٤/٥٣ بنحوه .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٢/٣٠ ب .

(٤) ذكر الماوردي ٤/٥٣ هذا القول ونسبه لابن عيسى . وذكره البغوي ٢/١٧ ولم ينسبه لأحد . وذكر السمين الحلبي في الدر المصون ٨/٣٤٢ هذا القول واستظهره .

وفيه وجه ثالث ذكره النحاس ٤/٥٨ وهو أن في الآية تقديماً وتأخيراً ، والمعنى : وما هي إِلَّا حياتنا الدنيا نحيا فيها ونموت ، كما قال تعالى : ﴿وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي﴾ [آل عمران : ٤٣] .

(٥) انظر : القرطبي ١٢/١٢٤ ، والبحر المحيط ٦/٤٠٦ ، والدر المصون ٨/٣٤٣ .

قال الكلبي وغيره : على التكذيب والكفر^(١) .

٤١ . قوله : ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ . قال المفسرون : صاح بهم جبريل صيحة واحدة ماتوا عن آخرهم بتصدع قلوبهم^(٢) .

وقوله : ﴿بِالْحَقِّ﴾ ؛ أي باستحقاقهم العذاب بكفرهم^(٣) . وهو معنى قول ابن عباس : يريد حيث كذبوا . يعني : أن العذاب نزل بهم بتكذيبهم .

وقوله : ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾ . الغناء : ما جاء به السيل من نبات قد ييس . وقياس جمعه [أغشية وأغشاء]^(٤) قال امرؤ القيس :

من السَّيْلِ والأغْشَاءِ فَلَكَّةٌ مَغْزَلٌ^(٥) .

(١) ذكره البغوي ٤١٨/٥ من غير نسبة . انظر : الطبري ٢٢/١٨ ، والثعلبي ٣/٦٠ أ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣٠/٢ ب . والله أعلم بصحة ذلك .

(٣) انظر هذا المعنى عند : الطبري ٢٢/١٨ .

(٤) ما بين المعوفين كشط في (ظ) .

(٥) هذا عجز بيت لامرئ القيس ، وهو من معلقته ، وصدره :

كَأَنَّ طَمِيَّةَ الْمُجِيمِرِ غَدَوَةٌ

وهو في ديوانه ٢٥ لكن فيه (الغُثَاءُ) مكان (الأغْشَاءِ) ، وشرح القصائد السبع الطوال لابن الأنباري ١٠٨ ، وتهذيب اللغة للأزهري (عرف) ٣٣٩/٢ ، وشرح القصائد العشر للخطيب التبريزي ١٢٩ ، ولسان العرب (عرف) ٢٨٣/١٣ ، وعندهم جميعاً (الغناء) . وذكر ابن الأنباري في شرحه ١٠٨ أن الفراء رواه : من السيل والأغشاء ، قال ابن الأنباري : وهو قليل في جمع المدود .

وذكر محقق ديوان امرئ القيس ٣٧٥ أن (الأغشاء) وردت في رواية الطوسي والبطلوسي وأبي سهل لديوان امرئ القيس .

قال ابن الأنباري ١٠٨ : المُجِيمِرُ : أرض لبني قزارة . و(طمية) : جبل في بلادهم . فيقول : قد امتلأ المجيمر ، فكأن الجبل في الماء فُلَكَةٌ مَغْزَلٌ لما جمع السيل حوله من الغشاء . اهـ .

وكل ما يحمله السيل^(١) على رأس الماء من قصب وحشيش وعيدان شجر ونحو ذلك فهو غثاء^(٢).

وقال أبو زيد: ^(٣) غثاء الماء يَعْثُو [وَعُثَاء، إذا كثر فيه البَعْرُ والورق والقصب^(٤)].

قال المفسرون: ^(٥) صيرناهم هلكى^(٦).

قال الكلبي: [ييسوا كما ييس الغثاء من نبت الأرض فهمدوا.

وقال^(٧) مقاتل: جعلناهم كالشيء البالي من نبت^(٨) الأرض يحمل السيل، شبه أجسادهم بالشيء اليابس البالي^(٩).

وقوله: ﴿فَبَعْدًا﴾؛ أي بُعْدًا لهم من الرحمة، وهي كاللعنة التي هي إبعاد من رحمة الله^(١٠).

والمعنى على: ألزمهم الله^(١١) بُعْدًا لهم. وقال مقاتل: فبعداً في الهلاك^(١٢).

(١) ما بين المعقوفين كشط في (ظ).

(٢) انظر: الصحاح (غثا) ٢٤٣/٦، ٢٤٤، ولسان العرب (غثا) ١١٤/١٥، ١١٥.

(٣) ما بين المعقوفين كشط في (ظ).

(٤) قول أبي زيد في تهذيب اللغة للأزهري (غثى) ١٧٦/٨.

(٥) ما بين المعقوفين كشط في (ظ).

(٦) الطبري ٢٢/١٨.

(٧) ما بين المعقوفين كشط في (ظ).

(٨) في (أ): (نبات)، والمثبت من (ظ) و(ع) هو الموافق لما في تفسير مقاتل.

(٩) تفسير مقاتل ٣٠/٢ ب.

(١٠) ذكر الماوردي ٥٤/٤ هذا المعنى وعزاه لابن عيسى.

(١١) لفظ الجلالة زيادة من (ع).

(١٢) تفسير مقاتل ٣٠/٢ ب.

وذكرنا الكلام في هذا عند قوله : ﴿أَلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ﴾ الآية [هود: ٩٥] . قوله : ﴿لَلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ . قال ابن عباس : يعني المكذبين . وقال مقاتل : يعني المشركين^(١) .

٤٢ . قوله : ﴿قُرُونًا آخَرِينَ﴾ . قال ابن عباس : يريد بني إسرائيل^(٢) .

وقيل : يعني جماعات مثل قوم صالح ولوط وشعيب وسائر الأنبياء^(٣) .

٤٣ . ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ﴾ ؛ أي أمة^(٤) من هذه القرون .

﴿أَجَلَهَا﴾ الوقت^(٥) الذي حد لها كلها . ﴿وَمَا يَسْتَخِرُونَ﴾^(٦) عن الوقت الذي قدر لها كلها . وهذا الآية مما قد^(٧) سبق تفسيره^(٨) .

٤٤ . قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾ اختلفوا في تترى ، فأكثر القراء على ترك التنوين فيها^(٩)^(١٠) ؛ لأنها فعلى من المواتره ، وفعل لا يُنون كالتقوى والدعوى .

(١) تفسير مقاتل ٣٠ / ٢ ب .

(٢) ذكره عنه القرطبي ١٢ / ١٢٥ ، وأبو حيان ٦ / ٤٠٧ . وهو محمول - إن صح عن ابن عباس - على التمثل .

(٣) وهذا القول أظهر ، ويدخل فيه الأول .

(٤) (أمة) : ساقطة من (ع) .

(٥) (الوقت) : ساقطة من (ع) .

(٦) في (أ) : (وما يتأخرون) ، وهو خطأ في الآية .

(٧) (قد) : زيادة من (ظ) و(ع) .

(٨) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ﴾ [الحجر: ٥] .

(٩) في (ظ) : (منها) .

(١٠) قرأ نافع ، وعاصم ، وابن عامر ، وحمة ، والكسائي : ﴿تَتْرًا﴾ بلا تنوين . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ؛ كما سيذكر الواحدي : (تترأ) منونة .

السبعة ٤٤٦ ، والتبصرة ٢٦٩ ، والتيسير ١٥٩ .

قال أبو علي : والأقيس أن لا يصرف ؛ لأن المصادر تلحق أواخرها ألف التأنيث كالدعوى والعدوى والذكرى والشورى^(١) .

وقال الفرّاء : أكثر العرب على ترك التنوين يُنزل بمنزلة تقوى^(٢) .

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (تَرّا) منونة . وهذا القراءة تحتل وجهين :

أحدهما : أن ترى بمنزلة فعلا^(٣) ، والألف فيه بمنزلة في رأيت زيدا وعمراً . والآخر : أن تكون الألف للإلحاق نحو أرطى^(٤) ومعزى . وهذا^(٥) الوجهان ذكرهما الفرّاء وأبو علي .

أما الفرّاء فإنه يقول : من نون جعل الألف كألف الإعراب^(٦) . يعني التي في (زيداً) و(عمراً) .

قال : وإن شئت جعلت^(٧) كأنها أصلية فتكون بمنزلة المعزى ، ويكون الوقف^(٨) عليها حينئذ بالياء وإشارة إلى الكسر ، وإن جعلتها ألف إعراب لم تُشر

(١) الحجة لأبي علي الفارسي ٢/ ٢٩٥ . انظر : علل القراءات للأزهري ٢/ ٤٣٥ ، وحجة القراءات

لابن زنجلة ٤٨٨ ، والكشف لمكي ٢/ ١٢٩ .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢٣٦ .

(٣) في (ظ) و(ع) : (فعلاء) .

(٤) في (أ) : (رطى) . وأرطى : شجر من شجر الرمل . والواحدة : أرطاة . الصحاح للجوهري (رطا) ٦/ ٢٣٥٨ .

(٥) في (أ) و(ع) : (والوجهان . . .) .

(٦) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢٣٦ .

(٧) في معاني القرآن : (جعلت بالياء) .

(٨) في (ظ) و(ع) : (الوقف) ، أثبت محقق كتاب الفرّاء : الوقف . وأشار إلى أن في بعض النسخ : الوقف .

إلى الكسر؛ لأنك لا تشير إلى ألفات الإعراب بالكسر، لأنك لا تقول: رأيت زيداً^(١) ولا عمراً^(٢).

وقال أبو علي: من قرأ (تترا) أمكن أن يريد به فعلاً^(٣) من الموازنة فتكون الألف بدلاً من التنوين، وإن^(٤) كان في الخط بالياء كان للإلحاق، والإلحاق في غير المصادر ليس بالقليل نحو: أرطى ومعزى، فإن كان في الخط ياء لزم أن يحمل على فعلى دون فعل^(٥). ومن قال: تترى وأراد به فعلاً فحكمه أن يقف بالألف مفخماً، ولا يميلها إلا في قول من قال: رأيت عنتاً^(٦)، وهذا ليس بالكثير، ولا تحمل عليه القراءة، ومن جعل الألف للإلحاق أو التأنيث أمال الألف إذا وقف عليها^(٧).

والزجاج وأبو العباس يختاران^(٨) أن تكون الألف في قراءة من قرأ بالتنوين ألف الإعراب. قال أبو العباس: من قرأ (تترى) بغير تنوين فهو مثل شكوى غير منونة، ومن قرأ تترأ^(٩) مثل شكوت شكوى^(١٠).

-
- (١) أثبت محقق كتاب الفراء: زيدي ولا عمري. وقال في الحاشية: كتبت الألف فيهما ياء للإمالة كما يكتب الفتى والندى. ورسماً في (أ): (وزيداً وعمراً) وكتب فوق كل منهما. (بيال).
 - (٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٣٦.
 - (٣) في الحجة: (فعلى).
 - (٤) في (ظ): (ولو)، في (أ) و(ع) والحجة: (وإن).
 - (٥) في الحجة: (فعلاً).
 - (٦) في (أ): (عنتاً)، وفي (ظ): (مهملة، وفي (ع) والحجة: (عنتاً).
 - (٧) الحجة: لأبي علي ٥/ ٢٩٦.
 - (٨) في (أ): (يختار).
 - (٩) في تهذيب اللغة ١٤/ ٣١١: (تترى).
 - (١٠) قول أبي العباس في تهذيب اللغة للأزهري (تترى) ١٤/ ٣١١ مع تقديم وتأخير.

وقال أبو الفتح : من نون جعل ألفها للإحق بمنزلة ألف أرطى ومعزى ،
ومن لم ينون جعل ألفها للتأنيث بمنزلة ألف سكرى وغضبي ^(١) .

وعلى القراءتين التاء الأولى بدل من الواو وأصلها : (وترى) و(وترا) ^(٢) ،
فأبدل التاء من الواو كما قالوا : تولج وأصله وولج من ولج . وأنشد أبو
إسحاق ^(٣) :

فإن يَكُنْ أُمْسَى البَلَى تَتَقُورِي

أي وَيَقُورِي فَيَعُول من الوقار ^(٤) .

والمعنى : إن يكن أُمْسَى الكبر وقاري ؛ أي صرت وقوراً لبلاي وكبري ^(٥) .
فقوله ﴿تَرَا﴾ فعلى أو فعلا من المواثرة .

قال الأصمعي : واطرت الخبر : أتبعته بعضه بعضاً ، وبين الخبرين هُنيهة ^(٦) .
وقال أبو عبيدة : (تترى) بعضها في أثر بعض ، يقال : جاءت كتبه تترى ^(٧) .

(١) سر صناعة الإعراب : ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٢) في (أ) : (موتري) .

(٣) أنشد أبو إسحاق الزَّجَّاج هذا الشطر من الرجز في معاني القرآن ٤ / ١٤ ومن غير نسبة . وهو للعجاج
كما في ديوانه ٢٢٤ ، الكتاب ٤ / ٣٣٢ ، وتهذيب اللغة للأزهري (تترى) ١٤ / ٣١١ ، ولسان العرب
(وقر) ٥ / ٢٩٠ .

(٤) قوله : وعلى القراءتين إلى هنا ، نقلاً عن معاني الزَّجَّاج ٤ / ١٠٦ مع اختلاف يسير .

(٥) قال السيرافي في شرح أبيات سيبويه ٢ / ٤٢٣ ، ٤٢٤ : يقول : إن كن بلى جسمي وضعف جسمي
قد صيراني وقوراً قليل الحركة ، يريد أنه صار وقوراً لكبره وبلاه وضعفه ، وفي (يكن) ضمير الأمر
والشأن ، و(البلى) اسم أُمْسَى ، و(تقوري) : خبر أُمْسَى . اهـ .

(٦) قول الأصمعي في تهذيب اللغة (تترى) ١٤ / ٣١١ . وأصله عند الزَّجَّاج في معانيه ٤ / ١٤ لكن فيه :
هنية .

(٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ٩٥ .

وقال غيرهما : المواثرة المتابعة . أصل هذا كله من الوثر وهو الفرد^(١) ، ومعنى واثرت : جعلت كل واحد بعد صاحبه فرداً فرداً . حكاة الزجاج^(٢) والأزهري^(٣) .

وقال محمد بن سلام : سألت يونس عن قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾ فقال^(٤) : متقطعة^(٥) متفاوتة ، وجاءت الخيل تترى^(٦) إذا جاءت متقطعة ، وكذلك الأنبياء بين كل نبين دهر طويل^(٧) .

وقال أبو هريرة : لا بأس بقضاء رمضان تترى^(٨) ، [أي متقطعة]^(٩) . وكلا المعنيين قريب من السواء ؛ لأن أصل^(١٠) المعنى من الأفراد ، فإذا جاء الشيء فرداً فرداً^(١١) يقال فيه : تترى ، سواء اتصل أو انقطع .

وفي الآية المراد إرسال الرسل بعضها في إثر بعض غير متصلين كما قال يونس .

-
- (١) في (أ) : (الفرد) .
 - (٢) معاني القرآن للزجاج ١٤ / ٤ .
 - (٣) تهذيب اللغة للأزهري (تترى) ٣١١ / ١٤ .
 - (٤) في (أ) : (قال) .
 - (٥) في (أ) و(ع) : (متقطعة) ، والمثبت من (ظ) وهو الموافق للتهذيب .
 - (٦) (تترى) : ساقطة من (أ) .
 - (٧) قول ابن سلام في تهذيب اللغة للأزهري (تترى) ٣١١ / ١٤ .
 - (٨) قول أبي هريرة - رضي الله عنه - في تهذيب اللغة (تترى) ٣١١ / ١٤ بهذا اللفظ . وقد رواه ابن أبي شبة في مصنفه ٣ / ٣٢ بلفظ : لا بأس بقضاء رمضان متفرقاً . وبنحو رواية أبي شبة رواه عبد الرزاق في مصنفه ٤ / ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، والبيهقي في سننه ٤ / ٢٥٨ .
 - (٩) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ع) .
 - (١٠) في (ظ) و(ع) : (الأصل) .
 - (١١) (فرداً) الثانية : ساقطة من (ظ) .

ونحو هذا ذكر المفسرون في تفسير (تتراً) . فقال ابن عباس : يريد بعضها خلف بعض ^(١) . وقال السدي ومقاتل ^(٢) : بعضهم في أثر بعض .

وقال مجاهد : أتبع بعضها بعضاً ^(٣) .

وتترى في القراءتين مصدر أو اسم أقيم مقام الحال ؛ لأن المعنى متواترة .

قوله : ﴿فَاتَّبَعْنَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا﴾ . قال ابن عباس : فأهلكنا الأول والآخر .

والمعنى : أهلكنا الأمم بعضهم ^(٤) في أثر بعض . وقال مقاتل : فأتبعنا بعضهم بعضاً في العقوبات والإهلاك ^(٥) .

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : يريد لمن بعدهم من الناس يتحدثون بأمرهم وشأنهم ^(٦) .

والأحاديث جمع أحدىثة ، وهي ما يتحدث به ^(٧) .

(١) روى الطبري ٢٣/١٨ من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه قال : يتبع بعضها بعضاً . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٩٩/٦ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وقال : وفي لفظ قال : بعضهم على أثر بعض .

(٢) تفسير مقاتل ٢/٣١ أ .

(٣) رواه الطبري ٢٤/١٨ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٩٩/٦ وعزاه لابن جرير وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) في (أ) : (بعضها) .

(٥) تفسير مقاتل ٢/٣١ أ .

(٦) ذكره البغوي ٤١٨/٥ من غير نسبة ، وهو في تفسير مقاتل ٢/٣١ أ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (حدث) ٤/٤٠٥ ، والصحاح ٢٧٨/١ ، ٢٧٩ .

والمعنى : أنهم يتحدث بهم على طريق المثل في الشر^(١) ، ولا يقال : جعلته^(٢) حديثاً في الخير^{(٣)(٤)} .

٤٥ . قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ؛ يعني الدلائل التي كانت لها من الجراد والقُمَّل وأخواتها^(٥) .

﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ . قال ابن عباس : وَحُجَّةٌ بَيِّنَةٌ^(٦) .

قال مقاتل : يعني اليد والعصا^(٧) .

٤٦ . قوله : ﴿فَأَسْتَكْبِرُوا﴾ . قال ابن عباس : عن عبادة الله .

وقال الكلبي ومقاتل^(٨) : تكبروا^(٩) عن الإيمان بالله .

﴿وَكَاؤُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ ؛ قاهرين للناس بالبغي والتطاول عليهم . وهو معنى قول ابن عباس : علوا^(١٠) على بني إسرائيل علواً كبيراً .

(١) في (أ) : (النشر) ، وفي (ع) : (الشيء) ، وهما خطأ .

(٢) في (أ) : (جعل) ، وهي ساقطة من (ظ) .

(٣) في (أ) و(ظ) : (الخبر) ، وهو خطأ .

(٤) هذا قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢ / ٥٩ ، وعزاه الثعلبي ٣ / ٦١ ب للأخفش ، وهو قول الطبري ٢٤ / ١٨ . انظر : تاج العروس للزبيدي (حدث) ٥ / ٢٢١ فقد نقل عن بعضهم أنها يقال أيضاً في الخير ، واستشهد لذلك .

(٥) في (أ) : (وأخواتها) .

(٦) ذكره البغوي ٥ / ٤١٨ من غير نسبة .

(٧) تفسير مقاتل : ل ٣١ أ .

(٨) تفسير مقاتل : ل ٣١ أ .

(٩) (تكبروا) : ساقطة من (أ) .

(١٠) في (أ) : (علا) .

قال المبرد : يقال : علا فلان ، إذا ترفع وطغى وتجاوز ، ومنه قوله تعالى : ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ﴾ [النمل: ٣١] : أي لا تطغوا ولا تتكبروا^(١) علي ، ومنه قوله : ﴿ظَلَمْنَا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] : يعني استعلاءً بالباطل وبما لا يجب ، وهو من تعدى الحق تجبراً وتكبراً^(٢) .

وقال مقاتل : يعني متكبرين عن توحيد الله^(٣) .

٤٧ . وذكر تفسير هذا العلو في ما^(٤) بعد وهو قوله : ﴿فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : أنصدق إنسانين مثلنا من لحم ودم ليس^(٥) لهما علينا فضل^(٦) . ﴿وَقَوْمَهَا﴾ ؛ يعني بني إسرائيل .

﴿لَنَا عَيْدُونَ﴾ . قال ابن عباس : مطيعون^{(٧)(٨)} .

-
- (١) في (ظ) : (وتتكبروا) ، من دون (لا) .
 (٢) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (علا) ٣ / ١٨٣ ، والصحاح للجوهري ٦ / ٢٤٣٥ ، ولسان العرب ٨٥ / ٨٣-٨٤ .
 (٣) تفسير مقاتل ٢ / ٣١ أ .
 (٤) في (أ) : (فيها) .
 (٥) في (ز) : (وليس) .
 (٦) تفسير مقاتل : ل ٣١ وليس فيه قوله : (من لحم ودم) .
 (٧) في (أ) : (يطيعون) .
 (٨) ذكره الثعلبي ٣ / ٦١ ب ، والبغوي ٥ / ٤١٩ ، وابن الجوزي ٥ / ٤٧٥ ، وذكره الماوردي في النكت ٥٥ / ٤ وعزاه لابن عيسى .

قال أبو عبيدة : العرب تسمي كل من دان لملك عابداً له ، ومن ذلك قيل ^(١) لأهل الحيرة ^(٢) : العباد ؛ لأنهم كانوا أهل طاعة للملوك العجم ^(٣) .

وقال المبرّد : العابد المطيع والخاضع ، ومنه اشتق العبد . ومنه قوله : ﴿يَتَأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ [مريم : ٤٤] ؛ أي لا تطعه ^(٤) ^(٥) .

٤٩ . قوله : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ قال الكلبي ومقاتل ^(٦) : يعني التوراة جملة واحدة . ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ؛ لكي يهتدوا به ^(٧) من الضلالة .

قال مقاتل : يعني بني إسرائيل ؛ لأن التوراة أنزلت بعد هلاك فرعون وقومه ^(٨) .

(١) في (ظ) و(ع) : (قال) .

(٢) الحيرة بكسر الحاء ثم سكن الباء : مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة . معجم البلدان ٣ / ٣٧٦ .

(٣) انظر : مجاز القرآن ٢ / ٥٨٩ . والعبارة فيه : وكل من دان لملك هو عابد له ، ومنه سمي أهل الحيرة العباد .

أما ما ذكره الواحدي (العرب تسمي . . .) وكذلك زيادة (لأنهم كانوا أهل طاعة . . . العجم) فهذه العبارة من قول : (والعرب . . . العجم) ذكرها الطبري في تفسيره ١٨ / ٢٥ وكذلك الثعلبي ٣ / ٦١ ب .

فالواحدي نقلها إمّا من الطبري أو من الثعلبي وهو الأقرب ، ثم نسبها إلى أبي عبيدة . والله أعلم .

(٤) في (ظ) : (لا تطيعه) .

(٥) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (عبد) ٢ / ٢٣٤-٢٣٦ ، والصحاح للجوهري ٢ / ٥٠٣ .

(٦) تفسير مقاتل ٢ / ٣١ أ .

(٧) (به) : ساقطة من (أ) .

(٨) تفسير مقاتل ٢ / ٣١ أ .

٥٠. وقوله : ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ ؛ أي دلالة على قدرتنا ، وعبرة
يعتبر بها ويتوصل^(١) بها إلى العلم بتوحيدها وقدرتنا . هذا معنى قول
المفسرين^(٢) .

قال أبو إسحاق : لم يقل : آيتين ؛ لأن المعنى فيها^(٣) آية واحدة^(٤) .

وهي ولادة من غير أب ، فكانت الآية فيها واحدة^(٥) .

قال : ولو قيل : آيتين لجاز ؛ لأنهما قد كان في كل واحد منهما ما لم يكن في ذكر
ولا أنثى ، من أن مريم ولدت من غير فعل وعيسى كان روحاً من الله ألقاه^(٦) إلى
مريم ولم يكن هذا في أحد قط^(٧) .

قوله تعالى : ﴿وَأَوْرَثَهُمَا إِلَىٰ رَبِّوَنَ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ ؛ أي جعلناهما يأويان إلى
ربوة ، وهي المكان المرتفع من الأرض^(٨) . وقد مر في سورة البقرة^(٩) . واختلفوا في

(١) في (ع) : (فيتوصل) .

(٢) انظر : الطبري ٢٥ / ١٨ ، والثعلبي ٦١ / ٣ ب .

(٣) في (ظ) و(ع) : (لأن المعنى فيها معنى آية) . بزيادة معنى . وليست هذه الزيادة عند الزجاج .

(٤) معاني القرآن للزجاج ١٤ / ٤ .

(٥) انظر : الطبري ٢٥ / ١٨ .

(٦) في (أ) : (ألقاها) .

(٧) معاني القرآن للزجاج ١٤ / ٤ .

(٨) انظر : الطبري ٢٥ / ١٨ ، ومعاني القرآن للزجاج ١٤ / ٤ ، وتهذيب اللغة للأزهري (ربو) ٢٧٣ / ١٥ .

(٩) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿كَمْثَلِ جَنَّتِكُمْ بِرَبِّوَنَ﴾ [البقرة : ٢٦٥] .

هذه الربوة ، فقال عبدالله بن سلام : هي دمشق^(١) . وهو قول سعيد بن المسيب^(٢) ، وسعيد بن جبير^(٣) ، ومقاتل^(٤) ، ورواية عكرمة عن ابن عباس^(٥) .

وقال الحسن والضحاك : هي غُوطَة دمشق^(٦) .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : يريد بيت المقدس^(٧) .

وهو قول قتادة^(٨) ، وكعب وقال :^(٩) هو أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً^(١٠) .

-
- (١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١/ ١٩٣ ، ١٩٤ ، والثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٦١ بـ ٦٢ أ .
- (٢) رواه عنه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٤٥ ، وابن أبي شيبه في مصنفه ١٢/ ١٩١ ، والطبري ١٨/ ٢٦ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١/ ١٩٤ ، ١٩٥ وذكره السيوطي في الدرر ٦/ ١٠١ ونسبه أيضاً لعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم والطبراني .
- (٣) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون ٤/ ٥٦ .
- (٤) تفسير مقاتل ٢/ ٣١ أ .
- (٥) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١/ ١٩٢ ، ١٩٣ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٠١ وقال : بسند صحيح . وزاد نسبته لوكيع والفريابي ، وابن أبي شيبه ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وقام الرازي في فضائل النبوة بلفظ : أنبئنا أنها دمشق .
- (٦) وذكره النحاس في معاني القرآن ٤/ ٤٦٢ من رواية عكرمة ، عن ابن عباس بلفظ : نبئت أنها دمشق . رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١/ ١٩٧ عن الحسن .
- (٧) وذكره الثعلبي ٣/ ٦٢ أ عن الضحاك .
- (٨) ذكره عنه من رواية عطاء البغوي ٥/ ٤١٩ ، وابن الجوزي ٥/ ٤٧٦ .
- (٩) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٤٥ ، والطبري ١٨/ ٢٧ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١/ ٢٠١ ، وذكره السيوطي في الدرر ٦/ ١٠٠ وعزاه أيضاً لعبد بن حميد .
- (١٠) في (ظ) و(ع) : (قال : وهو أقرب) .
- (١١) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٤٦ ، والطبري ١٨/ ٢٧ ، والله أعلم بصحة ذكره .

وهذا القول يروى أيضاً عن سعيد بن جبير^(١)، وعكرمة^(٢)، والحسن^(٣).
وروي عن أبي هريرة أنه قال: هي الرملة^(٤).
وقال السدي عن أصحابه: إنها أرض فلسطين من الشام^(٥).
قوله: ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾؛ أي مستوية يستقر عليها.
قال ابن عباس: هي أرض مستوية مرتفعة منبسطة^(٦).
وقال قتادة: ذات ثمار^(٧). ذهب إلى أنه لأجل الثمار يستقر فيها ساكنوها^(٨).

-
- (١) ذكره عنه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٠٠ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن عساكر. ولم أره عند ابن جرير.
- (٢) لم أجد من ذكره عنه.
- (٣) ذكره عنه ابن الجوزي ٥/ ٤٧٦.
- (٤) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٤٦، والطبري: (ب ١٨/ ٢٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١/ ٢٠١. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٠٠ وعزاه أيضاً لعبد بن حميد وأبي نعيم وابن أبي حاتم.
- وإسناده ضعيف؛ لأنَّ بشر بن رافع قال عنه الذهبي في المغني ١/ ١٠٥: قال أحمد وغيره: ضعيف.
- وقال ابن حجر في التقریب ١/ ٩٩: ضعيف الحديث.
- وفيه أيضاً أبو عبدالله الدوسي ابن عم أبي هريرة قال الذهبي في المغني ٢/ ٧٩٥: لا يعرف.
- وتعقب الطبري هذا القول بأن الرملة لا ماء بها معين. انظر: الطبري ١٨/ ٢٧.
- والرملة مدينة بفلسطين، وكانت قصبتها. معجم البلدان لياقوت ٤/ ٢٨٦.
- (٥) ذكره البغوي ٥/ ٤١٩ عن السدي.
- قال الطبري ١٨/ ٢٧ بعد حكايته للأقوال في المكان الذي وصفه الله بهذه الصفة: وأولى الأقوال بتأويل ذلك أنها مكان مرتفع ذو استواء وماء ظاهر.
- وصَوَّب النحاس في معاني القرآن ٤/ ٤٦٣ هذا القول.
- (٦) ذكره عنه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٠٠ بنحوه وعزاه لابن أبي شيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم.
- (٧) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٤٥، والطبري ١٨/ ٢٨. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٠٠ وعزاه أيضاً لعبد بن حميد وابن عساكر.
- (٨) هذا قول الطبري. انظر: تفسيره ١٨/ ٢٨.

و﴿قَرَارٍ﴾ : مصدر يراد به موضع قرار كقوله : ﴿مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم : ٢٦] وقد مر .

قوله : ﴿وَمَعِينٍ﴾ . قال ابن عباس في رواية عكرمة : يعني أنها دمشق^(١) .

وروى ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : المعين الماء^(٢) .

وروى جابر^(٣) عنه أنه الماء الجاري^(٤) ، وهو قول مقاتل^(٥) .

وروى سفيان عنه أنه قال : المعين الماء الظاهر^{(٦)(٧)} .

وهذا قول عكرمة ، وسعيد^(٨) ، والسدي .

(١) رواه ابن عساكر ١/ ١٩٢ ، ١٩٣ ، انظر : تخريج الأثر عن ابن عباس ٦٦ فهذا بقيته .

(٢) رواه الطبري ١٨/ ٢٧ من طريق ابن أبي نجيح .

(٣) هو جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي ، روي عن مجاهد وآخرين . واختلف فيه ، فوثقه شعبة والثوري ، وضعفه الإمام أحمد وآخرون ، وكذبه بعضهم ، وكان يؤمن بالرجعة . قال ابن حجر : ضعيف ، رافضي .

توفي سنة ١٢٧ هـ ، وقيل ١٢٨ هـ ، وقيل ١٣٢ هـ .

انظر : تهذيب الكمال للمزي ٤/ ٤٥٦-٤٧٢ ، والمغني للذهبي ١/ ١٢٦ ، وتهذيب التهذيب ٢/ ٤٦-٥١ ، وتقريب التهذيب ١/ ١٢٣ كلاهما لابن حجر .

(٤) ذكره عن مجاهد بهذا اللفظ السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٠٠ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم . ولم أره عند ابن جرير الطبري .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٢/ ٣١ أ .

(٦) في (ظ) و(ع) : (الظاهر) ، بالمهمله ، وهو خطأ ؛ لأن المراد أنه ظاهر تراه العيون .

(٧) ذكر السيوطي في الدر المنثور ٨/ ٣٢٩ عند قوله : ﴿فَمَنْ يَأْتِيَكُمُ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ [الملك : ٣٠] رواية عن ابن عباس في قوله : ﴿بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ قال : ظاهر .

ثم قال السيوطي : وأخرج عبد بن حميد عن مجاهد وعكرمة مثله .

(٨) في (أ) : (سعيد وعكرمة) .

وروى هذا القول عن سعيد الطبري ١٨/ ٢٧ وابن عساكر في تاريخ دمشق ١/ ١٩٨ ووقع فيه : (الظاهر) بالمهمله .

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٠٠ وعزاه أيضاً لعبد بن حميد وابن المنذر .

واختلفوا في اشتقاق معين :

فقال الفراء : لك^(١) أن تجعل المعين مفعولاً من العين^(٢) ، وأن تجعله فعلاً من الماعون ، يكون أصله المَعْن ، والمعن : الاستقامة^(٣) .

واختار الزّجاج وابن قتيبة القول الأول . واستبعد^(٤) الزّجاج أن يكون فعلاً من المعن وقال : هذا بعيد ؛ لأنّ المعن في اللغة : الشيء القليل ، ومعين : ماء جار من العيون^(٥) .

وقال ابن قتيبة : ﴿وَمَعِينٌ﴾ ظاهر من الماء ، وهو مفعول من العين ، كأنّ أصله معيون ، كما يقال : ثوبٌ مخيط ، وثُبرٌ مكيل^(٦) .

واختار أبو علي القول الثاني ، وزيف القول الأول ، وقال : ليس المعن في اللغة الشيء القليل ، ولكنه السهل الذي ينقاد ولا يعتاص^(٧) ، ومن هذا يقال : أمعن بحقه إذا أقرّ ، ومعنان^(٨) الماء : مسايله ومجاريه . والماعون : ما يسهل على معطيه من غير أن يكرثه ، كالكلأ والماء والنار . وسمي الزكاة ماعوناً لهذا^(٩) .

-
- (١) (لك) : ساقطة من (أ) .
 - (٢) في (أ) : (المعين) ، وهو خطأ .
 - (٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٣٧ .
 - (٤) في (أ) : (فاستبعد) .
 - (٥) معاني القرآن للزّجاج ٤/ ١٥ مع تقديم وتأخير .
 - (٦) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٩٧ .
 - (٧) في (ظ) و(ع) : (ولا يعتاض) ، وهو خطأ . ويعتاص : يصعب استخراجُه . انظر : لسان العرب (عوص) ٥٨/ ٧ .
 - (٨) مُعْنان بالضمّ : كذا ضبطه الفيروزآبادي في القاموس المحيط (المعن) ٤/ ٢٧٢ .
 - (٩) الإغفال لأبي علي الفارسي ٢/ ١١٣٥-١١٣٧ ، وما نقله الواحدي عن أبي علي من قوله : ومن هذا يقال : أمعن . . . ماعوناً لهذا . هو في الإغفال منسوباً لابن الأعرابي من رواية أحمد بن يحيى .

وروى أحمد بن يحيى ، عن ابن الأعرابي : معن الماء يمعن إذا جرى .

[وَأَمْعَنَ أَيْضاً^(١) ، وَأَمْعَتَهُ أَنَا ، وَمِيَاهُ مَعْنَان^(٢) .

ومعنان^(٣) : جمع معين ، كقضيبي وقضباني^(٤) .

قال^(٥) : ويدلك على^(٦) أن الميم فيه فاء [وليس من العين^(٧)] ^(٨) أن أبا الحسن قال^(٩) : قد حكى في قوله : ﴿وَمَعِينٍ﴾ : معن يمعن معانة . فمعين فاعيل من هذا ، لا يتجه على غير ذلك . فأما من ذهب فيه^(١٠) إلى أنه من العين ، فما أرى قوله إلا بعيداً من الصواب ممتنعاً ، ألا ترى أنه لا يقال : عين الماء إذا رؤي جارياً من العين ، وإنما يقال : عين ، إذا أصيب بعين ، وله عندنا وجه^(١١) ضعيف ، وذلك أن أبا زيد حكى أنهم يقولون للجبان : مفؤود ، ولا فعل^(١٢) له .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٢) قول ابن الأعرابي في تهذيب اللغة ١٦ / ٣ من رواية ثعلب - أحمد بن يحيى - عنه .

ورواه النحاس في معاني القرآن ٤ / ٤٦٥ بإسناده عن ابن الأعرابي من طريق أحمد بن يحيى (ثعلب) .

(٣) (ومعنان) : ساقط من (أ) .

(٤) انظر : لسان العرب (معن) ١٣ / ٤١٠ ، ٤١١ .

(٥) يعني أبا علي الفارسي .

(٦) في (ظ) : (أن) .

(٧) من العين) : ساقط من (ظ) .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٩) العبارة في الإغفال ١١٣٧ / ٢ : أن أبا الحسن قد حكى في قوله . . وأبو الحسن هو الأخفش ، ولم أجد

كلامه في معاني القرآن .

(١٠) (فيه) : ساقطة من (ظ) .

(١١) في (أ) : (وجه) .

(١٢) في الإغفال ١١٣٨ / ٢ : (قال : ولا فعل له) .

وحكى أبو زيد أيضاً أنهم يقولون : مُدْرَهَمٌ^(١) ولم^(٢) يقولوا دُرْهَمَ ، فيجوز على قياس هذا الذي حكاه أبو زيد أن يكون معين مفعولاً ، وإن لم يقل : عين . والقياس على هذا الشاذ النادر لا يراه سيبويه^(٣) ، وليس ينبغي أن يؤخذ بهذا لضعفه ، مع^(٤) فُشُوٍّ^(٥) الأول وكثرته ، وظهور المعنى الذي وصفناه^(٦) .

ثم ذكر^(٧) بإسناده^(٨) عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير في قوله : ﴿فَمَنْ يَأْتِكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ قال : سائح^(٩) .

وذكر بعض أصحاب المعاني أن معيناً فاعيل من أمعن إذا أسرع . فهو فاعيل بمعنى مفعول^(١٠) .

٥١ . قوله تعالى : ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا﴾ . اختلفوا في هذا الخطاب :

-
- (١) مُدْرَهَمٌ : بفتح الهاء : كثير الدراهم . لسان العرب (درهم) ١٢/٦٩٩ ، والقاموس المحيط ٤/١١١ .
 - (٢) في (ع) : (ولا) .
 - (٣) انظر : الكتاب ٢/٤٠٢ ، ٨/٤ .
 - (٤) (مع) : ساقطة من (ظ) .
 - (٥) في (ظ) : (فشوّه) .
 - (٦) في (أ) : (وصفت) ، وفي (ظ) و(ع) والإغفال : (وصفاه) .
 - (٧) يعني أبا علي الفارسي .
 - (٨) في (أ) : (بإسناده) .
 - (٩) الإغفال لأبي علي الفارسي ٢/١١٣٧-١١٤٠ مع تصرف ، وأثره سعيد الذي روه أبو علي في الإغفال رواه الطبري ٢٩/٢٣ من طريق سالم ، عنه بلفظ : ظاهر .
 - (١٠) لم أقف عليه . انظر : لسان العرب (معن) ١٣/٤٠٩ .

فذهب قوم إلى أنه خطاب لجميع الرسل ، كأنه إخبار عمل قليل لهم . وهذا قول الضحاك ، ومعنى قول ابن عباس في رواية عطاء^(١) .

ويدل على هذا حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ «وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ وقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢] الحديث^(٢) .

وهذا يدل على أن الله - تعالى - عمّ المرسلين بهذه الآية .

وقال الحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي ، والكلبي^(٣) ، ومقاتل^(٤) : يعني : محمداً ﷺ وحده . واختاره الفراء ، والقتيبي ، والزجاج .

(١) ذكر البغوي ٤٢٠/٥ ، والرازي ١٠٤/٢٣ ، والقرطبي ١٢٨/١٢ هذا القول من غير نسبة لأحد . وهذا القول هو أقرب الأقوال ، لأنه أوفق للفظ الآية . قاله الرازي ١٠٤/٢٣ ولدلالة الحديث الذي ساقه الواحدي .

وهو نداء خطاب لجميع الرسل باعتبار زمان كل واحد منهم ، فدخل فيه محمد ﷺ - وهو القول الثاني - وعيسى ﷺ - وهو قول ابن جرير - دخولاً أولياً . وإنما ذكر أن الرسل نودوا بذلك ووصوا به ، ليعتقد السامع أن أمراً نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيقاً أن يؤخذ به ويعمل عليه . قاله الزمخشري ٣٤/٣ .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ٣٢٨/٢ ، ومسلم في صحيحه في كتاب الزكاة ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها ٧٠٣/٢ ، والترمذي في جامعه في كتاب التفسير ، باب ومن سورة البقرة ٣٣٣/٨ ، ٣٣٤ .

(٣) ذكره الثعلبي ٦٢/٣ أعنيهم سوى الكلبي .

وذكره ابن الجوزي ٤٧٧/٥ مثل الثعلبي وزاد ابن عباس ، ثم قال : في آخرين .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣١/٢ أ .

قال الفراء : أراد النبي ﷺ فجمع ، كما يقال في الكلام للرجل الواحد : أيها القوم ، كُفُّوا عنا أذاكم . قال : ومثله ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ [آل عمران : ١٧٣] وهو ^(١) نعيم بن مسعود ، كان رجلاً من أشجع ^(٢) .

وقال الزجاج : إنما خوطب بهذا رسول الله ﷺ ، قيل : ﴿يَتَأَيَّاهُ الرُّسُلُ﴾ ، وتضمن هذا الخطاب أن الرسل جميعاً كذا أمروا ^(٣) .

وقال ابن قتيبة : خوطب به النبي ﷺ وحده على مذهب العرب في مخاطبة الواحد مخاطبة الجميع ^(٤) .

وذهب آخرون إلى أن هذا إخبار عما قيل لعيسى عليه السلام ، وهذا الخطاب له ^(٥) .

(١) في (أ) : (وهم) .

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٣٧ .

وما ذكره الفراء من أن المراد بالناس في قوله : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ هو نعيم بن مسعود قول حكاه القرطبي ١٢/ ٢٧٩ عن مجاهد وعكرمة ومقاتل والكلبي . وأن أبا سفيان بعد وقعة أحد جعل لنعيم بن مسعود جُعللاً على أن يأتي النبي ﷺ فيخبره أن قريشاً قد اجتمعت وأقبلت لحربه هي ومن انضاف إليها .

ثم حكى القرطبي عن جماعة من أهل العلم أن المراد بالناس ركب عبد القيس ، مروا بأبي سفيان فدسّهم إلى المسلمين ليضطوهم . وقيل : الناس هنا : المنافقون . وقيل : هم ناس من هذيل سألهم أصحاب رسول الله ﷺ عن أبي سفيان فقالوا : قد جمعوا لكم .

قال القرطبي ١٢/ ٢٨٠ : فالناس على هذه الأقوال على بابه من الجمع .

وقد صوّب ابن عطية ٣/ ٢٩٨ ، ٢٩٩ القول بأن الناس هم ركب عبد القيس . وعزاه للجمهور . وضعف القول بأن لفظة (الناس) تطلق على رجل واحد من هذه الآية ، ووصف القول بأن الناس هو نعيم بن مسعود بالشذوذ .

انظر : الطبري ٧/ ٤٠٥-٤١٣ ، وابن كثير ١/ ٤٢٨-٤٣٠ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٥ .

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة ٣/ ٢٩٧ .

(٥) هذا قول الطبري ١٨/ ٢٨ ، والشعلبي ٣/ ٦٢ أ .

واختار محمد بن جرير هذا القول ، واحتج بحديث أبي إسحاق السبيعي^(١) ، عن عمرو^(٢) بن شرحبيل في هذه الآية قال : كان عيسى يأكل من غزل أمه^(٣) .

وروي هذا القول مرفوعاً أن النبي ﷺ قال في هذه الآية : «ذاك عيسى ابن مريم كان يأكل من غزل أمه»^(٤) .

قوله : ﴿كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ﴾ . قال الضحّاك : أمرهم أن لا يأكلوا إلا حلالاً طيباً^(٥) ، كلهم أمرهم بذلك^(٦) .

والمعنى : كلوا من الحلال . قاله ابن عباس .

قال الزّجاج : وكل مأكول حلال مستطاب^(٧) .

(١) هو عمرو بن عبدالله ، الهمداني ، السبيعي ، الكوفي ، أبو إسحاق . شيخ الكوفة ، وعلامها ، ومحدثها . كان من العلماء العاملين ، وقال علي بن المدينة : حفظ العلم على هذه الأمة ستة ، ذكر منهم أبا إسحاق . قال الذهبي ثقة ، حجة بلا نزاع ، كبر وتغير حفظه تغير السن ولم يختلط . وقال ابن حجر : ثقة ، عابد ، اختلط بآخرة .

توفي سنة ١٢٧ هـ ، وقيل ١٢٨ هـ .

طبقات ابن سعد ٣١٣ / ٩ ، وسير أعلام النبلاء ٣٩٢ / ٥ ، وغاية النهاية ٦٠٢ / ١ ، وتهذيب التهذيب ٦٣ / ٨ ، وتقريب التهذيب ٧٣ / ٢ ، وطبقات الحفاظ للسيوطي ٤٣ .

(٢) في (أ) : (عمرة) ، وهو تصحيف .

(٣) رواه الطبري في تفسيره ٢٨ / ١٨ عن عمرو ، به .

وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٠٠ / ٦ وعزاه أيضاً لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم . وقد تعقب ابن عطية في المحرر ٣٦٥ / ١٠ هذه الرواية بقوله : والمشهور أنه كان يأكل من بقل البرية .

(٤) رواه عبدان في الصحابة كما في الدر المنثور ١٠٢ / ٦ عن حفص بن أبي جبلة مرفوعاً . ثم قال السيوطي : مرسل ، حفص تابعي .

(٥) (طيباً) : ساقطة من (ط) .

(٦) رواه عنه سعيد بن منصور في تفسيره : (ل ١٥٧) من دون قوله : كلهم أمرهم بذلك .

(٧) معاني القرآن للزجاج ١٥ / ٤ وتتمته : فهو داخل في هذا .

ويقول قوم : إذا قلنا إنّ هذا خطاب لمحمد ﷺ فالمراد بالطيبات الغنائم ،
وأنها ما أحلت إلا لرسول الله ﷺ^(١) .

قال الزّجاج : وأطيب الطيبات الغنائم^(٢) .

ومضى الكلام في الطيبات عند قوله : ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾^(٣) .

قوله : ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ ؛ أي اعملوا^(٤) بما أمركم الله به ، وأطيعوه في أمره
ونهيّه .

﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ ؛ لا يخفى عليّ شيء من أعمالكم .

٥٢ . قوله تعالى : ﴿وَلِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون﴾ . في (إنّ)
ثلاثة أوجه من القراءة : أحدها : فتح الألف مع تشديد النون^{(٥)(٦)} .

قال الفراء : الفتح على قوله : ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ ؛ وبأن هذه^(٧) أمتكم ،
فموضعها خفض لأنها مردودة على (ما) . قال : وإن شئت كان منصوباً بفعل
مُضْمَرٍ كأنك قلت : واعلم هذا . هذا^(٨) كلامه^(٩) .

(١) لم أجده .

(٢) معاني القرآن للزّجاج ١٥ / ٤ .

(٣) البقرة ٥٧ ، ١٧٢ .

(٤) اعملوا : ساقطة من (أ) .

(٥) في (أ) : (مع التشديد للنون) .

(٦) أي (وأنّ هذه) . وبها قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو .

السبعة ٤٤٦ ، والمبسوط لابن مهران ٢٦٢ ، والتبصرة ٢٧٠ ، والتيسير ١٥٩ .

(٧) عند الفراء : (وعليم بأنّ هذه) .

(٨) (هذا) : الثانية ساقطة من (ظ) .

(٩) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٣٧ .

والوجه في هذه القراءة ما ذكره أبو إسحاق وشرحه^(١) أبو علي .

قال أبو إسحاق في قوله : ﴿وَلِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ ؛ أي فاتقون لهذا^(٢) .

قال أبو علي : المعنى في هذه القراءة في قول الخليل وسيبويه^(٣) أنه محمول على الجار ، التقدير : ولأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون . أي اتقون^(٤) لهذا . ومثل ذلك عندهم قوله : ﴿وَأَنْ أَلْمَسِجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن : ١٨] ؛ أي لأن المساجد لله لا تدعوا معه غيره . وكذلك عندهما قوله : ﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٌ﴾ [قريش : ١] [كأنه : فليعبدوا رب هذا البيت لإيلاف قريش]^(٥) ، أي ليقابلوا هذه النعمة بالعبادة للمنعم عليهم بها^(٦) .

الوجه الثاني من القراءة : فتح الألف مع تخفيف (أن)^(٧) .

-
- (١) في (أ) : (شرحه) ، من دون واو .
 - (٢) معاني القرآن للزجاج ١٥ / ٤ .
 - (٣) الكتاب ١٢٦ / ٣ ، ١٢٧ .
 - (٤) في الحجة : اعبدوني .
 - (٥) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .
 - (٦) الحجة لأبي علي الفارسي ٢٩٧ / ٥ . ويتحصل في نقل الواحدي عن الفراء والزجاج وأبي علي أن في قراءة من قرأ (أن هذه) ثلاثة أوجه :
أحدها : أنها على حذف اللام ، أي ولأن هذه ، وهذه اللام تتعلق بـ(اتقون) .
الثاني : أنها معطوفة على ما قبلها ، وهو قوله : ﴿يَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ؛ أي إني أعلم بما تعملون وبأن هذه .
الثالث : أن في الكلام حذفاً ، تقديره واعلموا أن هذه أمتكم .
حجة القراءات لابن زنجلة ٤٨٨ ، والكشف لمكي ١٢٩ / ٤ ، وإملاء ما من به الرحمن للعكبري ١٥٠ / ٢ ، والدر المصون للسمين الحلبي ٣٤٩ / ٨ .
 - (٧) أي ﴿وَلِنْ هَذِهِ﴾ بفتح الألف وسكون النون ، وهي قراءة ابن عامر .
السبعة ٤٤٦ ، والمبسوط لابن مهران ٢٦٢ ، والتبصرة ٢٧٠ ، والتيسير ١٥٩ .

ومعنى هذه القراءة على تقدير الأولى . ألا ترى أنَّ (أَنَّ) إذا خُفِّفت اقتضت ما يتعلق به ^(١) اقتضاؤها وهي غير مخففة ^(٢) .

قال أبو علي : والتخفيف حسن في هذا ؛ لأنَّه لا فعل بعدها ولا شيء مما يلي ^(٣) أن ، وإذا كان كذلك كان تخفيفها حسناً ، ولو ^(٤) كان بعدها فعل لم يحسن حتى تُعوَّض السَّين أو سوف أو (لا) إذا كان في نفي . فإذا لم يكن فعل بعدها ^(٥) ساغ التخفيف ، ومثله قوله تعالى : ﴿دَعَوْهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس : ١٠] ^(٦) .

الوجه الثالث : كسر الألف مع التشديد ^(٧) ، على الاستئناف ^(٨) .

ومعنى الآية : أنتم أهل دعوة واحدة ونصرة ؛ فلا تكونوا كالذين تفرقوا واختلَفوا ^(٩) .

(١) في (ظ) و(ع) : (ها) ، والمثبت من (أ) و(الحجة) .

(٢) هذا كلام أبي علي في الحجة ٢٩٧/٥ . انظر : علل القراءات للأزهري ٤٣٦/٢ ، والكشف لمكي بن أبي طالب ١٢٩/٢ .

(٣) في الحجة : (ما لا يلي) .

(٤) في (ظ) : (وإن) .

(٥) بعدها : ساقطة من (أ) .

(٦) الحجة للفراسي ٢٩٧/٥ . انظر : أوضح المسالك لابن هشام ٢٦٥/٢ .

(٧) أي (وإن هذه) ، وهي قراءة عاصم ، وحمزة ، والكسائي .

السبعة ٤٤٦ ، والمبسوط لابن مهران ٢٦٢ ، والتبصرة ٢٧٠ ، والتيسير ١٥٩ .

(٨) الحجة للفراسي ٢٩٧/٥ .

انظر : علل القراءات للأزهري ٤٣٦/٢ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٨٨ .

(٩) هذا كلام أبي علي في الحجة ٢٩٧/٥ بنصه .

قال مقاتل : يقول : هذه ملتكم التي أنتم عليها يعني ملة الإسلام ملة واحدة . عليها كانت الأنبياء والمؤمنون الذين نجوا من العذاب الذين ذكرهم الله في هذه السورة^(١) .

ومضى الكلام في تفسير هذه الآية في سورة [الأنبياء : ٩٢] .

وأعلم الله^(٢) أن قوماً جعلوا دينهم أدياناً فقال^(٣) :

٥٣ . ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ﴾ . قال مجاهد : هؤلاء أهل الكتاب^(٤) .

وقال الكلبي : يعني مشركي العرب واليهود^(٥) ، والنصارى تفرقوا أهواءً وأحزاباً^(٦) .

والكلام في هذا قد سبق في نظيرتها^(٧) في سورة [الأنبياء : ٩٣] .

قوله : ﴿زُبُرًا﴾ . قال مجاهد وقتادة : كتباً^(٨) .

(١) تفسير مقاتل ٣١ / ٢ أ .

(٢) في (ظ) : (والله أعلم) .

(٣) من قوله : وأعلم الله إلى هنا . هذا قول الزجاج في معانيه ١٥ / ٤ .

(٤) رواه الطبري ٣٠ / ١٨ .

(٥) في (ظ) : (اليهود) .

(٦) ذكره عنه ابن الجوزي ٤٧٨ / ٥ ، والرازي ١٠٥ / ٢٣ .

(٧) في (ظ) : (نظيرها) .

(٨) رواه عن مجاهد الطبري في تفسيره ٣٠ / ١٨ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٠٣ / ٦ وزاد نسبه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن المنذر في تفاسيرهم .

ورواه عن قتادة عبدالرزاق في تفسيره ٤٦ / ٢ ، والطبري ٢٩ / ١٨ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٠٣ / ٦ وزاد نسبه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن المنذر .

قال أبو إسحاق : وتأويله جعلوا دينهم كتباً مختلفة جمع زبور^(١) .

وهي كتب أحدثوها يحتجون فيها لمذاهبهم^(٢) .

وقرئ (زبراً) بفتح الباء^(٣) . ومعناه : قطعاً . جمع زُبُرَة كقوله : ﴿زُبُرَ الْحَدِيدِ﴾ [الكهف: ٩٦]^(٤) . قال ابن عباس : يريد فرقاء^(٥) .

وقال السدي ومقاتل : قطعاً فرقاء ، فصاروا أدياناً : يهوداً ونصارى وصابئين ومجوساً وأصنافاً شتى كثيرة^(٦) .

وقال الفراء : المعنى في زُبُرٍ وزُبَرٍ واحد^(٧) .

يعني أن الزُبُرَة بمعنى القطعة تجمع على زُبُرٍ وزُبَرٍ ، وعلى هذا ، ليس للكتب في الآية معنى ، ويدل على هذا أنّ الذين قالوا من المفسرين في الآية : فرقاء وقطعاً لم يقولوه في قراءة من قرأ بفتح الباء ، وإنما فسروه على قراءة العوام .

وقد قال المبرد : ﴿زُبُرًا﴾ ؛ أي فرقاء مختلفة وأحدها زُبُور . والزُبَرُ واحدها زُبُرَة وهي القطعة^(٨) . وعلى هذا الزبور الفرقة والطائفة .

(١) معاني القرآن للزجاج ١٦/٤ .

(٢) هذا كلام الطبري ٣٠ / ١٨ ، والثعلبي ٦٢ / ٢ أ .

(٣) وهي قراءة الأعمش وأبي عمرو في رواية .

انظر : الشواذ لابن خالويه ٩٩ ، والبحر المحيط ٦ / ٣٣٨ ، والقرطبي ١٢ / ١٣٠ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٣٨ ومعاني القرآن للزجاج ٤ / ٤٦ .

(٥) ذكره البغوي ٥ / ٤٢ ولم ينسبه لأحد .

(٦) ذكر الماوردي ٤ / ٥٧ أوله عن السدي . وقول مقاتل في تفسيره ٢ / ٣١ أ .

(٧) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٣٨ .

(٨) لم أجده .

وقوله : ﴿كُلُّ حَزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد بما عندهم من خلاف النبي ﷺ مسرورون .

وقال مقاتل : يقول : كل أهل ملة بما عندهم من الدين راضون^(١) .
ومضى الكلام في الفرح عند قوله : ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾
[آل عمران : ١٧٠] .

وقال الفرّاء : يقول معجبون بدينهم يرون أنهم على الحق^(٢) .
٥٤ . قوله تعالى : ﴿فَذَرَّهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ . قال مقاتل : يعني كفار مكة ، يقول : خلّ عنهم في غفلتهم^(٣) .

وقال ابن عباس : يريد في ضلالتهم^(٤) . وهو قول قتادة^(٥) .

وقال ابن زيد : عماهم^(٦) . وقال الفرّاء : في جهالتهم^(٧) .

(١) تفسير مقاتل ٣١/٢ أ .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢٣٨/٢ .

(٣) تفسير مقاتل ٣١/٢ ب .

(٤) ذكره عنه الثعلبي ٦٢/٣ أ .

(٥) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٤٦/٢ .

(٦) ذكره عنه الثعلبي ٦٢/٣ أ .

(٧) معاني القرآن للفرّاء ٢٣٨/٢ .

وقال الزَّجَّاج : في عمايتهم وحيرتهم^(١) .

ومعنى الغمرة في اللغة : هي ما يغمرك ويعلوك ويغطي عليك . يقال : ما أشد غمرة هذا النهر ؛ أي يغطي على من دخله^(٢) .

ثم الجهالة والضلالة والحيرة مما يغطي على قلب الإنسان وعقله ، فيقال لها : غمرة . وذكرنا^(٣) الكلام فيها عند قوله : ﴿ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ﴾ [الأنعام : ٩٣] .

وقوله : ﴿ حَتَّى حِينٍ ﴾ . قال ابن عباس : يريد نزول العذاب بالسيف أو بالموت^(٤) .

٥٥-٥٦ . قوله : ﴿ أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُنَادُهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ ۖ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ . قال الفراء : (ما) في موضع الذي ، وليست بحرف واحد : يقول : أَيْحَسِبُونَ أَنَّنَا نَعْطِيهِمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْبَنِينَ أَنَّا جَعَلْنَاهُمْ ثَوَابًا^(٥) .

وقال الزَّجَّاج : تأويل الآية : أَيْحَسِبُونَ أَنَّ إِمْدَادَ اللَّهِ لَهُم بِالْمَالِ وَالْبَنِينَ مجازاة لهم ؟ وإنَّما هو استدراج لهم من الله ، وهو معنى قوله : ﴿ لَا يَشْعُرُونَ ﴾^(٦) ، و(ما) في

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ١٦/٤ .

قال الشنقيطي في أضواء البيان ٧٩٥/٥ : وأقوال أهل العلم في معنى غمرتهم راجع إلى شيء واحد . . . وهو أنه أمره أن يتركهم في ما هم فيه من الكفر والضلال والغبي والمعاصي .

(٢) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (غمر) ١٢٨/٨ ، ١٢٩ ، والصحاح للجوهري ٧٧٢/٢ ، ولسان العرب ٢٩/٥ .

(٣) في (أ) : (ذكرنا) .

(٤) ذكره الرازي ١٠٥/٢٣ بمعناه من غير نسبة .

(٥) معاني القرآن للفراء ٢٣٨/٢ .

(٦) قوله : وهو معنى قوله : ﴿ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ مدرجة من كلام الواحدي وليست من كلام الزَّجَّاج .

معنى الذي ، المعنى : أيحسبون أنّ الذي غرهم به^(١) من مال وبينن نسارع^(٢) لهم في الخيرات^(٣) ؟

ومثل هذا ذكر صاحب النظم فقال : انتظام الآيتين بإضمار الباء على تأويل : نسارع لهم به في الخيرات^(٤) كما قال عز وجل : ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٥) [أي يؤمرون]^(٦) به وكما^(٧) قال : ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ﴾ [النمل : ٦٠] بالله غيره .

قال ابن قتيبة : ﴿سَارِعٌ﴾ بمعنى^(٨) : نُسرِع^(٩) .

-
- (١) (به) : ساقطة من (ظ) .
 (٢) عند الزَّجَّاج : نسارع لهم به .
 (٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ١٦ ، وفي (ما) وجهان آخران :
 أحدهما : أن تكون مصدرية ، والتقدير : أيحسبون أن إمدادنا لهم من كذا مسارعةٌ منا لهم في الخيرات .
 الثاني : أنها مهيئةٌ كافةٌ . وبه قال الكسائي ، وحينئذ يجوز الوقف على ﴿وَيَنِينَ﴾ .
 انظر : القرطبي ١٢ / ١٣١ ، والبحر المحيط ٦ / ٤٠٩ ، والدر المصون ٨ / ٣٥١ .
 (٤) مراد صاحب النظم أن (ما) بمعنى الذي وهي اسم (أن) ، وصلتها ما بعدها ، وخبر (أن) هو الجملة من قوله : ﴿سَارِعٌ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ والرباط لهذه الجملة ضمير محذوف لفهم المعنى ، تقديره : نسارع لهم في الخيرات . قال أبو حيان : وحسن حذفه استطالة الكلام مع أمن اللبس .
 وقيل : الرابطة بين هذه الجملة واسم (أن) هو الظاهر الذي قام مقام الضمير من قوله : (في الخيرات) إذ الأصل : نسارع لهم فيه ، ثم أظهر فأوقع (الخيرات) موقعه تعظيماً وتنبهياً على كونه من الخيرات ، ولا حذف على هذا التقدير .
 انظر : القرطبي ١٢ / ١٣٠ ، والبحر المحيط ٦ / ٤٠٩ ، والدر المصون ٨ / ٣٥١ .
 (٥) النحل ٥٠ ، والتحريم ٦ .
 (٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .
 (٧) في (أ) : (فكماً) .
 (٨) (بمعنى) : ساقطة من (ظ) .
 (٩) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٩٨ .

والمعنى : [أيحسبون أننا نقدم لهم ثواب أعمالهم لرضانا عنهم؟

وقال ابن عباس^(١) : أيحسبون أن الذي بسطت لهم في الرزق فأغنيتهم وأكثرت أموالهم^(٢) وأولادهم أن ذلك خير لهم ؟ بل هو شر لهم . ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ ؛ لا يعلمون غيبي^(٣) .

وقال مقاتل : يقول : لا يشعرون أن الذي أعطاهم من المال والبنين هو شر لهم كقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا نُمِلُّ لَهُمْ لِيَزِدَادُوا إِثْمًا﴾ [آل عمران : ١٧٨]^(٤) .

* * *

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٢) (أموالهم) : ساقطة من (أ) و(ظ) ، وفيها : (وأكثر أولادهم) .

(٣) في (أ) : (غبي) .

(٤) تفسير مقاتل ٢ / ٣١ ب .